2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

زاد المسير في علم التفسير

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثامن

تتمة يوسف - الرعد - إبراهيم
الحجر - النحل - الإسراء

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

زاد المسير في علم التفسير

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
أوقاف
AWQAF

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٨

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

الدار الشامية للنشر والتوزيع

الدار الشامية - اسطنبول - تركيا
شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26
تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856
الايميل: alshamiya.tr@gmail.com

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate of Endowments

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World

دولة قطر
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

زاد المسير في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثامن

يوسف ٨٢ - الإسراء

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

المكتب العلمي بدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ المعْنَى: قولُوا لأبيكُم: سَلْ أهْلَ القريَةِ ﴿ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ يعْنُونَ: مِصرَ ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾؛ أي: وأهْلَ العِيرِ، وكانَ قد صحِبَهُم قوْمٌ مِن الكَنْعانِيينَ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ويجوزُ أن يكونَ المعْنَى: وسَلِ القرْيةَ والعِيرَ فإنَّها تعْقِلُ عنْك لأنَّك نبيٌّ، والأنْبياءُ قد تُخاطِبُهُم الأحْجارُ والبهائِمُ، فعلَى هذَا تسْلَمُ الآيةُ مِن إضْمارٍ(١).

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف: ٨٣].

قوْلُه تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴾ في الكلامِ اخْتِصارٌ، والمعْنَى: فرَجعُوا إلى أبيهم فقالُوا له ذلِك، فقال لهُم هذَا، وقد شرَحْناهُ في أوَّل السُّورَةِ.

واخْتلفُوا لأيِّ علَّةٍ قالَ لهُم هذَا القوْلَ، علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ظنَّ أنَّ الَّذي تخلَّف منْهُم، إنَّما تخلَّف حِيلةً ومكْرًا ليصدِّقَهُم، قالَه وهْبُ بْنُ منبِّهٍ.

---

(١) ذكر قولَ ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٢٠٩).

والثَّاني: أنَّ المعنَى: ﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ﴾ أنَّ خُروجَكُم بأخِيكُم يجلِبُ نفْعًا، فجرَّ ضررًا، قالَهُ ابنُ الأنْبارِيِّ[1].

والثَّالث: ﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ﴾ أنَّه سرقَ، ومَا سرَقَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ يعْنِي: يُوسفَ وبنْيَامِينَ وأخَاهُمَا المقِيمَ بمصْرَ. وقالَ مُقاتِلٌ: أقَامَ بمِصْرَ يهُوذا وشمْعُونَ، فأرَاد بقوْلِهِ: ﴿أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ﴾ يعْنِي: الأرْبعَةَ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾؛ أي: بشدَّةِ حُزني، وقِيلَ: بمكَانِهِم، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيما حكَمَ علَيَّ.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف: ٨٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: أعْرضَ عنْ ولَدِه أنْ يُطِيلَ معَهُم الخطْبَ[3]، وانفردَ بحُزْنِه، وهيَّج عليْه مَا جرَى ذِكْرَ يُوسفَ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يا طُولَ حُزنِي علَى يُوسفَ[4].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢١١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٨).

(٣) في (ج): الخطاب.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٥) (١١٨٧٨) عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، قال: يا حزنا على يوسف.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: الأَسَفُ: أَشَدُّ الحسْرَةِ[١]. قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: لقد أُعْطِيت هذِه الأُمَّةُ عنْد المصيبةِ ما لَم يُعطَ الأنبياءُ قبْلَهُم، (يعني قوله)[٢]: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ولَوْ أُعطِيها الأنبياءُ لَأُعطِيها يعْقوبُ؛ إذْ يقُول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[٣].

فإنْ قِيل: هذَا لفْظُ الشَّكوَى، فأيْنَ الصَّبْر؟.

فالجوَابُ مِن وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه شكَا إلى اللهِ تعَالى، لَا مِنْهُ.

والثَّاني: أنَّه أرادَ بِهِ الدُّعاءَ، **فالمعْنَى:** يا ربِّ ارْحَمْ أسَفِي على يُوسُفَ.

وذكَرَ ابْنُ الأنباريِّ عنْ بعْضِ اللُّغويين أنَّه قالَ: نِداءُ يعْقُوبَ [٤١٣/أ] الأسَفَ في اللَّفظِ، مِن المجازِ الَّذي يعْنِي بهِ غيْرَ المظهرِ في اللَّفظ.

وتلْخِيصه: يا إلهي ارْحَم أسَفِي (على يوسفَ)[٤]، أو أنْت رَاءٍ أسَفِي، وهذَا أسَفِي، فنادَى الأسفَ فِي اللَّفظ، والمنادَى فِي المعْنَى سِواه؛ كما قالَ: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾، والمعْنَى: يا هؤلاءِ تنبَّهوا على حسْرتِنا.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) زيادة من الأصل فقط.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٦٦) (١٤٢٨)، والبيهقي في الشعب (٩٦٩١) من طريق سفيان العصفري به.

(٤) من الأصل فقط.

قَالَ: والحُزْنُ ونفُور النَّفس مِنَ المكرُوهِ والبَلاءِ لا عيْبَ فيهِ ولَا مأثَم إذا لم ينْطِقِ اللِّسانُ بكلَامٍ مؤثِّمٍ ولم يشْكُ إلَّا إلى ربِّه، فلمَّا كانَ قوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ شكوى إلى ربِّه، كان غيْرَ ملُومٍ[١].

وقد رُوي عنِ الحسَنِ رضي الله عنه أنَّ أخاهُ ماتَ، فجزَعَ الحسَنُ جزَعًا شدِيدًا، فعُوتِب في ذلِك، فقَال: ما وجدْتُ اللهَ تعالى عابَ علَى يعْقُوبَ الحُزنَ؛ حيْثُ قالَ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾؛ أي: انقَلبَتْ إلى حالِ البَياضِ.

وهَل ذهَب بصرُهُ، أمْ لَا؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه ذهَب [بصرُه][٣]، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: ضعُفَ بصَرُه لِبياضٍ تغشَّاهُ مِن كثرةِ البُكاء، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٤].

وقالَ مُقاتِلٌ: لم يُبصرْ بعيْنَيْه سِتَّ سِنينَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وقوْلُه: ﴿مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾؛ أي: مِنَ البُكاءِ[٥]، يُريد أنَّ عينَيْهِ ابيضَّتا؛ لِكثْرةِ بُكائِه، فلمَّا كانَ الحزْنُ سببًا للبكاء، سُمِّي البكاءُ حُزنًا.

---

(١) انظر: تفسير الخازن (٢/ ٥٤٩).

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٤).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٦٩).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٧).

وقالَ ثابتٌ البُنانيُّ: دخَل جِبريلُ عليه السلام علَى يُوسفَ، فقَالَ: أيُّها الملِكُ الكريمُ علَى ربِّه، هل لكَ علْمٌ بِيعْقُوبَ؟ قالَ: نعَمْ! قالَ: ما فعَلَ؟ قالَ: ابيضَّتْ عيْنَاه، قالَ: ما بلَغ حزْنُه؟ قالَ: حزْن سبْعِين ثكْلَى، قالَ: فهَل له على ذلِكَ مِن أجْرٍ؟ قالَ: أجْرُ مائةِ شهيدٍ(١).

وقالَ الحسَنُ البصريُّ: ما فارَقَ يعْقوبَ الحزْنُ ثمانِينَ سنَةً، وما جفَّتْ عينُه، وما أحَدٌ يومئذٍ أكْرم علَى اللهِ منْه حين ذهَبَ بصرُهُ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الكَظِيمُ بمعْنَى: الكاظِمُ؛ وهوَ الممْسِكُ علَى حُزْنه فلَا يُظهِرُه، قالَه ابْنُ قُتيبةَ(٣). وقد شرحْنَا هذا عنْد قوْلِه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٥ - ٨٧].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٠)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٦٩- ٢٧٠) بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٧) قال: أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا ابن إدريس، عن هشام، عن الحسن قال: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة وما جفت عينه، وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

قوْله تعَالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾.

قَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: معْناه: واللهِ، وجوَابُ هذا القَسمِ «لَا» المضمَرةُ الَّتِي تأويلُها: تاللهِ لَا تفتأُ، فلمَّا كانَ موضعُها معْلومًا خفَّف الكلامَ لسُقوطِها(١) مِن ظاهرِه، كما تقُول العرَبُ: واللهِ أقصدك أبدًا، يعْنون: لَا أقْصدُك(٢)، قالَ امرُؤ القيْسِ [من الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي(٣)

يُريد: لَا أبْرَحُ.

وقالتِ الخنْسَاءُ [من المتقارب]:

فَأَقْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ ... أَوْ أَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا(٤)

أرَادَتْ: لَا آسَى.

وقالَ الآخَرُ [من المنسرح]:

[٣١٤/ب] لَمْ يَشْعُرِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْـ ... ـعُرْفِ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا

(١) في (ج)، و(ف): بسقوطها.

(٢) الأضداد (ص: ١٤٢).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٨)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٥٤٠)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢٥)، والأضداد (ص: ١٤٢)، والكتاب (٣/ ٥٠٤)، والصناعتين (ص: ١٣٨).

(٤) البيت في ديوانها (ص: ١٢٥)، وفيه:

فآليت آسي على هالك *** وأسأل باكية ما لها

وهو أيضًا لها في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٢١٨)، والتعازي؛ للمبرد (ص: ١٢١)، وأمالي المرتضى (ص: ٤٨).

تَــالله أَنْسَــى مُصِيبَتِــي أَبَــدًا مَــا أَسْــمَعَتْنِي حَنِينَهَــا الْإِبِــلُ[١]

وقـرأ أبـو عِمْـرانَ، وابْـنُ مُحيصِـنٍ، وأبـو حيْـوَةَ: «قَالُـوا بِـالله» بالبـاءِ[٢]، وكذلِـك كُلُّ قسَـمٍ في القُـرآنِ.

فأمَّـا قوْلُـه: ﴿تَفْتَؤُا﴾ فقـالَ المفَسِّرُون وأهْـلُ اللُّغـة: (معْنَى «تفتـأ»)[٣]: تـزَالُ، فمعْنَى الكلامِ: لَا تزَال تذْكُر يُوسـفَ، وأنْشـدَ أبو عُبيـدةَ[٤][من الطويل]:

فَـمَا فَتِئَــتْ خَيْــلٌ تَثُــوبُ وَتَدَّعِــي وَيَلْحَــقُ مِنْهَــا لَاحِــقٌ وَتَقَطَّــعُ[٥]

وأنْشد ابْنُ القاسِم [من الطويل]:

فَـمَا فَتِئَــتْ مِنَّــا رِعَــالٌ كَأَنَّهَــا رِعَالُ الْقَطَـا حَتَّى احْتَوَيْنَ بَنِي صَخْرِ[٦]

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الدَّنِفُ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) البيتـان لنُصَيْـب بـن ربـاح يرثـي عبـد العزيـز أو ابنه أبـا بكـر في الأغـاني (١/ ٣٤٦)، ومعجم البلـدان (٣/ ٢٣٠)، وحماسـة القـرشي (ص: ١٩٦).

(٢) لم أقف عليها.

(٣) في (ف): معناه.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٦).

(٥) البيـت لأوس بـن حجـر في ديوانه (ص: ٥٨)، ومجـاز القرآن؛ لأبي عبيـدة (١/ ٣١٦)، وغريب القـرآن؛ لابن قتيبـة (ص: ٢٢١)، والمسـائل الحلبيات (ص: ٢٦٧).

(٦) البيت للأعرج، كما في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٢١٧).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: أحْرَضَهُ الحزْنُ؛ أي: أدْنَفَهُ[١].

قالَ أبو عُبيدةَ: الحرَضُ: الَّذي قد أذابَهُ الحُزنُ أوِ الحُبُّ، وهيَ في موْضعِ مُحْرَضٍ[٢]. وأنْشدَ [من البسيط]:

إنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي ... حَتَّى بَلِيتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ[٣]

أي: أذابَنِي.

وقالَ الزَّجَّاج: الحرَضُ: الفاسِدُ في جسْمِه. والمعْنَى: حتَّى تكونَ مُدْنَفًا مَرِيضًا[٤].

والثَّاني: أنَّه الذَّاهبُ العقْلِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقال ابْنُ إسْحاقَ: الفَاسدُ العقْلِ[٥].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٣) البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي، كان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه. وهو في ديوانه (ص: ٥)، والشعر والشعراء (ص: ٣٨١)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٢٢)، ومجاز القرآن (١/ ٣١٧)، والاشتقاق (ص: ٤٨)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٢٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٤) (١٩٦٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٥-٢١٨٨) (١١٨٩٩) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قال: لما ذكر يعقوبُ يوسفَ قالوا يعني ولده الذين حضروه في ذلك الوقت، جهلًا وظلمًا: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾؛ أي: تكون فاسدًا لا عقل لك.

قالَ الزَّجَّاجُ: وقد يكون الحَرَضُ: الفاسِدُ في أخْلاقِه[١].

والثَّالث: أنَّه الفاسِدُ في جسْمِه وعقْلِه، يُقال: رجُلٌ حارِضٌ وحَرَضٌ، فحارِضٌ، يُثنَّى ويجمع ويُؤنَّث، وحرَضٌ لا يُجمع ولا يُثنَّى؛ لأنَّه مصدرٌ، قالَه الفرَّاءُ[٢].

والرَّابع: أنَّه الهرَمُ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ يعْنُون: الموْتى.

فإنْ قيلَ: كيْفَ حلَفُوا على شيْءٍ يجوزُ أنْ يتغيَّرَ؟.

فالجوابُ: أنَّ في الكلَامِ إضْمارًا، تقْديرُه: إنَّ هذَا في تقْدِيرِنا وظَنِّنَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: البَثُّ: أشَدُّ الحُزنِ، سُمِّي بذلِك؛ لأنَّ صاحبَه لا يصْبِرُ عليْهِ حتَّى يبثَّهُ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ **المعْنَى**: إنِّي لَا أشْكُو إليْكُم، وذلِك لَمَّا عنَّفُوه بما تقَدَّم ذكْرُه.

ورَوى الحاكِم أبو عبدِ اللهِ في «صحيحِه» مِن حديثِ أنَسِ بْنِ مالِكٍ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

عـنْ رسُـولِ اللهِ ﷺ، أنَّـه قـالَ[١]: «كانَ لِيعْقـوبَ أخٌ مُـؤاخٍ [لَـهُ][٢]، فقَـالَ لـه ذَاتَ يـوْمٍ: يَـا يعْقُـوبُ! مَـا الَّـذِي أذْهـبَ بـصرَكَ؟ ومَـا الَّـذِي قـوَّسَ ظهْـرَكَ؟.

قـالَ: أمَّـا الَّـذي أذْهـبَ بـصَرِي؛ فالبُـكاءُ عـلَى يُوسُـفَ، وأمَّـا الَّـذي قـوَّسَ ظهْـرِي؛ فالْحُـزْنُ عـلَى بنْيَامِـينَ. فأتَـاهُ جِبْرِيـلُ عليـه السلام، فقَـالَ: يَـا يَعْقُـوبُ! إنَّ اللهَ يُقْرِئُـكَ السَّـلامَ ويقُـولُ لـكَ، أمَـا تَسْـتَحِي أنْ تَشْـكُونِي إلى غـيْرِي؟ فقَـالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فقَـالَ جِبْرِيـلُ: اللهُ أعْلَـمُ بِـمَا[٣] تَشْـكُو، ثُـمَّ قـالَ يعْقُـوبُ: أيْ رَبِّ! أمَـا تَرْحَـمُ الشَّـيْخَ الكَبِـيرَ؟ أذْهَبْـتَ بَـصَرِي، وقوَّسْـتَ ظهْـرِي، فَـارْدُدْ عـلَيَّ رَيْحَـانِي أَشُـمُّهُ شَـمَّةً قبْـلَ الْمَـوْتِ، ثُـمَّ اصْنَـعْ بِي يَـا رَبِّ مَـا شِـئْتَ، فأتَـاهُ جِبْرِيـلُ عليـه السلام، فقَـالَ: يَـا يعْقُـوبُ! إنَّ اللهَ يَقْـرأُ عليْـكَ السَّـلامَ، ويقُـولُ: أبْشِرْ، فَوَعِـزَّتِي وجـلَالِي لَـوْ كَانَـا مَيِّتَـيْنِ لَنشَرْتُهـمَا لَـكَ، اصْنَـعْ طعَامًـا للْمَسـاكِينِ، فَـإنَّ أَحَـبَّ عِبـادِي إلَيَّ الْمَسَـاكِينُ، وَتَـدْرِي لِمَ أذْهَبْـتُ بَـصَرَكَ، وقَوَّسْـتُ ظهْـرَكَ، وصنَـعَ إخْـوَةُ يُوسُـفَ بِيُوسُـفَ مَـا صنَعُـوا؟ لِأنَّكُـم ذبحْتُـمْ شَـاةً، فأتَـاكُـم فُـلانٌ المسْكِينُ وهـوَ صَائِـمٌ، فلَـمْ تُطْعِمُـوه مِنْهَـا. [٤١٤/أ]

فـكانَ يعْقُـوبُ بعْـدَ ذلِـكَ إذَا أرَادَ الغَـداءَ أمَـرَ مُنادِيًـا فنَـادَى: ألَا مَـنْ أرَادَ الغَـدَاءَ مِـنَ المسَـاكِينِ فَلْيَتَغَـدَّ مـعَ يعْقُـوبَ، وإذَا كانَ صائِـمًا أمَـرَ مُنادِيًـا فنـادَى: مَـنْ كانَ صَائِـمًا فَلْيُفْطِـرْ مـعَ يعْقُـوبَ»[٤].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) من (م).

(٣) في (ف): بها الذي.

(٤) أخرجـه ابـن أبي الدنيـا في الفـرج بعـد الشـدة (٣٠)، وابن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٨٨)=

وقـالَ وهْـبُ بْـنُ منبِّـهٍ: أوْحَـى اللهُ تعَـالى إلى يعْقُـوبَ عليـه السـلام: أتَـدْرِي لِمَ عاقَبْتُـكَ وحبسْـتُ عنْـكَ يُوسُـف ثَمانِـين سـنَةً؟ قـالَ: لَا، قـالَ: لأنَّـك شـوَيْتَ عناقًـا، وقـتَّرْتَ عـلَى جـارِكَ وأكلْـتَ ولم تُطْعمْـهُ[1].

وذكَـر بعْضُهُـم أنَّ السَّـببَ في ذلِـكَ أنَّ يعْقُـوبَ ذبَـحَ عِجْـلَ بقَـرَةٍ بـيْنَ يدَيْهَـا، وهـيَ تخُـورُ، فلَـم يرحمْهَـا[2].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ صبَرَ يُوسفُ عنْ أبِيهِ بعْدَ أنْ صارَ ملِكًا؟.

فقَدْ ذكَرَ المفَسِّرُونَ عنْهُ ثلَاثةَ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه يجُوز أنْ يكُونَ ذلِك عنْ أمْرِ اللهِ تعَالى، وهوَ الأظْهَرُ.

والثَّاني: لِئلَّا يظُنَّ الملِكُ بتعْجِيل اسْتِدْعائِه أهْلَه، شِدَّةَ فاقتِهِم.

والثَّالـث: أنَّـه أحـبَّ بعْـد خُروجـه مِـنَ السِّـجنِ أنْ يـدرِّجَ نفسَـهُ إلى كـمَالِ السُّـرورِ.

=(١١٩٠١)، والحاكـم في المستدرك (٢/ ٣٨٤)، والواحـدي في الوسـيط بسـنده (٢/ ٦٢٨) نحـوه مرفوعًـا مـن حديـث أنـس، وقـال ابـن كثـير في تفسـير القـرآن العظيـم (٢/ ٤٨٧): حديـث غريـب، وفيـه نـكارة.

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٢٩)، والثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٥/ ١٢٦) بسـنده مـن أبي عمـران عـن أبي الخلـد ووهـب بـن منبـه، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٥٨) إلى عبـد بـن حميـد وابـن المنـذر وأبي الشـيخ، وانظـر: التفسـير الوسـيط؛ للواحـدي (٢/ ٦٢٩)، ومعـالم التنزيـل (٤/ ٢٦٩).

(٢) ذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٢/ ٦٢٩) قـال: إنَّ سـبب ابتـلاء يعقـوب أنـه كانـت لـه بقـرة، ولهـا عجـل، فذبـح عجلهـا بـين يديهـا، وهـي تخـور، فلـم يرحمهـا يعقـوب، فأخـذه الله بـه، وابتـلاه بأعـز ولـده.

والصَّحِيح: أنَّ ذلِك كانَ عنْ أمْرِ اللهِ تعالى؛ لِيرفعَ درجةَ يعْقُوبَ بالصَّبر على البَلاءِ، وكان يُوسفُ يُلاقِي مِنَ الحُزْنِ لأجْلِ حُزْنِ أبيه عظِيمًا، ولا يقْدِر علَى دفْعِ سبَبِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أعْلَمُ أنَّ رُؤيا يُوسفَ صَادقَةٌ وأنَّا سنَسْجدُ لَهُ، رَواه العوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: أعْلَمُ مِن سلَامةِ يُوسُفَ مَا لَا تعْلَمُون.

قالَ ابْنُ السَّائبِ: وذلِك أنَّ ملِكَ الموْتِ عليه السَّلام أتَاه، فقَالَ له يعْقُوبُ: هلْ قبضْتَ رُوحَ ابْنِي يُوسُفَ؟ قالَ: لَا(٢).

والثَّالث: أعْلَمُ مِن رحْمَةِ اللهِ وقُدْرتهِ مَا لَا تعْلَمُون، قالَهُ عطَاءٌ.

والرَّابع: (أنَّه لمَّا)(٣) أخْبَرَهُ بنُوه بِسيرةِ العزِيزِ، طمِعَ أنْ يكُونَ هوَ(٤)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٩) (١١٩٠٨) من طريق محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: {وأعلم من الله ما لا تعلمون}، يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٩)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٠) إلى ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٩) (١١٩٠٣) عن النضر بن عربي.

(٣) في (ج): إنَّما.

(٤) ليست في (ج).

يُوسُفَ، قالَه السُّدِّيُّ، قالَ: ولذلِك قالَ لهُم: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ﴾(١).

وقالَ وهْبُ بْنُ منبِّهٍ: لمَّا قالَ له ملِكُ الموْتِ: مَا قبضْتُ رُوحَ يُوسُفَ؛ تبَاشَر عنْدَ ذلِكَ، ثُمَّ أصْبحَ، فقَالَ لِبنِيه: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(٢).

قالَ أبو عُبيدةَ: «تَحَسَّسُوا»؛ أي: تخبَّرُوا والْتَمِسُوا في المظانِّ(٣).

فإنْ قِيل: كيْفَ قال: «مِنْ يُوسُفَ»، والغَالِبُ أنْ يُقالَ: تحسَّستُ [٤١٤/ب] عنْ كذَا؟.

فعنْه جوَابَانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ(٤)-:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: عنْ يُوسُفَ، ولكنْ نابَتْ عنْهَا [«مِنْ»](٥)، كما تقُولُ العرَبُ: حدَّثنِي فُلانٌ مِن فُلانٍ، يعْنُونَ: عنْهُ.

والثَّاني: أنَّ «مِنْ» أُوثرتْ للتَّبْعِيضِ، والمعْنَى: تحسَّسُوا خبرًا مِنْ أخْبارِ يُوسُفَ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٧)، والطبراني في المعجم الأوسط، كما في مجمع الزوائد؛ للهيثمي (٧/ ٤٥)، وقال الهيثمي: فيه محمد بن أحمد الباهلي وهو ضعيف. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٠)،والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٣).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٩) عن النضر بن عربي نحوه.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٤) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٤)، وفي (ج): ذكرهما الماوردي.

(٥) من (ج)، (ف)، و(م).

قوْله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مِن رحْمةِ اللهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: مِنْ[1] فرَجِ اللهِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: مِن توْسِعَةِ اللهِ، حكَاهُ ابْنُ القاسِمِ.

قالَ الأصْمعِيُّ: الرَّوحُ: الِاسْتِراحةُ مِن غمِّ القلْبِ[2].

وقالَ أهلُ المعانِي: لا تيْأسُوا مِنَ الرَّوْحِ الَّذي يأتِي بهِ اللهِ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ﴾؛ لأنَّ المؤْمِنَ يرجُو اللهَ فِي الشَّدائدِ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

[يوسف: ٨٨ - ٩٣].

قوْله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾.

---

(١) في (ف): أن من.

(٢) ذكر قول الأصمعي الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٣٩).

في الـكَلَام محْذُوفٌ، تقْديـرُه: فخَرَجُـوا إلى مِـصْرَ، فدَخلُـوا عـلى يُوسُـفَ، فـ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ وكانُـوا يُسـمُّونَ ملِكَهُـم بذلِـك. ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ يعْنُـون: الفقْـرَ والحاجَةَ.

﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ [مُّزۡجَىٰةٖ](١)﴾ **وَفِي ماهيَّةِ تلْك البِضاعَةِ سبْعَةُ أقْوَالٍ.**

أحدُها: أنَّها كانَتْ دَراهِمَ، رَواه العوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّـاني: أنَّهـا كانَـتْ متاعًـا رَثًّـا كالحبْـلِ والغِـرَارةِ(٣)، رَواه ابْـنُ أبي مُليكـةَ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٤).

والثَّالث: أنَّه(٥) كانَت أقِطًا قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: كانَتْ نِعالًا وأُدُمًا، رَواه جُويبر عنِ الضَّحَّاكِ(٦).

---

(١) من (ف)، و(م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦) (١٩٧٤٥)، عن العوفي عن ابن عبَّاس، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩٢٣) عن الضَّحاك عن ابن عبَّاس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) الغرارة: وعاءٌ من الخيش ونحوه يوضع فيه القمحُ ونحوه، وهو أكبرُ من الجوالق. انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٦٥١)، واللسان (٦/ ٣٢٣٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٢٨)، الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٤٠٧) (١١٤١) عن ابن عيينة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩١٩) من طريق الحسن بن يحيى.

(٥) ليست في (ف).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٣٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٢٨).

والخامِس: كانَتْ سُويقَ المقل(١)، رُوي عنِ الضَّحَّاكِ أيْضًا(٢).

والسَّادس: حبَّة الخضْرَاء وصُنوبر، قالَه أبو صَالِحٍ.

والسَّابع: كانَتْ صُوفًا وشيْئًا مِنْ سمْنٍ، قالَهُ عبْدُ اللهِ بْنُ الحارث.

وفي المزْجَاةِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها القَلِيلةُ.

رَوى العَوْفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: دَراهِمُ غيْرُ طَائلَةٍ(٣)، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وابْنُ إسْحاقَ، وابْنُ قُتيبةَ(٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: تأْوِيلُه فِي اللُّغةِ أنَّ التَّزجِيةَ: الشَّيْءُ [القليلُ](٥) الَّذِي يُدافَعُ بِهِ، يُقالُ: فُلانٌ يُزَجِّي العيْشَ، أي: يدْفَعُ بالقَليلِ ويكْتَفِي بِهِ، فالمعْنَى: جئْنَا ببضَاعةٍ إنَّما يدافع(٦) بها ويتَقوَّتُ(٧)، وليْسَتْ مما يُتَّسَعُ بِهِ(٨)، قالَ الشَّاعر [منَ الكامل]:

---

(١) المقل: ثمر شجر الدوم يؤكل.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٣٥- ١٣٦) بدون نسبة، بلفظ: روي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٧٦) إلى ابن النجار عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦) (١٩٧٤٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٥) من (م).

(٦) في (م): يدفع.

(٧) في (م): ونتقوَّت.

(٨) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٧)، ومن قوله: (ويكتفي)... إلى هنا ساقط من (ج).

الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْهِجَانَ وَعَبْدَهَا عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا[١]

أي: تَدْفَعُ أطْفالَهَا.

والثَّاني: أنَّها[٢] الرَّدِيئَةُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

قالَ أبو عُبيدَةَ: إنَّما قِيلَ للرَّدِيئَةِ: مُزجاةٌ؛ لأنَّها مَرْدُودةٌ مدْفُوعةٌ غيْرُ مقْبُولةٍ ممَّن يُنْفِقُها، قالَ: وهيَ مِنَ الإزْجَاءِ، والإِزْجَاءُ عنْدَ العرَبِ: السَّوْقُ والدَّفْعُ[٤]، وأنْشدَ [من الطويل]:

لِيَبْكِ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مِنَ[٥] اللَّيْلِ أَرْمَلَا[٦]

أي: تَسُوقُه.

---

(١) البيت لأعشى بني ثعلبة في ديوانه (ص: ٢٩)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٦)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٨٣)، والمقتضب (٤/ ١٦٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ١٢٧)، والهجان من الإبل: البيض الكرام. العُوذ: جمع عائذ؛ وهي حديثة النِّتاج من الإبل والظِّباء والخيل. وفي (ف): أبطالها.

(٢) ليست في (ج).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٢٣٥) (١٩٧٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩٢٢) عن عكرمة عن ابن عبَّاس.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٧).

(٥) في (ج)، و(ف): مع.

(٦) البيت لحاتم الطائي في ديوانه (ص: ٢٨٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٢٦)، ونسب معد (١/ ٢٥١)، قال: وملحان: هو ابن حارثة بن سعد الطائي، ابن عم حاتم الطائي.

والثَّالث: الكاسِدةُ، رَواه الضَّحَّاكُ أيْضًا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والرَّابع: الرَّثَّةُ؛ وهيَ المتَاع الخَلِقُ، رَواه ابْنُ أبي مُليكةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢). [٤١٥/أ]

والخامس: النَّاقصَةُ، رَواه أبو حُصينٍ عنْ عكْرِمَةَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾؛ أي: أتمَّهُ لنا ولا تُنقِصُه لرداءةِ بضاعتِنَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: تصدَّقْ علينَا بما بيْن سعْرِ الجيَادِ والرَّدِيئةِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: كان الَّذي سألُوه مِنَ المسامحةِ يُشبه التَّصدُّق، وليْسَ بهِ.

والثَّاني: بردِّ أخِينَا، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

قالَ: وذلِك أنَّهم كانوا أنْبياءَ، والأنْبِيَاءُ لا تحِلُّ لهم الصَّدقةُ(٤).

والثَّالث: وتصدَّق علينَا بالزِّيادةِ على حقِّنا، قالَهُ ابْنُ عُيينَةَ.

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٢٣٩) (١٩٧٧٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٣) (١٣٤٠)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٦) (١٩٧٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩١) (١١٩٢٤).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٠).

وذهـبَ إلى أنَّ الصَّدقـةَ قـد كانَـتْ تحِـلُّ للأنبيـاء قبْـلَ نبيِّنَـا [محمَّـد][1] ﷺ، حـكاه [عنـه][2] أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ، وأبـو الحسَـنِ المـاوردِيُّ[3]، وأبـو يعْـلى ابْـنُ الفـرَّاء.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾؛ أي: بالثَّوابِ.

قـالَ الضَّحَّـاكُ: لم يقُولـوا: إنَّ اللهَ يجْزِيـك إنْ تصدقْـتَ علينَـا؛ لأنَّهـم لم يعْلَمُـوا أنَّـه مُؤمِـنٌ[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾.

فِي سبَبِ قوْلِه لهُم هذَا ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه أخْـرَج إليْهِـم نُسـخةَ الكِتـابِ الَّـذي كتبُـوه عـلى أنْفُسِـهم ببيْعِـه مِـن مالِـكِ بْـنِ ذَعْـرٍ، وفي آخـرِ الكتـابِ: «وكتَـب يهُـوذَا».

فلـمَّا قـرَؤُوا الكتَـابَ اعْترَفُـوا بصحَّتِـه، وقالُـوا: هـذَا كتـابٌ كتبْنَـاهُ عـلى أنفُسِـنا عنْـدَ بيْـعِ عبْـدٍ كانَ لنَـا. فقَـالَ يُوسـف عنْـدَ ذلِـك: إنَّكُـم تسـتَحقُّون العُقوبـةَ، وأمَـرَ بهِـم لِيُقتَلُـوا، فقَالُـوا: إنْ كنْـتَ فاعِـلًا، فاذْهَـب بأمْتِعتِنَـا إلى يعْقُـوبَ، ثُـمَّ أقْبَـل يهُـوذَا عـلى بعْـضِ إخْوَتِـه، فقـالَ: قـد كانَ أبونَـا مُتَّصِـلَ الحُـزنِ لِفقْـدِ واحِـدٍ مِـن ولَـدِهِ فكيْـفَ بـهِ إذا أُخْـبِر بِهلاكِنـا أجْمعِـين؟ فـرَقَّ

---

(١) من (ج).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٧٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٣٦).

يُوسفُ عليه السلام عند ذلك وكشَف لهُم أمْرَهُ، وقالَ لهُم هذَا القوْلَ، رَواه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

الثَّاني: أنَّهُم لَمَّا قالُوا: ﴿مَسَّنَاوَأَهْلَنَاٱلضُّرُّ﴾ أدركتْهُ الرَّحمَةُ، فقَالَ لهُم هذَا، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

والثَّالثُ: أنَّ يعْقُوبَ كتَبَ إليْهِ كتابًا: إنْ رددْتَ ولَدِي، وإلَّا دعوْتُ عليْكَ دعْوَةً تُدْرك السَّابعَ مِن ولَدِكَ، فبكَى، وقالَ لهُم هذَا.

وفي «هَل» قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها اسْتفهَامٌ لِتعْظِيم القِصَّةِ، لا يُراد بهِ نفْسُ الِاسْتِفهامِ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: فالمعْنَى: ما أعْظَم مَا ارْتكَبْتُم، ومَا أسْمَجَ مَا آثَرْتُم مِن قطِيعةِ الرَّحِمِ وتضْيِيعِ الحقِّ، وهذَا مثْلُ قوْلِ العربيِّ: أتدْرِي مَنْ عصَيْتَ؟ هلَ تدْرِي[1] مَن عادَيْتَ؟ لَا يُرد بذلِك الاسْتِفهامَ، ولكنَّه يقصد[2] تفْظِيعَ الأمْرِ[3]، قالَ الشَّاعر[4] [من الطويل]:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي[5] ....

---

(١) في (ج)، و(م): تعرف.

(٢) في (م): لكن يرد.

(٣) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٢).

(٤) اختُلف في نسبته؛ فتارة نسبوه إلى سوار بن المضرب، وتارة إلى مساور بن حمئان، وتارة إلى الفرزدق.

(٥) فهو لسوار بن المضرِّب السَّعدي في نوادر اللغة؛ لأبي زيد (ص: ٢٣٣)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٤/ ١١٤)، والحجة؛ لأبي علي الفارسي (٥/ ١٨٦)، والبحر =

لم يُرِدِ الاسْتِفهامَ، إنَّما أرادَ أنَّ هذا غيرُ مرجوٍّ عنْدَهُم.

وقدْ يجوزُ[١] أن يكونَ المعْنَى: هل علِمْتُم عُقْبى مَا فعلْتُم بِيُوسفَ [٤١٥/ب] وأخيهِ مِن تسْلِيمِ اللهِ لهُما مِنَ المكْروهِ؟ وهذِه الآيةُ تصْدِيقُ قوْلِه[٢]: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾.

والثَّاني: أنَّ «هَلْ» بمعْنَى: «قَدْ»، ذكَرَهُ بعْضُ المفسِّرين[٣].

فإنْ قِيلَ: فالَّذي فعَلُوا بِيُوسفَ معْلُومٌ، فما الَّذِي فعَلُوا بأخيهِ، ومَا سعَوْا في حبْسِه ولَا أرادُوه؟.

فالجوَابُ مِن وجُوهٍ:

أحدُها: أنَّهم فرَّقُوا بينَه وبيْنَ يُوسُفَ، فنغَّصُوا عيشَه بذلِكَ.

والثَّاني: أنَّهم آذَوهُ بعْدَ فقْدِ يُوسفَ.

والثَّالث: أنَّهم سَبُّوه لَمَّا قُذِف بسرقةِ الصَّاعِ.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: إذْ أنْتُم صِبيانٌ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

=المحيط (٧/ ٢١٣)، والدر المصون (٧/ ٥٣٧)، ولمساور بن هند من بني ربيعة بن كعب في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٠)، وللفرزدق في جمهرة اللغة؛ لابن دريد (٣/ ١٣١٨)، وبلا نسبة في الأضداد (ص: ٦٨).

(١) في (ج)، و(م): قال: ويجوز.

(٢) في (ج): قولهم.

(٣) في (ج)، و(م): أهل التفسير.

والثَّاني: مُذْنِبونَ، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

والثَّالث: جاهِلُون بعُقوقِ الأبِ، وقطْعِ الرَّحِمِ، ومُوافقَةِ الهوَى.

والرَّابع: جاهِلُون بما يؤول إليْه أمْرُ يُوسفَ، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبَارِيِّ(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو جعْفرٍ، وابْنُ مُحَيْصن: «إِنَّكَ» علَى الخبَرِ، وقرَأَهُ آخرُون بهمْزَتَيْنِ محقَّقَتَيْنِ، وأدْخل بعْضُهُم بيْنَهُما ألِفًا(٣).

واخْتلَف المفَسِّرُونَ، هل عرَفُوه، أمْ شبَّهوهُ؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهم شبَّهوهُ بيوسُفَ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ.

والثَّاني: أنَّهُم عرَفُوه، قالَهُ ابْنُ إسْحاقَ.

وفِي سبَبِ معْرِفتِهم لَهُ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه تبسَّم، فشبَّهُوا ثنَايَاهُ بثنَايَا يُوسفَ، قالَهُ الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه كانَتْ له علَامةٌ كالشَّامَةِ في قرْنِه، وكانَ لِيعْقُوب مثْلُها، ولإِسْحاقَ مثْلُها، ولِسارَّةَ [مثْلُها](٤)، فلمَّا وضَعَ التَّاجَ عنْ رأْسِه، عرَفُوه،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٩).

(٢) ذكره عنه الواحدي في تفسيره (١٢/ ٢٣٢).

(٣) قراءتان سبعيتان، (ص: ٣٢)، و(ص: ١٣٠).

(٤) من (م).

رَواهُ عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

والثَّالث: أنَّه كشفَ الحِجابُ، فعرَفُوه، قالَه ابْنُ إسْحاقَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إنَّما أظْهرَ الإسْمَ، ولم يقُلْ: أنَا هو؛ تعْظِيمًا لمَا وقَعَ بهِ مِن ظُلْمِ إخْوَتِه، فكأنَّه قالَ: أنَا المظْلُومُ المستحَلُّ منْهُ، المرَادُ قتْلُه، فكفَى ظهُورُ الإسْمِ مِن هذِه المعانِي؛ ولهذَا قالَ: ﴿وَهَٰذَآ أَخِى﴾ وهم يعْرِفُونه، وإنَّما قصَد: وهذَا المظْلُومُ كظُلْمِي[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بخيرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

والثَّاني: بالجمْعِ بعْدَ الفُرقةِ.

والثَّالث: بالسَّلامَةِ ثُمَّ بالكرَامَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ في رِوَايةِ قُنبلٍ: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ بياءٍ في الوَصْلِ والوقْفِ، وقرَأ الباقُونَ بغيْرِ ياءٍ في الحالَيْنِ[(٣)].

---

(١) أخرجه الثعلبي بإسناده في الكشف والبيان (١٥/ ١٤٢) من طريق إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عبَّاس، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٣).

(٢) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٤).

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

وفي معنَى الكلامِ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: (أنَّه)[١] مَن يتَّقِ الزِّنَا ويصْبِرْ علَى البَلاءِ.

والثَّاني: مَنْ يتَّقِ الزِّنَا ويصْبِرِ على العزْبةِ.

والثَّالث: مَنْ يتَّقِ اللهَ ويصْبِرِ علَى المصائبِ، رُويت هذهِ الأقْوالُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: يتَّقِ معْصيةَ اللهِ ويصْبِرِ على السِّجْنِ، قالَهُ مُجاهدٌ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: أجْرَ مَن كانَ[٣] هذَا حَالُه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: اخْتارَك وفضَّلَك.

وبِماذَا عنَوا أنَّه فضَّلَه فيهِ؟ أرْبعَةُ أقْوالٍ: [٤١٦/أ]

أحدُها: بالملْكِ، قالَه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: بالصَّبْرِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: بالحِلْمِ والصَّفْحِ عنَّا، ذكرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والرَّابع: بالعِلْمِ والعقْلِ والحُسْنِ وسائرِ الفضائِلِ الَّتِي أعْطاهُ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٤٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٤٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٤).

(٣) ليست في (ج).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾.

(قالَ ابْنُ عبَّاسٍ)(١): لَمُذْنِبينَ آثِمِينَ في أمْرِكَ(٢).

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: ولهذَا اخْتِير «خَاطِئين» على «مُخْطئين» وإنْ كان «أخْطأَ» على ألْسُنِ النَّاس أكثَرَ مِن «خطئ يخْطأ»؛ لأنَّ معْنى خطِئ يخْطَأ، فهو خاطِئ: آثِمٌ، ومعْنَى أخْطأَ يُخطِئ، فهوَ مُخطِئ: ترَكَ الصَّوابَ ولم يأثَمْ، قالَ الشَّاعر [من الوافر]:

عِبَادُكَ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ   بِكَفَّيْكَ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ(٣)

أراد: يأثَمُونَ.

قالَ: ويجُوز أنْ يكونَ آثَرَ «خَاطِئين» على «مُخْطِئين»؛ لِمُوافقةِ رُؤوسِ الآياتِ؛ لأنَّ «خاطِئين» أشبَهُ بما قبْلَها(٤).

وذكرَ الفرَّاءُ في معْنَى «إنْ» قوْلَيْنِ:

أحدُهما: وقَدْ كُنَّا خاطِئِينَ.

---

(١) ليس في (ج).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٦).

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٤٨١)، وتهذيب إصلاح المنطق (ص: ٦٣٢)، والمحتسب (٢/ ٢٠)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤/ ٥٨٢)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٠٢)، وبلا نسبة في أدب الكاتب (ص: ٤٤٣)، الحتوم: جمع حتم، والحتم: القضاء، وقال ابن سيده: الحتم: إيجاب القضاء، وفي التنزيل: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، انظر: اللسان (ح ت م).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحديُّ في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٦).

والثَّاني: ومَا كُنَّا إلَّا خاطِئِينَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾.

قالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: لا أُعَيِّرُكم بعْد اليوْمِ بهذَا أبدًا[١].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إنَّما أشارَ إلى ذلِك اليوم؛ لأنَّه أوَّلُ أوْقاتِ العفْوِ، وسبِيلُ العافِي فِي مثْلِه أنْ لا يُراجِعَ عُقوبةً[٢].

وقالَ ثعلب: قد ثرَّبَ فُلانٌ على فُلانٍ؛ إذا عدَّد عليْه ذُنوبَهُ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: لا تعْيِيرَ عليْكُم بعْدَ هذا اليوْمِ بما صنعْتُم[٤].

وأصْلُ التَّثْرِيبِ: الإفسَادُ، يُقال: ثرِبَ علينَا؛ إذا أفْسدَ، وفِي الحدِيث: «إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ»[٥]؛ أي: لا يُعيِّرْه بالزِّنَا.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: جعلَهُم فِي حِلٍّ، وسأَلَ اللهَ عزَّ وجلَّ المغْفِرةَ لهُم[٦].

وقالَ السُّدِّيُّ: لما عرَّفهُم نفْسَه، سألَهُم عن أبيه، فقَالُوا: ذهبَتْ عينَاه، فأعْطَاهُم قمِيصَه، وقالَ: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٨) من رواية الكلبي.

(٢) ذكر قول ابن االأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١/ ٤٧٦) (ثرب).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري حديث رقم (٢٢٣٤)، ومسلم حديث رقم (١٧٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣١).

وهـذا القِميـصُ كانَ في قصبـةٍ[١] مِـن فضَّـةٍ مُعلَّقًـا في عُنـقِ يُوسـفَ لمـا أُلْقِـي في الجُـبِّ، وكانَ مِـنَ الجنَّـةِ[٢]، وقـد سـبَقَ ذكْـرُه [يوسـف: ١٨/ ٢٥/ ٢٦/ ٢٧/ ٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: يعُودُ مُبْصرًا[٣].

فإنْ قِيل: مِن أيْنَ قطَعَ علَى الغيْبِ؟.

فالجوَابُ: أنَّ ذلِك كانَ بالوحْيِ إليهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قـالَ الكلْبِـيُّ: كان أهلُـه نحـوًا مِـن سـبْعِين إنْسـانًا[٥].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤﴾ [يوسـف: ٩٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾؛ أي: خرجَـتْ مِـن مِـصْرَ متوجِّهـةً إلى كنعـانَ، وكانَ الَّـذي حمَـلَ القمِيـصَ يهُـوذَا.

قـالَ السُّـدِّيُّ: قـالَ يهُـوذَا لِيُوسـفَ: أنَـا الَّـذِي حملْـتُ القَمِيـصَ إلى

---

(١) وعاء كالأنبوب، يكون من النبات ومن الفضة وغيرها.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٤٨)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢١٩٦)، وذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٥/ ١٤٦).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣١٨)، ولفظه: يَعُد مبصرا.

(٤) ذكـره الواحدي في التفسـير البسـيط (١٢/ ٢٤١) بلفـظ: أمره جبريل أن أرسـل إليه بقميصك، فـإن ريـح الجنة لا يقع عـلى مبتلى ولا سـقيم إلا صح وعوفي.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٤٢).

يعْقُوبَ بدَمٍ كذبٍ فأحْزنْتُه، وأنا الآن أحمِلُ قميصَك لِأَسُرَّهُ(١)، فحمَلَه(٢).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فخرَج حَافِيًا حاسِرًا يعْدُو، ومعَه سبْعَةُ أرْغفةٍ لم يستَوْفِ أكْلَها(٣).

[٤١٦/ب] **قوْلُه تعالى:** ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعْنِي: يعْقوبَ لمَن حضرَهُ مِن أهْلِه وقَرابتِه وولَدِ ولَدِه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ومعْنَى أجِدُ: أشُمُّ، قالَ الشَّاعر [من البسيط]:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ ... وَلَكِنَّهَا أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقَصَّفُ
وَلَيْسَ فَتِيقُ المِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ ... وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ المُخَلَّفُ(٤)

فإنْ قيلَ: كيْفَ وجَدَ يعْقُوبُ ريحَهُ وهو بمِصْرَ، ولم يجِدْ ريحَه مِنَ الجُبِّ وبعْدَ خُروجِه منْهُ، والمَسافةُ هُناك أقْرَبُ؟.

فعنْهُ جَوابَانِ:

أحدُهما: أنَّ اللهَ تعالى أخْفى أمْرَ يُوسفَ علَى يعْقُوبَ في بدايةِ الأمْرِ لِتقَعَ البليَّةُ الَّتي يتكامَلُ بها الأجْرُ، وأوْجَدَه ريحَه مِنَ المكانِ النَّازحِ عنْدَ تقَضي البلاءِ ومجيءِ الفرجِ.

---

(١) في (ج): لأبشره.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٥٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٦).

(٤) البيتان في أمالي الزجاجي (ص: ٨٦)، وأمالي القالي (١/ ١١٣)، وزهر الآداب (٣/ ٧٢٠)، والحماسة البصرية (١/ ٢١٣)، وتاريخ بغداد (٤/ ١٥١)، والوافي بالوفيات (٧/ ٢٨٤)، ووفيات الأعيان (١/ ٩٠)، وفي رواية: «نسيم المسك» بدل: «فتيق المسك».

والثَّاني: أنَّ هـذا القمِيـصَ كانَ في قصبـةٍ مِـن فِضَّـةٍ مُعلَّقًـا في عُنق يُوسـفَ علـى مَـا سـبَقَ بيانُـه، فلـمَّا نـشرَهُ فاحَـتْ روَائِـحُ الجِنَـانِ في الدُّنيـا فاتَّصلَـتْ بيعْقُـوبَ، فعَلِـم أنَّ الرَّائِحـةَ مِـن جهـة ذلِـك القمِيـص.

قـالَ مُجاهِـدٌ: هبَّت ريـحٌ فضرَبَـتِ القَمِيصَ، ففَاحَـتْ رَوائِحُ الجنَّـةِ في الدُّنْيا واتَّصلَـتْ بِيعقُـوبَ فوجَـد رِيحَ الجنَّةِ؛ فعَلِـم أنَّه ليـس فِي الدُّنْيَا مِن رِيـحِ الجنَّةِ إلَّا مـا كانَ مِـن ذلِك القمِيص، فمِـن ثَمَّ قـالَ: ﴿إِنِّي لَأَجِـدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[١].

وقيـل: إنَّ رِيـح الصَّبـا اسـتأذَنَتْ ربَّهـا عـزَّ وجـلَّ في أنْ تـأتِيَ يعْقُـوبَ بريـحِ يُوسـفَ قبْـلَ البَشِـيرِ فـأذِنَ هـا[٢]؛ فلذلِـكَ يسـتَرْوحُ كُلُّ محْـزُونٍ إلى ريـح الصَّبـا، ويجِـد المكرُوبـون لهـا رُوحًـا، وهـي ريـحٌ ليِّنـةٌ تـأتي مِـن ناحيـةِ المشْرِق؛ [أي: مـن ناحيتِـهِ][٣]، قـالَ أبـو صخْـرِ الهُـذليُّ [مـن الطويـل]:

إِذَا قُلْـتُ هَـذَا حِيـنَ أَسْـلُو يَهِيجُنِـي   نَسِـيمُ الصَّبَا مِـنْ حَيْثُ يُطَّلَـعُ الْفَجْرُ[٤]

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: وجَـد (يعْقـوبُ)[٥] رِيـحَ قمِيـصِ يُوسـفَ مِـن مسِـيرةِ ثَـمانِ ليـالٍ ثَمانِـين فرْسـخًا.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٢) عن مجاهد.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٥).

(٣) من (ج).

(٤) البيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين (٢/ ٩٥٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٦٩)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٦٠)، الحجة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٥٠)، والكامل؛ للمبرد (٣/ ٤٤).

(٥) من الأصل فقط.

قوْلُه تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ فيهِ خمسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: تُجهِّلُونِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ(١)، وبه قالَ مُقاتِلٌ(٢).

والثَّاني: تُسَفِّهُونِ، رَواه عبْدُ اللهِ بْنُ أبي الهُذيلِ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣)، وبه قالَ عَطاءٌ، وقتادَةُ، ومُجاهدٌ في رِوايةٍ(٤). وقالَ في [روايةٍ](٥) أُخْرى: لوْلا أنْ تقُولُوا: ذهَبَ عقْلُك(٦).

والثَّالث: تُكذِّبُونِ، رَواه العَوفيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٧)، وبهِ قالَ سعِيدُ ابْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

والرَّابع: تُهرِّمُونِ، قالَه الحسَنُ، ومُجاهدٌ في رِوايةٍ(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٥٣) (١٩٨٢١)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥) إلى ابن جرير الطبري وأبي الشيخ.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٥٣) (١٩٨٢٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥٣) (١٩٨٢٣) عن خصيف، عن مجاهد: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾، قال: لولا أن تسفهون.

(٥) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥٤) (١٩٨٣٤) عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ قال: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك!

(٧) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٥٥) (١٩٨٤٣) قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾، يقول: تكذبون. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٨) (١١٩٦٧) من طريق مجاهد عن ابن عبَّاسٍ.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٥٥) (١٩٨٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره=

قالَ ابْنُ فارسٍ: الفندُ: إنْكارُ العقْلِ مِن هرَمٍ(١).

والخامس: تُعجِّزُونِ، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ(٢).

(وقالَ أبو عُبيدةَ)(٣): تُسفِّهُونِ وتُعجِّزُونِ وتَلُومُونِ، وأنْشدَ(٤) [من البسيط]:

يَا صَاحِبَيَّ دَعَا لَوْمِي وَتَفْنِيدِي فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِي بِمَرْدُودِ(٥)

قالَ ابْنُ جريرٍ: وأصْلُ التَّفْنِيدِ: الإفْسادُ، وأقْوالُ المفَسِّرينَ تتقَارَبُ معَانِيهَا(٦).

(قَالَ الشَّيخُ)(٧): وسمِعْتُ(٨) الشَّيخ أبا مُحمَّدٍ ابْنَ الخشَّابِ(٩)

=(٧/ ٢١٩٨) (١١٩٦٨) من طريق إسرائيل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾، قال: لولا أن تهرِّمون.

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٥٤) قال: والفَنَدُ: الهرَمُ، وهو ذاك القياس، ولا يكون هرمًا إلاّ ومعه إنْكارُ عقْلٍ.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٣) ليس في (ج).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣١٨).

(٥) البيت لهانئ بن شكيم في مجاز القرآن (١/ ٣١٨)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٢)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ١٥٤)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٤).

(٦) تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٦).

(٧) من الأصل فقط.

(٨) في (ج): وسمعت من.

(٩) الإمام، العلامة، المحدث، إمام النحو، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن عبد الله بن نصر البغدادي، ابن الخشاب، من يضرب به المثل في العربية، حتى قيل: إنه بلغ رتبة أبي علي الفارسي. توفي في رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة. انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٢٠٩- ٢١٠)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٣- ٥٢٤).

[٤١٧/أ] - رحمه الله- يقول: [قوله][1]: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: لأخبرتكم أنه حيٌّ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥].

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: بنو بنيه خاطبوه بهذا[2]، وكذلك قالَ السُّدِّيُّ: هذا قولُ بني بَنِيه[3]؛ لأنَّ بنيه كانوا بمِصْرَ.

وفي معنَى هذا الضَّلالِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه بمعْنَى: الخطأ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، وابنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه الجُنونُ، قالَهُ سعيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: الشَّقاءُ والعَناءُ، قالَه مُقاتِلٌ[4]، يُريد بذلِكَ شقَاءَ الدُّنْيَا.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾ [يوسف: ٩٦ - ٩٨].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ **فيه قولانِ:**

أحدُهما: أنَّه يهوذا، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ

---

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) تنوير المقباس (ص: ١٥٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٩) (١١٩٧٤).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

وهْبُ بْنُ منبِّهٍ، والسُّدِّيُّ، والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّه شمْعُونُ، قالَه الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: ما الفرْقُ بين قوْلِه هاهُنا: ﴿فَلَمَّآ أَن [جَآءَ](١)﴾، وقالَ في موْضِعٍ [آخر](٢): ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾؟. [البقرة: ٨٩].

فالجوابُ: أنَّهُما لُغتان لِقُريشٍ خاطبَهُمُ اللهُ بِهما جمِيعًا، فدُخول «أنْ» لِتوْكِيد مُضي الفعْلِ، وسُقوطها للاعتمادِ على إيضاح الماضي بنفْسِه، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ(٣).

قوْلُه تعالى: ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ يعْنِي: القمِيصَ ﴿عَلَىٰ (وَجْهِهِۦ﴾ يعْنِي)(٤): يعقُوبَ ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾، الارْتدادُ: رُجوعُ الشَّيءِ إلى حالٍ قدْ كانَ عليْهَا.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: إنَّما قالَ: ارْتدَّ، ولم يقُلْ: رَدَّ؛ لأنَّ هذا مِنَ الأفْعالِ المنْسُوبةِ إلى المفْعُولِين؛ كقوْلِهم: طالَتِ النَّخلةُ، واللهُ أطالَها، وتحرَّكتِ الشَّجرةُ، واللهُ حرَّكَها(٥).

قالَ الضَّحَّاكُ: رجَع إليْهِ بصرُه بعد العَمَى، وقوَّتُه بعدَ الضَّعفِ، وشبَابُه بعَد الهرَمِ، وسُرورُه بعْدَ الحُزْنِ(٦).

---

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٤٥).

(٤) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٥) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٤٦).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٥٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٤).

وروى يحيى بنُ يمان عنْ سُفيانَ، قالَ: لَمَّا جاءَ البَشيرُ [إلى][(١)] يعْقُوبَ، قالَ: علَى أيِّ دينٍ تركْتَ يُوسفَ؟ قالَ: علَى الإسْلامِ، قالَ: الآنَ تمَّتِ النِّعمةُ[(٢)].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيهِ أقْوالٌ قد سبَقَ ذكْرُها قبْلَ هذَا بقليلٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ سألُوه يسْتغفِر لهُم مَا أتوا؛ لأنَّه نبيٌّ مُجابُ الدَّعوةِ.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ في سبَبِ تأخيرِه لِذلِكَ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أخَّرَهُم لِانْتِظارِ الوقْتِ الَّذي هو مظِنَّةُ الإجابةِ.

ثُم فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أخَّرَهُم إلى ليلَةِ الجُمُعةِ، رَواه ابْنُ عبَّاسٍ، عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ[(٣)].

---

(١) من (ج).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٩) (١١٩٧٩)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٢) من طريق هشام بن حسَّان عن الحسن: «لما أنْ جاء البشير إلى يعقوب فألقى عليه القميص، قال: علَى أي خلَّت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمَّت النعمة».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٧٠) الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦١) من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عبَّاس، عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: قد قال أخي يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة. ورواية الترمذي والحاكم بلفظ مطول، قال الترمذي: حسن=

قالَ وهْبٌ: كانَ يسْتغْفِرُ لهُم كُلَّ ليْلَةِ جُمُعةٍ فِي نيفٍ وعِشرينَ سنَةً(١).

والثَّاني: إلى وقْت السَّحرِ مِن ليلَةِ الجُمُعة، رَواه أبو صالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

قالَ طاووسٌ: فوَافَق ذلِكَ ليْلَةَ عاشُوراءَ(٣).

والثَّالث: إلى وقْتِ السَّحرِ، رَواه عكْرِمةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عُمرَ، وقتادَةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ(٥).

قالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما أراد الوقْتَ الَّذي هو أخْلَقُ لإجابَةِ الدُّعاءِ، لَا أنَّه ضنَّ عليْهِم بالِاسْتغفارِ، وهذا أشْبهُ بأخْلَاقِ الأنْبِياءِ عليهم السلام(٦).

=غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. وقال ابن كثير: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي قائلًا: هذا حديث منكر شاذ، أخاف أن يكون موضوعًا، وقد حيرني والله جودة سنده. بل أزال هذه الحيرة في السير (٩/ ٢١٨)، فقال: هذا عندي موضوع والسلام، ولعل الآفة دخلت على سليمان بن بنت شرحبيل فيه، فإنه منكر الحديث وإن كان حافظًا، فلو كان قال فيه: عن ابن جريج، لراج، ولكن صرح بالتحديث، فقويت الريبة، وإنما هذا الحديث يرويه هشام بن عمار، عن محمد بن إبراهيم القرشي، عن أبي صالح، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، ومحمد هذا ليس بثقة، وشيخه لا يدرى من هو.

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٦٦).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٠٣).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٤/ ٦٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٩).

والقوْلُ الثَّاني: أَنَّه دفعهُم عنِ التَّعْجيل بالوعْدِ.

قالَ عطاءٌ الخُراسَانيُّ: طلَبُ الحَوائجِ إلى الشَّبابِ أسْهَلُ منْهَا عنْدَ الشُّيوخِ، ألَا تَرَى إلى قوْلِ يُوسفَ عليه السَّلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ وإلى قوْلِ يعْقُوبَ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[1]. [٤١٧/ب]

والثَّالثُ: أنَّه أخَّرَهم لِيسألَ يُوسفَ، فإنْ عفَا عنْهُم، استغْفَرَ لهُم، قالَهُ الشَّعبيُّ.

ورُوي عنْ أنسِ بْنِ مالِكٍ أنَّهم قالُوا: يَا أبَانَا إنْ عفَا اللهُ عنَّا، وإلَّا فلَا قُرَّةَ عيْنٍ لنَا فِي الدُّنيا، فدَعَا يعْقُوبُ وأمَّنَ يُوسفُ، فلم يجبْ فيهِم عشرينَ سنَةً، ثُمَّ جاءَ جبريلُ فقَالَ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أجابَ دعْوَتَك فِي ولَدِك، وعفَا عمَّا صنعُوا بهِ، واعْتقد مواثِيقَهم مِن بعد على النُّبوَّةِ[2].

قال المفَسِّرُون: وكان يُوسفُ قد بعَثَ معَ البشيرِ إلى يعْقُوبَ جهازًا ومائَتَيْ رَاحِلةٍ، وسألَه أنْ يأتِيَه بأهْلِه وولَدِه.

فلمَّا ارْتحَلَ يعْقُوبُ ودَنَا مِن مِصرَ، استأْذَنَ يُوسفُ الملِكَ الَّذي فوْقَه فِي تلقِّي يعْقُوبَ، فأذِنَ له، وأمَرَ الملأَ مِن أصْحابِه بالرُّكوبِ معَهُ، فخرَجَ فِي أرْبعَةِ آلافٍ مِن الجُنْدِ، وخرَجَ معَهُم أهْلُ مِصْرَ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) (١١٩٥٠)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٨١) (١٩٩٤٨)، وفي سنده صالح المري، ويزيد الرقاشي، وهما ضعيفان.

وقيلَ: إنَّ الملِكَ خرَج معَهُم أيضًا.

فلـمَّا الْتقـى يعْقُـوبُ ويُوسـفُ، بكيَـا جميعًـا، فقـالَ يُوسـفُ: يَـا أبَـتِ بكيْـتَ عـليَّ حتَّـى ذهَـبَ بـصَرُك، أمَـا علِمْـتَ أنَّ القِيامـةَ تجمَعُنِـي وإيَّـاكَ؟ قـالَ: أيْ بُنَـيَّ! خشِـيتُ أنْ تُسـلَبَ دينَـك فـلَا نجْتَمِـع(١).

وقيلَ: إنَّ يعْقُوبَ ابتدأَهُ بالسَّلامِ، فقَالَ السَّلامُ عليْكُم يا مُذْهِبَ الأحْزَانِ(٢).

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسـف: ٩٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ يعْنِي: يعْقُوبَ وولَدَه.

وفي هذَا الدُّخولِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه دُخولُ أرْضِ مِصْرَ، ثُمَّ قالَ لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ يعْنِي: البلَدَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ١٦٢- ١٦٣) عن الثوري.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦٥) (١٩٨٧٨) عن فرقد السبخي، قال لما ألقي القميص على وجهه ارتد بصيرًا، وقال: ﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، فحمل يعقوب وإخوة يوسف، فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه، فخرج يتلقاه. قال: وركب معه أهلُ مصر، وكانوا يعظمونه. فلمَّا دنا أحدهما من صاحبه، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يُقال له يهوذا. قال: فنظر يعقوب إلى الخيل والناس، فقال: يا يهوذا، هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنُك! قال: فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه، فذهب يوسف يبدؤه بالسَّلام، فمنع من ذلك، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل، فقال: السلام عليك يا ذاهب الأحزان عني، هكذا قال: يا ذاهب الأحزان عني.

والثَّاني: أنَّه دخولُ مِصْرَ، ثُمَّ قالَ لهُم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾؛ أي[1]: اسْتوْطِنُوهَا.

وفي قوْلِه: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أبوهُ وخالَتُه؛ لأنَّ أُمَّه كانَتْ قد ماتَتْ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ والجمْهُورُ.

والثَّاني: أبوهُ وأُمُّه، قالَهُ الحسَنُ، وابْنُ إسْحاقَ.

وفي قوْلِه تعالَى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّ في الكلامِ تقدِيـمًا وتأْخِيرًا، والمعْنَى: سوْف أستغْفِرُ لكُم ربِّي إنْ شاءَ اللهُ، إنَّه هوَ الغفورُ الرَّحيمُ، هذا قوْلُ ابْنِ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّ الاِسْتِثْناءَ يعُود إلى الأمْنِ.

ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه لم يثِقْ بانْصِرافِ الحوَادثِ عنْهُم.

والثَّاني: أنَّ النَّاسَ كانوا فيها خلَا[2] يخافُونَ مُلوكَ مصْرَ، فلا يدخلُونَ إلَّا بجوَارِهِم.

والثَّالث: أنَّه يعُود إلى دُخول مصْرَ؛ لأنَّه قالَ لهُم هذا حينَ تلقَّاهُم قبْل دُخُولِهم، على مَا سبَقَ بيَانُه.

والرَّابع: أنَّ «إنْ» بمعْنَى: «إذْ»؛ [كقوْلِه تعالَى][3]: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النور: ٣٣].

---

(١) في (ج): يعني.

(٢) في (ج): أن الناس فيما حكي كانوا.

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: دخَلُوا مِصْر يومئذٍ وهُم نيِّفٌ وسبْعُونَ بين[١] ذكَرٍ وأُنْثى[٢].

وقالَ ابْنُ مسْعُودٍ: دخَلُوا وهُم ثلاثةٌ وتِسْعُونَ، وخرَجُوا معَ مُوسى وهم ستُّمائة ألفٍ وسبْعُونَ ألفًا[٣].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ [يوسف: ١٠٠ - ١٠١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾.

في «أبويه» **قوْلَانِ**: قد تقدَّمَا في الآيةِ الَّتي قبْلَها.

والعرْشُ هاهنا: سرِيرُ المملكةِ، أجْلَسَ أبوَيْهِ عليْهِ ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾ **يعْنِي**: أبويه وإخْوتَه.

وفي هاءِ «لَهُ» قوْلَانِ: [٤١٨/أ]

أحدُهما: أنَّها[٤] ترجِعُ إلى يُوسفَ، قاله الجمْهُورُ.

---

(١) في (ف): من.

(٢) ذكره مقاتل في تفسيره (٢/ ٣٥٠) والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٠) عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن شداد.

(٤) في الأصل: أنه، والمثبت من

قَالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: كانَ سُجودُهُم كهيْأَةِ الرُّكوعِ، كما يفْعَلُ الأعَاجِمُ[(١)].

وقالَ الحسَنُ: أمرَهُمُ اللهُ بالسُّجود (لَه)[(٢)] لتأويلِ الرُّؤيَا[(٣)].

قَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: سَجَدُوا لَه على جهةِ التَّحيةِ، لا على معْنى العبادَةِ، وكان أهْلُ ذلِك الدَّهرِ يحيي بعْضُهم بعضًا بالسُّجود والإنْحناءِ، فحظَرَهُ رسُولُ الله ﷺ[(٤)]، فروى أنَسُ بْنُ مالِكٍ قالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَحَدُنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ قَالَ: لَا»[(٥)].

والثَّاني: أنَّها ترْجِع إلى اللهِ سبحانه، فالمعْنَى: وخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، رَواهُ عطَاءٌ والضَّحَّاكُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ؛ فيكُونُ المعْنَى: أنَّهم[(٦)] سجَدُوا شُكرًا للهِ؛ إذْ جمَع بيْنَهُم وبيْنَ يُوسفَ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٣)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٥١) من رواية الكلبي.

(٢) من الأصل فقط.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٨٢).

(٤) ذكره ابن الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٥٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٢٧٢٨)، وابن ماجه في سننه حديث رقم (٣٧٠٢)، وأبو يعلى حديث رقم (٤٢٨٩)، والطحاوي في المعاني (١/ ٢٨١)، و لبيهقي في سننه (٧/ ١٠٠) من طريق حنظلة بن عبد الله عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله! الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال: «لا» قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا» قال: فيأخذه بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٦) ليست في (ج)، و(ف).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾؛ أي: تصْدِيـقُ مَـا رأيْـتُ، وكانَ قـدْ رَآهـم في المنَـامِ يسْـجدُون لـه، فـأرَاهُ اللهُ ذلِـك في اليقَظَـةِ.

واختلَفُوا فيما بيْنَ رُؤيَاه وتأْوِيلِها علَى سبْعَة أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أرْبعُـون سـنَةً، قالَـه سـلْمَانُ الفـارِسيُّ، وعبـدُ اللهِ بْـنُ شـدَّادِ بْـنِ الهَـادِ، ومُقاتِـلٌ[١].

والثَّاني: اثْنتانِ وعشرونَ سنَةً، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: ثمانُون سنَةً، قالَهُ الحسَنُ، والفُضيل بْنُ عِياضٍ.

والرَّابع: سِتٌّ وثلاثُون سنَةً، قاله سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعكرِمَةُ، والسُّدِّيُّ[٢].

والخامِس: خمْسٌ وثلاثُونَ سنَةً، قالَه قَتادَةُ.

والسَّادس: سبْعُون سنَةً، قاله عبْدُ الله بْنُ شوْذَب.

والسَّابع: ثماني عشرَةَ سنةً، قالَه ابْنُ إسْحاقَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾؛ أي: إليَّ.

والبدو: البسط مِن الأرْضِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: **البدو:** البادية، وكانُوا أهْلَ عمودٍ ومَاشيَةٍ[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٢) في (ف): والسدي وعكرمة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧٦) (١٩٩٣٤) عن ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾؛ أي: أفْسَدَ بيْننَا.

قالَ أبو عُبيدةَ: يُقالُ: نزَغَ بيْنهُم ينزغُ؛ أي: أفْسَدَ وهيَّجَ، وبعْضهم يكْسِرِ الزَّاي (مِنْ)[1] ينْزِغُ[2][3].

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾؛ أي: عالمٌ بدقائقِ الأُمورِ. وقد شرحْنا معْنَى «اللَّطيفِ» في الأنعام [آية: ١٠٢].

فإنْ قيلَ: قد توالتْ علَى يُوسفَ نِعَمٌ جمَّةٌ[4]، فما (السرُّ في)[5] اقْتصارِه علَى ذكْرِ السِّجنِ، وهلَّا ذكَرَ الجُبَّ، وهوَ أصْعَبُ.

فالجوَاب مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنَّه ترَكَ ذِكْرَ الجُبِّ تكرُّمًا؛ لئلَّا يذكِّرَ إخْوتَهُ صَنيعَهُم، وقد قالَ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾.

والثَّاني: أنَّه خرَجَ مِنَ الجُبِّ إلى الرِّقِّ، ومِنَ السِّجنِ إلى الملْكِ، فكانَتْ هذِه النِّعمةُ أوْفَى.

والثَّالثُ: أنَّ طُولَ لُبثِه في السِّجنِ كانَ عُقوبةً لَه، بخِلَافِ الجُبِّ، فشكَرَ اللهَ علَى عفْوِه.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(م): يكسر زاي ينزغ.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣١٩).

(٤) في (ج)، و(م): خمسة.

(٥) من الأصل فقط.

قال العُلماءُ بالسِّير: أقامَ يعْقوبُ بعْدَ قُدومهِ مِصرَ أرْبعًا وعِشرينَ سنَةً.

وقالَ بعْضُهم: سبعَ عشْرَةَ سنَةً فِي أهْنَأ عيْشٍ، فلَمَّا حضَرَتْهُ الوفَاةُ أوْصى إلى يُوسفَ أنْ يُحملَ إلى الشَّامِ حتَّى يدْفِنَه عنْدَ أبِيه إسْحاقَ [٣١٨/ ب]، ففَعَلَ به ذلِك، وكانَ عمْرُه مائةً وسبْعًا وأرْبعِينَ سنَةً، ثُمَّ إنَّ يُوسفَ تَاقَ إلى الجنَّةِ، وعلِمَ أنَّ الدُّنْيا لا تدُوم فتمَنَّى الموْتَ[١].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ: ولم يتَمنَّ الموْتَ نَبيٌّ (قطُّ)[٢] قبْلَه[٣]، فقَالَ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ يعْنِي: مُلْكَ مِصْرَ ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ وقد سبَقَ تفْسيرُهَا [يوسف: ٦].

وفي «مِن» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها صِلةٌ، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

والثَّاني: أنَّها للتَّبعيض؛ لأنَّه لم يُؤْتَ كُلَّ الملْكِ، ولا كُلَّ تأويلِ الأحادِيثِ.

---

(١) قاله السدي، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٨٢)، وانظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٨١)، والكشف والبيان (١٥/ ١٧٣).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٢٧٨) (١٩٩٤٠)، وابن أبي حاتم (١٢٠١٢) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبري أيضًا (١٦/ ٢٨٠) (١٩٩٤٢)، وابن أبي حاتم (١٢٠١١) من طريق قتادة عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبري (١٦/ ٢٧٩) (١٩٩٤١) من طريق ابن جريج، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذان منقطعان.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قد شرحْناه فِي الأنْعام [آية:٦].

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾؛ أي: الَّذي تَلِي أمْرِي. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُرِيد: لَا تُسلبني الإسْلامَ حتَّى تتوفَّاني عليه[1].

وكانَ ابْنُ عقِيلٍ يقُول: لم يتَمنَّ يُوسفُ الموْتَ، وإنَّما سأَل أنْ يمُوتَ علَى صِفَةٍ. والمعْنَى: توَفَّنِي إذا توَفَّيْتَني مُسلمًا.

(قالَ الشَّيخُ)[2]: وهذَا[3] الصَّحِيحُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ والمعْنَى: ألْحِقْنِي بدرَجاتِهم.

وفيهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم أهْلُ الجنَّةِ، قالَه عِكرِمَةُ.

والثَّانِي: آباؤُه إبْراهِيمُ وإسْحاقُ ويعْقُوبُ، قالَه الضَّحَّاكُ.

قالُوا: فلـمَّا احْتضَرَ يُوسفُ، أوْصَى إلى يهُوذَا، ومَاتَ، فتَشاحَّ النَّاسُ في دفْنِه، كُلٌّ يُحبُّ أنْ يُدفَنَ في محلَّتِه؛ رجاءَ البركَةِ، فاجْتمَعُوا علَى دفْنِه فِي النِّيلِ لِيمُرَّ الماءُ عليْهِ ويصِلَ إلى الجمِيعِ، فدَفَنُوه في صُندُوقٍ مِن رُخامٍ، فكانَ هُنالِكَ إلى أنْ حمَلَه مُوسى عليه السَّلام حِين خرَجَ مِن مصْرَ ودفَنَه بأرْضِ كنْعانَ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٥٦).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) في (ج): وهو.

قالَ الحسَنُ: مات يُوسفُ وهوَ ابْنُ مائةٍ وعشرينَ سنةً[١].

وذكرَ مُقاتِلٌ: أنَّه ماتَ بعْدَ يعْقُوب بِسنتَيْنِ[٢].

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾؛ أي: ذلِـك الَّـذي قصَصْنَـا عليْـكَ مِـن أمْـرِ يُوسـفَ وإخْوَتِـه مِـنَ الأخْبـارِ الَّتـي كانَـتْ غائِبـةً عنْـك، فأنزَلَـه اللهُ عليْـكَ دلِيـلًا عـلى نُبوَّتِـك.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾؛ أي: عنْـدَ إخْـوةِ يُوسـفَ ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ ﴾؛ أي: عزَمُـوا عـلى إلْقائِـه في الجُـبِّ ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ بِيُوسـفَ.

و[في][٣] هـذا احْتجـاجٌ عـلى صِحَّـةِ نُبـوَّةِ نبيِّنـا [محمَّـدٍ][٤] ﷺ؛ لأنَّـه لم يُشـاهِدْ تلْـك القِصَّـةَ، ولا كانَ يقْـرأُ الكتـابَ، وقـد أخْـبر عنْهـا بهـذَا الـكلَامِ المعْجـزِ، فـدَلَّ عـلى أنَّـه أُخْـبِر بِوحْـيٍ.

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٢٧٤)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢٢٠٢)، وانظـر: معـالم التنزيـل؛ للبغـوي (٤/ ٢٨٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٢).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) من (ج).

قَـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: إنَّ قُريشًـا واليهُـودَ سـألَتْ رسُـولَ الله ﷺ عـنْ[1] قِصَّـةِ يُوسـفَ وإخْوَتِـه، فشرَحَهـا شرْحًـا شَـافيًا، وهـو يُؤمِّـلُ أنْ يكُـونَ ذلِـك سببًا لإسْلامِهم، فخَالَفُوا ظنَّـه، فحَزِن رسُولُ اللهِ ﷺ، فعـزَّاه اللهُ تعـالى بهـذِه الآيـةِ[2].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: ومعْناهـا: ومـا أكْثـر النَّـاس بمؤْمِنـين ولـوْ حرَصْـت عـلَى أنْ تهْدِيَهُـم[3].

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: عـلى القُـرْآنِ وتِلاوتِـهِ [وهِدَايتِـكَ][4] ﴿مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ﴾؛ أي: مـا هـوَ إلَّا تذْكِـرةٌ لهُـم لمـا فيـهِ صَلاحُهُـم ونجَاتُهـم.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسـف: ١٠٥].

[٤١٩/أ] قوْلُـه تعـالى: ﴿وَكَأَيِّن﴾؛ أي: وكَـم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾؛ أي: عَلامَـةٍ ودلَالَـةٍ تدُلُّهـم عـلَى توْحيـدِ اللهِ، مِـن أمْـرِ السَّـمَواتِ والأرْضِ. ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: يتَجاوزُونَهـا غـيْرَ مُتفكِّريـنَ ولَا مُعْتَبِريـنَ.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

---

(١) في (ج): في.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٧)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٥٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٠).

(٤) من (ج)، و(ف)، و(م).

فيهم ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّهمُ المشْرِكُونَ.

ثُمَّ في معْناها المتعلّقِ بهم قولَان:

أحدُهما: أنّهم يُؤمِنُون بأنَّ اللهَ خالِقُهم ورَازِقُهم وهُمْ مُشرِكونَ بهِ، رَواه أبو صَالِحٍ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، والشَّعبيُّ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنّها نزَلَتْ في تلْبيةِ مُشركي العَربِ، كانُوا يقُولُون: لَبَّيك اللّهُمَّ لبَّيكَ لَبَّيكَ لَا شريكَ لَكَ، إلَّا شَريكًا هوَ لَكَ، تَمْلِكُه ومَا ملَكَ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنّهمُ النَّصارى، يُؤمِنونَ بأنَّه خالِقُهُم ورَازِقُهم، ومعَ ذلِك يُشركونَ بهِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنّهمُ المنافِقُون، يُؤمِنُون في الظَّاهرِ رِئاءَ النَّاسِ، وهم فِي الباطِنِ كافِرون، قالَه الحسَنُ.

فإنْ قِيل: كيْفَ وصَفَ المشرِكَ بالإيمانِ؟.

فالجوَابُ: أنّه ليس المرَادُ بهِ حقِيقةَ الإيمانِ، وإنّما **المعْنى:** أنَّ أكْثرَهُم، معَ إظْهارِهِمُ الإيمانَ بألْسِنَتِهِم مُشركونَ.

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ ﴾ [يوسف: ١٠٧].

قوْله تعَالى: ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: **الغاشِيةُ**: المجَلِّلَةُ تغْشَاهُم[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى**: يأتِيهم مَا يغْمُرُهم مِنَ العذَابِ[٢].

والبغْتَةُ: الفجْأَةُ مِن حيثُ لم تتوقَعْ.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ **المعْنَى**: قُلْ يا مُحمَّدُ للمُشركين: هذِه الدَّعوةُ الَّتي أدْعُو إليْهَا[٣]، والطَّرِيقةُ الَّتي أنَا عليْهَا ﴿سَبِيلِىٓ﴾؛ أي: سُنَّتِي ومنْهَاجِي.

والسَّبِيل يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ[٤]، وقد ذكرْنَا ذلِك في آل عمران [آية: ١٩٥].

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾؛ أي: على يقِينٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وكُلُّ مُسلِمٍ لا يخْلُو مِنَ الدُّعاءِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه إذا تَلا القُرآنَ، فقَدْ دعَا إلى اللهِ بمَا فيهِ، ويجُوز أنْ يتِمَّ الكلامُ عنْدَ قوْلِه: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، ثُم ابْتدأ فقَالَ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ **المعْنَى**: وقُلْ سبْحَانَ اللهِ؛ تنْزِيهًا له عمَّا أشْركُوا.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٠).

(٣) في (ف): إياها.

(٤) في (م): تذكر وتؤنث.

(٥) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٦٣).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾.

هـذَا نـزَلَ مِـن أجْلِ قوْلِهم: هَـلَّا بعْثَ اللهُ ملِـكًا، فالمعْنَى: كيْـفَ تعْجَبُوا مِن إرْسَـالِنَا إيَّاك، وسـائِرُ الرُّسُـلِ كانُوا على مثْلِ حالِك {يُوحَى إِلَيْهِمُ}؟.

وقرَأ حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «نُوحِي» بالنُّونِ[١].

والمرادُ بالقُرى: المَدائِنُ.

وقـالَ الحسَـنُ: لم يبعْـثِ اللهُ نبِيًّـا مِـن أهْـلِ الباديـةِ، ولَا مِـنَ الجِـنِّ، ولا مِـنَ النِّسـاءِ[٢].

قالَ قتادَةُ: لأنَّ أهْلَ القُرى أعْلَمُ وأحْلُم مِن أهْلِ العمُودِ[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **يعْنِـي:** المشرِكِـين المنْكِريـنَ نُبوَّتَـك ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ إلى مَصَـارِعِ الأُمَـمِ المكذِّبـة فيعْتَـبِروا بذلِـك.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ **يعْني:** الجنَّةَ ﴿خَيۡرٞ﴾ مِنَ الدُّنيا ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الشِّرْكَ.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٦٤) عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٩٣).

[٤١٩/ب] قَالَ الفَرَّاءُ: أُضِيفَتِ الدَّارُ [إلى][1] الآخِرَةِ، وهي الآخِرةُ؛ لأنَّ العرَبَ [قد][2] تُضِيفُ الشَّيءَ إلى نفسِه إذَا اخْتلَف لفْظُه؛ كقوْلِه: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، والحق: هوَ اليقِينُ، وقوْلُهم: أتيْتُك عامَ الأوَّلِ، ويوْمَ الخميس[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

قرَأَ أهْلُ المدينَةِ، وابْنُ عامِرٍ، وحفْصٌ، والمفضَّلُ، ويعْقُوبُ[4]: «تَعْقِلُونَ» بالتَّاء، وقرَأَ الآخَرُون بالياءِ، والمعْنَى: أفلا يعْقِلُون هذا فيُؤمنوا[5].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾.

المعْنَى متعلِّقٌ بالآيةِ الأُولى، فتَقْدِيرُه: وما أرْسَلْنا مِن قبلِكَ إلَّا رِجالًا، فدعَوا قوْمَهُم، فكذَّبُوهم، وصَبَرُوا وطَال دُعاؤُهم وتكذِيبُ قوْمِهم حتَّى إذا اسْتيْأَس الرُّسُلُ.

---

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٥٥- ٥٦).

(٤) في (ف): والمفضل عن يعقوب.

(٥) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

وفيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: اسْتيْأَسُوا مِن تصْدِيق قوْمِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مِن أنْ نُعذِّبَ[1] قوْمَهُم، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُـه[2]: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ: «كُذِّبُـوا» مشـدَّدَة الـذَّالِ [مضْمُومـةَ الـكافِ][3].

والمعْنَـى: وتيقَّـنَ الرُّسـلُ أنَّ قوْمَهـم قـد كذَّبُوهُـم، فيكـونُ الظَّـنُّ هاهُنـا بمعْنَـى: اليقـينِ، هـذَا قـوْلُ الحسَـنِ، وعَطـاءٍ، وقتـادَةَ.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «كُذِبُوا» خفيفة[4].

والمعْنَـى: ظَـنَّ قوْمَهـم أنَّ الرُّسُـلَ قـد كُذِبـوا فيـما وُعِـدُوا [بـهِ][5] مِـنَ النَّـصرِ؛ لأنَّ الرُّسُـلَ لا يظُنُّـون ذلـك.

وقرَأ أبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ: «كَذَبُوا» بفتْحِ الكافِ والذَّالِ خَفِيفةً[6].

والمعْنَى: ظنَّ قوْمَهم أيْضًا أنَّهُم قد كَذَبُوا، قالَهُ الزَّجَّاجُ[7].

---

(١) في الأصل: يُعذب، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) من (ج)، و(م). وهي قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٥) من (ج)، و(م).

(٦) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٠)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٢).

قوْله تعالى: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ يعني(١): الرُّسلَ.

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ قرَأَ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأَبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «فنُنْجِي» بنُونَيْنِ، الأُولى مضْمومَة والثَّانية ساكِنَة والياءُ ساكِنة(٢).

وقرَأَ ابْنُ عامِرٍ، وأَبو بكْرٍ، وحفْصٌ، [جمِيعًا](٣) عنْ عاصِمٍ، [ويعْقُوبُ](٤): «فَنُجِّيَ» مشدَّدَةَ الجيمِ مفْتُوحةَ الياءِ بنُونٍ واحدةٍ، يعْنِي: المؤمنين، نجُوا عنْدَ نُزولِ العذَابِ(٥).

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

قوْله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾؛ أي: في خبَرِ يُوسفَ وإخْوتِه.

ورَوى عبْدُ الوَارِثِ كسْرَ القَافِ، وهيَ قِراءةُ قتادَةَ، وأبي الجوْزَاءِ(٦).

﴿عِبْرَةٌ﴾؛ أي: عِظَةٌ ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: لِذوِي العُقولِ السَّليمةِ؛ وذلِك مِن وجْهينِ:

---

(١) في (ج): أي.

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعية (ص: ٣٥٢).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٥) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (٢٥٣)، والكامل (ص: ٢٠٦).

أحدُهما: ما جرَى لِيوسُفَ مِن إعْزازِهِ وتمليكِهِ بعْدَ اسْتِعْبادِه، فإنَّ مَن فعَلَ ذلِكَ بِهِ، قادِرٌ علَى إعْزازِ محمَّدٍ ﷺ وتعلِيَةِ كلِمَتِه.

والثَّاني: أنَّ مَنْ تفكَّر؛ علِمَ أنَّ محمَّدًا ﷺ، مع كوْنِه أُمِّيًا، لم يأْتِ بهذِه القِصَّةِ على مُوافقةِ ما فِي التَّوراةِ مِن قبَلِ نفْسِه، فاستُدِلَّ [بذلِك](١) على صِحَّةِ نُبوَّتِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ **في المشارِ إليْهِ قوْلانِ**:

أحدُهما: أنَّه القُرآنُ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: ما تقَدَّم مِنَ القَصَص، قالَهُ ابْنُ إسْحاق.

فعَلى القوْلِ الأوَّلِ: يكونُ معْنَى قوْلِه: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن كان تصْدِيقًا لما بيْنَ يديْهِ مِنَ الكُتبِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُحتاجُ إليه مِنْ أُمور الدِّين ﴿وَهُدًى﴾ بيانًا ورحمةً لِقوْمٍ يُؤمِنون؛ أي: يُصدِّقُون بِمَا جاءَ بِهِ مُحمَّدٌ ﷺ.

وعلى القوْلِ الثَّاني: وتفْصِيلَ كُلِّ شيْءٍ مِن نبأِ يُوسُفَ وإخْوَتِه.

---

(١) من (ر)، و(م).

سورةُ الرَّعد

فَصْلٌ [فِي نُزولِهَا][1]

اخْتلَفُوا في نُزولِها علَى قوْلَيْنِ: [٤٢٠/أ]

أحدُهما: أنَّها مكيَّةٌ، رَواه عليُّ بنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ[2]، وعطَاءٌ، وقتادَةُ.

ورَوى أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مكيَّةٌ، إلَّا آيَتيْنِ، منْهَا قوْلُه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾... إلى آخِرِ الآيةِ [الرعد: ٣١]، وقوْلُه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣][3].

والثَّاني: أنَّها مدنيَّةٌ، (رَواه عطَاءٌ الخُراسانِيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ جابِرُ بْنُ زيْدٍ[4].

ورُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّها مدَنيَّةٌ)[5]، إلَّا آيَتيْنِ نزَلَتا بمكَّةَ، وهُما قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾... إلى آخرِها [الرعد: ٣١][6].

---

(١) من (م).

(٢) أخرجه عنه سعيد بن منصور وابن المنذر، كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩)، ونقله مكي في الهداية (٥/ ٣٦٥٩) عنه وعن قتادة. وينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٦٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٥)، ونقله الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٦٧) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس، وانظر: تفسير السمعاني (٣/ ٧٥).

(٤) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩).

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٦) انظر: البيان في عد آي القرآن؛ للداني (ص: ١٦٩)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير الطبري (١٦/ ٤٥٧).

وقـالَ بعْضُهـم: المـدنيُّ منهَـا قوْلـه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾... إلى قوْلـه: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعـد: ١٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعـد: ١ - ٢].

قوْلُـه سـبحانه تعَـالى: ﴿الٓمٓر ﴾ قـدْ ذكرْنَـا في سُـورةِ البقـرة جُملـةً مِـن الـكلَامِ في معَـانِي هـذِه الحُـروفِ.

وقد رُوي عنِ ابنِ عبَّاس فِي تفْسِيرِ هذِه الكلِمَةِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناهَا: أنَا اللهُ أعْلَم وأَرى، رَواه أبو الضَّحَى عنْهُ.

والثَّاني: أنَا اللهُ أرَى، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنْهُ.

والثَّالث: أنَا اللهُ الملِكُ الرَّحمنُ، رَواه عطَاءٌ عنْهُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فِي «تلْـك» قـوْلَانِ، وفِي «الكتَـابِ» قـوْلَانِ قـد تقدَّمَـت في أوَّل يُونُـس.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ يعْنِـي: القُـرآنَ وغـيْرَه مِـنَ الوحـيِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قـالَ ابـنُ عبَّـاسٍ: يعْنِـي: أهْـلَ مكَّـةَ[1].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٨٠).

قَالَ الزَّجَّاجُ: لَمَّا ذكَر أنَّهُم لا يُؤمِنونَ؛ عرَّف الدَّليلَ الَّذِي يُوجِبُ التَّصْديقَ بالخالقِ فقَال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾[١].

قَالَ أبو عُبيدةَ[٢]: **العَمَدُ**: متحرّكُ الحرُوفِ بالفتْحةِ، وبعْضُهم يحرِّكُها بالضَّمَّةِ؛ لأنَّها جمع عمُودٍ، وهوَ القِياسُ؛ لأنَّ كُلَّ كلمةٍ هِجاؤُهَا أرْبعةُ أحْرفٍ، الثَّالث منْها ألِفٌ أو يَاءٌ أوْ وَاوٌ، فجَمِيعُه[٣] مضْمُومُ الحرُوفِ؛ نحْوُ: رسُول. والجمْعُ: رُسُلٌ، وحِمارٌ، والجمع: حُمُر، غيرَ أنَّه قد جاءَتْ أسامي اسْتعمَلُوا جميعَها بالحركة والفتْحةِ؛ نحو: عمود، وأديم، وإهاب، قالوا: أُدُم، وأُهُب[٤]. ومعْنى «عمد»: سِوار، ودَعائم، وما يعمد البناء.

وقرَأ أبو حيْوَةَ: «بغَيْرِ عُمُد» بضَمِّ العينِ والميم[٥].

وفي قوْلِه: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ هاءَ الكِنايةِ ترجِعُ إلى السَّمواتِ، **فالمعْنَى**: ترَوْنَها بغَيْر عمَدٍ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحَسَنُ، وقتادَةُ، والجمْهُورُ.

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: «ترَوْنَها»[٦]: خبرٌ مُستأنف، **والمعْنَى**: رفع السَّمواتِ بلا عمدٍ ودعَامةٍ تمسكُهَا، ثُم قالَ: «ترَوْنَها»؛ أي: ما تُشاهِدون

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٦).

(٢) في (ج): عبيد.

(٣) في (ج): فجمعه.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٠).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٣).

(٦) في (ج): يرونها.

مِـن هـذا الأمْـرِ العَظِيـمِ، يُغنيكـم عـن إقامَـةِ الدَّلائـل عليـهِ(١).

والثَّـاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى العمـدِ، فالمعْنَـى: إنَّهـا بعمَـدٍ لا ترَوْنَهـا، رَواه عطَـاءٌ، والضَّحَّـاكُ(٢) عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وقـالَ: لها عمـدٍ علَى قـافٍ، ولكنَّكـم لا تـرَوْنَ العمَـدَ(٣)، وإلى هـذا القـوْلِ ذهَـبَ مجاهِـدٌ، وعِكرمَـةُ، والأوَّلُ أصَـحُّ. [٤٢٠/ب]

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾؛ أي: ذلَّلَهـما لِمَـا يُـراد منْهُـما ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى وقـتٍ معْلُـومٍ، وهـوَ فنَـاءُ الدُّنْيـا. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾؛ أي: يصْرِفُـه بحكمَتِـه. ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾؛ أي: يُبـيِّنُ الآيـاتِ الَّتـي تـدلُّ أنَّـه قـادِرٌ عـلى البعْـثِ لِكـي تُوقِنُـوا بذلِـك.

وقـرأَ أبـو رَزيـنٍ، وقتَـادَةُ، والنَّخعِـيُّ: «نُدَبِّـرُ الْأَمْـرَ نُفَصِّـلُ الآيَـاتِ» بالنُّـون فيهِـمَا(٤).

---

(١) الأضداد (ص: ٢٦٨)، وإيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٣٠- ٧٣١)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٨١).

(٢) في (ج): الضحاك وعطاء.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٢٤) من طريق شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، ويشهد له بمعناه من طريق معاذ بن معاذ قال: حدثنا عمران بن حدير، عن عكرمة، قال: قلت لابن عبَّاس، وقاله قتادة عن ابن عبَّاسٍ مرسلًا. وانظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٢٨٣).

(٤) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، وعزاها الهذلي في الكامل (ص: ٥٧٧) للخزاز عن حفص والخفاف عن أبي عمرو، والكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٥٤) لأبان بن تغلب، وهارون العتكي عن أبي عمرو، وانظر: التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ٥٦٣).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بسَطَها علَى الماءِ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: أي: جبـالًا ثوَابِـتَ، يُقـال: رسَـا الـشَّيءُ يرْسُـوا رُسُـوًّا، فهـوَ رَاسٍ؛ إذَا ثبَـتَ[٢].

و﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾؛ أي: نوْعَـيْنِ. والـزَّوجُ: الواحِـدُ الَّـذِي لـه قريـنٌ مِـن جنْسِـه. قـالَ المفَـسِّرون: ويعْنِـي بالزَّوْجـيْنِ: الحُلْـوَ والحامِـضَ، والعـذْبَ والملـحَ[٣]، والأبْيـضَ والأسْـودَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ قد شرحْناه في الأعْرافِ.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ فِيها قوْلانِ:

أحدُهـا: أنَّهـا الأرْضُ السَّبِخَةُ، والأرْضُ العذْبَـةُ، تنْبُـتُ هـذِه، وهـذِه إلى جنْبِهَـا لا تنْبُـتُ، هـذا قـوْلُ ابـنِ عبَّـاسٍ، وأبي العاليـةِ، ومُجاهِـدٍ، والضَّحَّـاكِ.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٧).

(٣) ليست في (ر).

والثَّاني: أنَّهَا القُرى المتجَاوِرَاتُ، قالَه قتادَةُ، وابْنُ قُتيبةَ[١]، وهوَ يرجِعُ إلى معْنَى الأوَّلِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأَبو عمْرٍو، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ رفعًا في الكُلِّ.

وقرَأ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «وزرعٍ ونخيلٍ صِنْوانٍ وغيرِ صِنْوَانٍ» خفْضًا في الكُلِّ[٢].

قالَ أبو علِيٍّ: مَن رفَع، فالمعْنَى: وفي الأرْضِ قِطَعٌ [مُتجاورِاتٌ][٣] وجنَّاتٌ، وفي الأرْضِ زرْعٌ، ومَنْ خفَضَ حمَلَه على الأعْنَابِ، فالمعْنَى: جنات مِن أعنابٍ، ومِن زرعٍ، ومِن نخيلٍ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ هذا مِن صِفة النَّخِيلِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الصِّنْوان: جمْعُ صِنْوٍ وصُنْوٍ، ومعْنَاه: أن يكونَ الأصْلُ واحدًا، وفيهِ النَّخلتَانِ والثَّلاثُ والأرْبَعُ[٥].

وكذلِك قالَ المفَسِّرونَ: الصِّنْوانُ: النَّخلُ المجتمِعُ، [و][٦] أصْله واحِدٌ، وغيْرُ صِنْوَانٍ: المتفرِّقُ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٤).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٣) من (م).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٨).

(٦) من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

وقـرَأ أبـو رَزِيـن، وأبـو عبْـدِ الرَّحمـنِ السُّـلمِيُّ، وابْـنُ جُبـيرٍ، وقتـادَةُ: «صُنْـوان» بضـمِّ الصَّـاد(١).

قـالَ الفـرَّاءُ: لُغـة أهْـلِ الحِجـازِ: «صِنْـوَان» بكـسْرِ الصَّـادِ، وتميـمٌ وقيـسٌ يضُمُّـونَ الصَّـادَ(٢).

قوْله تعَالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «تُسْـقَى» بالتَّـاءِ، «ونُفضِّـلُ» بالنُّونِ، وقَـرَأ حمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: «تُسْـقَى»(٣) بالتَّـاء أيْضًـا، لكنَّهـما أمَـالَا القَافَ.

وقـرَأ الحسَـنُ(٤): «ويُفَضِّـلُ» باليـاءِ. وقـرَأ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ: «يُسْـقَى» باليَـاءِ، «ونُفَضِّـلُ» بالنُّـون، وكلُّهـم كسَرَ الضَّـادَ(٥).

ورَوى الحلَبِـيُّ عـنْ عبْـدِ الـوَارثِ ضَـمَّ اليَـاءِ مِـنْ «يُفَضَّـلُ» وفتْـحَ الضَّادِ، «بعْضُهـا» برفْـعِ الضَّاد(٦).

---

(١) هـي قـراءة عاصـم في روايـة القـواس في السـبعة (ص: ٣٥٦)، وجامـع البيـان؛ للـداني (٣/ ١٢٤٣)، وزاد أنهـا روايـة المفضـل أيضًـا.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٧٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ج).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: (ص: ١٣١).

(٦) قراءة شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٤).

وقـالَ الفـرَّاء: مَـن قـرأَ: «تُسْـقَى» بالتَّـاء؛ ذهَـب إلى تأنيـثِ الـزَّرعِ، والجنَّـاتِ، والنَّخيـلِ، ومَـن كسَرَ[1]؛ ذهَـب إلى النَّبْـتِ، وذلِـك كلُّـه يُسْـقَى بـماءٍ [٤٢١/أ] وَاحـدٍ، وأُكُلـه مخْتلِـفٌ حامِـضٌ وحُلـوٌ، ففِـي هـذَا آيـةٌ[2].

قـالَ المفَسِّرونَ: المـاءُ الوَاحِـدُ: [مـاءُ][3] المطـرِ، والأُكُل: الثَّمـرُ، بعْضُـه أكْثَـر[4] مِـن بعْضٍ، وبعْضُـه أفْضَلُ مِن بعْـضٍ، وبعْضُه حامِضٌ وبعْضُـه حُلوٌ، إلى غـيْرِ ذلِـك، وفي هـذَا دلِيـلٌ علَى بُطـلانِ قـوْلِ الطَّبَائِعيِّـينَ؛ لأنَّه لـو[5] كانَ حُدوثُ الثَّمرِ عـلى طبْـعِ الأرْضِ والهوَاءِ [والماءِ][6]؛ وجَـبَ أنْ يتَّفِقَ مَا يحْدثُ لاتِّفاقِ مَا أوْجَـبَ الحُـدوثَ، فلـمَّا وقَـع الاخْتِـلافُ دَلَّ على مُدبِّـرٍ قادِرٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنَّـه لا تجُوز العِبـادةُ إلَّا لمـن يقْـدِر عـلَى هـذَا.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥﴾ [الرعـد: ٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾؛ أي: مِـن تكْذِيبهِـم وعبادَتِهـم مَـا لَا

(١) في (ر): ذكر.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٩).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) في (ر)، و(م): أكبر.

(٥) ليست في (ر).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

ينْفَـعُ ولَا يـضُرُّ بعدَمَـا رَأوا مِـن تأْثِـيرِ قُـدرةِ اللهِ عـزَّ وجـلَّ في خلْـقِ الأشْـياءِ، فإنْكَارُهُـم البعْـثَ موْضِـعُ عجَـبٍ.

وقيـل: المعْنَـى: وإنْ تعْجَـبْ بـمَا وقفْـتَ عليْـهِ مِـنَ القِطْـعِ المتجَـاوِرَاتِ وقُـدرةِ ربِّـك في ذلِـك، فعَجَـبٌ جحْدُهـمُ البعْـثَ؛ لأنَّـه قـد بـانَ لهُـم مِـن خلْـقِ السَّـمواتِ والأرْضِ مـا يـدُلُّ عـلى أنَّ البعْـثَ أسْـهلُ في[1] القُـدرة.

قوْله تعَالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو: «آيـذَا كُنَّـا تُرَابًـا آينَّـا» جميعًـا بالِاسْـتِفهامِ، غـيْرَ أنَّ أبـا عمْـرٍو يمـدُّ الهمـزةَ ثُـمَّ يـأْتِي باليَـاءِ سـاكنَةً، وابْـنُ كثِـيرٍ يـأْتِي بيـاءٍ سـاكنةٍ بعْـدَ الهمْـزَةِ مِـن غـيْرِ مَـدٍّ.

وقـرَأ نافِـعٌ: «آيـذا» مثْـلَ أبي عمْـرٍو، واخْتُلِـف عنْـهُ في المـدِّ، وقـرَأ: «إنَّـا لَفِـي خَلْـقٍ» مكسْـورةً عـلى الخـبَرِ.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ: «أَإِذَا كُنَّا» «أَإِنَّا» بهمْزَتَيْنِ فيهمَا.

وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ: «إِذَا كُنَّـا ترابًـا» مكسُـورةَ الألِـفِ مِـن غـيْرِ اسْـتفْهَامٍ، «أَإِنـا» يهْمِـزُ ثُـمَّ يمـدُّ ثُـمّ يهمِـزُ عـلَى وزْن: عَاعَنَّـا[2].

ورُوِي عنِ ابْنِ عامرٍ أيْضًا: «أَإِذَا» بهمْزَتَيْنِ لَا ألِفَ بيْنَهُما[3].

---

(١) في (م): من.

(٢) في (م): فاعنًا.

(٣) كلهـا سـبعية، انظـر: التيسـير؛ للـداني (ص: ١٣١)، وهـذا أول موضـع مـن مواضـع تكـرر الاسـتفهام، وفيهـا بعـض الاسـتثناءات.

والأغْلالُ جمْعُ غلٍّ، وفيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها أغْلالُ يوْمِ القيامَةِ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّها الأعْمالُ الَّتي هيِ أغْلالٌ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٦ - ٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾.

اخْتلفُوا فيمَنْ نزلَت على ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلتْ في كفَّارِ مكَّةَ، سألُوا رسُولَ الله ﷺ أنْ يأْتِيَهُم بالعذَابِ؛ اسْتِهزاءً منْهُم بذلِك، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: في مُشرِكي العرَبِ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: في النَّضرِ بْنِ الحارِثِ حين قالَ: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قالَه مُقاتِلٌ(٢).

وفي السَّيئَةِ والحسنَةِ قوْلَانِ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٧).

أحدُهما: بالعذابِ قبْلَ العافيَةِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ(١).

والثَّاني: بالشَّرِّ قبْلَ الخيْرِ، قالَهُ قتادَةُ.

فأمَّا ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ فقرَأَ الجمْهورُ بفتْحِ الميم. وقرَأَ عُثْمانُ، وأبو رَزينٍ، وأبو مجلزٍ، وسعيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، والحسَنُ، وابْنُ أبي عبْلَةَ برفْعِ الميم(٢).

ثُمَّ في معناها قوْلان:

أحدهما: أنَّها العُقُوباتُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ(٣).

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنى**: قد تقدَّم من العذَابِ ما هوَ مثلُه، وما فيه [٤٢١/ب] نكالٌ، لو أنَّهم اتَّعظوا(٤).

وقالَ ابْنُ الأنباريِّ: **المُثْلَةُ**: العقوبة التي تُبقي في المعاقَب شَيْئًا بتغيير بعضِ خَلْقِه، من قوْلِهم: مثَّل فلانٌ بفلان، إذا شَانَ خلقَه بقَطْعِ أنفه أو أُذُنِه، أو سمْلِ عيْنيه، ونحو ذلك(٥).

والثَّاني: أنَّ المثلاتِ: الأمثالُ الَّتي ضربَها اللهُ عزَّ وجلَّ لهم، قالَه مُجاهِدٌ، وأبو عُبيدةَ(٦).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قراءتان متواترتان، انظر: انظر: الكامل (ص: ٥٧٨).

(٣) في (ج): ابن السائب.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٩).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: لذو تجاوزٍ عن المشركين إذا آمنوا، وإنَّه ﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للمصرِّين على الشرك[1].

وقالَ مُقاتل: لذُو تجاوزٍ عن شركهم في تأخير العذَاب، وإنَّه ﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عذَّب[2].

فَصْلٌ

وذهب بعْضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ منْسوخةٌ بقوْلِه تعَالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ والمحققون على أنها مُحْكَمَةٌ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ «لوْلَا»: بمعنى هلَّا، والآيَةُ الَّتي طلبوها؛ مثلُ عصا موسى وناقة صالح. ولم يقتنعوا[3] بما رأوْا، فقَال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾؛ أي: مخوِّفٌ عذابَ الله، وليس إليْك[4] مِنَ الآيات شيْءٌ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدها: أنَّ المرادَ بالهادِي: اللهُ عزَّ وجلَّ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والنَّخعيُّ،

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٩٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٨).

(٣) في (م): يقنعوا.

(٤) في (م): لك.

([فيكون المعْنَى][1]: إنَّما إليْكَ الإنذارُ، واللهُ الهادِي)[2].

والثَّاني: أنَّ الهادِي: الدَّاعي، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّ الهادي: النَّبيُّ ﷺ، قالَه الحسَنُ، وعطاءٌ[3]، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، فالمعْنَى: ولكلِّ قوْمٍ نبيٌّ يُنذِرُهم[4].

والرَّابع: أنَّ الهادي: رسُولُ اللهِ ﷺ أيْضًا، قالَهُ عِكرِمَةُ، وأبو الضُّحى، والمعْنَى: أنْتَ مُنذِرٌ، وأنْتَ هادٍ.

والخامِس: أنَّ الهادِي: العمَلُ، قالَه أبو العَالِيةِ.

والسَّادس: أنَّ الهادي: القَائدُ إلى الخيْرِ أوْ إلى الشَّرِّ قالَهُ أبو صالِحٍ (عنِ ابْنِ عبَّاسٍ)[5].

وقد رَوى المفَسِّرونَ مِن طُرُقٍ ليْس فيها ما يثْبتُ عنْ سعيدِ بْنِ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: لَمَّا نزَلَتْ هذه الآيَةُ، وضَعَ رسُولُ اللهِ ﷺ يدَه على صدْرِه، فقَال: «أنَا المُنْذِرُ» وأوْمَأ بيَدِه إلى منكِبِ عليٍّ عليه السَّلام، وقَال: «أنْتَ الهَادِي يَا عَليُّ بِكَ يُهْتَدَى مِنْ بَعْدِي»[6].

---

(١) ما بين ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٣) ليس في (ر).

(٤) في (ج): منذرهم.

(٥) ليست في (ج).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٥٧) من طريق الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا معاذ بن مسلم بيَّاع الهروي، عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جبير،=

[قالَ المصنِّفُ][1]: وهذا مِن موْضُوعاتِ الرَّافِضةِ.

ثـمَّ إنَّ اللهَ تعـالى أخبَرَهُم عـن قدْرتِه، ردًّا على مُنكـرِي البعثِ، فقَالَ: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾؛ أي: مِـنْ علقَـةٍ أو مُضغةٍ، أو زائـدٍ أو ناقصٍ، أو ذكَرٍ أو أنْثـى، أو واحَدٍ أوِ اثْنينِ أوْ أكثـر ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾؛ أي: وما تنْقُص.

﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾ وفيهِ أرْبعَة أقْوالٍ:

أحدُهـا: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بالوْضـع لأقـلِّ مِن تسـعة أشـهُرٍ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾: بالوضْـع لأكثر مِن تسـعة أشْـهُرٍ، رَواه الضَّحَّـاكُ عنِ ابْـنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ سـعِيدُ ابْنُ جبـيرٍ، والضَّحَّـاكُ، ومُقاتِلٌ[2]، وابْـنُ قُتيبـةَ[3]، والزَّجَّاجُ[4]. [٤٢٢/أ]

والثَّـاني: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بالسَّـقط النَّاقـصِ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾: بالولَـدِ التَّـامِّ، رَواه العـوْفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وعـن الحسـنِ كالقوْلَـيْن.

والثَّالـث: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بإراقـةِ الـدَّم في الحمْـل (حتَّـى يتضـاءَلَ الولَـدُ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾: إذا أمسـكَتِ الـدَّمَ فيعظُـمُ الولَـدُ)[5]، قالَـهُ مُجاهِـدٌ.

والرَّابـع: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾: مَـنْ ولَدتْـهُ مِـن قبْـلُ ﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾:

=عـن ابـن عبَّـاس بـه، والحسـن هـذا كان مـن رؤسـاء الشيعة، ليـس بصـدوق، ولا تقـوم بـه حجـة، ومعـاذ مجهـول نكـرة، والآفـة مـن أحدهمـا، يراجـع الميـزان (١/ ٢٢٥) (٣/ ١٧٨).

(١) من (م).

(٢) تفسير مقاتل (٣٦٨- ٣٦٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٠).

(٥) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

مَنْ تلِده مِن بعْدُ، رُوي عنْ قتادَة، والسُّدِّيِّ.

قوْله تعَالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾؛ أي: بقدرٍ.

قالَ أبو عُبيدةَ: هو مِفعال مِن القدرِ[١]. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: علِمَ كُلَّ شيْءٍ فقدَّره تقْدِيرًا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ قد شرحْنا ذلك في الأنْعَام. و ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ بمعْنَى: العظِيم.

ومعناه: يعودُ إلى كِبَرِ قدْره واسْتحقَاقه صِفاتِ العُلوِّ، فهوَ أكْبر مِن كُلِّ كبيرٍ؛ لأنَّ كُلَّ كبيرٍ يصْغُر بالإضافَة إلى عظمَتِه. ويُقال: «الكبيرُ»: الَّذي كبُرَ عنْ مُشابهةِ المخلُوقِينَ.

فأمَّا ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ فقرَأ ابْنُ كثِيرٍ: «المتعَالي» بياءٍ في الوصْلِ والوقْفِ، وكذلِك روى عبْدُ الوارثِ عنْ أبي عمْرٍو، وأثبَتَها في الوقْفِ دُون الوصل ابْنُ شُنبوذ عنْ قُنبلٍ، والباقُون بغير ياءٍ في الحالَيْنِ[٣].

والمتعَالي: هو المتنزِّهُ عنْ صِفاتِ المخلُوقينَ. قالَ الخطَّابيُّ: وقد يكونُ بمعْنَى العالي فوْقَ خلْقِه[٤].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠١).

(٣) انظر: مذهب ابن كثير في التيسير (ص: ١٣٤)، ورواية أبي عمرو ليست من طرقه، لكنها في السبعة (ص: ٣٥٨).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٨٩).

ورُوي عن الحسن أنَّه قالَ: المتعَالِي عمَّا يقول المشركون[١].

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾ [الرعد: ١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: نابَ «سَواء» عَن مستوٍ[٢]، والمعْنى: مستوٍ منْكُم ﴿ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ ﴾؛ أي: أخْفَاه وكتمَهُ ﴿ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾: أعْلَنَهُ وأظْهَرَهُ، والمعْنَى: أنَّ السِّرَّ والجهرَ عنْدَه سَواءٌ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المسْتَخْفي: هو المستَرُ المتَواري في ظُلْمةِ اللَّيلِ، والسَّارِبُ بالنَّهارِ: الظَّاهرُ المتصرِّفُ في حوَائجِهِ. يُقالُ: سرَبَتِ الإبِلُ تسرُبُ؛ إذا مضَتْ في الأرْضِ ظاهِرَةً، وأنْشَدُوا [من الطويل]:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ[٤]

أي: ذَاهِبٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠٢).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠٤).

(٣) في (ج)، و(م): سواء عنده.

(٤) هو للأخنس بن شهاب التغلبي، والبيت في تفسير غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٢٥)، والحماسة؛ لأبي تمام (١/ ٣٧٦)، والمفضليات؛ للمفضل الضبي (ص: ٣٠٨). والمعنى: أنه لم يقيد فحل إبلهم حتى يذهب حيث شاء من المراعي فتتبعه ولا نخشى الغارة.

ومعْنَى[١] الكلامِ: أنَّ الظَّاهرَ والخفِيَّ عنده سوَاءٌ، هذا قوْلُ الأكثرِينَ.

ورَوى العوْفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ قالَ: صَاحِبُ ريبةٍ باللَّيْلِ[٢]، فإذَا خرَجَ بالنَّهارِ، أرَى النَّاسَ أنَّه بريءٌ مِنَ الإثْمِ[٣].

والثَّاني: أنَّ المسْتخْفِي باللَّيلِ: الظَّاهرُ. والسَّاربُ بالنَّهارِ: المسْتَتِرُ. يُقالُ: انْسرَبَ الوحْشُ؛ إذا دخَلَ في كِنَاسِه[٤]، وهذا قوْلُ الأخْفَشِ[٥]، وذكرَهُ قُطرب أيْضًا[٦]، واحْتجَّ له ابْنُ جريرٍ بقوْلِهم: خفيْتُ الشَّيءَ: إذَا أظْهَرْتُه[٧]، ومنْهَا[٨]: ﴿أَكَادُ أَخفيها﴾ [طه: ١٥] بفتْحِ الألِفِ[٩]؛ أي: أُظهرُها. قالَ: وإنَّما قيلَ للمُتَوارِي: سارِبٌ؛ لأنَّه صارَ في السِّربِ مُسْتخفِيًا[١٠].

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) في (ج)، و(ر): في معنى.

(٢) في (ج): في الليل.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٢٩) (١٢١٨١) عن محمد بن سعد.

(٤) أي: جحره، ومخبؤه.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٠٢).

(٦) انظر ما ذكره قطرب في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٢/ ٢٨٧).

(٧) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٣).

(٨) في (ج)، و(ر)، و(م): ومنه قوله تعالى.

(٩) رُويت عن الحسن ومجاهد، انظر "المحتسب" (٢/ ٤٧)، الكامل للهذلي (ص٣٩٢).

(١٠) تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٣- ٣٨٤).

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾.

في هَاءِ «لَه» أَرْبعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا ترجِـعُ إلى رسُـولِ اللهِ ﷺ، رَواه أبـو الجـوزاء عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ. [٤٢٢/ب]

والثَّاني: إلى المَلِكِ مِن مُلوك الدُّنيا، رَواه سعيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: إلى الإنسانِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(١).

والرَّابع: إلى الله سبحانه تعالى، ذكرَهُ ابْنُ جرِيرٍ(٢)، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفي المعقِّباتِ قوْلَانِ:

أحدُهـا: أنَّهـا الملائِكـةُ، رَواه عكرمـة عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ مُجاهـدٌ، والحسَـنُ، وقتَـادةُ فِي آخَريـنَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: والمعْنَى: للإنْسانِ ملائِكةٌ يعتَقِبونَ، يأْتِي بعْضُهم بعقِبِ بعْضٍ(٣).

وقـالَ أكثَـرُ المفَسِّريـنَ: (همُ الحفظَـةُ)(٤): اثْنَـانِ بالنَّهـارِ، واثْنَـانِ باللَّيْلِ، إذا مـضَى فريقٌ، خلَـفَ بعْـدَه(٥) فرِيـقٌ، ويجتمِعُـون عنْدَ صـلَاةِ المغْـرِب والفجْرِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): خلفه.

وقـالَ قـوْمٌ، منْهُـم ابْـنُ زيْـدٍ: هـذِه الآيـةُ خاصَّـةٌ فِي رسُـول الله ﷺ، عـزَم عامِـرُ بْـنُ الطُّفيـل وأرْبَـدُ [بْـنُ قيْـسٍ][1] عـلَى قتْلِـه، فمنَعَـهُ اللهُ منْهُـما، وأنـزَل هـذِه الآية[2].

والقـول الثَّـاني: أنَّ المعَقِّبَـات حُـرَّاسُ الملُـوكِ الَّذيـن يتَعاقَبُـون الحَـرْسَ، وهـذا مـرويٌّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وعكرِمَـةَ.

وقال الضَّحَّاكُ: همُ السَّلاطِينُ المشرِكُونَ المحترِسُونَ مِنَ اللهِ تعَالى[3].

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ سبْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: يحرسـونَهُ مِـن أمْـرِ اللهِ ولا يقْـدرُونَ، هـذَا عـلَى قـوْلِ مَـنْ قـالَ: هـيَ فِي المشرِكِـينَ المحترِسِـينَ مِـنْ أمْـرِ اللهِ تعَـالى.

والثَّـاني: أنَّ المعْنَـى: حفْظُهُـم لـه مِـن أمْـرِ اللهِ، قالَـهُ ابْـنُ عبَّـاسٍ، وابْـنُ جُبيرٍ، فيكـونُ تقْدِيـرُ الـكلَامِ: هـذا الحفْـظُ ممَّـا أمرَهُـمُ اللهُ بـهِ.

والثَّالث: يحفظونَهُ بأمْرِ اللهِ، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعكْرِمَةُ.

قـالَ اللُّغويُّـونَ: والبـاءُ تقُـوم مقَـامَ «مِـن» وحـرُوفُ الصِّفَـاتِ يقُـوم بعْضُهـا مقَـامَ بعْـضٍ.

والرَّابع: يحفَظُونه مِنَ الجِنِّ، قالَهُ مُجاهِدٌ، والنَّخعيُّ.

---

(١) من (م).

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٩)، وابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٧/ ٢٢٣٠)، عـن عبـد الرحمـن بـن زيـد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧٤).

وقـال كعـب: لـوْلَا أنَّ اللهَ تعـالى وكَّلَ بِكُـم ملائكـةً يذبُّـون عنكُـم في مطعمِكُـم ومشربِكُـم وعوْراتِكُـم، إذًا لتخطَّفَتْكُـمُ الجِـنُّ(١).

وقـالَ مُجاهِـدٌ: مـا مِـن عبْدٍ إلَّا وملَـكٌ مُـوكَّلٌ بـهِ يحفظُـه في نوْمِـه ويقظتِـهِ مِـنَ الجِـنِّ، والإنْـسِ والهـوَامِّ، فـإذَا أرَاده شيْءٌ، قـالَ: وراءَكَ وراءَكَ، إلَّا شيْءٌ قـدْ قُـضي لـه أنْ يُصِيبَـهُ(٢).

وقـالَ أبـو مجلـزٍ: جـاءَ رجُـلٌ مِـن مُـرادٍ إلى عـليٍّ -عليـه السَّـلام- فقَـال: احْـتَرسْ، فـإنَّ ناسًـا مِـن مُـرادٍ يُريـدُون قتْلَـكَ، فقَـال [عـليٌّ عليـه السَّـلام](٣): إنَّ مـعَ كُلِّ رجُـلٍ(٤) ملَكَـيْنِ يحفظَانِـه مما لم يقـدرْ، فـإذَا جـاءَ القـدَرُ خلَّيَـا بيْنَـه وبيْنَـهُ، وإنَّ الأجـلَ جُنَّـةٌ حصِينَـةٌ(٥).

والخامـس: أنَّ في الـكلام تقديـمًا وتأخِـيرًا، والمعْنَـى: لـه مُعقِّبـاتٌ مِـن أمْـرِ اللهِ يحْفظُـونَـهُ، قالَـهُ أبـو صالـح، والفـرَّاءُ(٦).

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٤٧) إلى ابـن جريـر.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٧) (٢٠٢٤٥)، وذكـره البغـوي في معـالم التنزيـل (٤/ ٣٠٠) عـن مجاهـد أنّـه قـال: مـا مـن عبـد إلا لـه ملـك مـوكّل يحفظـه في نومـه ويقظته من الجنّ والإنـس والهـوامّ، فـما منهـم شيء يأتيـه يريـده إلّا قـال: وراءَك إلّا شـيئًا يـأذن الله فيصيبـه.

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): رجلين.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٧٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٤٧) إلى ابـن جريـر.

(٦) معاني القرآن (٢/ ٦٠).

والسَّادس: يحفظُونَهُ لأمْرِ اللهِ فيهِ[١] حتَّى يُسْلِموه إلى ما قُدِّر لَه، ذكرَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، واستدلَّ بما رَوى عكرِمَةُ عن ابْنِ عبَّاسٍ [أنَّه][٢] قالَ: يحفَظُونَهُ مِن أمْرِ اللهِ، حتَّى إذا جاءَ القَدرُ خلَّوا عنْهُ[٣]. وقالَ عكْرِمَةُ: يحفظونه لأمر الله.

والسَّابع: يحفَظُونَ عليهِ الحسَنات والسَّيِّئاتِ، قالهُ ابْنُ جُريج.

قالَ الأخْفشُ: وإنَّما أنَّثَ المُعقباتِ؛ لِكثرةِ ذلِك منْها؛ نحْوُ: النَّسابةُ، والعلَّامةُ، ثُمَّ ذكَّرَ في قوْلِه تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾؛ لأنَّ المعْنى مذكَّرٌ[٤]. [٤٢٣/أ]

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾؛ أي: لَا يُسلبهم نِعمَه ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فيعمَلُوا بمعاصِيه. قالَ مُقاتلٌ: ويعْنِي بذلِكَ: كُفَّارَ مكَّةَ[٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه العذَابُ.

والثَّاني: البَلاءُ.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٣٢)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧١) (٢٠٢١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٣٧) (١٢١٩٦) من طريق إسرائيل به، عزاه السيوطي (٤/ ٤٧) إلى الفريابي وابن المنذر.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤٠٣).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾؛ أي: لا يردُّه شيْءٌ ولا تنفعُهُ المعقِّبَاتُ.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ يعْنِي: مِن دُون اللهِ ﴿مِن وَالٍ﴾؛ أي: مِن وليٍّ يدْفَعُ عنْهُمُ العذَابَ والبلَاءَ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرعد: ١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خوْفًا للمُسافرِ وطمَعًا للمُقيم، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ قتادةُ: فالمسافِرُ خافَ أذاه ومشقَّتَه، والمقِيمُ يرْجُو منْفَعتَهُ(١).

والثَّاني: خوْفًا مِنَ الصَّواعقِ وطمعًا في الغيْثِ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ.

والثَّالث: خوْفًا للبلَدِ الَّذي يخافُ ضررَ المطرِ وطمَعًا لمن يرْجُو الانْتِفاعَ بهِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

والرَّابع: خوْفًا مِنَ العِقابِ وطمَعًا في الثَّوابِ، ذكرَهُ الماورديُّ(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٣)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٨٧) (٢٠٢٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٠٠).

وكانَ ابْـنُ الزُّبـيْرِ إذَا سـمِعَ صـوْتَ الرَّعْـدِ يقُـول: إنَّ هـذَا وعيـدٌ شـدِيدٌ لأهْـلِ الأرْضِ(١).

قوْله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾؛ أي: ويخلُقُ السَّحابَ الثِّقَالَ بالماءِ.

قـالَ الفـرَّاءُ: السَّـحابُ، وإنْ كانَ لفْظُـه واحِـدًا، فإنَّـه جمْـعٌ، واحِدَتُـه: سـحَابةٌ، جعـلَ نعْتـه عـلى الجمْـعِ، كـما قـالَ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، ولم يقُـلْ: أخْـضرَ، ولَا حَسـن(٢).

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعـد: ١٣].

قوْله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّـه اسْـمُ الملَـك الَّـذي يزْجُـر(٣) السَّـحابَ، وصوْتُـه: تسْـبِيحُه، قالَـه مُقاتِـلٌ(٤).

والثَّاني: أنَّه الصَّوتُ المسْمُوعُ(٥).

---

(١) أخرجـه مالـك في الموطـأ (٢/ ٩٩٢)، والبخـاري في الأدب المفـرد برقـم (٧٢٤) مـن طريـق عامـر بـن عبـد الله بـن الزبـير، عـن عبـد الله بـن الزبـير، أنَّـه كان إذا سـمع الرعـد تـرك الحديـث، وقـال: سـبحان الـذي {يسـبح الرعـد بحمـده والملائكـة مـن خيفتـه}، ثـم يقـول: إنَّ هـذا لَوعِيـدٌ شـديدٌ لأهـل الأرض.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٦٠).

(٣) في (ج): يزجر به.

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٠).

(٥) في (ر): أنه صوت المسموع.

وإنَّما خصَّ الرَّعد بالتَّسبيح؛ لأنَّه من أعْظَمِ الأصْواتِ.

قال ابْنُ الأنْباري: وإخْبارُه عنِ الصَّوْت بالتَّسبِيح مجازٌ، كما يقُول القائِلُ: قد غمَّنِي كلَامُكَ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ في هاءِ الكنَايةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وهوَ الأظْهرُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يَخافونَ اللهَ، وليْس كخوْفِ ابْنِ آدَمَ، لا يعرِفُ أحدُهم مَنْ علَى يمِينهِ ومَنْ علَى يسَارِه، ولا يُشْغلُه عنْ عِبادةِ اللهِ شيْءٌ[(٢)].

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى الرَّعد، ذكرَهُ الماوردِيُّ[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾.

اخْتلفُوا فيمَن نزلَتْ على ثلَاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ في أرْبَدَ بْنِ قيْسٍ، وعامِرِ ابْنِ الطُّفيلِ، أتَيا إلى رسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدانِ الفتْكَ بهِ، فقَالَ: **«اللهُمَّ اكْفِنِيهِما بِما شِئْتَ»** فأمَّا أرْبَدُ فأرْسَلَ اللهُ تعَالى عليْهِ صاعِقَةً في يوْمٍ صَائفٍ صَاحٍ فأحْرقتْهُ، وأمَّا عامِرٌ فأصَابتْهُ غدَّةٌ فهلَكَ، فأنْزلَ اللهُ تعَالى هذِه الآيةَ، هذا قوْلُ الأكْثرِينَ، منْهُمُ ابْنُ جُريجٍ، وأرْبَدُ هوَ أخُو لَبيد بْنِ رَبيعةَ لِأُمِّهِ[(٤)]. [٤٢٣/ ب]

(١) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣١٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣١٥) عن ابن عبَّاس.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٠١).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٧٩) (١٠٦٠)، والطبري في تفسيره=

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ في رجُلٍ جاءَ إلى رسُول الله ﷺ فقَالَ: حدِّثْني يَا مُحمَّدُ عنْ إلهِكَ، أياقُوتٌ هوَ؟ أذَهبٌ[1] هوَ؟ فنزَلَتْ علَى السَّائِلِ صاعِقةٌ فأحْرقَتْهُ، ونزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ عليٌّ [بْنُ أبي طَالبٍ][2] عليه السَّلامُ[3].

قالَ مُجاهِدٌ: وكانَ يهُودِيًّا[4].

وقالَ أنَسُ بْنُ مالِكٍ: بعَثَ رسُولُ اللهِ ﷺ إلى بعْضِ فرَاعِنةِ العرَبِ يدْعُوه إلى اللهِ تعَالى فقَالَ للرسُولِ: ومَا اللهُ، أمِنْ ذَهَبٍ [هُوَ][5]، أمْ مِنْ فِضَّةٍ، أمْ مِنْ نُحاسٍ؟ فرجَعَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأخْبرَهُ، فقَالَ: «ارْجِعْ إلَيْهِ

=(١٦/ ٣٩٣)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ٦٦) من طريق عطاء بن يسار عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤١) بسبب عبد العزيز ابن عمران. قلت: هو متروك، كما في تقريب التهذيب (١/ ٥١١) (١١٤٢).

(١) في (ج): أم ذهب.

(٢) من (ج).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩١) (٢٠٢٦٩) من طريق أبي روق عن أيوب، عن عليٍّ، قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا محمدُ! حدِّثني من هذا الذي تدعو إليه؟ أياقوت هوَ، أذهبٌ هو أمْ مَا هوَ؟ قال: «فنزلت على السَّائل الصاعقة فأحرقته، فأنزل الله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾... الآية. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٢) إلى ابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٣٩١) (٢٠٢٦٧) من طريق عن أبي بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد، قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: أخبرني عن ربِّك من أيِّ شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

(٥) من (م).

فَادْعُـهُ»، فرَجَـع[١]، فأَعـادَ عليْـهِ الـكلامَ، إِلَى أنْ رجَـعَ إِليْـهِ ثالثـةً، فبيْنَـما هُـما يتَرَاجعَـانِ الـكَلَامَ، إِذْ بعَـثَ اللهُ تَعَـالى سـحَابةً حِيـالَ رأْسِـهِ، فرعَـدَتْ ووَقَعـتْ منهـا صَاعقَـةٌ فذهبَـتْ بِقِحْـفِ رأْسِـه، ونزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[٢].

والثَّالـث: أنَّها نزلَـتْ[٣] في رجُلٍ أنْكر القُرآنَ وكذَّبَ رسُـولَ اللهِ ﷺ فأرْسَـل اللهُ عليْـهِ صاعِقَـةً فأهلكَتْـهُ، ونزَلَتْ هذِه الآيَـةُ، قالَهُ قتادَةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يُكذِّبُون بعظمَةِ اللهِ سبحانه وتعالى، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: يُخاصِمُـون في اللهِ؛ حيْـثُ قـالَ قائِلُهُـم: أهـوَ مِـنْ ذَهَـبٍ، أَمْ[٤] مِـن فِضَّـةٍ؟ عـلَى مـا تقـدَّمَ بيانُـه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ فيهِ خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: شديدُ الأخْذِ، قالَهُ عَلِيٌّ عليه السَّلام.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجـه النسـائي في الكـبرى (١١٢٥٩)، والطـبراني في الأوسـط (٢٦٠٢)، الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٣٩٢) (٢٠٢٧٠)، والعقيـلي في الضعفـاء (٣/ ٢٣٢)، والواحـدي في أسباب النـزول (ص: ٢٠٤) مـن طريـق عبـد الله بـن عبـد الوهـاب، قـال: ثنـا عـلي بـن أبي سـارة الشـيباني، قـال: ثنـا ثابـت البنـاني، عـن أنـس بـن مالـك... فذكـر الحديـث.

(٣) ليست في (ج)، و(م).

(٤) في (ج)، و(ر): أو.

والثَّاني: شدِيدُ المكْرِ، شديدُ العداوَةِ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: شَدِيدُ العُقوبةِ، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقالَ مُجاهِدٌ فِي رِوايةٍ عنْهُ: شَدِيدُ الانْتِقامِ(١).

وقالَ أبو عُبيدةَ: شَدِيدُ العُقوبةِ والمكْرِ والنَّكالِ(٢)، وأنْشد للأعْشَى [من الخفيف]:

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ ... غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ
إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْـ ... ـطِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي(٣)

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: شدِيدُ الكَيْدِ(٤) وَالمكْرِ، وأصْلُ المحَالِ: الحِيلةُ(٥).

والرَّابع: شدِيدُ القُوَّةِ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٢٧) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٢٥).

(٣) البيت الأول في ديوانه (ص: ٧- ٩)، ومجاز القرآن (١/ ٣٢٥)، والزاهر (١/ ١٠٢)، والعين (٣/ ٢٤١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٤٨٥).
والبيت الثاني في ديوانه (ص: ٩)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٢٥)، وتفسير الطبري (١٩/ ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٥/ ٤٨)، والمعنى: إن يعاقب هذا الممدوح أعداءه يكن هلاكًا ملازمًا لهم وإن يعط المسائل عطاءً جزيلًا فإنَّه لا يبالي بذلك العطاء فهو شجاع جواد.

(٤) في (ر)، و(م): اليد.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٦).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَال مَاحَلْتُه مِحَالًا؛ إِذَا قَاوِيتُهُ حتَّى تبيَّنَ[1] له أيُّكما الأَشدُّ، والمَحْلُ في اللُّغة: الشِّدَّةُ[2].

والخامس: شَدِيدُ الحقْدِ، قالَهُ الحسَنُ البصْرِيُّ فيما سمِعْناهُ عنْهُ مُسندًا مِن طُرُقٍ.

وقدْ رَواه عنْهُ جماعةٌ مِن المفسِّرينَ منْهُم ابْنُ الأنْبارِيِّ، والنَّقَّاشُ، ولَا يجُوز هذَا فِي صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

قالَ النَّقَّاشُ: هذَا قوْلٌ مُنكرٌ عنْدَ أهْلِ الخبَرِ والنَّظَرِ فِي اللُّغةِ، لا يجوزُ أنْ يكُونَ[3] هذِه صِفةً مِن صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

والَّذي أخْتارُه في هذَا ما قالَهُ عليٌّ عليه السلام: شدِيدُ الأخْذِ، يعْنِي: أنَّه إذَا أخذَ الكافِرَ والظَّالمَ لم يُفلِتْهُ مِن عُقوبَاتِه.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها كلِمةُ التَّوْحيدِ، وهيَ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، قالَهُ عليٌّ، وابْنُ عبَّاسٍ، والجمْهورُ، فالمعْنَى: لَه مِن خلْقِه الدَّعْوةُ الحَقُّ، فأُضِيفتِ الدَّعْوةُ إلى الحَقِّ؛ لاخْتِلافِ اللَّفْظيْنِ.

---

(١) في (ج): بين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٣).

(٣) في (م) تكون.

والثَّاني: أنَّ اللهَ تعالى هوَ الحقُّ، فمَن دعَاه دعَا الحقَّ، قالَهُ الحسَنُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعْني: الأصْنامَ يدْعُونَها آلهةً.

قالَ أبو عُبيدةَ: المعْنَى: والَّذِين يدْعُونَ غيْرَه مِن دُونِه[١]. [٤٢٤/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم﴾؛ أي: لَا يُجِيبونَهُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ فيهِ خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه العطْشَانُ يمدُّ يدَهُ إلى البئْرِ ليرتَفِعَ الماءُ إليْهِ ومَا هوَ ببالِغِهِ، قالَهُ عليٌّ [بنُ أبي طالبٍ][٢] عليهِ السَّلام، وعطَاءٌ.

والثَّاني: أنَّه الرَّجلُ العطْشانُ قدْ وضَعَ كفَّيهِ فِي الماءِ وهوَ لا يرْفعُهُما، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّه العطْشَانُ يرَى خيالَهُ فِي الماءِ مِن بعيدٍ، فهوَ يُريدُ أن يتَناولَهُ فلا يقدِرُ عليْهِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه الرَّجلُ يدْعُو الماءَ بلِسانِه ويُشيرُ إليْه بيدِه فلا يأْتِيه أبدًا، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والخامِسُ: أنَّه الباسِطُ كفَّيهِ لِيقبِضَ على الماءِ حتَّى يُؤدِّيَه إلى فيهِ، لَا يتمُّ لَه ذلِك، والعرَبُ: تقُول مَن طلَبَ ما لَا يجِدُ فهوَ كَالقابِضِ[٣] على الماءِ، وأنْشدُوا [من الطويل]:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٦).

(٢) من (ر).

(٣) في (ج)، و(م): القابض.

وَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُهُ[١]

أي: لم تحمله، والوسق: الحمل، وقال الآخر[٢] [من الطويل]:

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ[٣]

هذا قول أبي عُبيدةَ[٤]، وابْنِ قُتيبةَ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: ومَا دُعاءُ الكافرينَ ربَّهُم[٦] إِلَّا في ضلالٍ؛ لأنَّ أصواتَهُم محجُوبةٌ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: وما عِبادةُ الكافرينَ الأصْنَامَ [إِلَّا][٧] في خُسْرانٍ وباطلٍ، قالَهُ مُقاتلٌ[٨].

---

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمي، وانظر البيت في مجاز القرآن (١/ ٣٢٧)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢٤)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٩)، تفسير الطبري (١٦/ ٣٩٩).

(٢) في (ج)، و(ر): آخر.

(٣) البيت للأحوص بن محمد بن الأنصاري، وهو في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٣٧)، وتفسير الطبري (١٦/ ٤٠٠)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٢٦٠)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٣٢٥).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٧).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٦).

(٦) ليست في (ج).

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٢).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥)﴾ [الرعد: ١٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾؛ أي: مِنَ الملائكةِ، {وَ} مَنْ فِي {الأَرْضِ} مِنَ المؤمنِينَ ﴿طَوْعًا [وَكَرْهًا][1]﴾.

وفي معْنَى سُجودِ السَّاجِدينَ كَرْهًا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه سُجودُ مَنْ دخَل في الإِسْلامِ بالسَّيْفِ، قالَهُ ابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه سُجودُ ظِلِّ الكافرِ، قالَه مُقاتِلٌ[2].

والثَّالثُ: أنَّ سُجودَ الكارِه تَذَلُّلُه وانْقِيادُه لما يُريدُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ منْهُ مِن عافيةٍ ومرضٍ وغِنًى وفقْرٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَظِلَالُهُم﴾؛ أي: وتسْجدُ ظِلالُ السَّاجدينَ طوْعًا وكرْهًا، وسُجودُها: تمايلُها مِن جانبٍ إلى جانبٍ، وانْقِيادُها للتَّسْخيرِ بالطُّول والقِصَرِ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: قالَ اللُّغويُّون: الظِّلُّ: ما كانَ بالغَدَواتِ قبْلَ انْبساطِ الشَّمْسِ، والفيْءُ: ما كانَ بعْدَ انْصرافِ الشَّمْسِ، وإنَّما سُمِّيَ فيْئًا؛ لأنَّه فاءَ؛ أي: رجَعَ إلى الحَالِ الَّتي كانَ عليْها قبْلَ أنْ تنْبسِطَ الشَّمْسُ، وما كانَ سِوَى ذلِك فهوَ ظِلٌّ، نحوُ ظِلِّ الإنْسانِ، (وظِلُّ الجِدارِ)[3]، وظِلُّ

(١) من (ر)، و(م).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٣).

(٣) ليست في (ر).

الثَّوْبِ، وظِلُّ الشَّجرةِ[١]، قالَ حُميدُ بْنُ ثورٍ [من الطويل]:

فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ   وَلَا الْفَيْءَ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ تَذُوقُ[٢]

وقالَ لَبيدٌ [من الرمل]:

بَيْنَمَا الظِّلُّ ظَلِيلٌ مُونِقٌ   طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهِ فَاضْمَحَلّ[٣]

وقالَ الآخرُ[٤] [من الطويل]:

أَيَا أَثْلَاتَ القَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ   حَنِينِي إِلَى أَظْلَالِكُنَّ طَوِيلُ[٥]

وقيلَ: إنَّ الكافرَ يسْجدُ لِغيرِ اللهِ تعالى، وظلُّه يسْجدُ للهِ تعالى. وقد [٤٢٤/ب]
شرحْنا معْنى الغُدوِّ والآصالِ في الأعْرافِ [آية: ٧].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٧٥).

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٧٠)، وإصلاح المنطق (ص: ٣٢٠)، والصحاح؛ للجوهري (١/ ٦٣)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٦٨)، والبيت قاله يصف سَرْحَة شجر عظام طوال وكنَّى بها امرأة. والشاهد: أنه جعل الظلَّ وقت الضحى؛ لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت.

(٣) البيت بلا نسبة في قصر الأمل؛ لابن أبي الدنيا (ص: ١٩٦) لكن الرواية: «إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَيْءٍ زَائِلٍ»، وروضة العقلاء (ص: ٢٧٩)، والبلدان؛ لابن الفقيه (١٠٣)، والعقد الفريد (٦/ ٢٣٩)، وهو لأبي الشعر موسى بن سحيم في الأمثال والحكم (ص: ١٨٠).

(٤) في (م): آخر.

(٥) البيت ليحيى بن طالب الحنفي في أمالي القالي (١/ ١٢٣)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٠٣)، وزهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ١٠٢)، ومصارع العشاق (١/ ٢٩٤)، والفرج بعد الشدة؛ للتنوخي (٤/ ٢٦٨).

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾.

إنَّما جاءَ السُّؤالُ والجوابُ مِن جهةٍ؛ لأنَّ المشركين لا يُنكرون أنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ، فلمَّا لم يُنكروا؛ كانَ كأنَّهم أجابُوا.

ثُمَّ ألْزمهُمُ الحجَّةَ بقوْلِه تعالى: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعْني: الأصْنامَ توليتموهُم فعبَدتُموهُم وهُم لا يمْلِكونَ لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا، فكيف بِغيْرِهم[1]؟! ثُمَّ ضرَب مثلًا للَّذي يعبُدُ الأصنامَ والَّذي يعبُدُ اللهَ بقوْلِه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعْني[2]: المشركَ والمؤمنَ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾.

وقرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، (وابْنُ عامِرٍ)[3]، وحفْصٌ، عنْ عاصِمٍ: «تَسْتَوِي» بالتَّاءِ. (وقرَأ حمْزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بَكْرٍ عن عاصِمٍ: «يَسْتَوِي» بالياء)[4][5].

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م): لغيرهم.

(٢) في (ج): أي.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٥) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

قَالَ أبو عليٍّ: التَّأنِيثُ حسَنٌ؛ لأنَّه فعْلُ مؤنَّثٌ، والتَّذكِيرُ سائغٌ؛ لأنَّه تأنِيثٌ غيرُ حقِيقيٍّ(١).

ويعْنِي بالظُّلماتِ والنُّور: الشِّرْكَ والإيمانَ.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ قالَ ابنُ الأنْبارِيِّ: معْناه: أجعَلُوا للهِ شُركاءَ ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ فتَشابه خلْقُ اللهِ بخلْقِ هؤلاءِ؟ وهذا اسْتِفهامُ إنْكارٍ، والمعْنَى: ليس الأمْرُ على هذا، بل إذا فكَّروا علِموا أنَّ اللهَ تعالى هوَ المُنفرِدُ بالخلْقِ، وغيْرُه لا يخلُقُ شيْئًا(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: قُل ذلِكَ وبيِّنْه بما أُخبِرتَ بهِ مِن الدَّلالَةِ في هذِه السُّورةِ ممَّا(٣) يدلُّ علَى أنَّه خالِقُ كُلِّ شيْءٍ، وقد ذكرْنَا في «يُوسُفَ» معْنى الواحِدِ القهَّارِ(٤).

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرعد: ١٧ - ١٨].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٥).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٠).

(٣) في (ج): ما.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعْنِي: المطرَ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ وهي جمْعُ وادٍ؛ وهوَ كُلُّ مُنفرجٍ بيْنَ جبلَيْنِ يجتمعُ إليهِ ماءُ المطرِ فيَسِيلُ ﴿بِقَدَرِهَا﴾؛ أي: بمبلغِ مَا تحمَّلَ، فإنْ صغُرَ الوادي؛ قلَّ الماءُ، وإنْ [هوَ][1] اتَّسعَ؛ كثُرَ.

وقرَأَ الحسَنُ، وابْنُ جُبيرٍ، وأبو العاليةِ، وأيوبُ، وابْنُ يعْمُرَ، وأبو حاتِمٍ عنْ يعْقُوبَ: «بقدْرِها» بإسْكانِ الدَّالِ[2].

وقوْلُه تعَالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ توسعٌ في الكلَامِ، والمعْنَى: سالَتْ مِياهُها، فحذفَ المضافَ، وكذلك قوْلُه: «بقدرِها»؛ أي: بقدرِ مِياهِها.

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾؛ أي: عاليًا فوْقَ الماءِ، وهذَا مثَلٌ ضربَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ثُمَّ ضرَب مثَلًا آخرَ، فقَالَ تعَالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ قرَأَ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «تُوقِدُونَ [عليْهِ][3]» بالتَّاءِ. وقرَأَ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِم بالياءِ[4].

قال أبو علي: مَن قرَأَ بالتَّاءِ؛ فلِمَا قبْلَه مِنَ الخِطابِ، وهوَ قوْلُه: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم﴾، ويجُوز أنْ يكُونَ خِطابًا عامًّا للكافَّةِ. ومَنْ قرَأَ بالياءِ فلأنَّ ذكْرَ الغيبةِ قد تقدَّم في قوْلِه تعَالى: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[5].

---

(١) من (ر)، و(م).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٣) من (ج)، و(م).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

(٥) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٦).

ويعْنِي بقوْلِه: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ [عَلَيْهِ][1]﴾: مَا يدْخُلُ إلى النَّار فيُذابُ مِنَ الجواهِرِ ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ يعْنِي: الذَّهبَ والفِضَّةَ ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ يعْنِي: الحدِيدَ والصُّفرَ [٤٢٥/أ] والنُّحاسَ والرَّصاصَ، تُتَّخذ[2] منْهُ الأَوَاني والأشْياءُ الَّتِي يُنتفعُ بهَا، ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾؛ أي: [له][3] زبَدٌ إذَا أُذِيب مِثْلُ زبدِ السَّيل، فهذَا مثَلٌ آخرُ.

وفيمَا ضُرِب لَه هذَانِ المثلَانِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه القرْآنُ، شبَّه نُزولَهُ مِنَ السَّماءِ بالماءِ، وشبَّه قلُوبَ العبادِ بالأوْديةِ تحمِلُ منه على قدْرِ اليقينِ والشَّكِّ، والعقْلِ والجهْلِ، فيستكِنُّ فيهَا، (فينْتَفِعُ المؤمِنُ بما في قلْبِه كانْتِفاعِ الأرْضِ الَّتِي يستقِرُّ فيهَا)[4] المطرُ، ولا ينْتفِعُ الكافِرُ بالقُرآنِ لِمكانِ شكِّه وكُفْرِه، فيكونُ ما حصَلَ عنْدَه مِنَ القُرآنِ كالزَّبدِ وكخَبَثِ الحديدِ لا يُنتفع بهِ.

والثَّاني: أنَّه الحقُّ والباطِلُ، فالحقُّ مُشبَّهٌ[5] بالماءِ الباقِي[6] الصَّافِي، والبَاطِلُ[7] مُشبَّهٌ بالزَّبدِ الذَّاهبِ، فهوَ وإنْ علَا علَى الماءِ فإنَّه سيُمحقُ، كذلِك الباطِلُ، وإنْ ظهَر علَى الحَقِّ في بعْضِ الأحْوالِ، فإنَّ اللهَ سيُبطلُه.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في (ر): يتخذ.

(٣) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٥) في (م): شبه.

(٦) في (ج): الناقي.

(٧) في الأصل: الباقي، والمثبت من سائر النسخ.

والثَّالث: أنَّه ضُرِب[١] للمُؤمِنِ والكافرِ، فمثَلُ المؤمِنِ واعْتقادِه وعملِه كالماءِ المنتفعِ بهِ، ومثَلُ الكافرِ واعْتِقادِه وعمَلِه[٢] كالزَّبدِ.

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كمَا ذكرَ هذا، يضْرِبُ [اللهُ][٣] مثَلَ الحقِّ والباطلِ.

وقالَ أبو عُبيدةَ: كذلِك يُمثّل اللهُ الحقَّ ويُمثّل الباطلَ[٤].

فأمّا الجفاءُ: فقالَ ابنُ قُتيبةَ: هوَ مَا رمَى بهِ الوَادِي إلى جنبَاتِه، يُقال: أجفأْتِ القِدْرُ بزبَدِها؛ إذا ألْقَتْهُ عنْها[٥].

قالَ ابْنُ فارس: الجُفاءُ: مَا نفَاه السَّيْلُ، ومنْهُ اشتِقَاقُ الجفاءِ[٦].

وقالَ ابنُ الأنْباريِّ: «جُفاء»؛ أي: باليًا مُتفرِّقًا[٧]. قالَ ابنُ عبَّاسٍ: إذَا مُسَّ الزَّبدُ لم يكُن شيْئًا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ الماءِ والجواهرِ الَّتي زَال زبدُها ﴿فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فينتفعُ بهِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبْقَى الحقُّ لأهْلِه.

قوْلُه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ يعْنِي: المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ يعْنِي: الكُفَّارَ.

---

(١) في (ف)، و(م) أنه مثل ضربه الله.

(٢) ليست في (ج).

(٣) من (م).

(٤) مجز القرآن (١/ ٣٢٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٦) مقييس اللغة (١/ ٤٦٦).

(٧) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٢٦٥).

قالَ أبو عُبيدةَ: اسْتجبْتُ لكَ واسْتجبتُكَ سواءٌ، وهو بمعْنَى: أجبْتُ[١].

وفِي الحُسْنى ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الجنَّةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ، والجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّها الحيَاةُ والرِّزقُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: كُلُّ خيْرٍ مِنَ الجنَّةِ فمَا دُونَها، قالَه أبو عُبيدةَ[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِۦٓ﴾؛ أي: لجعلُوه فداءَ أنْفُسِهم مِنَ العذَابِ، ولا يُقبلُ منْهُم.

وفي سُوء الحسَاب ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها المناقشةُ بالأعْمالِ، رَواه أبو الجوْزَاءِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ. وقالَ النخعيُّ: هو أنْ يحاسبَ بذنْبِه كُلِّه، فلا يُغفر له منْهُ شيْءٌ[٣].

والثَّاني: أنْ لا تُقبلَ منْهُم حسنَةٌ، ولا يُتجاوزَ لهم عنْ سيِّئةٍ.

والثَّالث: أنَّه التَّوبيخُ والتَّقْريعُ عنْدَ الحسَابِ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤١٧) (٢٠٣٢٧)، قال: حدثني يعقوب قال: حدثنا ابن علية قال: حدثني الحجاج بن أبي عثمان قال: حدثني فرقد السبخي قال: قال إبراهيم النخعي: يا فرقد أتدري ما «سوء الحساب»؟ قلت: لا! قال: هو أن يحاسب الرّجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١٦٧ - تفسير) من طريق آخر عن إبراهيم بمعناه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦) إلى أبي الشيخ.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: نزَلَت في حمْزةَ، وأبي جهْلٍ[1]. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾؛ أي: [إنَّما][2] يتَّعِظُ ذوو العُقولِ. والتَّذكُّرُ: الإتِّعاظُ. [٤٢٥/ب]

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢١].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ في هذا العَهْدِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه ما عاهدَهُم عليْهِ حين اسْتخْرجَهُم مِن ظهْرِ آدَمَ.

والثَّاني: ما أمرَهُم بِهِ وفرضَهُ عليْهِم.

وفي الَّذِي أمَرَ اللهُ [بِهِ][3] عزَّ وجلَّ، أنْ يُوصلَ ثلاثةُ أقْوالٍ قدْ نسبْناها إلى قائلِها في أوَّلِ سُورةِ البقرةِ [آية: ٢٧]، وقد ذكرْنا سُوءَ الحسابِ آنفًا.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٣٨).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) من (ر)، و(م).

قَوْلُــه تعَــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا ﴾؛ أي: عــلَى مــا أُمِــرُوا بــهِ ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾؛ أي: طلبًــا لِرِضَــاهُ ﴿ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: أتمُّوهَــا ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ مِــنَ الأمْــوالِ في طاعــةِ اللهِ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد بالصَّلاةِ: الصَّلواتِ الخمْسَ، وبالإنْفَاقِ: الزَّكاةَ[١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ ﴾؛ أي: يدْفعُونَ ﴿ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾.

وفي المرادِ بهما خمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: يدْفعُون بالعمَلِ الصَّالحِ الشَّرَّ مِنَ العملِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يدْفعُون بالمعرُوفِ المنْكرَ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: بالعفوِ الظُّلْمَ، قالَهُ جُويبر.

والرَّابع: بالحِلْمِ السَّفَهَ؛ كأنَّهم إذَا سفهَ عليْهِم حلمُوا، قالَهُ ابْنُ قُتيبةَ[٢].

والخامِس: بالتَّوبةِ الذَّنْبَ، قالَهُ ابْنُ كَيسانَ[٣].

قَوْلُــه تعَــالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ قــالَ ابْــنُ عبَّــاسٍ: يُريــد: عُقباهــمُ الجنَّــةُ؛ أي: تصِــيرُ الجنَّــةُ آخِــرَ أمْرِهِــم[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٢١) (٢٠٣٣٥) عن علي، عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يعْنِي: الصلوات الخمس ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ يقول: الزكاة.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٣) ذكر عنه ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٢٧٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٠).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ وقرَأ ابْنُ أبي عبْلَة: «صَلُحَ» بضمِّ اللَّامِ[١].

ومعْنَى «صلح»: آمن، وذلِك أنَّ اللهَ تعَالى ألحقَ بالمؤْمِن أهلَه المؤمنينَ؛ إكْرامًا له، لِتقرَّ عينُه بهم.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: بالتَّحيَّةِ مِنَ اللهِ تعَالى والتّحفةِ والهدَايا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أضْمرَ القوْلَ هاهُنا؛ لأنَّ في الكلَامِ دليلًا عليهِ[٣].

وفي هذَا السَّلام قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه التَّحيَّةُ المعرُوفةُ، يدْخل الملَكُ فيُسلم وينْصرِف.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: وفي قوْلِه[٤]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ السَّلام: اللهُ عزَّ وجلَّ، والمعْنَى: اللهُ عليكُم؛ أي: علَى حفْظِكُم.

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: السَّلامةُ عليكُم، فالسَّلامُ جمع: سلامة[٥].

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٨)، والكامل (ص: ٢٠٧)، والبحر المحيط (٥/ ٣٨٧).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٧).

(٤) في (ج)، (ر)، و(م): قول المُسلِّم.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٤).

والثَّـاني: أنَّ معْنَـاه: إنَّـما سـلَّمَكُم اللهُ تعَـالى مِـن أهْـوالِ القِيامـةِ وشرِّهـا بصبْرِكُـم في الدُّنْيَـا.

وفيما صبرُوا عليْه خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه أمْرُ اللهِ، قالَهُ سعِيدُ بْنُ جُبير.

والثَّاني: فُضولُ الدُّنيا، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: الدِّين.

والرَّابع: الفقرُ، رُويا عن أبي عمران الجَوني.

والخامس: أنَّه فقْدُ المحْبُوب، قالَه ابْن زيد.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ قـد سـبَق تفْسِـيرُه في [سُـورة][1] البقـرة [آيـة: ٧٢]. وقـالَ مُقاتِـلٌ: نزَلَـتْ في كُفَّـارِ أهْـلِ الكتـابِ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾؛ أي: عليْهِم.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعـد: ٢٦].

---

(١) من (م).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾؛ أي: يُوسِّـعُ عـلَى مَـنْ يَشـاءُ ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾؛ أي: يُضيِّـق ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد مُشركـي مكَّـةَ، فرحِـوا بـما نَالُـوا مِـن الدُّنيـا فطَغَـوْا وكذَّبُـوا الرُّسـلَ[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾؛ أي: بالقِيـاسِ[٢] إليْهَـا ﴿ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾؛ أي: كالـشَّيْءِ الَّـذي يُتمتـع بـهِ، ثُـمَّ يفْنَـى. [٤٢٦/أ]

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرعـد: ٢٧].

قوْله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

نزَلَـت فِي مُشركـي مكَّـةَ حـين طلَبُـوا مِـن رسُـولِ الله ﷺ مثْـلَ آيـاتِ الأنْبيـاءِ[٣].

﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾؛ أي: يـردُّه عـنِ الهُـدَى كـما رَدَّكُـم بعدمَـا أنـزَلَ مِـن الآيـاتِ وحرمَكُـم الاِسْـتدلالَ بِهَـا ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾؛ أي: رجـعَ إلى الحَـقِّ، وإنَّـما يرْجِـعُ إلى الحَـقِّ مَـن شـاءَ اللهُ رجُوعَـه، فكأنَّـه قـالَ: ويهْـدِي مَـنْ يشَـاءُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٤).

(٢) في الأصل: القياس، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٤).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا بدلٌ مِن قوْلِه: ﴿أَنَابَ﴾، والمعْنَى: يهْدِي الَّذِين آمنُوا.

﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فِي هذَا الذِّكْرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّه القرآنُ.

والثَّاني: ذكْرُ اللهِ تعَالى علَى الإطْلاقِ.

وفي معْنَى هذِه الطُّمأْنينةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّها الحبُّ لَه والأُنسُ بِهِ.

والثَّاني: السُّكون إليْهِ مِن غيْر شَكٍّ، بِخلافِ الَّذِين إذا ذُكر اللهُ اشْمأزَّتْ قلُوبُهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قالَ الزَّجَّاج: «ألَا» حرْفُ تنْبِيهٍ وابْتِداءٍ، والمعْنَى: تطْمَئِنُّ القلُوبُ الَّتي هيَ قلُوب المؤمنينَ؛ لأنَّ الكافِرَ غيْرُ مُطمئِنِّ القلْبِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾ فيهِ ثمانِيةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنّه اسْمُ شجرةٍ فِي الجنَّةِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

رَوى أبـو سـعِيدٍ الخُـدرِيُّ عـنْ النَّبـيِّ ﷺ أنَّ رجُـلًا قـالَ: يَـا رسُـولَ اللهِ! مَـا طُوبَـى؟ قـالَ: «شَـجرةٌ فِي الجنَّـة مَسِـيرةُ مائـةِ عَـامٍ(١)، ثِيـابُ أهْـلِ الجَنَّـةِ تخْـرُجُ مِـن أكْمامِهَـا»(٢).

وقـالَ أبـو هُريـرةَ: طُوبـى شـجرَةٌ فِي الجنَّـةِ، يقُـول اللهُ -عـزَّ وجَـلَّ- لهَـا: تَفتَّقِـي لِعبـدي عـمَّا شـاءَ، فتَتفتَّـقُ لَـه عـنِ الخَيْـلِ بِسُرُوجِهَـا ولُجُمِهَـا، وعـنِ الإِبْـلِ بأزِمَّتِهَـا، وعـمَّا شـاءَ مِـنَ الكِسْـوةِ(٣).

وقـالَ شـهْرُ بْـنُ حوْشَـبٍ: طُوبـى: شـجرَةٌ في الجنَّـة، كُلُّ شـجرِ الجنَّـةِ منْهَـا أغْصانُهَـا، مِـن وراءِ سُـورِ الجنَّـةِ(٤)، وهـذَا مذْهـبُ عطيَّـةَ، وشـمر بْـنِ عطيَّـة، ومغيـث بْـن سـمي، وأبي صالـح.

والثَّاني: أنَّه اسْمُ الجنَّةِ بالحبشيَّةِ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (ج)، و(ر): سنة.

(٢) أخرجـه ابـن أبي داود في البعـث (٦٧)، وابـن حبـان (٧٤١٣)، والآجـري في الشريعة (٦٢٤)، مـن طريـق ابن وهب به، وأخرجـه أحمد في مسـنده (١١٦٧٣)، وأبو يعـلى (١٣٧٤)، والخطيب في تاريخـه (٤/ ٩٠)، مـن طريـق دراج بـه. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٥٩) إلى أبي حاتم وابـن مردويه.

(٣) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٢/ ٣٣٦)، والطـبري في تفسـيره (١٦/ ٤٣٨)، وابن المبارك في الزهـد (٢/ ٧٥)، ومـن طريقه البغوي في معـالم التنزيل (٤/ ٣١٦)، وابـن أبي الدنيا في صفة الجنـة، وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم كما في الـدر المنثـور؛ للسـيوطي (٤/ ١١٥)، وفيه شـهر بن حوشـب، مختلف فيه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٨) (٢٠٣٨٥).

[قَالَ المصنِّفُ][1]: وقَرَأْتُ على شَيْخِنا أبي منْصُورٍ [اللغويِّ][2]، عَنْ سعِيدِ بْنِ مَسْجُوحٍ[3]، قَالَ: طُوبى: اسْمُ الجنَّةِ بالهنْدِيَّةِ[4]، وممَّن ذهَب إلى أنَّه اسْمُ الجنَّةِ عكرِمَةُ، وعَنْ مُجاهِدٍ كالقوْلَيْنِ:

والثَّالث: أنَّ معْنَى طُوبى لهُم: فرَحٌ وقُرَّةُ عيْنٍ لهُم، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّ معْنَاه: نعمَى لهُم، قالَهُ عكْرِمةُ فِي رِوايةٍ، وفِي رِوايةٍ أُخْرى عنه: نِعْمَ مَا لَهُم[5].

والخامِس: غبْطةٌ لهُم، قاله سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

والسَّادس: أنَّ معْنَاه: خيْرٌ لهُم، قالَه النَّخَعِيُّ في روايةٍ، وفِي أخْرَى عنْهُ قالَ: الخيْرُ والكرَامَةُ اللَّذانِ أعْطاهُم[6] اللهُ[7].

---

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) قال في المعجم الصغير لرواة الطبري (١/ ١٩٩): سعيد بن مشجوج، وقيل: ابن مشجوع، وقيل: ابن مسجوع، وقيل: ابن مسجوح، من الرابعة أو الثالثة، لم أعرفه، ولم يعرفه شاكر قبلي.

(٤) المعرب (ص: ٤٤٦)، أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٦) (٢٠٣٧٦)، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن مشجوج في قوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قال: ﴿طُوبَىٰ﴾: اسم الجنة بالهندية.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٤) (٢٠٣٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨) إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) في (ر): أعطاهما.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٣٦)، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٤/ ١١١).

وروى معْمَرٌ عنْ قتادَةَ قالَ: يقُول الرَّجُلُ للرَّجُلِ: طُوبى لكَ؛ أي: أصبْتَ خيْرًا، وهِيَ كلِمةٌ عربيَّةٌ[١].

والسَّابع: حُسنى لهُم، رَواه سعِيدٌ عنْ قتادَةَ عنِ الحسَنِ.

والثَّامن: أنَّ المعْنَى: العيْشُ الطَّيِّبُ لهُم.

«وطُوبى» عنْدَ النَّحْويين: فُعْلَى مِنَ الطيِّب، هذا قوْلُ الزَّجَّاجِ[٢]. [٤٢٦/ ب]

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: تأْوِيلُها: الحالُ المستطَابَةُ، والخلَّةُ المستلذَّةُ، وأصْلُها: «طيبى» فصَارَتِ الياءُ واوًا؛ لِسكونِها وانْضِمامِ ما قبْلَها، كما صارَتْ فِي «مُوقن»، والأصْلُ فيهِ: «ميقن»؛ لأنَّه مأْخُوذٌ مِنَ اليَقِين، فغلبَتِ الضَّمَّةُ فيهِ الياءَ فجعلَتْها واوًا[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ المآبُ: المرْجِعُ والمنْقَلبُ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [الرعد: ٣٠].

قوْلُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾؛ أي: كما أرْسلْنا الأنْبياءَ قبْلَك.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٣٥)، والطبري في جامع البيان (١٦/ ٤٣٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٤٧).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

فِي سببِ نُزولِهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا قالَ لِكفَّارِ قُريشٍ: «اسْجُدُوا للرَّحْمنِ»، قالُوا: ومَا الرَّحْمنُ[1]؟ فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، وقيلَ لهُم: إنَّ الرَّحمنَ الَّذِي أنكرْتُم هوَ ربِّي، هذَا قوْلُ الضَّحَّاكِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهم لَمَّا أرَادُوا كِتابَ الصُّلحِ يوْمَ الحُديبيةِ، كتَب عليٌّ عليهِ السَّلامُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ، فقَالَ سُهيلُ بْنُ عمْرٍو: مَا نعْرِفُ الرَّحمنَ إلَّا مُسيلمةَ[2]، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ قتادَةُ، وابْنُ جُريجٍ، ومُقاتلٌ[3].

والثَّالثُ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يوْمًا فِي الحِجْرِ يدْعُو، وأبُو جهْلٍ يسْتمِعُ إليْهِ وهوَ[4] يقُولُ: «يَا رَحْمنُ»، فولَّى مُدبرًا إلى[5] المشْركينَ، فقَالَ: إنَّ محمَّدًا كانَ[6] ينْهانَا عنْ عِبادةِ الآلهةِ وهوَ يدْعُو إلهَينِ فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، ذكرَهُ عليُّ بْنُ أحْمدَ النَّيسابوريُّ[7].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٢٩٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٧٣).

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٣١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٤٥- ٤٤٦) عن قتادة ومجاهد مرسلاً. وانظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٧٨).

(٤) في (ج): والنبي ﷺ.

(٥) في (ج): فولىَّ أبو جهل إلى.

(٦) ليست في (ج).

(٧) التفسير البسيط (١٢/ ٣٤٩- ٣٥٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: هوَ مصدَرُ تبْتُ إليْهِ(١).

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد: ٣١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾.

سبَبُ نُزولِهَا: أنَّ مُشركي قُريشٍ قالُوا للنَّبيِّ ﷺ: لوْ وسعتَ لنَا أوْدِيةَ مكَّة بالقُرآنِ، وسُيِّرت جِبالُها فاحْتَرَثْناهَا، وأحْيَيْتَ مَن مَاتَ مِنَّا، فنزَلَت هذِه الآيةُ، رَواه العوفيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

وقالَ الزُّبيرُ بْنُ العوَّامِ: قالَتْ قُريشٌ لِرسُولِ اللهِ ﷺ: ادْعُ اللهَ أنْ يُسيِّرَ عنَّا هذِه الجِبالَ ويُفجِّرَ لنَا الأرْضَ أنْهارًا فنزْرَعَ، أو يُحيي لنَا موْتانَا فنُكلِمَهُم، أو تصِيرَ هذِه الصَّخرةُ ذهبًا فتُغْنِينَا عن رحْلَةِ الشِّتاءِ والصَّيْفِ، فقَدْ كانَ للأنْبياءِ آياتٌ، فنزلت هذه الآيةُ(٣)، ونزَل قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٧) (٢٠٣٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٠) (٦٧٩) من طريق عبد الجبار به، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٥) وأخرجه أيضًا الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٧٤).

ومعْنَى قوْلِه: ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: شُقِّقت فجُعلَتْ أنهارًا، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: أُحيوا حتَّى كُلِّموا.

واخْتلَفُوا في جوَابِ «لَوْ» علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه محْذُوفٌ.

وفِي تقْدِيرِ الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ تقْديرَه: لكانَ هذَا القُرآنَ، ذكرَهُ الفرَّاءُ[1]، وابْنُ قُتيبةَ[2].

قالَ قتادَةُ: لو فعلَ هذا بقُرْآنٍ غيْرِ قُرآنِكم؛ لفَعَل بقُرْآنِكُم[3].

والثَّاني: أنَّ تقديرَه: لو كانَ هذَا كلُّه لَمَا آمَنُوا، ودليلُه قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾... إلى آخِرِ الآيَةِ [الأنعام: ١١١] قالَهُ الزَّجَّاجُ[4].

والثَّاني: أنَّ جوَابَ «لَوْ» مُقدَّمٌ، والمعْنَى: وهُم يكْفُرونَ بالرَّحمنِ، ولَوْ أننا أنْزلْنا عليْهِم مَا سأَلُوا، ذكرَهُ الفرَّاءُ أيْضًا[5]. [٤٢٧/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: لوْ شاءَ أنْ يُؤمِنُوا لَآمَنُوا، وإذَا لم يَشَأْ، لم ينْفَعْ مَا اقْترَحُوا مِنَ الآياتِ.

---

(١) معاني القرآن (١/ ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٩) (٢٠٤٠٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٦٣).

ثم أكَّد ذلِك بقوْلِه: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وفيهِ أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أفَلَم يتبيَّنْ، رَواه العوفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، ورَوى عنْهُ عكرِمَةُ: أنَّه كانَ يقرؤُها كذلِك، ويقُولُ: أظنُّ الكاتِبَ كتبَها وهو ناعِسٌ[١]، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ، وعكرِمَةَ، وأبي مالِكٍ، ومُقاتلٍ[٢].

والثَّاني: أفَلَمْ يعلَمْ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: ويُقالُ: هيَ لُغةٌ للنَّخعِ[٣]: «ييأس» بمَعْنَى: «يعلَم»[٤]، قالَ الشَّاعرُ [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[٥]

وإنَّما وقَع اليأسُ فِي مكانِ العلْمِ؛ لأنَّ في علْمِكَ الشَّيءَ وتيقُّنِكَ بهِ: يأْسُك مِن غيْرِه.

والثَّالث: أنَّ المعْنَى: قد يئِسَ الَّذين آمَنُوا أن يهدوا واحدًا، ولو شاءَ اللهُ لهدَى النَّاسَ جميعًا، قاله أبو العَالِيةِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٣) إلى ابن جرير وابن الأنباري في المصاحف.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٣) **النَّخع**: قبيلة كبيرة من مَذْحِج باليمن.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٧- ٢٢٨).

(٥) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٣٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٤٥٠)، وبلا نسبة في المعاني الكبير؛ لابن قتيبة (٢/ ١١٤٨) والميسر والقداح (ص: ٣٣).

والرَّابع: أفَلَم ييأسِ الَّذِين آمَنُوا أنْ يُؤمنَ هؤلاءِ المشرِكُون، قالَهُ الكسائِيُّ[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى عندي:** أفلَمْ ييأَسِ الَّذِين آمَنُوا مِن إيمانِ هؤلاءِ الَّذين وصفَهُمُ اللهُ بأنَّهم لا يُؤمِنونَ؛ لأنَّه لو شاءَ لهدَى النَّاسَ جميعًا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **فيهِم قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّهم جمِيعُ الكُفَّارِ، قالَهُ ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: كُفَّار مكَّةَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[٣].

فأمَّا القارِعةُ: فقَال الزَّجَّاجُ: هيَ فِي اللُّغةِ: النَّازلةُ الشَّدِيدةُ تنْزِلُ بأمْرٍ عظِيمٍ[٤].

وفِي المرَادِ بِها هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها عذَابٌ مِن السَّماءِ، رَواه العوْفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: السَّرايَا والطَّلائعُ الَّتي كان ينْفذهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، قالَه عكْرِمَةُ[٥].

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٩).

(٥) في (ج): قاله عطاء.

وفي قوله: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه رسولُ اللهِ ﷺ، فالمعْنى: أو تحلُّ أنتَ يا محمَّدُ، رواه سعيدُ ابنُ جُبيرٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ.

والثَّاني: أنَّها القارعةُ، قالَهُ الحسَنُ.

وفي قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قولانِ:

أحدُهما: فتْحُ مكَّةَ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ(١).

والثَّاني: القِيامةُ، قالَهُ الحسَنُ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)﴾ [الرعد: ٣٣].

قولُه تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعْني: نفْسَه عزَّ وجلَّ. ومعْنى القِيام هاهُنا: التَّولِّي لأُمور خلْقِه، والتَّدبيرُ لأرْزاقِهم وآجالِهم، وإحْصاءُ أعْمالِهم للجزاءِ، والمعْنى: أفمَنْ هو مجازي(٢) كُلِّ نفْسٍ بما كسبَتْ، يُثيبُها إذَا أحْسنَتْ، ويأخذُها بما جنَتْ، كمَنْ ليْس بهذه الصِّفةِ مِنَ الأصنامِ؟.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٠).

(٢) في (ج): أفمن هو قائم ليجازي.

قَالَ الفَرَّاءُ: فترَك جوَابَهُ؛ لأنَّ المعْنَى معْلُومٌ، وقد بيَّنه بعْدَ هذَا بقوْلِه تعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كأنَّه قيلَ: كشُركائِهم[(١)(٢)]. [٤٢٧/ ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾؛ أي: بما يسْتحِقُّونه مِنَ الصِّفاتِ، وإضَافةُ الأفْعَالِ إليْهم إنْ كانُوا شركاءَ للهِ كما يُسمَّى [اللهُ][(٣)] بالخالقِ، والرَّازقِ، والمحيي، والمميتِ، ولوْ سمُّوهم بشيْءٍ مِن هذَا لكذَبُوا.

قوْلُه تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذَا اسْتفهامٌ منقطِعٌ ممَّا قبْله، والمعْنَى: فإنْ سمَّوهم بصِفاتِ اللهِ، فقُل لهُم: أتنبِّئونَهُ؛ أي: أتُخْبِرُونه بشريكٍ له فِي الأرْضِ وهوَ لَا يعلَم لنفْسِه شريكًا، ولو كانَ لعلِمَهُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أمْ بظَنٍّ مِنَ القوْلِ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: بباطِلٍ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالثُ: بكلامٍ لا أصْلَ لَهُ ولَا حقِيقةَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: زيَّنَ لهُمُ الشَّيْطانُ الكُفْرَ[(٤)].

---

(١) في (ر): شركائهم

(٢) معاني القرآن (٢/ ٦٤).

(٣) المثبت من جميع النسخ.

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٦٢).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «وصَدُّوا» بفتْحِ الصَّادِ، ومثْلُه في: «حم الْمُؤْمِنُ» [غافر: ٣٧] وقرَأَ عاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «وصُدُّوا» بالضَّمِّ فيهما(١). فمَن فتَح؛ أرَاد: صدُّوا المسلِمِينَ، إمَّا عنِ الإيمانِ، أوْ عنِ البَيْتِ الحرَامِ. ومَنْ ضمَّ؛ أرَاد صدَّهُم اللهُ عنْ سَبِيلِ الهُدَى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرعد: ٣٤].

قَوْلُه تعَالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو القتْلُ، والأسْرُ، والسّقمُ، فهوَ لهُم في الدُّنيا عذَابٌ، وللمُؤمنِين كفَّارةٌ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾؛ أي: أشدُّ ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾؛ أي: مانعٍ يقِيهِم عذَابَهُ.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد: ٣٥].

قَوْلُه تعَالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ أي: صِفتُها أنَّ الأنهارَ تجْرِي مِن تحتِهَا، هذَا قوْلُ الجمْهُورِ.

وقالَ ثعْلبٌ: خبَرُ المثَلِ مُضمرٌ قبْلَه(٢)، والمعْنَى: فيما نصِفُ لكم مثَلُ الجنَّةِ، وفيما نقُصُّه عليْكُم خبَرُ الجنَّةِ.

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٥٩)، والتيسير (ص: ١٣٣).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٦٥).

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ قالَ الحسَنُ: يُريد أنَّ ثِمارَها لا تنقَطِعُ كثِمارِ الدُّنيا[1] ﴿وَظِلُّهَا﴾؛ لأنَّه لا يزُول ولَا تنسخُه الشَّمْسُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾؛ أي: عاقبةُ أمْرِهمُ المصيرِ إليْهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم مُسلِمُو اليهودِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: وهمْ عبْدُ اللهِ بْنُ سلامٍ وأصْحَابُه[2].

والثَّاني: أنَّهُم أصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: مُؤْمِنُو أهْلِ الكتَابَيْنِ مِنَ اليهُودِ والنَّصارَى، ذكَرَهُ الماوردِيُّ[3].

والَّذي أُنزل إليْهِ: القرْآنُ، فرِحَ بهِ المسْلِمُون وصدَّقُوه، وفرِحَ به مُؤمِنُو أهْلِ الكتابِ؛ لأنَّه صدَّق مَا عنْدَهُم.

وقيلَ: إنَّ عبدَ اللهِ بْنَ سلامٍ ومَن آمَن معَهُ مِن أهْلِ الكتابِ، ساءَهُم قلَّةُ ذكْرِ الرَّحمنِ فِي القُرآنِ مع كثْرةِ ذكْرِه في التَّوْراةِ، فلمَّا نزَل ذكْرُه فرِحُوا، وكفَرَ المشركُونَ بهِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٣).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

فأمَّا الأحْزابُ: فهمُ الكُفَّارُ الَّذين تحزَّبُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمعادَاةِ.

وفِيهم أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُمُ اليهودُ والنَّصارَى، قالَهُ قتادَةُ. [٤٢٨/أ]

والثَّاني: أنَّهُمُ اليهودُ والنَّصارى والمجوسُ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالث: بنُو أُميَّة وبنُو المغيرةِ وآلُ أبي طلْحةَ بْنِ عبْدِ العُزَّى، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

والرَّابع: كفَّار قُريشٍ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(٢).

وفي بعْضِه الَّذي أنْكرُوه ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه ذكْرُ الرَّحمن، والبعْثُ، ومحمَّدٌ ﷺ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٣).

والثَّاني: أنَّهم عرَفُوا بعْثةَ الرَّسُول في كُتبِهِم وأنْكرُوا نُبوَّتَه.

والثَّالث: أنَّهم عرَفُوا صدْقَه وأنْكرُوا تصْدِيقَه، ذكرَهُمَا الماوردِيُّ(٤).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٢) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٤) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: وكـما أنْزلنـا الكُتـبَ علَى الأنْبيـاءِ بلُغاتِهـم أنزَلْنَـا عليْـكَ القُـرآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد مـا فيـهِ مِـنَ الفرَائِـضِ[1]. وقـالَ أبـو عُبيـدةَ: دينًـا عربيًّـا[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: في صلاتِـكَ إلى بيْـتِ المقـدسِ ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أنَّ قِبْلَتَـكَ الكعبَـةُ، قالَـهُ ابْـنُ السَّـائبِ.

والثَّاني: في قبُولِ مَا دعوْكَ إليْهِ مِن ملَّةِ آبائِكَ، قالَهُ مُقاتِلٌ[3].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾؛ أي: مَـا لـكَ مِـن عـذَابِ اللهِ مِـن قريـبٍ ينْفعُـكَ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقِيـكَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعـد: ٣٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾... الآيةَ.

سببُ نُزولِهـا: أنَّ اليهُـودَ عـيَّرُوا رَسُـولَ اللهِ ﷺ بكثْـرةِ التَّزْويـجِ، وقالُـوا: لـوْ كانَ نبيًّـا كـما يزْعُـم؛ شـغلتْه النُّبـوَّةُ عـنْ تزْويـجِ النِّسـاءِ، فنزلَـتْ هـذِه الآيَـةُ[4]، قالَـه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٩)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٧٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٤) تنوير المقباس (ص: ١٥٩)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٥) من رواية الكلبي.

ومعْنَى الآيةِ: أنَّ الرُّسلَ قبلَك كانُوا بشرًا لهم ﴿أَزْوَاجًا﴾ يعْنِي: النِّساءَ، و﴿وَذُرِّيَّةً﴾ يعْنِي: الأوْلادَ. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بأمْرِه، وهذا جوَابٌ للَّذينَ اقْترحُوا عليهِ الآياتِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لكُلِّ أجَلٍ مِن آجَالِ الخلْقِ كِتابٌ عنْدَ اللهِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّه مِنَ المقدَّمِ والمؤخَّرِ، والمعْنَى: لكُلِّ كتابٍ ينْزِلُ مِنَ السَّماءِ أجَلٌ، قالَهُ الضَّحَّاكُ والفرَّاءُ[1].

والثَّالثُ: لكُلِّ أجَلٍ قدَّرَه اللهُ تعَالى، ولِكُلِّ أمْرٍ قضَاهُ اللهُ كتابٌ أُثبت فيهِ، ولا تكونُ آيةٌ ولا غيرُها إلَّا بأجَلٍ قدْ قضَاهُ اللهُ في كتابٍ، هذا معْنَى قوْلِ ابْنِ جريرٍ[2].

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ [الرعد: ٣٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ: «ويُثْبِتُ» ساكنة الثَّاءِ خفيفة الباءِ. وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «ويُثَبِّت» مشددة الباءِ مفتوحة الثاء[3].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٦).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٥٩).

قالَ أبو عليٍّ: المعْنَى: ويثبته، فاسْتغنَى بتعديةِ الأوَّلِ مِنَ الفعليْنِ عنْ تعديةِ الثَّاني[(١)].

واخْتلفَ المفسِّرُونَ فِي المرَادِ بالَّذِي يمْحُو ويُثبت علَى ثمانِيةِ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه عامٌّ، في الرِّزقِ، والأجَلِ، والسَّعادةِ. والشَّقاوةِ، وهذا مذْهبُ عُمرَ، وابْنِ مسْعُودٍ، وأبِي وائل، والضَّحَّاكِ، وابْنِ جُريجٍ.

والثَّاني: أنَّه النَّاسخُ والمنْسوخُ، فيمحُو المنْسوخَ، ويُثبت النَّاسخَ، [٤٢٨/ب] روى هذا المعْنَى عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، والقُرظيُّ، وابْنُ زيْدٍ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: ينْسخُ مِنَ القُرآن مَا يشَاءُ، «ويُثبت»؛ أي: يدعه ثابتًا لا ينْسخُه، وهوَ المحكَمُ[(٢)].

والثَّالث: أنَّه يمحو ما يشاءُ، ويُثبت، إلَّا الشقَاوةَ والسَّعادةَ، والحياةَ والموْتَ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبير عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

ودليلُ هذَا القوْلِ، مَا روى مُسلِمٌ في «صحِيحهِ» مِن حديثِ حُذيفةَ ابْنِ أَسِيدٍ قالَ: سمعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُول: «**إذَا مضتْ علَى النُّطْفَةِ خمْسٌ وأرْبَعُونَ ليْلَةً، يقُولُ المَلَكُ المُوكَّلُ: أذكَرٌ أمْ أُنْثَى؟ فيَقْضِي اللهُ عزَّ وجلَّ، ويكتُبُ الملَكُ، فيَقُولُ: أشَقِيٌّ، أَمْ سعِيدٌ؟ فيقْضِي اللهُ، ويكتُبُ الملَكُ، فيقُولُ: عمَلُه وأجَلُه؟ فيَقضِي اللهُ، ويكتُب الملَكُ، ثُمَّ تُطوى الصَّحيفَةُ،**

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٢٠).

(٢) غريب القرآن (٢/ ٢٢٨).

فَلَا يُزادُ فِيهَا ولا يُنقصُ منْهَا»[١].

والرَّابع: يمْحُو مَا يشاءُ ويثبت، إلَّا الشَّقاوةَ والسَّعادةَ لا يُغيرانِ[٢]، قالَه مُجاهِدٌ.

والخامِس: يمْحُو مَن جاءَ أجلُه، ويُثبت مَن لم يجئْ أجَلُه، قالَه الحسَنُ.

والسَّادس: يمْحُو مِن ذُنوب عبادِهِ مَا يشَاءُ فيغْفِرُهَا، ويُثبت مَا يشاءُ فلا يغْفِرُهَا، رُوي عنْ سعِيدِ بنِ جُبيرٍ.

والسَّابع: يمْحُو مَا يشاءُ بالتَّوبةِ، ويُثبت مكانَها حسنَاتٍ، قالَه عكْرِمةُ.

والثَّامن: يمْحُو مِن دِيوانِ الحفظَةِ ما ليْس فيهِ ثوابٌ ولا عِقابٌ، ويُثبت ما فيهِ ثَوابٌ وعِقابٌ، قالَهُ الضَّحَّاكُ، وأبو صالِحٍ.

وقالَ ابْنُ السَّائبِ: القوْلُ كلُّه يُكتب، حتَّى إذَا كانَ [في][٣] يومِ الخميسِ، طرح منْه كُلُّ شيْءٍ ليْس فيهِ ثوَابٌ ولا عِقابٌ؛ مِثْلُ قوْلِك: أكلْتُ، شربْتُ، دخلْتُ، خرجْت، ونحوه، وهو صادقٌ، ويُثبت ما فيهِ الثَّوابُ والعِقابُ[٤].

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٤٤)، ولفظ المصنف عند الطبراني في "الكبير" (٣٠٣٨).

(٢) في الأصل: يتغيران، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده، كما في بغية الباحث (٢٢٤)، المطالب العالية؛ لابن حجر (٨/ ٦٠١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٤) كلهم من طريق الكلبي، وهو متروك. قال الحافظ في فتح الباري (١٣/ ٥٢٣): والكلبي متروك، وأبو صالح لم يدرك جابرًا، ومما يضعفه أنَّ الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٤) رواه من طريق آخر عن الكلبي، عن أبي صالح.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أصْلُ الكِتابِ[١].

قالَ المفَسِّرونَ: وهوَ اللَّوحُ المحفُوظ الَّذي أُثْبِت فيهِ ما يكونُ ويحدُثُ.

ورَوى أبو الدَّرداءِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ اللهَ سبحَانَه فِي ثلَاثِ سَاعَاتٍ يبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ ينظُرُ فِي الكِتَابِ الَّذِي لَا ينْظُرُ فيهِ أحَدٌ غيْرُه، فيَمْحُو مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ»[٢].

ورَوى عكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: هُما كتابَانِ، كتَابٌ سِوَى أُمِّ الكتابِ يمْحُو منْهُ ما يشَاءُ ويُثبت، وعنْدَه أُمُّ الكتَابِ لا يُغير منْهُ شيءٌ[٣].

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠﴾ [الرعد: ٤٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾؛ أي: مِنَ العقاب[٤] وأنْتَ حيٌّ أوْ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبْل أنْ نُريكَ ذلِك، فليْس عليْكَ إلَّا أنْ تبلِّغَ ﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: يعْنِي: الجزاءَ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٤/ ١٢٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤١٢): وفيه زياد بن محمد الأنصاري، منكر الحديث. انظر: المجروحين؛ لابن حبان (١/ ٣٠٨)، والكامل؛ لابن عدي (٣/ ١٩٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٨)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٠)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٨١).

(٤) في (ج)، و(ر)، و(م): العذاب.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٣).

وروى ابنُ أبي طلْحةَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ قوْلَه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ نُسخ بآيةِ السَّيفِ وفرْض الجهادِ(١)، وبهِ قالَ قتادَةُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٤١﴾ [الرعد: ٤١].

قوْلُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ **فيهِ خمْسةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه ما يفْتحُ اللهُ عزَّ وجلَّ علَى نبيِّه [محمَّد ﷺ](٢) مِنَ الأرْضِ، رَواه العَوْفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ، والضَّحاكُ.

قالَ مقاتِلٌ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعْنِي: كُفَّارَ مكَّةَ ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ يعْنِي: أرْضَ مكَّةَ ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يعْنِي: مَا حوْلَها(٣). [٤٢٩/أ]

والثَّاني: أنَّها القريةُ تخربُ حتَّى تبْقَى الأبياتُ في نَاحيتِهَا، رَواه عكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ عكرِمَةُ.

والثَّالث: أنَّه نقْصُ أهلِهَا وبركتِهَا، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ الشَّعبيُّ: نقْصُ الأنْفس والثَّمراتِ(٤).

والرَّابع: أنَّه ذهَابُ فُقهائِها وخِيارِ أهْلِها، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: نواسخ القرآن؛ للمصنف (ص: ١٦٣).

(٢) من (ج).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٦) (٢٠٥٢٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٨) إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والخامس: أَنَّه موْتُ أَهْلِها، قالَهُ مُجاهِدٌ، وعطاءٌ، وقتادَةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: لا يتقَعَّبُه أحَدٌ بتغْييرٍ ولَا نقْصٍ(١). وقد شرحْنا معْنَى سُرعةِ الحِسابِ في [سُورة](٢) البقرةِ [آية: ٢٠٢].

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾ [الرعد: ٤٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعْنِي: كفَّارَ الأُمَمِ الخاليةِ، مكَرُوا بأنْبيائِهِم يقْصُدونَ قتْلَهُم، كما مكرَتْ قُريشٌ برسُولِ اللهِ ﷺ ليقتلُوه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾ يعْنِي: أنَّ مكْرَ الماكرينَ مخْلُوقٌ له، ولا يضرُّ إلَّا بإرادتِه؛ وفي هذا تسليةٌ لِرسُولِ اللهِ ﷺ وتسكينٌ له.

﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ مِن خيْرٍ وشرٍّ، ولَا يقَعُ ضررٌ إلَّا بإذْنِه.

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾ قرأَ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو: «وسَيعْلَمُ الكَافِرُ»، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْني: أبا جهْلٍ(٣). وقالَ الزَّجَّاجُ: الكافِر هَاهُنا: اسْمُ جنْسٍ(٤). وقرَأَ عاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «الكُفَّار» علَى الجمْعِ(٥).

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٩).

(٢) من (م).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢١)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٨٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥١).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة (ص: ٣٥٩).

قوْله تعالى: ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: لمن الجنَّة آخر الأمْرِ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣].

قوْله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فيهم قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهُم اليهودُ والنَّصارى.

والثَّاني: كُفَّارُ قريشٍ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾؛ أي: شاهِدًا ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظْهر مِنَ الآياتِ، وأبانَ مِنَ الدَّلالاتِ على نُبوَّتي.

قوْله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيهِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم عُلماءُ اليهُودِ والنَّصارى، رَواه العوفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه عبْدُ اللهِ بْنُ سلامٍ، قالَهُ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعكْرِمَةُ، وابْنُ زيْدٍ، وابْنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ(١).

والثَّالث: أنَّهم قوْمٌ مِن أهْلِ الكتَابِ كانُوا يشْهَدُون بالحَقِّ، منْهُم عبْدُ اللهِ بْنُ سلامٍ، وسَلمانُ الفارِسيُّ، وتميمٌ الدَّاريُّ، قالَه قتادَةُ.

والرَّابع: أنَّه جبريلُ عليه السلام، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٤).

والخامس: أنَّه عليُّ بْنُ أبي طالبٍ، قالَه ابْنُ الحنفيَّةِ.

والسَّادس: أنَّه بنيامِينُ، قالَه شِمر.

والسَّابع: أنَّه اللهُ عزَّوجلَّ، رُوي عنِ الحسَنِ، ومُجاهِدٍ، واخْتارَه الزَّجَّاجُ[١]، واحتجَّ له بِقراءةِ مَن قرَأ: «وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكتَابُ» وهيَ قِراءةُ ابْنِ السَّميفَعِ، وابْنِ أبي عبْلَة، (ومُجاهِدٍ، وأبي حيوَةَ)[٢]. ورِوايةُ ابْنِ أبي سُريجٍ عنِ الكِسائيِّ: «ومِن» بكسْرِ الميمِ «عندِهِ» بكسْرِ الدَّالِ «عُلِمَ» بضمِّ العينِ وكسْرِ اللَّام وفتْحِ الميمِ «الكتابُ» بالرَّفعِ.

وقرَأ الحسَنُ: «ومِن» بكسْرِ الميمِ «عندِهِ» بكسْرِ الدَّال «عِلْمُ» بكسْرِ العينِ وضمِّ الميمِ «الكتابِ» مُضاف، كأنَّه قالَ: أُنزل مِن علْمِ اللهِ [٤٢٩/ ب] عزَّ وجلَّ[٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قراءتان شاذتان، انظرهما مع التوجيه في: المحتسب (١/ ٣٥٨).

سُورةُ إبْرَاهِيمَ عليه السلام

وهيَ مكيَّةٌ مِن غيرِ خِلافٍ علِمْناه بينَهُم، إلَّا ما رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وقتادةَ أنَّهما قالَا: سِوى آيتَيْنِ منْها[١]، وهيَ[٢] قولُه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ والَّتي بعْدَها [إبراهيم: ٢٨- ٢٩].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم: ١ – ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿الٓر﴾ قد سبَق بيانُه.

وقوْلُه: ﴿كِتَٰبٌ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: هذا كتابٌ، (والكتابُ: القُرآنُ)[٣][٤].

وفي المرادِ بالظُّلماتِ والنُّورِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الظُّلماتِ: الكفْرُ، والنُّورَ: الإيمانُ، رَواه العوفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥١٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٣٣٧)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٤/ ٣٢٩)، والبيان في عد آي القرآن (ص: ١٦٩)، وفنون الأفنان (ص: ١٣٨)، وجمال القراء (٢/ ٥٢٨).

(٢) في (م): وهما.

(٣) ليست في (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٣).

والثَّاني: أنَّ الظُّلماتِ: الضَّلالةُ، والنُّورَ: الهُدى، قالَهُ مُجاهِدٌ وقتادَةُ.

والثَّالث: أنَّ الظُّلماتِ: الشَّكُّ، والنُّورَ: اليَقينُ، ذكرَهُ الماورديُّ[١].

وفي قوْلِه: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بأمْرِ ربِّهم، قالَهُ مُقاتِلٌ[٢].

والثَّاني: بتَوْفِيقِ ربِّهم، قالَه أبو سُليمانَ.

والثَّالث: أنَّه الإذْنُ نفسُه، فالمعْنَى: بما أُذِن لكَ مِن تعْليمِهِم، قالَهُ الزَّجَّاجُ، قالَ: ثُمَّ بيَّنَ ما النُّورُ، فقالَ: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٣].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وهذا مِثْلُ قوْلِ العرَبِ: جلَسْتُ إلى زيْدٍ، إلى العَاقلِ الفَاضِلِ، وإنَّما تُعاد «إلَى» بمعْنَى التَّعْظِيمِ للأمْرِ[٤]، قالَ الشَّاعرُ [من الطويل]:

إِذَا خَدِرَتْ رِجْلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا ... فَنَادَيْتُ لُبْنَى[٥] بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ

دَعَوْتُ الَّتِي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي ... لَأَلْقَيْتُهَا مِنْ حُبِّهَا وَقَضَيْتُ[٦]

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٢٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٣).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م).

(٥) في (ج): ليلى.

(٦) البيتان لقيس بن ذريح في نور القبس؛ لأبي المحاسن (ص: ١٥)، وبلا نسبة في عمل اليوم والليلة (ص: ١٤٢)، وروضة المحبين (ص: ١٧٢).

فأعَاد «دعَوْتُ» لِتفْخِيمِ الأمْرِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبُـو عمْـرٍو، وعَاصِـمٌ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ: «الحميـد* اللهِ» عـلَى البـدَلِ. وقـرَأ نافِعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، [وأبـانُ، والْمُفضَّـلُ]: «الحميـد* اللهُ» رفْعًـا عـلَى الِاسْـتئنافِ[1]، وقـد سـبَقَ بيـانُ ألْفـاظِ الآيـةِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ [إبراهيم: ٣ - ٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يُؤْثِرُونها ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قـال ابْـنُ عبَّـاسٍ: يأخـذُون ما تعجَّل لهم منها تهاونًـا بأمْـرِ الآخِرَةِ[2].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يمنعُـونَ النَّـاس مِـنَ الدُّخـول في دينِـه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قـد شرحْنـاه في آل عمـران [آيـة: ٩٩].

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة (ص: ٣٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٩٨).

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾؛ أي: في ذهابٍ عن الحقِّ ﴿بَعِيدٍ﴾ مِنَ الصَّواب.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: بلغتِهم.

قالَ ابْنُ الأنباري: ومعنى اللُّغة عند العرب: الكلامُ المَنْطُوق بهِ، وهو مأخوذٌ مِن قولِهم: لَغَا [الطَّائِرُ][1] يلْغُو؛ إذا صوَّت في الغلس[2].

وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، والجحدريُّ: «إِلَّا بِلُسُن قوْمِه» برفع اللَّام والسين من غير ألف.

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِلِسْنِ قوْمِه» بكسْرِ اللَّام وسكون السِّين مِن غيْرِ ألِفٍ[3].

قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾؛ أي: الَّذي أرسل به فيفهمُونه[4] عنه؛ وهذا نزل؛ لأنَّ قريشًا قالوا: ما بَالُ الكُتُب كلِّها أعجميَّةٌ، وهذا عربيٌّ.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾.

[٤٣٠/أ] قالَ الزَّجَّاجُ: «أن» مُفسِّرٌ، والمعْنَى: قلنا له: أخرج قوْمَك[5]. وقد سبَقَ بيانُ الظُّلمات والنُّور [البقرة: ٢٥٧].

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٩٩).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٨)، والكامل (ص: ٢٠٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٩).

(٤) في الأصل: فيفهموه، والمثبت من (ر)، و(م)، وفي (ج): فيفهموا.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٥).

وفي قوْلِه: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: أنَّهـا نِعَـمُ اللهِ، رواه أُبيُّ بـن كعْـبٍ عـنِ النَّبـي ﷺ، وبهِ قـال مجاهد، وقتـادة، وابــن قتيبة(١).

والثَّـاني: أنَّهـا وقائع الله في الأمـم قبْلَهـم، قالـه ابْـنُ زيـد، وابْـنُ السَّـائب، ومُقاتِلٌ(٢).

والثَّالـث: أنها أيَّـامُ نِعَـم الله عليهـم وأيَّـامُ نِقَمِـه ممـن كفـرَ مِـن قـوْم نـوحٍ وعادٍ وثمـودَ، قالَـه الزَّجَّـاجُ(٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعني: التَّذكـير ﴿لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عـلى طاعـةِ اللهِ وعـن معصيتـه ﴿شَكُورٍ﴾ لأنْعُمِـه.

والصَّبـار: الكثِـير الصَّبرِ، والشَّـكور: الكثير الشُّـكْرِ، وإنما خصَّـه بالآيات؛ لانْتِفاعِـه بهَـا. وما بعد هـذا مشْرُوحٌ في [سـورة](٤) البقـرة [آية: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٥).

(٤) من (م).

بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧ - ١٤].

قوْله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ ﴾ مذكورٌ في الأعراف [آية: ١٦٧].

وفي قوْله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: لئِنْ شكرْتُم نِعمِي لأزيدنَّكُم مِن طاعَتِي، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: لئن شكرتم إنْعامي لأزيدنَّكُم مِن فضْلِي، قالَه الرَّبيعُ.

والثَّالث: لئن وحدتُّموني لأزيدنَّكُم خيرًا في الدُّنيا، قالَه مُقاتِلٌ(١).

وفي قوْله تعالى: ﴿ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ ﴾ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّه الكفرُ(٢) بالتَّوحيد.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٩).

(٢) في (م): كفر.

والثَّاني: كفرانُ النِّعَم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ أي: غنـيٌّ عـنْ خلْقِـه، محمـودٌ في أفْعالِـه؛ لأنَّـه إمَّـا مُتفضـلٌ بفعْلِـه، أو عـادِلٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: أي: لَا يُحـصِي عددَهُـم إلَّا الله[1]، عـلَى أنَّ الله تعَـالى أهْلَـك أُممًـا مِـنَ العـرَب وغيْرِهـا، فانْقطَعَـتْ أخبارُهُـم، وعفَـتْ آثارُهُـم، فليْـس يعلمُهُـم أحـدٌ إلَّا الله[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فيهِ سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم عضُّوا أصابِعَهُم، غيْظًا، قالَه ابْنُ مسْعودٍ، وابْنُ زيْدٍ.

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: «في» هاهنـا بمعنـى: «إلَى»، ومعْنَـى الـكلام: عضُّـوا عليهـا حنقًـا وغيْظًـا؛ كـما قـالَ الشَّـاعرُ [مـن المتقـارب]:

يَرُدُّونَ فِي فِيهِ عَشْرَ الْحَسُودِ[3]

يعنـي: أنَّهـم يَغيظُـون الحسُـودَ حتَّـى يعَـضَّ عـلى أصابعِـه العشْرِ، ونحوُه قوْلُ الهُـذَليِّ:

---

(١) في (ر)، و(م): هو.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤١٠).

(٣) شـطر بيـت بلا نسبة في غريـب القرآن؛ لابـن قتيبـة (ص: ٢٣٠)، والمعاني الكبـير (٢/ ٨٣٤)، والاقتضـاب في شرح أدب الكاتب (٢/ ٢٧٥)، والكشـف والبيـان (١٥/ ٣٥٨).

قَـدْ أَفْنَـى أَنَامِلَـهُ أَزْمُـهُ فَأَضْحَـى يَعَـضُّ عَـلَيَّ الْوَظِيفَـا[١]

يقُـول: قَـدْ أكَلَ أصابعَـهُ حتَّـى أفْناها بالعـضِّ، وأضْحَـى يعَـضُّ علَـيَّ وظِيـفَ الـذِّارعِ[٢][٣].

والثَّاني: أنَّهُم كانـوا إذَا جاءَهُـمُ الرَّسُـولُ، فقَـالَ: إنِّي رسُـولٌ، قالُـوا لـه: اسْكُتْ، وأَشَـارُوا بأصابعِهِـم إلى أفْـواهِ أنفُسِـهِم، ردًّا عليْـهِ وتكذِيبًـا، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّالـث: أنَّهُـم لَمَّـا سـمِعُوا كتـابَ اللهِ، عجُّـوا ورجعـوا بأيديهِـم إلى أفْوَاههِـم، رَواه العـوفيُّ عـن ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والرَّابع: أنَّهُم وضعُوا أيديَهُم على أفواهِ الرُّسلِ، ردًّا لقوْلِهم قالَه الحسَنُ.

والخامِس: أنَّهُم كذَّبُوهم بأفْوَاهِهِم، ورَدُّوا عليهِم قوْلَهُم، قالَه مُجاهدٌ، وقتادَةُ.

[٤٣٠/ ب] **والسَّـادس**: أنَّـه مثَـلٌ، ومعْنـاه: أنَّهُـم كفُّـوا عـمَّا أُمِـروا بقَبُولِـه مِـن الحـقِّ،

---

(١) البيـت لصخـر الغَـيِّ بـن عبـد الله الخُثَمِـي الهـذلي في شرح أشـعار الهذليـين (١/ ٢٩٩)، وغريـب القـرآن (ص: ٢٣٠)، والمعـاني الكبـير (٢/ ٨٣٤)، وتهذيـب اللغـة (٤/ ٤٩٥)، وروايتـه في هـذه المصـادر: (فأمسـى يَعَـضُّ...).

وقولـه: (أزْمُـهُ): عَضُّـهُ. مـن: (أزَمَ يـأزِم أزْمـا) و (أُزومـا)، فهـو (آزم وأزُوم)؛ إذا عَـضَّ بالفـم كلِّـه عَضًّـا شـديدًا. و(الوظيفـة): أصـل استعمالها لـذوات الأربـع مـن الخيـل والإبـل، وهـي مـا اسـتدَقَّ مـن الـذراع أو السـاقين، ففـي البعـير هـي: مـا بـين الرسـغ والـذراع، أو بـين الرسـغ والسـاق، وجعلهـا الشـاعر هنـا للإنسـان.

(٢) في (ر)، و(م): بالذراع.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٠).

ولم يؤمنوا به. يُقال: ردَّ فُلانٌ يدَه إلى فمِه؛ أي: أمْسك فلَم يُجبْ، قالَه أبو عُبيدةَ(١).

والسَّابع: ردُّوا مَا لَو قبلُوه لكان(٢) نعمًا وأيادي مِن الله، فتكونُ الأيْدِي بمعْنى: الأيادِي، و«في» بمعنى: الباء، **والمعْنى:** ردُّوا الأيادي بأفواهِهم ذكرَهُ الفرَّاء. وقالَ: قد وجدْنا مِن العرَبِ مَن يجعَل «في» موضعَ الباءِ، فيقول: أدخلَك اللهُ بالجنَّة، يُريد: في الجنة(٣)، وأنْشدني بعْضهم:

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ(٤)

فقال: أرْغب فيها، يعْني: بنْتًا له، يُريد: أرْغَب بِها، وسِنْبِس: قَبيلةٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾؛ أي: على زعْمِكُم أنَّكم أرْسلْتُم، لَا أنَّهُم أقرُّوا بإرْسالِهم. وباقِي الآيةِ قد سبَق [تفْسِيرُه](٥) [هود: ٦٢].

قولُه(٦): ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ هذَا اسْتفهامُ إنْكارٍ، **والمعْنى:** لا شكَّ في اللهِ؛ أي: في توحيدِه ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ بالرُّسل والكتب ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٣٦).

(٢) في (ر): وكان.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٧٠).

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٠)، وتفسير الطبري (١٣/ ١٨٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٥)، (سِنْبس): حَيٌّ من قبيلة طيئ. الاشتقاق (ص: ٣٩٠).

(٥) من (م).

(٦) ليست في (ج)، و(ر)، و(ف).

قال أبو عُبيدة: «من» زائدةٌ؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، قال أبو ذُؤيبٍ [من الطويل]:

جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الْحُبِّ لَمَّا شَكَوْتِهِ وَمَا إِنْ جَزَاكِ الضِّعْفَ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي[1]

أي: أحد[2].

وقولُه: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموْتُ، والمعْنى: لا يُعاجلكم بالعذابِ.

﴿قَالُوٓاْ﴾ للرسل ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾؛ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: ليس لكُم علينَا فضلٌ. والسُّلطان: الحجَّةِ. قالت الرُّسل: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فاعْترفوا لهم بذلِك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يعْنُون: بالنُّبوَّة والرِّسالة، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليس ذلك مِن قبَلِ أنفُسنا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: بيَّنَ لنا رُشدَنا[3].

والثاني: عرَّفَنا طريقَ التَّوكُّلِ.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين (١/ ٣٥)، ومجاز القرآن (١/ ٤٩)، والصاحبي في فقه اللغة؛ لابن فارس (ص: ١٢٧)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (١/ ٤١٢)، وبلا نسبة في المقتضب (٤/ ١٣٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤٩).

(٣) في الأصل: رسلنا، والمثبت من سائر النسخ.

وإنما قصَّ[١] هذا وأمْثالَه على نبيِّنا لِيقتديَ بمن قبْلَه في الصَّبر، وليعلمَ مَا جرَى لهم.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعْني: الكافرينَ بالرُّسل.

وقوْلُه تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: بعْد هلاكهِم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإسْكانُ ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ (قالَ ابْنُ عبَّاسٍ)[٢]: خافَ مقامَه بيْنَ يدي[٣].

قالَ الفرَّاء: العرَب قد تُضيف[٤] أفْعالَها إلى أنْفسِها، وإلى ما أوْقعتْ عليْه، فتقُول: قد ندِمْت علَى ضرْبِي إيَّاكَ، وندِمْت علَى ضرْبِكَ، فهذَا مِن ذاك، ومثْلُه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢]؛ أي: رزقي إيَّاكم[٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أثْبت ياءَ «وَعِيدِي» في الحالَيْنِ يعْقُوبُ، وتابعَهُ ورْشٌ في الوصْلِ[٦].

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

---

(١) في (م): نص.

(٢) في (ج): أي.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٢١).

(٤) في (ج): قد تضيف العرب.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٧١).

(٦) قراءة سبعية، انظر: انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٧٨)، والنشر (٢/ ٢٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٣٤١).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾ يعْنِي: اسْتنصَرُوا.

وقـرأَ ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومجاهِـدٌ، وعكْرمَـةُ، وحُميْـدٌ، وابْـن مُحيصـن: «واسْـتَفْتِحُوا» بكَـسْرِ التَّـاء عـلى الأمْـرِ(١).

وفي المُشار إليهِم قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّهُمُ الرُّسلُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ، وقتادَةُ.

[٤٣١/أ] **والثَّـاني:** أنَّهُـمُ الكفَّـارُ، واسْـتِفْتاحُهم: سـؤالُهُم العـذَابَ؛ كقوْلِهـم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وقوْلِهـم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾... الآيـةَ [الأنفـال: ٣٣]، هـذا قـوْلُ ابْـنِ زيْـدٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

قـالَ ابْـنُ السَّـائب: خَـسِرَ عنْـدَ الدُّعـاءِ(٢). وقـالَ مُقاتِـلٌ: خَـسِرَ عنْـدَ نُـزولِ العـذَابِ(٣). وقـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشْـقيُّ: يَئِـس مِـنَ الإجابـةِ.

وقد شرحْنَا معْنَى الجبَّارِ والعَنِيدِ في [سُورةِ](٤) هُود [آية: ٥٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه بمعْنَى القُدَّام، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: أمامَه جهنَّمُ(٥).

---

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٢)

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وانظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/ ٢٣٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠١).

(٤) من (ج).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (١/ ٣١٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٢٩).

وقالَ أبو عُبيدةَ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: قُدَّامِه وأمامِه، يُقالُ: الموْتُ مِن ورَائِك[1]، وأنْشدَ [من الطويل]:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا[2]

والثَّاني: أنَّها بمعْنى: «بعْد».

قالَ ابنُ الأنْبارِيِّ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعْد يأْسِه، فدَلَّ «خَاب» علَى اليأْسِ، فكنَّى عنه، وحُملت «وراء» على معْنَى: «بعْد»؛ كما قالَ النَّابغةُ [من الطويل]:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ[3]

أراد: [ليْس][4] بعدَ اللهِ مذْهَبٌ[5].

قالَ الزَّجَّاجُ: والوراء يكونُ[6] بمعْنى: الخلْف والقُدَّام؛ لأنَّ ما بين يديْك وما قُدَّامك إذا توارى عنْك؛ فقَدْ صارَ وراءَكَ، قالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٢٣٧) بنحوه.

(٢) سبق تخريجه في سورة يوسف آية (٨٨).

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص: ٢٧)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٧٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٩٧)، والمحاسن والأضداد (ص: ٢٦٢)، والشعر والشعراء (١/ ١٥٧).

(٤) من (ر)، و(م).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٣١).

(٦) ليست في (ج).

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُحْنَى (١) عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ (٢)

قال: وليْس الوَراء مِنَ الأضداد كما يقول بعْض أهْل اللُّغةِ(٣).

وسُئل ثعْلبٌ: لِمَ قِيلَ: الوراء للأمَام؟ فقَال: الوراء: اسْمٌ لِمَا توارى عنْ عينِكَ، سواءٌ كانَ(٤) أمَامك أو خلْفك(٥).

وقالَ الفرَّاء: إنَّما يجُوز هذا في المَواقيتِ مِنَ الأيَّام واللَّيالي والدَّهر، تقُول: ورَاءك برْدٌ شدِيدٌ، وبيْنَ يديْكَ(٦) برْدٌ شديدٌ.

[ولَا](٧) يجُوز أن تقُولَ للرَّجُل وهوَ بيْنَ يديْكَ: هوَ وراءَك، و[لَا](٨) للرَّجُل: وراءَك: هوَ بيْنَ يديْكَ(٩).

---

(١) في المعاني؛ للزجاج: تثنى.

(٢) البيت للبيد في شرح ديوان لبيد (ص: ١٧٠)، وحماسة البحتري (ص: ٤٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٢٧١)، والأضداد؛ للسجستاني (ص: ٨٣)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٦٩)، والأغاني (١٤/ ٩٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٤) في (م): أكان.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٧)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥٢٢).

(٦) في (ج): يديه.

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٩) معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾ قالَ عكرمَةُ، ومُجاهدٌ، واللُّغويون: الصَّديد: القيْحُ، والدَّمُ، قالَه قتادَةُ، وهوَ مَا يخْرجُ مِن بيْنِ[١] جلْدِ الكافِرِ ولحْمِه[٢].

وقال القُرظِيُّ: هو غُسالة أهْلِ النَّار، وذلِك مَا يسيلُ مِن فُروج الزُّناةِ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: المْعْنَى: يُسْقى الصَّديدَ مكانَ الْمَاءِ، قالَ: ويجُوز أن يكونَ علَى التَّشبيه؛ أي: [ما][٤] يُسْقَى ماءً كأنَّه صديدٌ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ التَّجرُّعُ: تناولُ المْشْرُوب جُرْعَةً جُرْعَةً، لَا في مرَّة واحدةٍ، وذلِك لِشدَّةِ كراهتِه له، وأنَّما يُكرهه على شرْبِه.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: لا يقدِرُ على ابْتلاعِه، تقُول[٦]: ساغَ لي الشَّيءُ، وأسْغْتُه[٧].

وروى أبو أُمامةَ عنْ رسُول الله ﷺ أنَّه قالَ: «يُقرَّبُ إلَيْهِ فيَكْرَهُهُ، فَإذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ»[٨]. [٤٣١/ب]

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٤).

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٤١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٤).

(٤) ليست في الأصل، و(ج)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣١).

(٦) في (ج): يقال.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٧).

(٨) أخرجه الطبري في التفسير: (١٦/ ٥٤٩-٥٥٠)، والترمذي في سننه، حديث (٢٥٨٣)،=

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾؛ أي: هَـمُّ الْمـوْتِ وكرْبُـه وأَلَمُـه ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ وفيـه ثلاثـةُ أقْـوالٍ:

أحدها: من كُلِّ شعرةٍ فِي جسَدِه، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ سُفيان الثَّوْريُّ: من كُلِّ عرقٍ(١).

وقـالَ ابْـنُ جُريـج: تتعلَّـق نفْسُـه عنْـد حنْجرَتِـه، فـلا تخْـرُج مِـن فيـهِ فيَمُـوت(٢)، ولَا ترجِـعُ إلى مكانِهَـا فتجِـدُ راحـةً(٣).

والثَّـاني: مِـن كُلِّ جهـةٍ، مِـن فوْقـه وتحْتِـه، وعـن يمينِـه وعَـن(٤) شـمالِه، وخلْفِـه وقُدَّامِـه، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ أيضًـا.

والثَّالـث: أنَّهَـا البلَايَـا الَّتِـي (تُصَـبُّ عـلَى)(٥) الكافِـرِ في النَّـار، سـمَّاها موْتًـا، قالَـهُ الأخْفَـشُ(٦).

=وقـال: «هـذا حديـث غريـب، هكـذا قـال محمـد بـن إسـماعيل عـن عبيـد الله بـن بسـر، ولا يعـرف عبيـد الله بـن بسـر إلا في هـذا الحديـث». وأخرجـه الحاكـم في المستدرك (٢/ ٣٥١) وقـال: «هـذا حديـث صحيـح عـلى شرط الشـيخين»، ووافقـه الذهبـي، وأخرجـه الإمـام أحمـد في المسـند (٥/ ٢٦٥)، والبغـوي في شرح السـنة (١٥/ ٢٤٣-٢٤٤).

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٧)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٣٨).

(٢) في (م): فتموت.

(٣) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٥٥٠) (٢٠٦٣٤)، وعـزاه السـيوطي في لـدر النثـور (٤/ ٧٤) إلى ابـن جريـر.

(٤) ليست في (ج)، و(م).

(٥) في (ج)، و(ر)، و(م): تصيب.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣٦٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾؛ أي: موْتًا تنقطِعُ معه الحيَاةُ. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: من بعْد هذَا العذَابِ.

قالَ ابْنِ السَّائب: مِن بعْدِ الصَّديد ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(١). وقالَ إبراهِيمُ التَّيميُّ: بعْد الخلُود في النَّار(٢). والغليظُ: الشَّديدُ(٣).

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾.

قال الفرَّاءُ: أضافَ المَثلَ إليْهم، وإنَّما المَثلُ الأعْمالُ(٤)، فالمعْنى: مثلُ أعْمالِ الَّذين كفروا. ومثْلُه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]؛ أي: ترى وجوهَهُم(٥).

وجعلَ العُصوفَ تابِعًا لليوم في إعْرابه، وإنَّما العُصوفُ للرِّيح، وذلك جائِزٌ على جهتَيْنِ:

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٣٩) (١٢٢٣٩)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ج)، و(م): للأعمال.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٧٢- ٧٣).

أحدُهما: أنَّ العُصوفَ، وإن كان للرِّيح، فإنَّ اليومَ يُوصف به؛ لأنَّ الرِّيح فيهِ تكونُ، فجازَ أن يقول[١]: يومٌ عاصِفٌ، كما يقُول[٢]: يوْمٌ باردٌ، ويوْمٌ حارٌّ.

والوجهُ الآخر: أنْ تُريد: في يوْم عاصِفِ الرِّيحَ، فتُحذفُ الرِّيحُ؛ لأنَّها قد ذكِرت في أوَّل الكلام، كما قالَ الشَّاعر [من الطويل]:

وَيَضْحَكُ[٣] عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا إِذَا كَانَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كَاسِفُ[٤]

يُريد: كاسفَ الشَّمس.

ورُوي عنْ سِيبويه أنَّه قال: في هذِه الآية إضْمارٌ[٥]، **والمعْنَى**: ومما نقصُّ عليك مثلُ الَّذين كفروا، ثُمَّ ابتدأ فقالَ: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ وقرأَ النَّخعيُّ، وابنُ يعْمُرَ، والجحْدريُّ: «فِي يوْمِ عاصفٍ» بغير تنْوين اليوْم[٦].

قالَ المُفسِّرونَ: **ومعْنَى الآية**: أنَّ كُلَّ ما يتقرَّبُ بهِ المشركونَ يُحبط ولَا ينْتفِعُون بهِ، كالرَّماد الَّذي سفتْه الرِّيحُ فلا يقدِر على شيْءٍ منه، فهُم

(١) في (ج): يكون. وفي (ر)، و(م): تقول.

(٢) في (ر)، و(م): تقول.

(٣) في (ج): وتضحك.

(٤) البيت بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٤)، وعجزه في تفسير الطبري (١٦/ ٥٥٤)، والكشف والبيان (١٥/ ٣٦٧)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٤٢).

(٥) الكتاب (١/ ١٤٣)، وانظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٨٠ - ١٨١)، ومشكل إعراب القرآن؛ لمكي (١/ ٤٤٧).

(٦) أي: بالإضافة، قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٦٠)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٠).

لا يقدِرُون مما كسبُوا في الدُّنيا علَى شيْءٍ في الآخرة؛ أي: لا يجِدُون ثوابه، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ مِن النَّجاةِ.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ١٩ - ٢٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ معناه: ألم تُخبر، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: ألم تعلَمْ، قالَه مُقاتلٌ(١)، وأبو عُبيدةَ(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قالَ الْمُفسِّرونَ: أي: لم يخلقهُنَّ عبثًا، وإنَّما خلقَهُنَّ لأمْرٍ عظيمٍ.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريد: يُميتكم يا معْشرَ الكُفَّارِ ويخْلُق قوْمًا غيْرَكُم خيرًا مِنْكُم وأطْوعَ، وهذا خِطابٌ لأهْل مكَّةَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾؛ أي: بِمُمْتنعٍ مُتعذِّرٍ.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ۝٢١﴾ [إبراهيم: ٢١].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

[٤٣٢/أ] قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لفظُـه لفـظُ المـاضِي، ومعْناه المُسـتقبل، والمعنـى: خرجـوا مِـن قبُورهِـم يـوْمَ البعْـث، واجْتمَـعَ التَّابـعُ والمتبُـوعُ، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ وهـمُ الأَتْبـاعُ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهـمُ المتبوعـون ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: هـو جمْـعُ تابِـعٍ، يُقـال: تابِـعٌ وتَبَـعٌ، مثـل: غائِـبٌ وغيَـبٌ، والمعْنَـى: تبعْنَاكـم فيـما دعوْتمُونـا إليـه[١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾؛ أي: دافِعُـون عنَّـا ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ قـال القـادَةُ: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾؛ أي: لو أرْشـدنا في الدُّنيا لأرْشـدناكم، يريـدون: أنَّ الله أضلَّنـا فدعوناكُـم إلى الضَّـلالِ[٢].

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ قـالَ ابْـنُ زيـدٍ: إنَّ أهـلَ النَّـارِ قـالَ بعْضُهـم لبعـض: تعالَـوا نبْكـي ونتـضرَّع، فإنَّـما أدرك أهـلُ الجنَّـةُ الجنَّـةَ ببكائِهم وتضرُّعِهـم، فبكـوا وتضرَّعُـوا، فلـمَّا رأوا ذلِـك لا ينفعهـم، قالوا: تعالـوا نصبرْ، فإنَّـما أدرك أهْـلُ الجنَّـةِ الجنَّـةَ بالصَّـبر، فصـبروا صـبرًا لم يُـرَ مثْلُـه قـطُّ، فلـم ينفعْهُـم ذلـك، (فعنـد ذلـك)[٣] قالـوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٨).

(٢) ذكره الواحدي بلا نسبة في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

(٣) في (ر)، و(م): فعندها.

(٤) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٦/ ٥٥٩) (٢٠٦٤٠)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٧٤) إلى ابـن جريـر بنحـوه.

ورَوى مالِكُ بْنُ أنسٍ عنْ زَيْدِ بْنِ أسْلمَ قالَ: جزَعُوا مائةَ سنةٍ، وصبَرُوا مائةَ سنةٍ[(١)].

وقالَ مُقاتِلٌ: جزَعُوا خمْسَمائةِ عامٍ[(٢)]، وصبروا خمْسَمائة عامٍ[(٣)]. وقد شرحْنَا معْنى المْحيص في سورة النِّساءِ [آية: ١٢١].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢ - ٢٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قالَ المُفسِّرون: يعْني به: إبْليسَ ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: فُرغ منْهُ، فدخَلَ أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ، فحينئذ يجتمِعُ أهْلُ النَّار باللَّومِ على إبْليسَ، فيقُوم فيما بيْنَهُم خطيبًا، ويقُول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: وعدَكُم كوْنَ هذا اليومِ فصدقَكُم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنَّه لا يكُون ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ الوعْدَ ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: ما أظْهرتُ لكُم حجَّةً على ما ادَّعيْتُ.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٠) (١٢٢٤٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

(٢) في (ج)، و(م): سنة.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٣). وفي (ج): سنة.

وقالَ بعْضُهم: ما كنْتُ أملكُكم فأُكرهكم ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا مِنَ الاِسْتثناءِ الْمُنقطعِ، والمعْنى: لكن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ حيْثُ أجبْتُموني[1] من غير برهانٍ ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾؛ أي: بِمُغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾؛ أي: بِمُغِيثي.

قرَأ حمْزةُ «بِمُصْرِخيِّ» فحرَّكَ الياءَ إلى الكسْرِ، وحرَّكَها الباقون إلى الفتْح[2].

قال قُطربٌ: هي لغةٌ في بني يَربُوع، يعْني: قراءةَ حمْزةَ[3].

قالَ اللُّغويُّون: يُقال: اسْتصْرخنِي فُلانٌ فأصْرخْتُه؛ أي: اسْتغاثَني فأغثْتُه.

﴿إِنِّى كَفَرْتُ﴾ اليوم بإشْراككم إيَّاي في الدُّنيا معَ الله عزَّ وجلَّ في الطَّاعة ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعْني: الْمُشركينَ.

قوْلُه تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: بأمْر ربِّهم.

وقوْلُه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ قد ذكرْناه في يُونس [آية: ١٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].

قوْلُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) قراءة سبعية، انظر عزوها لحمزة في التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٩).

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَلَمْ تَرَ بِعَيْنِ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ بِإِعْلَامِي إِيَّاكَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا؛ أَي: بَيَّنَ شَبَهًا ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[1]. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ أَي: طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ، فَتَرَكَ ذِكْرَ الثَّمْرَةِ [٤٣٢/ب] اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

وفي هذِه الشَّجرةِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أَنَّهَا النَّخلةُ، وهو في «الصَّحيحينِ» مِن حديثِ ابْنِ عُمَرَ عنِ النَّبيِّ ﷺ[2]، وقد رواهُ سعيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3]، وبه قالَ ابْنُ مسعُودٍ، وأنسُ بْنُ مالكٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، والضَّحاكُ في آخرِينَ.

والثَّاني: أَنَّهَا شجرةٌ في الجنَّة، رَواه أبو ظَبْيَانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦٧)، (٢٠٦٥٨)، والطبراني في الدعاء (١٥٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٧٢- ٢٧٣) (٢٠٦) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٦١)، ومسلم حديث رقم (٢٨١١)، والترمذي حديث رقم (٢٨٦٧)، واللفظ عند البخاري: عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدّثوني ما هي؟» قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٢) (٢٠٦٩٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٣) (٢٠٦٩٥).

والثَّالث: أنَّهَا المؤمِنُ، وأصْلُه الثَّابتُ أنَّه[1] يعمَلُ في الأرْضِ ويبْلُغ عمَلُه السَّماءَ.

وقوْلُه تعَالى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ ﴾ فالمُؤمِنُ يذْكُرُ اللهَ كُلَّ ساعةٍ مِنَ النَّهار، رَواه عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾؛ أي: في الأرْضِ ﴿وَفَرْعُهَا ﴾: أعْلاهَا عالٍ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي: نحوَ السَّماء، وأُكُلُها: ثمْرتُها[3].

وفي الحينِ هَاهُنا سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّه ثمانيةُ أشْهرٍ، قالَه عليٌّ عليه السَّلام.

والثَّاني: أنَّه[4] ستَّةُ أشْهُرٍ، رَواه سعِيدُ بنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ الحسَنُ، وعكْرِمةُ، وقتادَةُ[5].

والثَّالث: أنَّه بُكرةً وعشيَّةً، رَواه أبو ظَبْيانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[6].

---

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٦) (٢٠٧٠٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٥) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) في (ج)، و(ر): ثمرها.

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٨) (٢٠٧١٨- ٢٠٧٢١- ٢٠٧٢٣) عن سعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، وقتادة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٧٦) (٢٠٧٠٨)، والضياء في المختارة (١٠/ ١٤) من طريق علي بن الجعد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٦- ٧٧) إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

والرَّابع: أنَّه السَّنةُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[١]، وبهِ قالَ مُجاهدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والخامس: أنَّه شهرَانِ، قالَه سعِيدُ بْنُ الْمُسيِّبِ.

والسَّادس: أنَّه غُدْوةً وعشيَّةً وكُلَّ ساعةٍ، قالَه ابْنُ جريرٍ[٢].

فمَن قالَ: ثمانِيةَ أشْهرٍ، أشارَ إلى مُدَّة حمْلها باطِنًا وظاهِرًا، ومَن قالَ: سِتَّةَ أشْهرٍ، فهي مُدَّةُ حمْلِها إلى حينِ صِرامِهَا، ومَن قالَ: بُكرةً وعشيَّةً، أشار إلى الاجْتِناءِ منْها، ومَن قالَ: سنَةً، أشار إلى أنَّها لا تحمِلُ في السَّنةِ إلَّا مرَّةً [واحِدَةً][٣]، ومَن قالَ: شهرانِ، فهوَ مُدَّةُ صلَاحِهَا.

قالَ ابْنُ الْمُسيِّبِ: لا يكونُ في النَّخلةِ أكْلُها إلَّا شهْريْنِ[٤].

ومَن قالَ: كُلَّ ساعَةٍ، أشارَ إلى أنَّ ثمرتَهَا تُؤكلُ دائِمًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٠) (٢٠٧٣٠) عن عطاء بن السائب، عن رجل منهم أنَّه سأل ابن عباس، فقال: حلفت ألا أكلم رجلًا حِينًا؟ فقرأ ابن عباس: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، فالحين سنة.

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٢).

(٣) من (ج).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨١) (٢٠٧٣٣)، عن إبراهيم بن ميسرة قال: جاء رجل إلى سعيد بن المسيب، فقال: إني حلفت أن لا أكلم فلانًا حينًا؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال: هي النخلة، لا يكون منها أُكُلُها إلا شَهْرين، فالحين شهران.

قالَ قتادَةُ: يؤكل ثمرُهَا[١] فِي الشِّتَاء والصَّيْفِ[٢].

قالَ ابْنُ جريرٍ: الطَّلْع في الشِّتاءِ مِن أُكُلها، والبَلَحُ والبُسْرُ والرُّطَبُ والتَّمرُ فِي الصَّيف[٣].

فأمَّا الحكمَةُ في تمْثِيلِ الإيمانِ بالنَّخلة، فمِن أوْجهٍ:

أحدُها: أنَّهَا شديدةُ الثُّبوتِ، فشبَّه ثباتَ الإيمانِ في قلْبِ الْمُؤمنِ بثَباتِهَا.

والثَّاني: أنَّهَا شديدةُ الاِرْتفاعِ، فشبَّه ارْتفاعَ عمَلِ الْمُؤمنِ بارْتفاع فرُوعِها.

والثَّالث: أنَّ ثمرتهَا تأتي في كُلِّ حينٍ فشبَّه مَا يكتَسِبُ[٤] الْمؤمِنُ مِن بركةِ الإيمانِ وثوَابِه في كُلِّ وقْتٍ بثمرتِهَا الْمُجتناةِ في كلِّ حينٍ، على اخْتلافِ صُنوفها، فالْمؤمنُ كلَّما قال: لَا إلهَ إلَّا اللهُ، صعدتْ إلى السَّماء، ثُمَّ جاءَه خيْرُها ومنفعَتُها.

والرَّابع: أنَّها أشْبهُ الشَّجرِ بالإنْسانِ، فإنَّ كُلَّ شجرةٍ يُقطع رأسُها تتشعَّبُ غُصونُهَا مِن جوانبِهَا، إلَّا هِيَ، إذا قُطع رأسُهَا يبِسَتْ، ولأنَّها لا تحمِلُ حتَّى تلقَّحَ، ولأنَّها فضلةُ تُربةِ آدمَ عليه السلام فيما يُروى[٥].

---

(١) في (ج)، و(ر): تؤكل ثمرتها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٢) (٢٠٧٣٤)، عن معمر، عن قتادة: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال: يؤكل ثمرها في الشتاء والصيف.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٨٢).

(٤) في (ج)، و(ر): يكسب، وفي (ف): كسب.

(٥) يشير المصنف لحديث علي ﷺ، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها=

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: هيَ الشِّرْكُ[١]. [٤٣٣/أ]

وقَوْلُه تعَالى: ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ **فيهَا خَمْسةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّهَا الحنظَلَةُ، رَواه أنسُ بْنُ مالِكٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ[٢]، وبهِ قالَ أنسٌ، ومُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّهَا الكافِرُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

=مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطبا فتمرًا»، أخرجه أبو يعلى (٤٥٥)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٣)، وفي إسناده مسرور بن سعيد. قال ابن الجوزي: لا يصح، مسرور بن سعيد منكر الحديث.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٩)، والطبري (١٦/ ٥٨٥) من طريق حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك به مرفوعًا، قال الترمذي: روى غير واحد مثل هذا موقوفًا، ولا نعلم أحدًا رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعوه. أ.هـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٨) (٢٠٧٥٥) عن علي، عن ابن عباس قال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، وهي الشرك ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾، يعني الكافر. قال: ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾، يقول: الشرك ليس له أصلٌ، يأخذ به الكافرُ ولا برهانٌ، ولا يقبل اللهُ مع الشرك عملًا.

ورَوى العَـوفيُّ عنـه أنَّـه قـالَ: الكافِـرُ لا يُقبـل عمَلُـه، ولا يصْعـدُ إلى اللهِ عـزَّ وجـلَّ، فليْـس لـه أصْـلٌ في الأرْضِ ثابِـتٌ، ولا فـرْعٌ في السَّـماءِ[1].

والثَّالث: أنَّها الكَشُوثَى[2] رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والرَّابع: أنَّه مثَلٌ، وليْسَتْ شَجَرةً[4] مخْلُوقةً، رواه أبو ظَبْيانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والخامس: أنَّها الثُّومُ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا.

قوْله تعَالى: ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾.

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: اسْـتُؤصلَتْ وقُطعَـتْ[5]. قـالَ الزَّجَّـاجُ: ومعْنـى اجْتُثَّـتِ الـشَّيء في اللُّغـة: أُخـذتْ جُثَّتـه بكَمَاهِـا[6].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: مَا لَهَا مِن أصْلٍ، لم تَضرِبْ في الأرْضِ عِرقًا.

والثَّاني: مَا لَهَا مِن ثَبَاتٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (١٦/ ٥٨٦) (٢٠٧٥٠).

(٢) الكَشُـوثَى: نبـت يتعلـق بالأغصـان، ولا عـرق لـه في الأرض. انظـر: القامـوس المحيـط مـادة: (ك ش ث).

(٣) أخرجـه الطـبري تفسـيره (١٥/ ١١٥)، وذكـره الثعلبـي في الكشـف والبيـان (١٦/ ٣٨٤)، والواحـدي في التفسـير البسـيط (١٢/ ٤٦٩).

(٤) في (ج)، و(ر)، و(م): بشجرة.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦١).

ومعْنَى تَشْبيهِ الكافِرِ بهذِه الشَّجرةِ أنَّه لا يصْعدُ للكافِرِ عمَلٌ صالِحٌ، ولَا قوْلٌ طيِّبٌ، ولَا لقوْلِه أصْلٌ ثابتٌ.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: يُثبّتُهم علَى الحقِّ بالقوْلِ الثَّابتِ، وهوَ[١] شهادَةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ الحياةَ الدُّنيا: زمَانُ الحياةِ علَى وجْهِ الأرْضِ، والآخِرَةَ: زمَانُ المُساءلَةِ في القبْرِ، وإلى هذا المعْنَى ذهَب البَراءُ بْنُ عازبٍ، وفيهِ أحاديثُ تُعضِّدُه.

والثَّاني: أنَّ الحياةَ الدنيا: زَمنُ السُّؤالِ في القبر، والآخرةَ: السُّؤالُ في القيامَةِ، وإلى هذا المعْنَى ذهَب طاووسٌ، وقتادَةُ.

قالَ المُفسِّرون: هذِه الآيةُ وردَتْ في فتْنةِ القبرِ، وسؤَالِ المَلكيْنِ، وتلقِينِ اللهِ سبحانَه وتعَالى للمُؤمنِين كلمةَ الحقِّ عند السُّؤال، وتثْبيتِه إيَّاه علَى الحقِّ.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعْني: المُشركين، يُضلّهم عن هذِه الكلمَةِ. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من هدايةِ المُؤمنِ وإضْلالِ الكافر.

---

(١) في (ف): وهو قوله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾.

في الْمُشار إليْهم سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: أنَّهُم الأفجَرانِ مِن قُريش: بنو أميةَ، وبنو الْمُغيرةِ، رُوي[١] عنْ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ، وعليِّ بْنِ أبي طالِبٍ عليهما السلام.

والثَّاني: أنَّهُم مُنافقو قُريشٍ، رَواه أبو الطُّفيل عن عليٍّ عليه السلام[٢].

والثَّالث: بنُو أُميَّةَ، وبنُو الْمُغيرةِ، ورُؤساءُ أهْل بدْرٍ الَّذين ساقُوا أهْلَ بدْرٍ إلى بدْرٍ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أهْل مكَّةَ، رَواه عطاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والخامس: الْمُشركون مِن أهل بدْرٍ، قاله مُجاهدٌ، وابْنُ زيْدٍ.

والسَّادس: أنَّهُم الَّذين قُتلوا ببدْرٍ مِن كُفَّارِ قُريشٍ، قالَه[٣] سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وأبو مالِكٍ.

والسَّابع: أنَّها عامَّةٌ في جميع الْمُشركينَ، قالَه الحسَنُ.

---

(١) في (ف): وروي.

(٢) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٧) من طريق شعبة به، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٥) من طريق أبي الطفيل علي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٤) إلى ابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه.

(٣) في (ف): رواه.

قَالَ الْمُفسِّرون: تبدِيلُهم[١] نعمَةَ اللهِ [كفرًا][٢]، أنَّ اللهَ أنْعم عليْهم برسُولِه، وأسْكنَهُم حرمَهُ، فكفَرُوا باللهِ وبرسولِه، ودعوا قومَهم إلى الكُفر به، [٤٣٣/ ب] فذلِك قوْلُه تعالى: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾؛ أي: الهلاك.

ثُمَّ فسَّر[٣] الدَّارَ بقوْلِه: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾[إبراهيم: ٢٩]؛ أي: يُقاسُون حرَّها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[إبراهيم: ٢٩]؛ أي: بئس المقَرُّ هِي.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٣٠].

قوْلُه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قد بينَّاه في [سورة][٤] البقرة [آية: ٢٢]، واللَّام في «لِيضلُّوا» لامُ العاقبةِ[٥]، وقد سبَق شرْحُها [يونس: ٨٨]، ومَن قرَأَ «ليُضلُّوا» بضَمِّ الياءِ[٦]، أراد: لِيُضلُّوا النَّاسَ عن دينِ اللهِ سبحانه وتعالى.

قوْلُه تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾؛ أي: في حياتِكمُ الدُّنيا، وهذا وعِيدٌ لهم.

---

(١) في سائر النسخ: وتبديلهم.

(٢) من (ر)، و(م).

(٣) في (ج): فسروا.

(٤) من (ف)، و(م).

(٥) هي التي يسميها الكوفيون لام الصيرورة: هذه اللام ناصبة لما تدخل عليه من الأفعال بإضمار أن، والمنصوب بعدها بتقدير اسم مخفوض، وهي ملتبسة بلام المفعول من أجله، وليست بها، وذلك قولك: أعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فأدعمه بها، وأنت لم ترد ميل الحائط ولا أعددتها للميل؛ لأنه ليس من بغيتك وإرادتك ولكن أعددتها خوفًا من أن يميل فتدعمه بها واللام دالة على العاقبة.

(٦) قراءة الضم والفتح قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

قـالَ ابْـنُ عبَّاسٍ: لو كانَ الكافِـرُ مريضًا لا ينامُ، جائعًا لا يـأكُلُ ولا يشْربُ، لَـكانَ هـذَا نعيمًا يتمتَّـعُ بـهِ بالقِيـاسِ إلى مـا يصِيـرُ إليْـهِ مِـنَ العـذابِ، ولـو كان الْمُؤمـنُ في أنْعَـمِ عيْشٍ، لَـكان بُؤسًـا عندما يصِيـر إليه مِـنْ نعيم الآخِـرَة(١).

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ٣١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ ﴾ [إبراهيم: ٣١ - ٣٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أسْـكنَ ابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ يـاءَ «عِبَـادِيْ»(٢).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قـالَ ابْـنُ الأنبـاريِّ: معْنـاه: قُـلْ لِعبـادِي: أقِيمُـوا الصَّـلاةَ وأنفِقـوا، يُقيمـوا ويُنفقـوا، فحُـذف الأمْـران، وتُـرك الجَوابَـانِ(٣)، قـال الشَّـاعر [مـن المتقـارب]:

فَـأيّ امْـرِئٍ أنْـتَ أيّ امْـرِئٍ إذَا قِيـلَ فِي الْحَـرْبِ مَـنْ يُقْـدِمُ(٤)

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٧٧).

(٤) البيـت للكميـت بـن زيـد الأسـدي في المعـاني الكبيـر؛ لابـن قتيبـة (١/ ٤١٩)، والأزمنـة=

أراد: إذا قِيل: مَن يُقدم؛ يُقدم(١).

ويجُوز أنْ يكُونَ المعْنَى: قُل لعِبادي: أقِيمُوا الصلاة، وأنْفِقوا، فصُرف عن لفْظِ الأمْرِ إلى لفْظِ الخبَرِ، ويجُوز أن يكُونَ المعْنَى: قُل لهُم: لِيقيمُوا الصَّلاة، ولِينفقُوا، فحُذفت(٢) لامُ الأمْر؛ لِدلالةِ «قُلْ» علَيهَا(٣).

قالَ ابنُ قُتيبةَ: والخِلالُ مصْدرُ خالَلْتُ فُلانًا خِلالًا ومُخالَّةً، والِاسْمُ الخُلَّة، وهيَ الصَّداقةُ(٤).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾؛ أي: ذللَّها، تجري حيث تُريدون، وتركبُون فيهَا حيث تشَاؤُونَ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِتنتفعوا بِهما وتَستَضِيئُوا بضوْئِهما ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ في إصْلاح ما يُصلحَانِه مِنَ النَّباتِ وغيرِه، لا يفتُرانِ.

ومعْنَى الدُّؤوب: مرُور الشَّيءِ في العمَلِ على عادةٍ جاريةٍ فيهِ. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لِتسْكنوا فيه؛ راحةً لِأبْدانِكم ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لِتنتفِعُوا بمعاشِكُم، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.

=والأمكنة (ص: ٤٩٠)، ولكن رواية العجز فيها: إذا الزجر لم يَستَدِرّ الزّجورا.

(١) في (م): تقدم.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(ر): فحذف.

(٣) انظر: البيان في غريب الإعراب؛ لابن الأنباري (٢/ ٥٩)، والإملاء؛ للعكبري (٢/ ٦٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

وفيهِ خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّ المعْنَى: مِن كُلِّ الَّذي سأَلْتمُوه، قالَهُ الحسَنُ، وعكرِمَةُ.

والثَّاني: مِن كُلِّ مَا سألْتموه، [لوْ سأَلْتموه][1]، قالَه الفرَّاءُ[2].

والثَّالث: وآتاكُم مِن كُلِّ شيْءٍ سأَلْتمُوه شيْئًا، فأضمَر الشَّيءَ؛ كقوْلِه: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ أي: مِن كُلِّ شيْءٍ فِي زمانِهَا شيْئًا، قالَه الأخْفشُ[3].

والرَّابع: مِن كُلِّ ما سأَلْتمُوه، وما لم تَسْأَلُوه؛ لأنَّكم لم تسأَلُوا شمسًا ولا قمرًا ولا كثيرًا مِن النِّعَم الَّتي ابْتدأكم بِهَا، فاكْتفي بالأوَّلِ مِنَ الثَّاني؛ كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] قالَه ابْنُ الأنْبارِيِّ[4].

والخامس: علَى قِراءة ابْن مسْعُودٍ، وأبي رَزِين، والحسَنِ، وعِكرِمَةَ، وقتادَةَ، وأبان عنْ عاصِمٍ، وأبي حاتمٍ عن يعْقُوبَ: «مِن كلٍّ مَا» بالتَّنوينِ مِن غيرِ إضَافةٍ[5]، [٤٣٤/أ] فالمْعْنَى: آتاكم مِن كُلٍّ مَا لم تسْأَلُوه، قالَه قتادةُ، والضَّحَّاكُ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (م): سألتوه، بدل: سألتموه.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٧٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٢).

(٥) قراءة شاذة، رواها محمد بن إسحاق المسيبي عن أبيه عن نافع، كما في جامع البيان (٣/ ١٢٥٨)، وليست من طرق التيسير ولا النشر، وعزاها في المحتسب (١/ ٣٦٣) إلى ابن عبَّاس والحسن والضَّحاك، وزاد الثعلبي (١٥/ ٣٩٦) سلامًا، والكل في البحر المحيط (٦/ ٤٤٠).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنعامَـهُ ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تُطِيقـوا الإِتْيـانَ عـلَى جميعِهَـا بالعـدِّ لِكثْرتِهَـا. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: يُريـد أبـا جهْـلٍ[١].

وقالَ الزَّجَّاج: الإِنْسانُ اسْمٌ للجنْسِ[٢] يُقصد بِهِ الكافِرُ خاصَّةً[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ الظَّلُـوم هَاهُنـا: الشَّـاكرُ غـيْرَ مَـنْ أَنعَـمَ عليـه، والكَفَّـارُ: الجحُـودُ لِنعَـمِ اللهِ تعـالى.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ قـد سـبَق تفْسـيرُه في [سـورة][٤] البقـرةِ [آيـة: ١٢٦].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾؛ أي: جنِّبنـي وإيَّاهـم، والمعْنَـى: ثبِّتْنِـي عـلَى اجْتِنـابِ عبادتِهَـا. ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعْنِـي: الأَصْنـامَ، وهـيَ لَا تُوصـف بالإِضْـلالِ ولَا بالفعْـلِ، ولكنَّهـم لَمَّـا ضلُّـوا بسـببِهَا، كانَـتْ كأنَّهَـا أضلَّتهـم.

﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾؛ أي: عـلى دينِـي التَّوحيـد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾؛ أي: فهـو عـلى ملَّتِـي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيـهِ ثلاثَـةُ أقْـوالٍ:

أحدُها: ومَن عصَانِي ثُم تابَ فإنَّك غفورٌ رحيمٌ، قالَه السُّدِّيُّ.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٢).

(٢) في (ف): الجنس.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٤).

(٤) من (م).

والثَّاني: ومَن عصَاني فيما دُون الشِّرْكِ، قالَه مُقاتِلُ بْنُ حيَّان.

والثَّالث: ومَن عصَاني فكفَر فإنَّك غفورٌ رحيمٌ أنْ تتوبَ عليْه فتهديَه إلى التَّوْحيدِ، قالَه مُقاتلُ بْنُ سُليمانَ(١).

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: يُحتمل أن يكونَ دعا بِهذا قبْلَ أنْ يُعلمَه اللهُ تعَالى أنَّه لا يغْفِر الشِّرْكَ كما اسْتغْفَر لِأبيهِ(٢).

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ في «مِنْ» قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها للتَّبْعيضِ، قالَه الأخْفشُ(٣)، والفرَّاءُ(٤).

والثَّاني: أنَّها للتَّوْكيدِ، والمعْنَى: أسكنْتُ ذرِّيتي، ذكرَه ابْنُ الأنْباريِّ(٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ يعْني: مكَّةَ، ولم يكُن فيها حرْثٌ ولا ماءٌ. ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ إنَّما سُمِّي مُحرَّمًا؛ لأنَّه يحْرُم اسْتحْلَالُ حُرْمتِه(٦)

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٤) معاني القرآن (٧٨).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٧).

(٦) في (ج)، و(ف): حرماته، وفي (م): محرماته.

والاِسْتِخْفافُ[١] بحقِّه.

فإنْ قيلَ: ما وجْهُ قوْلِه تعَالى: ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ ولم يكُنْ هُناك بيْتٌ حينئذٍ، إنَّما بنَاه إبْراهِيمُ عليه السَّلام بعد ذلِك بِمُدَّةٍ؟

فالجوَابُ مِن ثَلاثةِ وُجوهٍ[٢]:

أحدُها: أنَّ اللهَ تعالى حرَّم موضِعَ البيْتِ منْذ خلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: عند بيْتِك الَّذِي كان قبْلَ أنْ يُرفعَ أيَّامَ الطُّوفانِ.

والثَّالث: عند بيْتِك الَّذي قد جرَى في سابقِ علْمِكَ أنَّه يحدُث هاهُنا، ذكرَهُما ابْنُ جريرٍ[٣].

وكانَ أبو سُليمانَ الدِّمَشقيُّ يقُولُ: ظاهِرُ الكلامِ يدُلُّ علَى أنَّ هذا الدُّعاءَ إنَّما كانَ بعْدَ أنْ بُنِي البيتُ وصارتْ مكَّةُ بلدًا. والْمُفسِّرُون على خلافِ ما قالَ.

ورَوى ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ: أنَّ إبْراهيمَ عليه السلام خرَجَ مِنَ الشَّامِ ومعَهُ ابْنُه إسْماعيلُ وأمُّه هاجَرُ ومعَهُ جبْرِيلُ عليه السلام، حتَّى قدِم مكَّةَ، وبِها ناسٌ يُقالُ لهُم: العَمالِيقُ، خارجًا مِنْ مكَّةَ، والبيْتُ

---

(١) في (ف): واستخفاف.

(٢) في (ج): أوجه.

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٢٤).

يومَئذٍ رَبْوَةٌ حمْراءُ، فقَالَ إبْراهيمُ لجِبريلَ عليه السلام: هَاهُنا[1] أُمِرْتُ أنْ أضَعَهُما؟ قالَ: نعَمْ! فأنزَلَهما[2] في مكَانٍ مِن الحِجْرِ، وأمَرَ هاجَرَ أنْ تتَّخِذَ فيهِ عَرِيشًا، ثُمَّ قالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾... الآيةَ[3].

[٤٣٤/ب] وفتَح أهْلُ الحجَازِ، وأبو عمْرٍو ياءَ «إنِّيَ أسْكَنْتُ»[4].

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في متعلَّق هذِه اللَّامِ قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّها تتعلَّق بقوْلِه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ **فالمعْنى**: جنِّبْهُم الأصْنَامَ ليقيمُوا الصَّلاةَ، هذا قوْلُ مُقاتِلٍ[5].

والثَّاني: أنَّها تتعلَّقُ بقوْلِه: ﴿أَسۡكَنتُ﴾ **فالمعْنى**: أسكَنْتُهم عنْدَ بيْتِك ليقِيمُوا الصَّلاةَ؛ لأنَّ البيْتَ[6] قِبلةُ الصَّلواتِ، ذكَرَه الْماورديُّ[7].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: قلُوبَ جماعةٍ مِنَ النَّاسِ، [قالَه الأكْثَرُون][8].

---

(١) في (ف)، و(م): أهاهنا.

(٢) في (ف): فابن لهما.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٢) (٢٠٤٨)، والأزرقي في أخبار مكّة (١/ ٢١- ٢٢) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٥)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٦) في (ر)، و(م): بيتك.

(٧) النكت والعيون (٣/ ١٣٨).

(٨) من (ج).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما عبَّرَ عنِ القُلوبِ بالأفئِدَةِ؛ لِقرْبِ القلْبِ مِنَ الفُؤادِ ومُجاورتِه[1]، قالَ امْرُؤُ القيس [من المتقارب]:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ[2]

وقالَ الآخر[3] [من الطويل]:

كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وِكْرِ[4]

وقالَ الآخَرُ[5] [من الطويل]:

وَإِنَّ فُؤَادًا قَادَنِي لِصَبَابَةٍ إِلَيْكِ عَلَى طُولِ الْهَوَى لَصَبُورُ[6]

يعْنُون بالفُؤاد: القلْبَ.

قوْله تعَالى: ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾.

---

(١) انظر قول ابن الأنباري في تفسير الخازن (٣/ ٤١).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١٠٥)، وأشعار الستة الجاهليين (ص: ٢٠)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٣)، والمقاصد النحوية (١/ ١٦٥).

(٣) في (ف)، و(م): آخر.

(٤) البيت ليحيى بن طالب الحنفي في أمالي القالي (١/ ١٢٣)، والحماسة البصرية (٢/ ١٣٦)، والتذكرة الحمدونية (٦/ ٧١).

(٥) في (ج)، و(م): آخر.

(٦) البيت بلا نسبة في النكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٣٨).

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: تحِنُّ إليْهِم[١]. وقالَ قتادَةُ: تنْزِعُ إليهِم[٢]. وقالَ الفرَّاء[٣]: تُريدُهم، كما تقُول: رأيْتُ فلانًا يهْوِي نَحْوك؛ أي: يُريدك[٤].

وقرَأ بعْضُهم: «تَهْوَى إِلَيْهِم» بمعنى: تَهْوَاهُم[٥]؛ كقوْلِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]؛ أي: ردِفكُم «وإلى» توكيدٌ للكلامِ.

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ﴿تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ تنْحطُّ إليهِم وتنْحَدِر[٦].

وفي معْنى هذا المْيْل إليهم[٧] قوْلَانِ:

أحدهما: أنَّه المْيلُ إلى الحجِّ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: أنَّه حُبُّ سُكْنَى مكَّةَ، رَواه عطيَّة عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٨].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٩) من رواية عطاء عن ابن عبَّاس، بلفظ: يريد تحِنُّ إليهم زيارة بيتك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦) عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور في الدر المنثور (٤/ ٨٧) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٣) في (ج): وقال ابن الأنباري.

(٤) معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٨).

(٥) قراءة شاذة، انظر عزوها في معاني القرآن (٣/ ٥٣٦)؛ للنحاس إلى مجاهد.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٩) بلا نسبة.

(٧) ليست في سائر النسخ.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦)، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال: إن إبراهيم خليل الرحمن سأل الله أن يجعل أناسًا من الناس يَهوون سكنى أو سَكْن مكة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٧) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

ورَوى سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: لو كانَ إبْراهِيمُ قالَ: فاجْعلْ أفْئدةَ النَّاسِ تَهْوي إليْهِم، لحَجَّهُ اليهودُ والنَّصارى، ولكنَّه قالَ: مِنَ النَّاسِ(١).

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قوْلُه تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ قالَ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: مَا نُخْفِي مِن الوجْدِ بمفَارقةِ(٢) إسْماعيلَ، ومَا نُعلن مِنَ الحبِّ له(٣).

قالَ الْمُفسِّرونَ: إنَّما قالَ هذا لَمَّا نزَلَ إسْماعيلُ الحرَمَ، وأرَادَ فِراقَهُ.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩ - ٤٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾؛ أي: بعْدَ الكِبَرِ ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وُلِدَ له إسْماعِيلُ وهوَ ابْنُ تسْعٍ وتسْعِينَ سنةً(٤)، ووُلِدَ له إسْحاقُ وهوَ ابْنُ مائةٍ واثْنَتي عشْرَةَ سنَةً(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦) عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٤٣٨) (٣٩٩٦) من طريق عطاء.

(٢) في (ف): من مفارقة.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٠٣).

(٤) ليست في (م).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٠٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٩٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرٍو، وحمْـزةُ، وهُبـيرةُ عـنْ حفْـصٍ عـنْ عاصِـمٍ: «وتَقَبَّلْ دُعَائِـي» بيـاء في الوصـل. وقـالَ البـزّي عـنِ ابْـنِ كثِـيرٍ: يصِـل ويقِـفُ بيـاءٍ. وقـالَ قُنبل عـنِ ابْـنِ كثِـيرٍ: يشـمُّ اليـاءَ في الوصْـل، ولا يُثْبتهـا، ويقِـفُ عليْهَـا بالألِـف البَاقُـون «دعَـاءِ» بغـيْر يـاءٍ في الحالَـيْنِ[١].

قـالَ أبـو عـليٍّ: الوقْـفُ والوصْـلُ بيـاءٍ هـوَ القيـاسُ، والإشْـمامُ جائـزٌ؛ لِدلالـةِ الكسْرةِ عـلَى اليـاءِ[٢].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

قوْلُه تعَالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: اسـتَغْفَر لأبويْـهِ وهمَـا حيَّـانِ، طمَعًـا في أنْ يهديَـا إلى الإسْـلام[٣]. وقيـل: أراد بوالِدَيْـهِ: آدمَ، وحـوَّاءَ. [٤٣٥/أ]

وقـرَأ ابْـنُ مسْـعودٍ، وأُبيٌّ، النَّخعـيُّ، والزُّهـريُّ: «وَلِوَلَـدَيَّ» يعْنـي: إسْـماعِيلَ وإسْـحاقَ، يـدلُّ عليـهِ ذكْرُهمـا قبْـلَ ذلِـك. وقـرَأ مُجاهِـدٌ: «ولِوَالِـدِي»

---

(١) قـراءة سـبعية، انظـر: التيسـير (ص: ١٣٥)، وحاصـل طـرق التيسـير أن هـذه الكلمـة ثـلاث قـراءات؛ **الأولى**: قـراءة الجمهـور بكـسر الهمـز وحـذف اليـاء وصْـلًا ووقفًـا، وهـي لابـن عامـر وعاصـم والكسـائي ونافـع مـن روايـة قالـون، وابـن كثـير مـن روايـة قنبـل، **والثانيـة**: إثبـات اليـاء وصْـلًا ووقفًـا، وهـي لحمـزة وأبي عمـرو وورش عـن نافـع، **والثالثـة**: بإثباتهـا في الحالـين، وهـي للبـزي عـن ابـن كثـير.

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٤-٣٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٩٢- ٤٩٣).

علَى التَّوْحيدِ. وقرَأَ عاصِمٌ الجحْدَرِيُّ: «ولوُلْدِي» بضمِّ الواوِ. وقرَأ يَحْيى ابنُ يعْمُرَ، والجُونيُّ: «ولِوَلَدِي» بفتْحِ الواوِ وكسْرِ الدَّالِ علَى التَّوحيدِ[١].

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾؛ أي: يُظهر الجزاءَ[٢] علَى الأعْمالِ. وقيلَ: معْنَاه: يوْمَ يقُوم النَّاسُ للحِساب، فاكْتَفى بذكْرِ الحسَابِ مِن ذكْرِ النَّاسِ؛ إذ كانَ المْعْنَى مفْهُومًا.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: هذَا وعِيدٌ للظَّالِمِ، وتعزيةٌ للمظْلُومِ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ وقرَأَ أبو عبْدِ الرَّحمن السُّلميُّ، وأبو رَزِينٍ، وقتَادَةُ: «نُؤخِّرُهم» بالنُّون[٤]؛ أي: نُؤخِّر[٥] جزاءَهم ﴿لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ

(١) كلها شاذة، انظر عزوها في: المحتسب (١/ ٣٦٥)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٢)، والكامل (ص: ٢٠٨).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨- ٢٩)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٦٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٣- ٨٤) عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال: هي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

(٤) قراءة شاذة، عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٦٢) إلى الحسن وقتادة والسلمي، وعباس عن أبي عمرو والمفضل عن عاصم، وعن سعيد بن جبير (يؤخرْهم) بسكون الراء.

(٥) في (م): يؤخر.

فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: تشْـخصُ أبْصـارُ الخلائـقِ لِظُهـور الأحْـوال فـلا تغتمـضُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فيهِ ثَلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدهـا: أنَّ الإهْطـاعَ: النَّظـرُ مِـن غـيْرِ أنْ يطْـرُفَ النَّاظـرُ، رواهُ العـوْفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١)، وبـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ، والضَّحَّـاكُ، وأبـو الضُّحَـى.

والثَّاني: أنَّه الإسْرَاعُ، قالَه الحسَنُ، وسعِيدُ بنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وأبو عُبيدةَ(٢).

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: أهْطَعَ(٣) البَعِيرُ فِي سَيْرِه، واسْتَهْطَعَ؛ إذَا أسْرَعَ(٤).

وفِي مَا أسْرَعُوا إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: إلى الدَّاعِي، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: إلى النَّار، قالَه مُقاتِلٌ(٥).

والثَّالث: أنَّ الْمُهطعَ الَّذي لا يرْفَع رأسَه، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدهمـا: رَافعِي رُؤُوسِـهِم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّـاسٍ(٦)، وبه قالَ مُجاهِدٌ،

(١) أخرجـه الطـبري في تفسيره (١٧/ ٢٩)، وعـزاه السـوطي في الـدر المنثـور (٦/ ١٣٤) إلى ابـن جريـر وابـن أبي حاتـم، عـن ابـن عبَّـاس.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٣).

(٣) في (ف): هطع.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٠)

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣١- ٣٢).

وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وأبُو عُبيدَةَ، وأنْشَد أبو عُبيدة[١] [من الرجز]:

أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ فَأَقْنَعَا[٢]
كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا[٣]

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الْمُقنِعُ رأسَه: الَّذي رفعَه وأقبلَ بطرفِه علَى ما بيْنَ يدَيْهِ[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: رافِعِي رُؤوسِهِم، مُلتصِقةً بأعْناقِهِم. و ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ نُصب على الحالِ، المعْنَى: ليومٍ تشْخصُ فيهِ أبْصارُهُم مُهطِعِينَ[٥].

والثَّاني: نَاكِسِي رُؤُوسِهِم، حكَاهُ الْماوردِيُّ عنِ الْمُؤرج[٦].

قوْلُه تعالَى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ أي: لا يرْجِعُ[٧] إليْهِم أبْصارُهُم مِن شدَّةِ النَّظرِ، فهِيَ شَاخِصةٌ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).

(٢) في سائر النسخ: وأقنعا.

(٣) الرجز بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٤٠٨)، وحياة الحيوان (٢/ ٤٩٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٥- ١٦٦).

(٦) النكت والعيون (٣/ ١٤٠).

(٧) في (م): ترجع.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: والْمَعْنى: أنَّ نظرَهُم إلى شيْءٍ واحِدٍ[١]. وقالَ الحسَنُ: وجُوه النَّاسِ يوْمَ القِيامةِ إلى السَّماءِ، لا ينْظُر أحَدٌ إلى أحَدٍ[٢].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ الأفئِدَةُ: مسَاكنُ القُلُوبِ.

وفِي معْنَى الكلَامِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ القُلوبَ خرَجتْ مِن مواضعِهَا فصَارتْ في الحَناجرِ، رَواهُ عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

وقالَ قتادَةُ: خرَجتْ مِن صُدورِهِم فنَشَبتْ فِي حُلوقِهِم، فأفئِدَتُهُم هواءٌ ليْسَ فيهَا شَيْءٌ[٤].

[٤٣٥/ب] والثَّاني: وأَفْئِدتُهُم ليْس فيهَا شيْءٌ مِنَ الخَيْرِ، فهِي كالخَرِبَةِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥].

والثَّالث: وأفئِدتُهم مُنخَرِقَةٌ[٦] لَا تعِي شيئًا، قالَه مُرَّةُ بنُ شَراحِبِيلَ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٥٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٠٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٠٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٠١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٤٣)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٤) عن معمر عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٨) إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٣).

(٦) في (م): مُتخرِّقة.

وقالَ الزَّجَّاجُ: مُتخرِّقَةٌ[(١)] لَا تعِي شيْئًا مِنَ الخوْفِ[(٢)].

والرَّابع: وأفئِدتُهُم جوْفٌ لا عُقولَ لَهَا[(٣)]، قالَه أبو عُبيدةَ[(٤)]، وأنْشد لِحسَّانَ [من الوافر]:

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[(٥)]

فعلَى هذَا يكُون المْعْنَى: أنَّ[(٦)] قُلوبَهُم خلَتْ عنِ العُقولِ، لَمَّا رَأَوْا مِنَ الهَوْلِ. والعَربُ تُسمِّي كُلَّ أجْوفَ خاوٍ: هوَاءً.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ويُقال: أفْئدتُهم مَنْخُوبَةٌ مِنَ الخوْفِ والجُبْنِ[(٧)].

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: خوِّفْهُم ﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ يعْنِي بهِ: يوْمَ القيامَةِ؛ وإنَّما خصَّه بذكْرِ العذَابِ، وإنْ كان فيهِ ثوابٌ؛ لأنَّ الكلامَ

---

(١) الذي في معاني الزجّاج المطبوع: منحرفة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٦).

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).

(٥) البيت لحسان في مجاز القرآن (١/ ٣٤٤)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للنحس (٣/ ٥٤١)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٤٠٩).

(٦) ليست في (ج)، و(ف).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

خرج مخرجَ التَّهديدِ للعُصاةِ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد بالنَّاس هاهُنا: أهْلَ مكَّةَ[١].

قوْلُه تعالى: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: أشْركُوا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: أمْهلْنا[٢] مُدَّةً يسيرةً.

وقالَ مُقاتِلٌ: سألُوا الرُّجوعَ إلى الدُّنْيا؛ لأنَّ الخُروجَ مِنَ الدُّنْيا قريبٌ[٣]. ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ يعْنِي: التَّوحيدَ، فيُقالُ[٤] لهُم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: حلفْتُم في الدُّنْيا أنَّكُم لا تُبعثُونَ ولا تنْتَقِلُونَ مِنَ الدُّنيا إلى الآخِرَةِ.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: ٤٥].

قوْلُه تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: نزَلْتُم في أمَاكِنِهم وقُراهُم؛ كالحِجْرِ ومدْينَ، والقُرى الَّتي عُذِّب أهْلُها. ومعْنَى ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ [أي][٥]: ضَرُّوها[٦] بالكُفْرِ والمعْصِيةِ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٥)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٤).

(٢) في (ج): مهلنا.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٠).

(٤) في (ف): فقال.

(٥) من (م).

(٦) في (ج): صيروها.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلمِيُّ، وأبو الْمُتوكّل النَّاجي: «وتُبُيِّنَ» بضمِّ التَّاء[1]. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيفَ عذَّبناهُم، (يقُول: فكان)[2] ينبَغِي لكُم أنْ تنزَجِرُوا عنِ الْمُخالفةِ اعْتبارًا بمساكِنِهم بعْدَما علِمْتُم فعْلَنا بِهِم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد الأمْثَالَ الَّتِي فِي القُرآنِ[3].

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦ - ٤٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾.

فِي الْمُشار إليْهِم أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه نَمْرودُ الَّذي حاجَّ إبْراهِيم فِي ربِّه.

قالَ: لا أنْتهِي حتَّى أنْظُرَ إلى السَّماءِ، فأمَر بِفرْخَيْ نَسْرٍ فرُبِّيَا حتَّى سَمِنَا واسْتَغْلَجَا، ثُمَّ أمَر بِتابُوتَ فنُحِتَ، ثُمَّ جعَلَ فِي وسَطِهِ خشَبَةً، وجعَل على

---

(١) قراءة شاذة، والرواية عن السلمي: (وبُينَ) الرفع من بين، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٦)، وعزاها ابن عطية في تفسيره (٥/ ٦٨١) إلى السلمي بنون عظمة مضمومة وجزم (ونُبَيِّنْ)، وانظر أيضًا: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٩)، والبحر المحيط (٥/ ٤٣٦).

(٢) في (ج): وكان.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٥).

رأسِ الخشَبَةِ لحْمًا شدِيدَ الحُمْرةِ، ثُمَّ جوَّعهُما وربطَ أرْجُلَهُما بأَوْتارٍ إلَى قوائِمِ التَّابوتِ، ودخلَ هوَ وصاحِبٌ له فِي التَّابوتِ وأغْلَق بابَه، ثُمَّ أرسَلَهُما، فجعَلا يُريدَانِ اللَّحْمَ، فصَعِدَا فِي السَّماءِ مَا شاءَ اللهُ، ثُمَّ قالَ لِصاحِبه: افْتَحْ وانْظُر ماذَا تَرَى؟ ففتَحَ، فقَال: أرى الأرْضَ كأنَّها الدُّخانُ، فقَالَ له: أغْلِقْ، ثُمَّ صعِدَ مَا شاءَ اللهُ، ثُمَّ قالَ له[1]: افْتَحْ [فانْظُر][2]، ففتَحَ، فقَالَ: ما أرَى إلَّا السَّماءَ، ومَا نَزْدادُ منْها إلَّا بُعْدًا، قالَ: فصَوِّبْ خشَبَتَك، فصَوَّبَها، فانْقَضَّتِ النُّسورُ تُريدُ اللَّحمَ، فسَمِعَتِ الجبالُ هَدَّتَها، فكادَتْ تَزُولُ عنْ مَراتِبِها، هذَا قوْلُ عليِّ بْنِ [٤٣٦/أ] أبي طَالبٍ عليه السَّلام[3].

وفي رِوايةٍ عنْهُ: كانَتِ النُّسُور أرْبعَةً.

ورَوى السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه: أنَّه ما زَالَ يَصْعَدُ إلَى أنْ رَأَى الأرْضَ يُحِيطُ بِها بحْرٌ، فكَأنَّها فَلْكةٌ فِي مَاءٍ، ثُمَّ صعِدَ حتَّى وقَع فِي ظُلْمةٍ، فلَمْ يَرَ مَا فوْقَهُ ولم يَرَ مَا تحْتَهُ، ففَزِعَ، فصَوَّبَ اللَّحْمَ، فانْقَضَّتِ النُّسورُ، فلمَّا نزَلَ أخذَ فِي بِناءِ الصَّرْحِ، ثُمَّ صعِدَ منْهُ معَ النُّسورِ، فلَمَّا لَمْ يقْدِرْ علَى السَّماءِ، اتَّخذَه حِصْنًا، فأتَى اللهُ بُنْيانَهُ مِنَ القَواعِدِ[4].

---

(١) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩)، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٩) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري.

(٤) انظر: بحر العلوم (٢/ ٢٤٨).

وقالَ عِكْرِمَةُ: كانَ معَهُ في التَّابوتِ غُلامٌ قد حمَلَ القوْسَ والنُّشَّابَ، فرَمَى بسَهْمٍ فعَادَ إليْهِ مُلطَّخًا بالدَّمِ، فقَال: كُفِيتَ إلهَ السَّماءِ، وذلِك مِن دَمِ سَمكةٍ فِي بَحْرٍ مُعلَّقٍ فِي الهوَاءِ، فلَمَّا هالَه الارْتِفاعُ، قالَ لِصاحبِه: صوِّبِ الخشبَةَ، فصَوَّبَها، فانْحطَّتِ النُّسورُ، فظَنَّتِ الجبالُ أنَّه أمْرٌ نَزَل مِنَ السَّماءِ فزَالَت عنْ مَوَاضعِهَا(١).

وقالَ غيْرُه: لَمَّا رأتِ الجِبالُ ذلِك، ظنَّتْ أنَّه قِيامُ السَّاعةِ، وكادَتْ تَزُولُ، وإلى هذَا الْمَعْنَى ذهَب سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وأبو مَالِكٍ.

والقوْلُ الثَّانِي: أنَّه بختُنَصَّر، وأنَّ هذِه القِصَّة له جرَتْ، وأنَّ النُّسورَ لَمَّا ارْتفعَتْ تطْلُب اللَّحْم إلى حيْثُ [مَا](٢) شاءَ اللهُ تعَالى، نُودِي: يا أيُّها الطَّاغيةُ! أيْنَ تُريدُ؟ ففَرِقَ، ثُمَّ سمِعَ الصَّوْتَ فوْقَه، فنزَلَ، فلمَّا رأتِ الجِبالُ ذلِك، ظنَّتْ أنَّه قِيامُ السَّاعةِ فكادَتْ تزُولُ، وهذَا قوْلُ مجاهِدٍ.

والثَّالث: أنَّ الْمُشارَ إلَيْهِم الأُمَمُ الْمُتقدِّمةُ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ، [وعكْرِمةُ](٣): مكْرُهم: شِرْكُهُم(٤).

والرَّابع: أنَّهُمُ الَّذين مكَرُوا بِرسُولِ الله ﷺ حين همُّوا بقتْلِه وإخْرَاجِه.

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٦١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤١٣).

(٢) من (ج).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وفي معنى[١] قوْلِه تعَالى: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أَنَّه محْفُوظٌ عنْدَه حتَّى يُجازيَهم بهِ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ.

والثَّانِي: وعنْدَ اللهِ جزاءُ مكْرِهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾ وقرَأ أبو بكْرٍ، وعُمَرُ، وعلِيٌّ، وابْنُ مسْعُودٍ، [وأُبيٌّ][٢]، وابْنُ عبَّاسٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو العالِيَةِ: «وَإِنْ كَادَ [مكْرُهُم][٣]» بالدَّالِ[٤].

﴿لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ وقرَأ الأكْثَرُون «لِتَزُولَ» بكسْرِ اللَّام الأُولى مِن «لِتَزُولَ» وفتْحِ الثَّانيةِ. أرادَ: وما كانَ مكْرُهم لِتزولَ مِنَ الجبَالِ؛ أي: هوَ أضْعفُ وأوْهنُ، كذلِك فسَّرَها الحسَنُ البصريُّ.

وقرَأ الكِسائِيُّ: «لَتَزولُ» بفتْح اللَّام الأُولى وضمِّ الثَّانيةِ[٥]، أراد: قد

---

(١) ليست في سائر النسخ.

(٢) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٠-٤١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ١٨٧)، والقراءات الشاذة؛ لابن خالويه (ص: ٧٤)، والمحتسب (١/ ٣٦٥)، وإعراب القراءات وعللها (١/ ٣٣٧).

(٥) انظر قراءة الكسائي في التيسير (ص: ١٣٥)، وانظر القراءات الواردة في هذه الكلمة في البحر المحيط (٦/ ٤٥٤)، وانظر عزوها لعلي وابن عبَّاس وأنس ومجاهد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٠-٤١)، وعزاها الثعلبي (٥/ ٣٢٦) إلى ابن جريج، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٤) إلى ابن محيصن.

كادَتِ الجبَالُ تَزُولُ مِن مكْرِهِم، كذلِك فسَّرَهَا ابْنُ الأنْبَارِيِّ[١].

وفي الْمُراد بالجبَالِ قوْلانِ:

أحدهما: أنَّهَا الجبَالُ المَعْرُوفةُ، قالَه الجمْهُورُ.

والثَّاني: أنَّها ضُربتْ مثَلًا لأمْرِ النَّبيِّ ﷺ، وثُبُوتِ دينِه كثُبُوتِ الجبَالِ الرَّاسِيةِ، **والْمَعْنَى:** لو بلَغ كيْدُهم إلى إزَالةِ الجبَالِ، لَما زالَ أمْرُ الأسْلامِ، قالَه الزَّجَّاجُ[٢]. [٤٣٦/ ب]

قالَ أبو علِيٍّ: ويدلُّ على صحَّةِ هذَا قوْلُه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾؛ أي: فقَد وعَدَكَ الظُّهورَ عليْهم[٣].

قالَ ابْنُ عبَّاس: يُريد [بوعدِهِ][٤]: النَّصرَ والفتْحَ وإظْهارَ الدِّينِ[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أي: مَنيعٌ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِن الكافرين، وهو أن يُجازيَهم بالعُقوبةِ على كُفرِهم.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٦٦- ١٦٧).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٣).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥١٣).

وروى أبان (عن عاصم)(١) «يَوْمَ نُبَدِّلُ» بالنُّونِ وكسْرِ الدَّالِ «الأرْضَ» بالنَّصْبِ، «والسَّمواتِ» (بخفْضِ التَّاء)(٢)، ولا خلافَ في نصْبِ «غيْرَ»(٣).

وفي معْنى تبْدِيلِ الأرْضِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهَا تلْك الأرْضُ، وإنَّما يُزاد فيها وينْقص منْها، وتذْهَبُ آكامُهَا وجِبالُها وأوْدِيتُها وشجرُهَا، وتمدُّ مدَّ الأدِيم، رَوى هذَا المعْنى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقد رَوى أبو هُريرةَ عنِ رسُول اللهِ ﷺ «﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قَالَ: يبْسُطهَا(٤) ويَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ»(٥).

والثَّاني: أنَّهَا تبدَّل بغَيْرِها.

ثُمَّ فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهَا تُبدَّلُ بأرضٍ غيْرِها بيْضَاءَ كالفِضَّةِ لم يُعملْ عليْهَا خطِيئةٌ، رَواه عمْرُو بْنُ ميْمُون عنِ ابْنِ مسْعُودٍ، وعطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في الأصل: بالخفض، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٣)، والبحر المحيط (٥/ ٤٤٠).

(٤) كذا في الأصل، وفي (ف)، و(ر)، و(م): ببسطها.

(٥) جزء من حديث الصور الطويل، أخرجه الطبري (١٧/ ٤٩)، مختصرا، والطبراني في معجمه الكبير (٢٥/ ٢٦٦)، مطولًا، والبيهقي في البعث (ص: ٣٣٨) مطولًا، وطرفه: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور»، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤١٦) مختصرًا، والحديث ضعفه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٧) ووصفه بالنكارة؛ بسبب تفرد إسماعيل بن رافع، وهو منكر الحديث.

والثَّاني: أنَّهَا تُبدَّلُ نارًا، قالَه أُبيُّ بْنُ كعْبٍ.

والثَّالث: أنَّهَا تُبدَّلُ بأرْضٍ مِن فضَّةٍ، قالَه أنَسُ بْنُ مالِكٍ.

والرَّابع: تُبدَّلُ بخبزَةٍ بيْضاءَ، فيأْكُلُ الْمُؤمنُ مِن تحتِ قدَمَيْهِ، قالَه أبو هُريرةَ ﷺ، وسعيدُ بْنُ جُبير، والقُرظيُّ.

وقالَ غيْرُهم: يأْكُلُ منْهَا أهْلُ الإسْلامِ حتَّى يُفْرغَ مِن حِسابِهِم.

فأمَّا تبْدِيلُ السَّمواتِ ففيهِ(١) **سِتَّةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: أنَّها تُجعل مِن ذهبٍ، قالَه عليٌّ عليه السلام.

والثَّاني: أنَّهَا تصِيرُ جِنانًا، قاله أُبيُّ بْنُ كعْبٍ.

والثَّالث: أنَّ تبْديلَها: تكْويرُ شمْسِهَا وتنَاثرُ نُجومِهَا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّ تَبْديلَها: اخْتلافُ أحْوالِهَا، فمرَّةً كالْمُهلِ، ومرَّةً تكون كالدِّهانِ، قالَه ابْنُ الأنْبارِيِّ(٢).

والخامس: أنَّ تبْدِيلَها أنْ تُطْوَى كطيِّ السِّجل للكتَابِ.

والسَّادس: أنْ تنْشقَّ فلا تظَلّ، ذكرَهما الْماورديُّ(٣).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾؛ أي: خرَجُوا مِنَ القُبورِ.

---

(١) في (ج): فعنه.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥١٥).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٤٤).

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩ - ٥١].

قوْلُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعْني: الكُفَّارَ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ يُقال: قرنْتُ الشَّيءَ إلى الشَّيءِ: إذا وصلْتُه بهِ.

وفي معْنَى «مُقْرنِينَ» ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم يُقرَنُونَ معَ الشَّياطينِ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ أيديَهُم وأرْجُلَهم قُرنت إلى رِقابِهم، قالَه ابنُ زيْدٍ.

والثَّالث: يُقَرن بعْضُهم إلى بعْضٍ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ(١).

وفي الأصْفَاد ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الأغْلالُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ زيْدٍ، وأبو عُبيدةَ(٢)، وابْنُ قُتيبةَ(٣)، وابْنُ الأنْبارِيِّ(٤).

والثَّاني: القُيودُ والأغْلالُ، قالَهُ قتادَةُ.

والثَّالث: القُيود، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٥).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٤) شرح القصائد السبع (ص: ٤١٢).

فأمَّا السَّرابيلُ: فقَال أبو عُبيدةَ: هيَ القُمُص، واحِدُها: سِرْبالُ[١].

وقالَ الزَّجَّاج: السِّربالُ: كُلُّ مَا لُبِس[٢]. [٤٣٧/أ]

وفي القَطِرانِ ثلاثُ لُغاتٍ: فتْحُ القَافِ وكسْرُ الطَّاءِ، وفتْحُ القَافِ معَ تسْكِينِ الطَّاءِ، وكسْرُ القَافِ مع تسْكين الطَّاء.

وفي معْناه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه النُّحاسُ الْمُذاب، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه قَطِرانُ الإبِلِ، قالَهُ الحسَنُ، وهوَ شيْءٌ يُتحلَّبُ مِن شجَرٍ تَهْنأُ بهِ الأبِلُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وإنَّما جُعل لَهُم القَطِرانُ؛ لأنَّه يُبالغ في اشْتعالِ النَّارِ في الجلُودِ، ولو أرَاد اللهُ تعَالى الْمُبالغةَ في إحْراقِهم بغَيْر ذلِك لَقدرَ، ولكنَّه حذَّرَهم مَا[٣] يعرفُون حقِيقتَه[٤].

وقرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو رَزينٍ، وأبو مجلزٍ، وعِكرمَةُ، وقتادَةُ، وابْنُ أبي عبْلَة، [وأبو حاتِمٍ][٥] عنْ يعْقُوبَ: «مِن قِطْرٍ» بكسْرِ القافِ وسُكونِ

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٠).

(٣) في (ف): لا.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٠).

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

الطَّاءِ والتَّنوينِ، «آنٍ»[(١)] بقطْعِ الهمزةِ وفتْحِها ومدِّها[(٢)].

والقِطر: النُّحاس، وآن: قد انتَهى حرُّه.

قوْله تعَالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: تعلُوها. واللَّام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلِّقةٌ بقوْلِه: ﴿وَبَرَزُوا۟﴾.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

قوْله تعَالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾.

في الْمُشار إليه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه القُرآنُ.

والثَّاني: الإنْذارُ.

والبَلاغُ: الكِفايةُ. قالَ مُقاتِلٌ: والْمُراد بالنَّاسِ: أهْلُ مكَّةَ[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: أُنْزِل؛ لِيُنذَرُوا بهِ، ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾ بما[(٤)] فيهِ مِنَ الحُجَجِ ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾؛ أي: وليتَّعظَ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ [أي: العقولِ][(٥)].

---

(١) أي: كلمة مكونة من كلمتين: موصوف، وهو: (قِطرٍ)، وصفة، وهي: (آنٍ).

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٦٦)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٤).

(٤) في (ج): أنَّ ما.

(٥) من (ج).

سُورَةُ الحِجْرِ

وهيَ مكيَّةٌ [كلُّها](١) مِن غيْرِ خلافٍ نعْلَمُه(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١﴾ [الحجر: ١].

قوْلُه تعَالى: ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قد سبَق بيَانُه [يونس: ١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ **فيه قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّ القُرآنَ هوَ الكتابُ، جمَعَ له بيْنَ الاِسْميْنِ.

والثَّاني: أنَّ الكتَابَ: هوَ التَّوراةُ والإنْجِيلُ، والقُرآنُ: كتابُنا. وقد ذكرْنا في أوَّلِ سُورَةِ يوسُفَ معْنَى الْمُبِين.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿رُّبَمَا﴾ وقرَأ ابْنُ كثيرٍ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ «رُبَّما» مشدَدَّةً. وقرَأ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وعبْدُ الوارث: «رُبَما» بالتَّخْفِيفِ(٣).

---

(١) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٢٣)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ٢٦٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٤٧).

(٣) انظر تخفيف نافع وعاصم وتشديد غيرهما في التيسير (ص: ١٣٥)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٦٦)

قَالَ الفَرَّاءُ: أَسَدٌ وتَمِيمٌ: يقُولُونَ «رُبَّما» بالتَّشْدِيدِ، وأهْلُ الحجَازِ وكثِيرٌ مِن قَيْسٍ يقُولُون: «رُبَمَا» بالتَّخْفيفِ، وتَيْمُ الرَّبابِ يقُولونَ: «رَبَما» بفتْحِ الرَّاءِ[١].

وقيلَ: إنَّما قُرِئتْ بالتَّخفيف، لِمَا فيهَا مِنَ التَّضْعيفِ، والحرُوفُ[٢] المُضاعفةُ قد تُحذفُ، نحْوُ «إنَّ، ولكنَّ» فإنَّهُم قد خفَّفُوها.

قَالَ الزَّجَّاجُ: يقُولُونَ[٣]: رُبَّ رجُلٍ جاءَنِي، وَرُبَ رجُلٍ جاءَني[٤]، وأنْشَدَ [من الكامل]:

أَزُهَيْرُ إِنْ يَشِبِ الْقَذَالُ فَإِنَّنِي رُبْ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ[٥]

هذَا البيْتُ لأَبِي كثِيرٍ الهُذليِّ، وفي دِيوانهِ:

.... رُبَ هَيْضَلٍ[٦] لَجِبٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٧٨).

(٢) في (ف): وحروف.

(٣) في (ف): يقول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٢).

(٥) البيت للهذلي في شرح أشعار الهذليين (ص: ١٠٧٠)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٤٨)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٨٧)، وبلا نسبة في المحتسب (٢/ ٣٤٣)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ١٧٩)، والإنصاف (ص: ٢٤٧)، والممتع في التصريف (٢/ ٦٢٧). والمقرب (٨/ ٢٠٠)، وزهير: مرخم زهيرة، وهي ابنته. والقذال: ما بين الأذن والقفا. ومَرِس: ذو مَرَاسَة وشدة. لَجِب: من قولهم: جيشٌ لجب؛ عرمرم، ذو جَلَبة وكثرة.

(٦) في (ج): هيطل.

والهَيْضَل: جمع هيْضَلةٍ، وهي الجماعةُ يُغْرى بِهم، تَقول[1]: لفَفْتهُم بأعْدائِهم في القِتالِ. «ورُب»: كلمةٌ موْضُوعةٌ للتَّقليلِ، كما أنَّ «كَمْ» للتَّكثير، [٤٣٧/ب] وإنَّما زِيدتْ «مَا» مع «رُبّ» لِيَلِيهَا الفِعْلُ، تقُول: رُبَّ رَجُلٍ جاءَنِي، ورُبَّما جاءَني زَيْدٌ.

وقالَ الأخْفشُ: أُدخل معَ «رُب»: «مَا» لِيتكلَّمَ بالفعْلِ بعْدَها، وإنْ شئْتَ جعلْتَ «مَا» بمنزِلةِ «شَيْءٍ» فكأنَّك قُلْت: رُبَّ شيْءٍ؛ أي: «رُبَّ وُدٍّ يَودُّهُ الَّذِينَ كَفرُوا»[2].

وقالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: «مَا» هَاهُنا بمعْنَى «حِين»، فالمعْنَى: رُبَّ حينٍ يَوَدُّونَ فيهِ.

واخْتلَفَ المفسِّرُونَ متى يقَعُ هذا مِنَ الكفَّارِ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه في الآخِرة.

ومتَى يكونُ ذلِك؟ فيهِ أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه إذَا اجْتمَع أهْلُ النَّارِ في النَّار ومعَهُم مَن شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن أهْلِ القِبلَةِ، قالَ الكُفَّارُ للمُسلِمينَ: ألَم تكُونوا مُسلِمينَ؟ قالُوا: بلَى، قالُوا: فَما أغْنى عنكُم إسْلامُكُم وقد صِرْتُم معَنَا في النَّار؟ قالُوا: كانَتْ لنَا ذُنوبٌ فأُخِذْنَا بِها؛ فسَمِعَ اللهُ تعَالى مَا قالُوا، فأمَر بمَن كانَ في النَّار مِن أهْلِ القِبْلةِ فأُخرِجُوا، فلمَّا رأَى ذلِك الكُفَّارُ، قالُوا: يا ليْتنَا

---

(١) في (م): يقول.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤١١).

كنَّا مُسلِمِينَ فنخرجُ كما أُخْرِجُوا، رَواه أبو مُوسى الأشْعريُّ ﷺ عنِ النَّبيِّ ﷺ[١]، وذهَب إليْهِ ابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ وأنَسُ بْنُ مالِكٍ، ومُجاهِدٌ، وعطَاءٌ، وأبو العَاليةِ، وإبْراهيمُ.

والثَّاني: أنَّه مَا يزَالُ اللهُ عزَّ وجلَّ يرْحَمُ[٢] ويشْفعُ حتَّى يقُول جلَّ وعزَّ: مَن كانَ مِنَ المسلِمِينَ فلْيدخُلِ الجنَّةَ، فذلِك (قولُه)[٣]: حين ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

والثَّالث: أنَّ الكُفَّارَ إذا عَايَنُوا القِيامَةَ، وَدُّوا لو كانُوا مُسلِمِينَ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٠٥) بنحوه، والطبري في تفسيره (١٧/ ٦١) بنحوه، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٢) بنحوه، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٩١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٥) وقال: وفيه خالد بيت نافع الأشعري، قال عنه أبو داود: متروك، وبقية رجاله ثقات، وذكره أيضًا السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٢) وزاد نسبته إلى ابن مردويه، والحديث يدور على خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف بل قال عنه أبو داود: متروك، ولم يوافق الذهبي على تركه، وقال: هذا تجاوز فلا يستحق الترك وقد حدث عنه أحمد ومسدد، انظر: الميزان (٢/ ١٦٦).

(٢) في (ج): يرحمهم.

(٣) من الأصل فقط.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٦١)، والبيهقي في البعث والنشور (ص: ٨١) من طريق أبي عوانة، وهناد في الزهد (ص: ١٩٠) من طريق عطاء، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٢) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٣).

والرَّابع: أنَّه كلَّما رأى أهْلُ الكفْرِ حالًا مِن أحْوالِ القِيامَةِ يُعذَّبُ فيها الكافِرُ ويسْلَم مِن مكْرُوهِهَا الْمُؤمِنُ، وَدُّوا ذلِك، ذكرَهُ ابْنُ الأنْبارِيِّ[١].

والقوْلُ الثَّاني: أنَّه في الدُّنيا، إذَا عَاينُوا[٢] وتبيَّنَ لهمُ الضَّلالُ مِن الهُدَى وعلِمُوا مصِيرَهُم، وَدُّوا ذلِك، قالَه الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: إذَا قلْتُم: إنَّ «رُبَّ» للتَّقْليلِ، وهذِه الآيَةُ خارِجَةٌ مخرَجَ الوَعيدِ، وإنَّما يُناسبُ الوعِيد تكْثِيرُ مَا يُتواعدُ بهِ؟.

فعَنْه ثَلاثَةُ أجْوبةٍ -ذَكرَهُما ابْنُ الأنْبارِيِّ[٣]-:

أحدهُنَّ: أنَّ «رُبَّما» تقَعُ على التَّقْليلِ والتَّكثيرِ، كما يقَعُ النَّاهلُ على العطْشانِ والرَّيَّانِ، والجَوْن على الأسْودِ والأبْيضِ.

والثَّاني: أنَّ أهْوالَ القيامَةِ ومَا يقَع بِهم مِنَ الأهْوَال تكْثُر عليْهِم، فإذَا عادَت إليْهِم عقُولُهم، وَدُّوا ذلِك.

والثَّالث: أنَّ هذَا الَّذِي خُوِّفُوا بهِ، لو كانَ ممَّا يَودُّ فِي حالٍ واحِدةٍ مِن أحْوالِ العذَابِ، أوْ كانَ الإنْسانُ يخَاف النَّدمَ إذا حصَل فيهِ ولا يتيقَّنُه؛ لوَجب عليه اجْتِنابُه.

---

(١) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٣٨)، وعزاه إلى الزجاج، وانظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ١٧٢).

(٢) في (ف): عاينوه.

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٣٨- ٥٣٩).

فإن قِيلَ: كيْفَ جاءَ بعْدَ «رُبَّما» مُستقبلٌ، وسَبِيلُها أنْ يأتيَ بعْدَها الماضي، تقُول: رُبَّما لقِيتُ عبْدَ اللهِ؟

فالجوابُ: أنَّ مَا وعَدَهُ اللهُ تعَالى حَقٌّ، فمُستقبلُه بمنزلَةِ الماضِي، يدلُّ
[٤٣٨/أ] عليهِ قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوْلُه تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١] علَى أنَّ الكِسائِيَّ والفرَّاءَ[١] حكَيا عنِ العرَبِ أنَّهم يقُولُون: رُبَّما ينْدمُ فُلانٌ، قالَ الشَّاعِرُ [من الخفيف]:

رُبَّما تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـرِ   لَـهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ[٢]

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٣﴾ [الحجر: ٣].

قوْلُه تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾؛ أي: دَعِ الكُفَّار يأخُذوا حُظُوظَهم في الدُّنيا ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾؛ أي: ويُشغلهم مَا يأمَلُون في الدُّنيا عنْ أخْذِ حظِّهم مِنَ الإيمانِ والطَّاعةِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا ورَدُوا القِيامةَ وبالَ مَا صَنعُوا، وهذا وعِيدٌ وتهْدِيدٌ، وهذِه الآيةُ عنْدَ المفسِّرين منْسُوخةٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ٥﴾ [الحجر: ٤ - ٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٢).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٤٤٤)، لعبيد بن الأبرص في مجموعة المعاني (ص: ١٣٥)، وشعراء النصرانية (ص: ٦٥٠) وعنهما في ديوان عبيد (ص: ١١١)، ولعمير الحنفي في كتاب التعازي (ص: ٧٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾؛ أي: ومَـا عذَّبنـا مِـن أهْـلِ قرْيـةٍ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾؛ أي: أجَـلٌ مُؤقَّـتٌ لا يتقَـدَّمُ ولا يتأَخَّـرُ عنْـهُ.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «مِـن»: صلـةٌ، والمعْنَـى: مـا تتَقَـدَّمُ وقتَهَـا الَّـذي قُـدِّر لهـا بلُوغُـه، ولا تسـتأخِرُ عنْـهُ.

قـالَ الفـرَّاءُ: إنَّـما قـالَ: «أجلَهـا»؛ لأنَّ الأُمَّـة لفظُهـا مؤنَّـثٌ، وإنَّـما قـالَ: «يسْـتأخِرُونَ» إخْراجًـا لـه عـلَى معْنَـى الرِّجـالِ[١].

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨﴾ [الحجـر: ٦ – ٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾.

قـالَ مُقاتِـلٌ: نزَلَـتْ في عبْـدِ اللهِ بْـنِ أبي أُميَّـةَ، والنَّـضرِ بْـنِ الحـارثِ، ونَوْفـلِ بْـنِ خُويلـدٍ، والوليـدِ بْـنِ المغِـيرةِ[٢].

قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: والذِّكْـرُ: القُـرآنُ، وإنَّـما قالـوا هـذا اسْـتهزاءً، لَـو أيْقَنُوا أنَّـه نُـزِّل عليْهِ الذِّكـر؛ مَـا قالُـوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾[٣].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٤).

(٣) ذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٢/ ٥٤٢) مـن روايـة عطـاء عـن ابـن عبَّـاس، وأخرجـه الطـبري (١٧/ ٦٦) عـن الضَّحـاك، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٩٤) إلى ابـن جريـر.

قَالَ أبو عليٍّ الفَارسيُّ: وجوابُ هذه الآيةِ في سورةٍ أُخْرى في قوْلِه: ﴿مَآأَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ [القلم: ٢][(١)].

قوْلُه تعالى: ﴿لَّوۡمَا تَأۡتِينَا﴾.

قالَ الفرَّاء: «لوْمَا»، و«لوْلَا» لُغتَان معْناهُمَا: هلَّا[(٢)]، وكذلِكَ قالَ أبو عُبيدةَ[(٣)]: وهما بمعْنَى واحدٍ، وأنْشدَ لِابْنِ مُقبل [من البسيط]:

لَوْمَا الْحَيَاءُ وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي[(٤)]

قالَ المفسِّرون: إنَّما سألُوا الملائكةَ لِيشْهَدُوا له بصدْقِه، وأنَّ اللهَ أرْسلَه، فأجَابَهُمُ اللهُ تعالى بقوْلِه: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ قرأ ابْنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامرٍ: «مَا تَنْزِلُ» بالتَّاء المفتوحةِ «الملائكةُ» بالرَّفْعِ[(٥)].

ورَوى أبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «مَا تُنَزَّلُ» بضمِّ التَّاءِ علَى مَا لَمْ يُسمَّ فاعلُهُ.

وقرَأ حمْزةُ، والكِسائيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ، [وخلَفٌ][(٦)]: «مَا نُنَزِّلُ» بالنُّونِ والزَّاي مشدَّدةً[(٧)] «الملائكةَ» نصْبًا[(٨)].

---

(١) الحجة (٦/ ٣٤٣- ٣٤٤) بتصرف.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١٠٦).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٤٦).

(٤) البيت لتميم بن مقبل في مجاز القرآن (١/ ٣٤٦)، وتفسير الطبري (١٧/ ٦٦)، والكشاف (٢/ ٣١٠)، والمقرب (١/ ٩٠)، ورصف المباني (ص: ٣١٦).

(٥) ليست في (ف).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) في (ر)، و(م): المشددة.

(٨) كلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٥).

وفي المرادِ بالحَقِّ أرْبعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه العذَابُ إنْ لم يُؤمِنوا، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: الرِّسَالةُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالثُ: قبْضُ الأرْوَاحِ عنْدَ الموْتِ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والرَّابع: أنَّه القُرآن، حكَاه الماوردِيُّ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ﴾ يعْنِي: المشْرِكينَ ﴿إِذًا مُّنظَرِينَ﴾؛ أي: عنْدَ نُزول الملائكةِ إذَا نزَلَتْ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ مِن عادَةِ الملُوكِ إذَا فعَلُوا شيْئًا، قالَ [٤٣٨/ ب] أحدُهُم: نحْنُ فعلْنَا، يُريد نفْسَه وأتْبَاعَه، ثُمَّ صارَ هذَا عادةٌ للملِكِ في خِطابِهِ، وإنِ انْفَردَ بفعْلِ الشَّيءِ، فخُوطبتِ العرَبُ بمَا تعْقِل مِن كلامِهَا. **والذِّكْر:** القُرآن، في قوْلِ جميعِ المفسِّرينَ.

وفي هَاءِ «لَه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى الذِّكر، قالَه الأكْثرُونَ.

قالَ قتادَةُ: أنْزَله اللهُ ثُمَّ حفِظَهُ، فلَا يستَطِيعُ إبْليسُ أنْ يزيدَ فيهِ باطِلًا، ولَا ينْقصُ منْهُ حقًّا[2].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٤٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٨)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٧٣) (١٢٢) من طريق يزيد به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٠)، وعزاه السيوطي في=

والثَّـاني: أنَّهـا ترجِـعُ إلى النَّبـيِّ ﷺ، فالمعْنَـى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مِـنَ الشَّـياطِينِ والأعْـدَاءِ؛ لقوْلِهـم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، هـذَا قـوْلُ ابْـنِ السَّـائبِ، ومُقاتِــلٍ[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ [الحجر: ١٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يعْنِـي: رُسُـلًا، فحُـذِفَ المفْعُـولُ؛ لدَلَالَـةِ الإِرْسَـالِ عليْـهِ. والشِّـيَعُ: الفِـرقُ، وحُكـي عـنِ الفـرَّاءِ أنَّـه قـالَ: الشِّـيعة: الأُمَّـةُ المتابِعـةُ[2] بعْضُهـا بعضًـا فيـما يجْتَمِعُـونَ عليْـهِ مِـن أمْـرٍ[3].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ [الحجر: ١١].

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هــذَا تعْزِيــةٌ للنَّبــيِّ ﷺ، والمعْنَـى: إنَّ كُلَّ نبـيٍّ قبْلَـك كانَ مُبْتـلًى بقوْمِـه كـما ابْتُليـتَ.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الحجـر: ١٢ - ١٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ فِي الْمُشارِ إليْه ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الشِّركُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه الِاسْتِهزاءُ، قالَهُ قتادَةُ.

=الدر المنثور (٤/ ٩٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٥).

(٢) في (ف): المتتابعة.

(٣) ليس في معانيه، ولا في لغات القرآن، وذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٤٩).

والثَّالث: التَّكذِيبُ، قالَه ابْنُ جُريجٍ، والفرَّاءُ[١].

ومعْنَى الآيَةِ: كما سلَكْنَا الكُفْرَ[٢] في قلُوبِ شِيعِ الأوَّلِينَ، نُدخلُ في قلُوبِ هؤلاءِ التَّكذيبَ فلا يُؤمِنوا. ثُمَّ أخْبرَ عن هؤلاءِ المشركِينَ، فقَالَ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

وفي المشارِ إليْهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الرَّسُولُ[٣].

والثَّانِي: القُرآنُ.

والثَّالث: العذَابُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: مضَتْ سُنَّةُ اللهِ في إهْلاكِ المكذِّبِينَ.

والثَّاني: مضَتْ سُنَّتُهُم بتكْذِيبِ الأنْبياءِ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٥).

(٢) في (ج): للكفر.

(٣) في (ج): أنه نبينا محمد ﷺ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعْنِـي: كُفَّـارَ مكَّةَ ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾؛ أي: يصْعَـدُونَ، يُقـالُ: ظَـلَّ يفْعَـلُ كـذَا؛ إذَا فعَلَـهُ بالنَّهارِ.

وفِي المشَارِ إليْهِم بِهذا الصُّعودِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـمُ الملائِكـةُ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، والضَّحَّـاكُ، فالمعْنَـى: لـوْ كُشِـفَ عـنْ أبْصَـارِ هـؤلَاءِ فـرَأَوْا بابًـا مفْتُوحًـا في السَّـماءِ، والملائِكـةُ تصْعَـدُ فيـهِ، لَـا آمَنُـوا بـهِ.

والثَّـاني: أنَّهُـمُ المشْركـونَ، قالَـه الحسَـنُ، وقتـادَةُ، فيكـونُ المعْنَـى: لـوْ وصلنَاهُـم إلى صُعـودِ السَّـماءِ، لم يسْتشْـعِرُوا إلَّا الكُفْـرَ، لِعنَادِهِـم.

قوْله تعالى: ﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا ﴾.

قرَأَ الأكْثرونَ بتَشْديدِ الكافِ، وقرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وعبْدُ الوَارثِ بتخْفِيفها.

قـالَ الفـرَّاءُ: ومعْنَـى القِراءتَـيْنِ مُتقـاربٌ، والمعْنَـى: حُبِسـتْ؛ مِـن قوْلِهـم: «سَـكَرَتِ» الرِّيـحُ؛ إذا سَـكَنَتْ وركَـدَتْ[1].

وقـالَ أبـو عمْـرِو بْـنُ العـلَاءِ: معْنَـى «سُـكِرَتْ» بالتَّخْفِيـفِ، مأْخُـوذٌ مِـن سُـكْرِ الشَّـرَابِ[2]. يعْنِـي: أنَّ الأبْصَـارَ حـارَتْ، ووقَـعَ بهـا مِـنْ فسَـادِ النَّظـرِ مِثْـلُ مَـا يقَـع بالرَّجُـلِ السَّـكرانِ مِـن تغَـيُّرِ العقْـلِ. [٤٣٩/أ]

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٤).

قَالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إذَا كانَ هذَا معْنَى[١] التَّخْفيفِ، فسكِّرتْ، بالتَّشْديدِ، يُراد بهِ وقوعُ هذَا الأمْرِ مرَّةً بعْد مرَّةٍ[٢].

وقالَ أبو عُبيدٍ: «سُكِّرتْ» بالتَّشْديدِ، مِنَ السُّكورِ الَّتِي[٣] تمنَعُ الماءَ الجِرْيةَ، فكأنَّ هذِه الأبْصارَ مُنعتْ مِنَ النَّظر كما يمْنَعُ السُّكرُ الماءَ مِن الجَرْي[٤].

وقالَ الزَّجَّاج: «سُكِّرتْ» بالتَّشديدِ، فسَّرُوها: أُغْشِيتْ، «وسُكِرتْ» بالتَّخْفيفِ: تحيَّرتْ وسكَنَتْ عنْ أنْ تنْظُرَ، والعرَبُ تقُول: سُكرَتِ الرِّيحُ تسْكَرُ؛ إذا سكَنَتْ[٥].

ورَوى العَوفيُّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ قالَ: أَخذَ بأبْصارِنا (وشَبَّه علينَا)[٦]، وإنَّما سَحرَنَا[٧].

وقالَ مُجاهِدٌ: «سُكِّرتْ» سُدَّتْ بالسِّحرِ، فيتَماثَلُ لأبْصارِنا غيْرَ مَا ترَى[٨].

---

(١) في (ف): بمعنى.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٨٧).

(٣) في (ف): من السكون الذي.

(٤) الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٩٠٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٥).

(٦) ليست في (ج).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٥).

(٨) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤١).

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾.

فِي البُروجِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها بُروجُ الشَّمسِ والقمَرِ؛ أي: منازِلُها، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وأبو عُبيدةَ(١) في آخرينَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وأسْماؤُها: الحمَلُ، والثَّورُ، والجَوْزاءُ، والسَّرطَانُ، والأَسَدُ، والسُّنبلَةُ، والميزَانُ، والعقْرَبُ، والقوْسُ، والجدْيُ، والدَّلوُ، والحُوتُ(٢).

والثَّاني: أنَّها قُصورٌ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا(٣).

وقالَ عطِيَّةُ: هيَ قُصورٌ في السَّماءِ، فيهَا الحرَسُ(٤). وقالَ ابْن قُتيبةَ: أصْلُ البُروجِ: الحصُونُ(٥).

والثَّالث: أنَّها الكوَاكِبُ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ(٦).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٢) أدب الكاتب (ص: ٨٦).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥) إلى عبد بن حميد.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٦).

قالَ أبو صَالِحٍ: هيَ النُّجُومُ العِظامُ[١]. قالَ قتادَةُ: سُمِّيتْ بُروجًا؛ لِظُهورِهَا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾؛ أي: حسَّنَّاها بالكَواكِبِ.

وفي المرَادِ بالنَّاظرينَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم المبصرُونَ.

والثَّاني: المعْتَبِرونَ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: حفِظْنَاهَـا أنْ يصِـلَ إليْهَـا شَـيْطانٌ أو يعْلَـمَ مِـن أمْرِهـا شـيْئًا إلَّا اسْـتِرَاقًا، ثُـمَّ يتْبَعُـه الشِّـهابُ. **والرَّجِيـم:** مـشْرُوحٌ فِي آل عِمـرانَ [آيـة:٣٦].

واخْتلَـفَ العُلَـماءُ: هـل كانَـتِ الشَّـياطِينُ تُرمَـى بالنُّجـومِ قبْـلَ مبْعَـثِ نبيِّنَـا [مُحمَّـدٍ][٣] ﷺ، أمْ لَا؟ عـلَى قوْلَـيْنِ:

أحدُهـا: أنَّهـا لم تُـرْمَ حتَّـى بُعِـث ﷺ، (وهـذَا المعْنَـى: مذْكُـورٌ فِي رِوايـةِ سـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ)[٤].

وقـد أخْـرَج في «الصَّحِيحَـيْنِ» مِـن حدِيـثِ سـعِيدِ بْـنِ جُبـيرٍ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، قـالَ: «انْطَلَـقَ رسُـولُ اللهِ -ﷺ- فِي طائِفَـةٍ مِـن أصْحابِـهِ عامِدِيـنَ إلى سُـوقِ عُـكاظٍ، وقَـد حِيـلَ بـيْنَ الشَّـياطِينِ وبـيْنِ خـبَرِ السَّـماءِ، وأُرْسِـلَتْ عليْهِم

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٨٩).

(٢) ذكره الواحدي في تفسير الوسيط (٣/ ٣٤٤).

(٣) من (ج).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج)، و(ف).

الشُّهُبُ»(١) وظاهِرُ هذا الحدِيثِ أنَّها لم تكُنْ قبْلَ ذلِك.

قالَ الزَّجَّاجُ: ويدلُّ علَى أنَّها إنَّما كانَتْ بعْدَ موْلِدِ رَسُولِ الله ﷺ أنَّ شُعراءَ العرَبِ الَّذِين يمثِّلُونَ بالبرْقِ والأشْياءِ المسْرِعةِ، لم يُوجدْ في أشْعارِهَا ذكْرُ الكواكبِ المنْقضَّةِ، فلمَّا حدَثَتْ بعْد موْلِدِ نبيِّنَا(٢) -ﷺ- اسْتعملَتِ الشُّعراءُ ذكْرَها(٣)؛ فقالَ ذو الرُّمةِ: [٤٣٩/ ب]

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ ... مُسَوَّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ(٤)

والثَّاني: أنَّه قد كانَ ذلِك قبْلَ نبيِّنَا [محمَّدٍ](٥) -ﷺ- فروى مُسلِمٌ في «صحيحِهِ» مِن حديثِ عليِّ بْنِ الحُسينِ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ بيْنَما النَّبيُّ -ﷺ- جالِسٌ في نفَرٍ مِن أصْحابِه؛ إذْ رُمِي بنَجْمٍ، فاسْتَنَارَ، فقَالَ: «**مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ**»؟ قالُوا كُنَّا نقُول: يمُوتُ عظِيمٌ، أوْ يُولَدُ عظِيمٌ، قالَ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا(٦) إِذَا قَضَى أَمْرًا، سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِين يَلُونَهُم،**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٧٧٣- ٤٩٢١)، ومسلم حديث رقم (٤٤٩)، والترمذي حديث رقم (٣٣٢٣).

(٢) في (ج): بعد موت نبينا.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٦).

(٤) البيت لذي الرمة في معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١٧٦)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٥٣)، والحجة في القراءات السبع (ص: ٣٠٨)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٧١)، والكامل في اللغة والأدب (٣/ ٨٠)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٩٥).

(٥) من (ج).

(٦) في (ج): الله تعالى.

حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّابعَةِ حَمَلَةَ العَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟ فَيُخْبِرُونَهُم، ثُم يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ (أَهْلَ سَمَاءٍ)[(١)]، حتَّى يَنْتَهِيَ الخَبَرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ[(٢)]، وَتَخْطِفُ الجِنُّ وَيُرْمَوْنَ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلى وَجْهِهِ فهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُم يَقْرِفُونَ فيهِ ويَزِيدُونَ»[(٣)].

ورُوِي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ الشَّياطينَ كانَتْ لا تُحجبُ عنِ السَّموَاتِ، فلمَّا وُلد عيسَى [بْنُ مَرْيَمَ][(٤)] عليه السلام، مُنِعتَ مِن ثلَاث سمَوَاتٍ، فلمَّا وُلد رسُولُ الله -ﷺ- مُنعُوا مِنَ السَّموَاتِ كلِّهَا[(٥)].

وقالَ الزُّهريُّ: قد كانَ يُرمى بالنُّجومِ قبْلَ مبْعَثِ رسُولِ اللهِ ﷺ، ولكنَّها غلُظَتْ حِينَ[(٦)] بُعث ﷺ[(٧)]، وهذَا مذْهبُ ابْنِ قُتيبةَ[(٨)]، قالَ: وعلى هذَا وجَدْنَا الشِّعْرَ القَدِيم، قالَ بِشر بْنُ أبي خَازمٍ، وهوَ جَاهِليٌّ[(٩)]

---

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): إلى السماء الدنيا.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (٢٢٢٩).

(٤) من (ج).

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٦)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤١)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٦٦)، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٥٢) إلى الكلبي.

(٦) في الأصل: حيث، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٢٩)، والسمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٤١٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٢/ ٢٩٧).

(٨) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٣٠).

(٩) في (ج): وكان جاهليًا.

[من الكامــل]:

وَالْعَــيْرُ يُرْهِقُهَــا الْغُبَــارُ وَجَحْشُــهَا يَنْقَضُّ خَلْفَهَما انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ[١]

وقالَ أَوْسُ بْنُ حُجر وهوَ جاهِلِيٌّ[٢] [من الكامل]:

فَانْقَــضَّ كَالــدُّرِّيِّ يَتْبَعُــهُ نَقــعٌ يَثُــورُ تَخَالُــهُ طُنُبَــا[٣]

قوْلُــه تعَــالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: اخْتطَــف مَــا يَسْــمعُه[٤] مِــن كلَامِ الملائكَــةِ. قــالَ ابْــنُ فــارسٍ: اسْــتَرق السَّــمعَ؛ إذَا ســمِعَ[٥] مُسْــتخفيًا[٦].

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾؛ أي: لحِقَــهُ ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ قــالَ ابْــنُ قُتيبــةَ: كوْكــبٌ مُضيءٌ[٧]. وقيــل: «مُبــينٌ» بمعْنَــى: ظاهِــرٌ يــرَاه أهْــلُ الأرْضِ. وإنَّــما يَســترِقُ الشَّــيطَانُ مــا يكُــونُ مِــن أخْبــارِ الأرْضِ، فأمَّــا وحْــيُ اللهِ تعَــالى؛ فقــد صَانَــهُ عنْهُــم.

---

(١) البيت في لبشر ابن أبي خازم في ديوانه (ص: ٣٧)، وتأويل مشكل القرآن (٢٤٢- ٢٤٣)، والمعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، والحيوان (٦/ ٢٧٣)، برواية (الخبار) بدلًا من (الغبار)، و (خلفهـا) بـدلًا مـن (خلفها)، والكشـاف (٢٩/ ٨٧) بروايـة: (خلفهما)، معنى البيت: الخبار: أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم، شبه الجحش بالكوكب المنقضّ في سرعته وبياضه.

(٢) في (ج): وكان جاهليًّا.

(٣) البيت لـه في ديوانـه (ص: ٣)، بروايـة: (وانقـض)، والحيـوان (٦/ ٢٧٤)، وتأويـل مشكل القرآن (ص: ٢٤٣)، والمعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٦/ ١١٢).

(٤) في (ر)، و(م): سمعه.

(٥) في (ج)، و(ف): يسمع.

(٦) مقاييس اللغة (٣/ ١٥٤).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

واخْتلَفُوا، هَلْ يَقْتلُ الشِّهابُ، أمْ لَا؟ علَى قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه يُحْرِقُ ويُخبِّلُ [ويجرحُ][1] ولَا يقْتلُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثَّاني: أنَّه يقْتُلُ، قالَه الحسَنُ.

فعلَى هذَا القوْلِ، هلْ يُقتلُ الشَّيْطانُ قبْل أنْ يُخْبِرَ بمَا سمِعَ؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه يُقتل قبْل ذلِك، فعلَى هذَا لا تصِلُ أخْبارُ السَّماءِ إلى غيْرِ الأنْبياءِ. قالَ ابْنُ عبَّاس: ولِذلِك انْقطَعتِ الكهانَةُ[2].

والثَّاني: أنَّه يُقتل بعْد إلْقائِه ما سمِعَ إلى غيْرِه مِنَ الجِنِّ، ولِذلِك يعُودُون إلى الاِسْتِراقِ، ولو لم تَصِلْ[3]؛ لَقطَعُوا الاِسْتِراقَ. [٤٤٠/أ]

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠﴾ [الحجر: ١٩ - ٢٠].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾؛ أي: بسطْنَاهَا على وجْهِ الماءِ ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ وهيَ الجِبالُ الثَّوابِتُ ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا﴾ فِي المشارِ إليْهَا[4] قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها[5] الأرْضُ، قالَه الأكْثَرُونَ.

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١٠٠) عن ابن عبَّاس، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٣٧) عن الزهري.

(٣) في (ج)، و(ف): يصل.

(٤) في (ر)، و(م): إليه.

(٥) في (ج): أنه.

والثَّاني: الجبَالُ، قالَه الفرَّاءُ[١].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ الموزونَ: المعْلُومُ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قالَ سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ.

وقالَ مُجاهِدٌ، وعكْرِمةُ في آخَرِينَ: الموزُونُ: المقْدورُ[٣].

فعَلى هذا يكُون المعْنَى: معْلُوم القدْرِ كأنَّه قد وُزن؛ لأنَّ أهْلَ الدُّنيا لمَّا كانوا يعْلَمُون قدْرَ الشَّيءِ بوزْنِه، أخْبر اللهُ تعَالى عن هذَا أنَّه معْلومُ القدْرِ عنْدَه بأنَّه موْزونٌ.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أنَّه جرَى على وزْنٍ مِن قدَرِ اللهِ تعَالى، لا يُجاوزُ مَا قدَّره اللهُ تعالى عليه[٤]، ولا يسْتطِيعُ خلْقَ زيادةٍ فيه ولا نُقصانًا[٥].

والثَّاني: أنَّه عنى بهِ الشَّيءَ الَّذي يُوزن كالذَّهبِ، والفِضَّةِ، والرَّصاصِ، والحديدِ، والكُحلِ، ونحْوِ[٦] ذلِك، وهذا المعْنَى مرْويٌّ عنِ

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٧٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٥) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٠) عن مجاهد، وعكرمة.

(٤) ليست في (ج).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٦).

(٦) في (ج): وغير.

الحسَنِ، وعكرِمَةَ، وابْنِ زيْدٍ، وابْنِ السَّائبِ، واخْتارَهُ الفرَّاءُ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ **فِي المشارِ إليْهَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّها الأرْضُ.

والثَّاني: أنَّها الأشْياءُ الَّتي أنبتَتْ. والمعَايِشُ جمْعُ معيشةٍ. والمعْنَى: جعلْنَا لكُم فيهَا أرْزاقًا تعِيشُون بها.

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ **أربعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه الدَّوابُّ والأنْعَامُ، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ[(٢)].

والثَّاني: الوحُوشُ، رَواه منْصُورٌ عنْ مُجاهِدٍ[(٣)].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الوحْشُ، والطَّيْرُ، والسِّباعُ، وأشْباهُ ذلِك ممَّا لا يرزقُه ابْنُ آدمَ[(٤)].

والثَّالث: العَبِيدُ والإمَاءُ، قالَه الفرَّاءُ[(٥)].

والرَّابع: العَبِيدُ، والأنْعَامُ، والدَّوابُّ، قالَهُ الزَّجَّاجُ[(٦)].

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٥) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٧).

قَالَ الفَرَّاءُ: «ومَنْ» في مَوْضِعِ نصْبٍ، فالمعْنَى: جعلْنَا لكُم فيهَا المعَايِشَ، والعَبِيدَ، والإِمَاءَ، ويُقَال: إنَّها في مَوْضِع خفْضٍ، فالمعْنَى: جعَلْنَا لكُم فيهَا معَايِشَ ولمَن لسْتُم لَه برَازقِين[(١)].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: جعلْنَا لكُمُ الدَّوابَّ، والعَبِيدَ، وكُفِيتم مُؤونَة أرْزاقِهَا[(٢)].

فإنْ قِيلَ: كَيْفَ قُلتم: إنَّ «مَن» هَاهُنَا للوحُوش والدَّوابِّ، وإنَّما تكُون (مَنْ) لِمَن يعْقِلُ؟

فالجوَابُ: أنَّه لمَّا وُصِفتِ الوُحوشُ وغيْرُهَا بالمعَاشِ الَّذي الغالِبُ عليْهِ أنْ يُوصَفَ بِهِ النَّاسُ، فيُقَالُ: للآدمِيِّ مَعَاشٌ، ولا يُقَالُ: للفرَسِ معَاشٌ، جَرتْ مجْرَى النَّاسِ؛ كما قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨]، وقَالَ: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وقَالَ: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣].

وإن قُلنا: أُريد بِهِ العَبِيدُ، والوحُوش؛ فإنَّه إذا اجْتمَع النَّاسُ وغيْرُهم؛ غلَب النَّاسُ على غيْرِهم لِفضيلَةِ العقْلِ والتَّمْيِيزِ.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١].

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾؛ أي: ومَا مِن شيْءٍ ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ وهذَا الكلَامُ عَامٌّ في كُلِّ شيْءٍ. [٤٤٠/ب]

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٧).

وذهَبَ قومٌ مِنَ المفسِّرينَ إلى أنَّ المرَادَ بِهِ المطَرُ خاصَّةً، **فالمعْنى عنْدَهم**: ومَا مِن شيْءٍ مِنَ المطَرِ إلَّا عندَنَا خزائِنُه؛ أي: في حُكمِنا وتدْبيرِنَا، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ كُلَّ عَامٍ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لا يزيدُ ولا ينْقُصُ، فما مِن عامٍ أكْثَر مطَرًا مِن عامٍ، غيْرَ أنَّ اللهَ تعالى يصْرِفُه إلى مَنْ يشاءُ، ويمْنعُه مَن يشاءُ.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٢٢ - ٢٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ وقرأ حمْزةُ؛ وخلَفٌ: «الرِّيحَ»[(١)] وكانَ أبو عُبيدةَ[(٢)] يذْهَبُ إلى أنَّ «لَواقِحَ» بمعْنَى مُلاقِح، فسقطَتِ الميمُ منْهُ، قالَ الشَّاعر [من الطويل]:

لِيُبْكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِضَرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ[(٣)]

أرادَ: المطَاوِحَ، فحذَفَ الميمَ، **فمعْنَى الآيةِ عنْدَه**: وأرْسلْنا الرِّيَاحَ مُلْقِحةً، فيكونُ هَاهُنا فاعِلٌ بمعْنَى مفعِل، كما أتَى فاعِلٌ بمعْنَى مفعُول؛ كقوْلِه: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدْفُوقٍ، و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، و[القارعة: ٧]؛ أي: مَرضيَّةٍ، وكقوْلِهم: ليْلٌ نائمٌ؛ أي: منْومٌ فيهِ، ويقُولون: أبقَل النَّبْتُ، فهوَ باقلٌ؛ أي: مُبقِل.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٣) البيت لنهشل بن حري يرثي أخاه في مجاز القرآن (١/ ٣٤٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢/ ٥٧٨)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٧٠٨).

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يُريـد أَبـو عُبيـدةَ[١] أنَّهـا تُلْقِـح الشَّـجرَ، وتُلْقِـح السَّـحابَ كأنَّهـا تُنْتجُـه، ولسْـت أدْرِي مـا أضطـرُّه إلى هـذا التَّفْسـيرِ بهـذَا الإِسْـتكراهِ، وهـو يجِـدُ العـرَبَ تُسـمِّي الرِّيـاحَ لَواقـحَ، والرِّيـحَ لَاقحًـا[٢]، قَـالَ الطِّرمـاحُ -وذكَـر بُـرْدًا مَـدَّه علَى أصْحابِـه في الشَّـمسِ يسـتظلُّون بِـه- [مـن مجـزوء الكامـل]:

قَلِـقٌ لِأَفْنَـانِ الرِّيَـاحِ ... لِلَاقِـحٍ مِنْهَـا وَحَائِـلْ[٣]

فاللَّاقِـحُ: الجنُـوبُ، والحَائِـلُ: الشـمالُ، ويُسـمُّونَ الشِّـمالَ أيْضًـا: عقِيمًا، والعَقِيـمُ: الَّتِـي لَا تحمِـلُ، كـمَا سـمَّوا الجنُـوبَ لَاقِحًـا، قـالَ كثيِّرٌ [مـن الطويل]:

.... وَمَـرَّ بِسِفْسَـافِ الـتُّرَابِ عَقِيمُهَـا[٤]

يعْنِـي: الشِّـمالَ. وإنَّـما جعَلُـوا الرِّيـح لَاقحًـا؛ أي: حامِـلًا؛ لأنَّهـا تحْمِـلُ السَّـحابَ وتقلِّبُـه وتصرِّفُـه، ثُـمَّ تحلُّـه فينْـزِلُ، فهِـيَ عـلى هـذَا حامِـلٌ، ويـدلُّ عـلى هـذَا قوْلُـه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا﴾ [الأعـراف: ٥٧]؛ أي: حملَـتْ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٣) البيـت للطرمـاح في غريـب القـرآن (ص: ٢٣٦)، والحجـة للقـراء السـبعة (٢/ ٢٥٢)، والتفسـير البسـيط؛ للواحـدي (١٢/ ٥٨١)، والأزمنـة والأمنكـة (ص: ٥٢٤)، وبـلا نسـبة في البصائـر والذخائـر (٩/ ٩٨).

(٤) عجـز البيـت لكثـير في غريـب القـرآن (ص: ٢٣٧)، والمحكـم والمحيـط (٨/ ٤٢١)، وأسـاس البلاغـة (١/ ١١٨)، والأزمنـة والأمكنـة (ص: ٥٢٤)، وصـدره: إذا مسـتثابات الريـاح تنسـمت.

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: شَبَّه ما تحمِلُه الرِّيحُ مِنَ الماءِ وغَيْرِه، بالوَلَدِ الَّذي[1] تشْتمِلُ عليه النَّاقةُ، وكذلِك يقُولُون: حرْبٌ لاقِحٌ، لمَا تشْتَمِلُ عليهِ مِنَ الشَّرِّ[2].

فعَلى قوْلِ أبي عُبيدةَ[3]؛ يكونُ معْنى «لَواقِح»: أنَّها مُلقِحةٌ لغيْرِها، وعلَى قوْلِ ابْنِ قُتيبةَ[4]: أنَّها لاقِحةٌ نفسَها.

وأكثرُ الأحاديثِ تدلُّ على القولِ الأوَّلِ؛ قالَ عبْدُ الله بْنُ مسْعُودٍ: يَبْعَثُ اللهُ الرِّيَاحَ لِتُلْقِحَ السَّحَابَ، فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، فَتَمُجُّهُ ثُمَّ تَمْرِيهِ[5]، فيُدِرُّ كَمَا تُدِرُّ اللِّقْحَةُ[6].

وقالَ الضَّحَّاكُ: يبْعَثُ اللهُ الرِّياحَ علَى السَّحابِ فتُلْقِحُه فيمْتَلِئ ماءً[7].

---

(١) في (ر)، و(م): التي.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٥٨٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٥) مرى الناقة يمريها: مسح ضرعها، فأمرت هي: درّ لبنها، وهي: المرية بالضم والكسر. ومرى الشيء: استخرجه كامتراه. القاموس مادة (م ر ي).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٦) بنحوه، والطبراني في الكبير (٩/ ٣٥٣)، والبيهقي (٣/ ٣/ ٣٦٤)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢٨) (١٠٠٦) بنحوه، من طرق عن الأعمش به، وذكره النحاس في معاني القرآن (٤/ ١٩) بنحوه، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٧) بنحوه، وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٥)، وقال: وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٦) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

قالَ النَّخعي(١): تُلْقِحُ السَّحابَ ولَا تُلْقِحُ الشَّجرَ(٢).

وقال الحسَنُ في آخرينَ: تُلْقِحُ السَّحابَ والشَّجرَ، يعْنُونَ أنَّها: تُلْقِحُ السَّحابَ حتَّى يُمْطِرَ، والشَّجرَ حتَّى يُثْمِرَ(٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعْنِي: السَّحابَ ﴿مَآءً﴾ يعْنِي: المطَرَ ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي: جعلْنَاه سُقيًا لكُم.

[٤٤١/أ] قالَ الفرَّاءُ: العرَبُ مجْتمِعُونَ علَى أن يقُولوا: سقَيْتُ الرَّجُلَ، فأَنَا أَسْقِيه: إذَا سَقَيْتُه لِشَفَتِه، فإِذَا أَجْرَوْا للرَّجُلِ نهرًا، قالوا: أَسْقَيْتُه وسَقَيْتُه، وكذلِك السُّقْيَا مِنَ الغيْثِ، قالُوا فيهَا: سَقَيْتُ، وأَسْقَيْتُ(٤).

وقالَ أبو عُبيدَةَ: كُلُّ ما كانَ مِنَ السَّماءِ، فِفِيه لُغتَانِ: أَسْقَاه اللهُ، وسَقَاه اللهُ، قالَ لَبِيد [من الوافر]:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى ... نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ(٥)

---

(١) في (ر)، و(م): الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٧)، وعزاه السيوطي (٤/ ٩٦) إلى أبي الشيخ عن إبرهيم.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٨٧)، وأبو الشيخ (٨٥٦) من طريق ابن عليه به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٦) إلى أبي عبيد وابن أبي حاتم.

(٤) لغات القرآن (ص: ٨٢).

(٥) البيت للبيد في ديوانه (ص: ٧١)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٥٦٢) والرواية فيه: (والقائلَ) بدل: (والقبائل)، ولغات القرآن؛ للفراء (ص: ٨٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٣١٧)، والكشف والبيان (١٦/ ٦٧)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٩/ ١٨١).

فجاءَ باللُّغتَيْنِ. وتقُول: سقَيْتُ الرَّجُلَ ماءً وشَرابًا مِن لبَنٍ وغيْرِه، وليْسَ فيهِ إلَّا لُغةٌ واحِدةٌ بغيْرِ ألِفٍ، إذا كانَ في الشَّفَه؛ فَإذا جعلْتَ له شِرْبًا؛ فهوَ: أسْقَيْتُه، وأَسْقَيْتُ أرْضَه، وإبِلَه، ولا يكونُ غيرَ هذَا، وكذلِك إذَا اسْتَسْقَيْت له؛ كقوْلِ ذي الرُّمة [من الطويل]:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي ... فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهْ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ(١)

فإذا وهبْتَ له إهابًا لِيجعلَهُ سِقاءً؛ فقدْ أسْقيْتَه إيَّاه(٢).

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ﴾ يعني: الماءَ المنزَّل ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾ وفيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: بحافظِينَ؛ أي: ليستْ خزَائِنُه بأيْدِيكم، قالَه مُقاتِلٌ(٣).

والثَّاني: بِمانِعِينَ، قالَه سُفيانُ الثَّورِيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ يعْنِي: أنَّه الباقِي بعْد فناءِ الخلْقِ.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٤ - ٢٥].

---

(١) البيتان لذي الرمة في مجاز القرآن (١/ ٣٥٠)، وتفسير الطبري (١٧/ ٨٩)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥/ ٤٥٢)، وتفسير ابن عطية (٥/ ٧١٠)، والجليس الصالح (ص: ٢٨٠)، ومصارع العشاق (٢/ ١٨٧).

(٢) انتهى نقله من مجاز القرآن (١/ ٣٤٩- ٣٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٧).

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ﴾ يُقـال: اسْـتقدَم الرَّجـلُ، بمعْنَـى: تقَـدَّمَ، واسْـتأخر، بمعْنَـى: تأخَّـرَ.

وفِي سببِ نُزولها قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ امْـرأةً حسَـناءَ كانَـتْ تُصـلِّي خلْـفَ رسُـولِ الله -ﷺ- فـكانَ بعْضُهـم يتَقْـدَّمُ(١) حتَّـى يكـونَ في أوَّلِ صـفٍّ لِئـلَّا يرَاهَـا، ويتَأخَّـرُ بعْضُهـم حتَّـى يكـونَ في آخِـرِ الصـفِّ(٢)، فـإذا ركَـعَ نظَـرَ مِـن تحْـتِ إبْطِـه، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، رَواه أبـو الجـوْزاءِ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٣).

والثَّـاني: أنَّ النَّبـيَّ -ﷺ- حـرَّضَ عـلَى الصَّـفِّ الأوَّلِ، فازْدحمُـوا عليْـه، وقـالَ قـوْمٌ: بُيوتُهـم قاصِيـةٌ عـنِ المدِينَـةِ: لَنَبيعـنَّ دُورَنَـا، وَلَنَشْـترِينَّ دُورًا قَريبَـةً مِـنَ المسْـجِدِ حتَّـى نُـدرِكَ الصَّـفَّ المتقـدِّم(٤)، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ؛ ومعْناهـا: إنَّما تُجـزونَ عـلَى النِّيَّـاتِ، فاطْمَأنُّـوا وسَـكَنُوا، رَواه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(٥).

---

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م): يستقدم.

(٢) في (ف)، و(ر): صفٍّ.

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٨٣٥)، وأحمد (٢٧٨٣)، والترمذي (٣١٢٢)، والنسائي (٨٦٩)، وفي الكبرى (١١٢٧٣)، وابن ماجة (١٠٤٦)، الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٣)، وابن خزيمة (١٦٩٦- ١٦٩٧)، وابن حبان (٤٠١)، والطبراني (١٢٧٩٦)، والحاكم (٢/ ٣٥٣)، والبيهقي (٣/ ٩٨) من طرق عن نوح بن قيس، قال: حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عبَّاس.

(٤) في (ج): الأوَّل.

(٥) ذكره أبو بكر الجرجاني في درج الدرر (٢/ ١٧٢) من رواية الكلبي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٥٧)، والواحدي في أسباب النزل (ص: ٢٨٢) عن الربيع بن أنس.

وللمُفسِّرينَ في معْنَى المستقْدِمينَ والمستَأخِرينَ ثمانِيةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: التَّقدُّم فِي الصَّفِّ الأوَّلِ، والتَّأخُّرُ عنْهُ، وهذا على القوْلَيْنِ المذْكُورَيْنِ في سبَبِ نُزُولها، فعلَى الأوَّلِ: هوَ التَّقدُّم للتَّقْوى، والتَّأخُّرُ للخِيَانةِ بالنَّظر، وعلَى الثَّاني: هوَ التَّقدّمُ لِطلبِ الفَضِيلةِ، والتَّأخُّر للعُذْرِ.

والثَّاني: أنَّ المستقْدِمِينَ: مَن ماتَ، والمستأخِرينَ، مَن هو حيٌّ لم يمُتْ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١]، وخصِيفٌ عنْ مُجاهِدٍ، وبهِ قالَ عطَاءٌ، والضَّحَّاكُ، والقُرظيُّ.

والثَّالث: أنَّ المسْتقْدِمِينَ: مَن خرَجَ مِن الخلْقِ وكانَ. والمستأخِرِينَ: الَّذينَ في أصْلَابِ الرِّجال، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قال [٤٤١/ ب] عكرمة[٢].

والرَّابع: أنَّ المسْتَقْدِمِينَ: مَن مضَى مِنَ الأُممِ، والمستَأخِرينَ (مِنْ)[٣] أُمَّةِ محُمَّدٍ ﷺ، رَواه ابنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ[٤].

والخامس: أنَّ المسْتَقْدِمينَ: المتقدِّمُونَ في الخيْرِ، والمستأخِرُونَ: المثبَّطُون عنْه، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٠).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٨) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والسَّادس: أنَّ المستقْدِمينَ في صُفوفِ القِتالِ، والمستأخِرينَ عنْها، قالَه الضَّحَّاكُ.

والسَّابع: أنَّ المستَقْدِمينَ: مَن قُتلَ في الجهَادِ، والمستأْخِرينَ: مَن لم يُقتَلْ، قالَه القُرظيُّ.

والثَّامن: أنَّ المستَقْدِمينَ: أوَّلُ الخلْقِ، والمستأْخِرين آخِرُ الخلْقِ، قالَه الشَّعبيُّ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعْني: آدمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الطِّينُ اليَابِسُ الَّذي لم تُصبْهُ النَّارُ، فإذَا نقرْتَه صَلَّ، فسمِعْتَ لَه صلْصَلةً، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، وقتادَة، وأبو عُبيدَةَ[1]، وابْنُ قُتيبةَ[2].

والثَّاني: أنَّه الطِّينُ المنْتنُ، قالَه مُجاهِدٌ، والكِسائِيُّ[3]، وأبو عُبيدٍ[4]. ويُقالُ: صلَّ اللَّحْمُ: إذَا تغَيَّرتْ رائِحتُهُ.

والثَّالث: أنَّه طينٌ خُلطَ برملٍ، فصَار له صوْتٌ عنْد نقْرِه، قالَه الفرَّاءُ[5].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٣٧).

(٣) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٦٠).

(٤) غريب الحديث (٣/ ١٦٦).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٨٨).

فأمّا الحمَأُ: فقالَ أبو عُبيدةَ: هو جمْعُ حمأَةٍ، وهوَ الطِّينُ المتغيِّرُ(١).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: لا خِلافَ أنَّ الحمَأَ: الطِّينُ الأسْودُ المتَغيِّرُ الرِّيحِ(٢).

ورَوى السُّدِّي عنْ أشْياخِهِ قالَ: بلَّ التُّرَابِ حتَّى صارَ(٣) طينًا، ثُمَّ تُرِكَ حتَّى أنْتَنَ وتغَيَّر.

وفِي المسْنُون أربعَةُ أقْوالٍ:

أحدها: الْمُنْتِنُ أيْضًا، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ، وقتادَةُ فِي آخَرِينَ.

قال ابن قتيبة: المسْنُونُ: المتغيِّر الرَّائِحةِ(٥).

والثَّاني: أنَّه الطِّينُ الرَّطِبُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٦).

والثَّالث: أنَّه المصْبُوبُ، قالَه أبو عمْرِو بْنُ العَلاءِ(٧)، وأبو عُبيدةَ(٨).

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥١).

(٢) الأضداد (ص: ٣٩٧).

(٣) في الأصل، و(ج)، و(ف): عاد، والمثبت من (ر)، و(م).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٨).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وبن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٤/ ٣٨٩).

(٨) مجاز القرآن (١/ ٣٥١).

والرَّابع: أنَّه المحْكوكُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنباري، قالَ: فمَن قالَ: المسْنُون: المتِين، قالَ: هوَ مِن قوْلِهِم: قدْ تَسَنَّى الشَّيءُ: إذا أنْتَنَ، ومنْهُ قوْلُه تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وإنَّما قِيل له: مسْنُونٌ؛ لِتقادُمِ السِّنِينَ عليْهِ.

ومَن قالَ: الطِّين الرَّطِب، قالَ: (سُمِّي مسْنُونًا)(١)؛ لأنَّه يسِيلُ وينْبسِطُ، فيكونُ كالماءِ المسْنُونِ المصْبُوبِ.

ومَن قالَ: المصْبوبُ، احْتجَّ بقوْلِ العرَبِ: قد سنَنْتَ عليَّ الماءَ: إذا صببْتَهُ.

ويجوزُ أن يكونَ المصْبُوبُ على صُورةٍ ومِثالٍ؛ مِنْ قوْلِه: رأيتُ سُنَّةَ وجْهِه؛ أي: صُورةَ وجْهِه، قالَ الشَّاعرُ [من البسيط]:

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ ... مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ(٢)

ومَن قالَ: المحْكُوك، احْتجَّ بقوْلِ العرَب: سنَنْتَ الحجَرَ علَى الحجَرِ؛ إذا حكَكْتَهُ عليْهِ. وسُمِّي المَسَنُّ مسَنًّا؛ لأنَّ الحدِيدَ يُحكُّ عليهِ.

قالَ: وإنَّما كُرِّرت «مِن»؛ لأنَّ الأُولى متعلِّقةٌ بـ«خلقنا» والثَّانية متعلِّقةٌ بالصَّلصالِ، تقْدِيرُه: ولقد خلقنا الإنسان مِنَ الصَّلصالِ الَّذي هو مِن حمأٍ مسْنُون(٣). [٤٤٢/أ]

---

(١) ليست في (ج).

(٢) البيت لذي الرمة في الأضداد (ص: ٣٩٨- ٣٩٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٤٠)، والمعاني الكبير؛ لابن قتيبة (١/ ٥٣٣)، والكشف والبيان (١٥/ ٤٦٠)، والتذكرة الحمدونية (٥/ ٣١٥)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٤)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٥٥).

(٣) انتهى نقله عن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٤٨٨- ٤٨٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ **فيهِ ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُهـا: أنَّـه مسِـيخُ الجـنِّ، كـمَا أنَّ القِـردةَ والخنَازيـرَ مسِـيخُ الإنْـسِ، رَواه عكْرِمـةُ عنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١).

والثَّاني: أنَّه أبو الجِنِّ، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

ورَوى عنْـهُ الضَّحَّـاكُ أنَّـه قـالَ: الجَـانُّ أبـو الجِـنِّ، وليْسُـوا بِشـياطينَ، والشَّـياطِينُ ولَـدُ إبْلِيـسَ لا يمُوتـون إلَّا مـعَ إبْلِيـسَ، والجِـنُّ يمُوتُـون، ومنْهُـمُ المؤْمِـنُ ومنْهُـم الكافِـرُ(٢).

والثَّالث: أنَّه إبْليسُ، قالَه الحسَنُ، وعطَاءٌ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ(٣).

فإنْ قيلَ: ألَيْسَ أبو الجِنِّ هوَ إبْليسُ؟

فعنه جوَابَانِ:

أحدُهما: أنَّه هوَ، فيكون هذَا القوْلُ هوَ الَّذِي قبْلَهُ.

والثَّـاني: أنَّ الجـانَّ أبـو الجِـنِّ، وإبْلِيـسَ أبـو الشَّـياطِين، فبيْنَهُـما إذًا فـرْقٌ علَـى مـا ذكرْنَـاه عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

قالَ العُلماء: وإنَّما سُمِّي جانًّا؛ لِتوَاريهِ عنِ العُيونِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ يعْني: قبْلَ خلْقِ آدَمَ.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٧) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤٢) إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن عبَّاس.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٨).

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ وقالَ ابْنُ مسْعُودٍ: مِن نارِ الرِّيحِ الحَارَّةِ، وهيَ جزْءٌ مِن سبْعِينَ جُزءًا مِنْ نارِ جهَنَّم، والسَّمُومُ في اللُّغةِ: الرِّيحُ الحَارَّةُ وفيهَا نارٌ[1]. قالَ ابْنُ السَّائِبِ: وهِي نارٌ لَا دُخانَ لهَا[2].

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر: ٣١ - ٤١].

قوْلُه تعالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾؛ أي: عدلْتُ صُورَتَه، وأتْمَمْتُ خلْقَتَه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ هذه الرُّوح هيَ الَّتي يَحْيَا بهَا الإنْسانُ، ولا تُعلم مَاهيَّتُها، وإنَّما أضافَها إليه؛ تشْرِيفًا لآدم، وهذِه إضَافةُ ملْكٍ.

وإنَّما سُمِّي إجْرَاءُ الرُّوح فيهِ نفْخًا؛ لأنَّها جرَتْ في بدنِه على مثْل جرْيِ الرِّيح فيه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٠)، والحاكم (٢/ ٤٧٤) من طريق أبي إسحاق، وأخرجه الطبراني (٩٠٥٧) من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود، وأخرجه معمر في جامعه (٢٠٣٥٧) عن أبي إسحاق، عن عمرو بن عاصم عن ابن مسعود، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٨) إلى الفريابي وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٧)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٤)، والتفسير البسيط (٢١/ ١٥٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أمْرٌ[١] مِنَ الوقُوعِ.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾ قـالَ [فيـه][٢] سـيبويهِ والخلِيـلُ: هـو توكِيـدٌ بعْـدَ توْكِيـدٍ[٣].

وقـالَ المـبرِّدُ: «أجْمَعُـون» يـدلُّ عـلَى اجْتماعِهِـم في السُّـجودِ، فالمعْنَـى: سـجَدُوا كلُّهُـم في حالـةٍ واحِـدةٍ[٤].

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وهـذَا، لأنَّ «كُلًّا» تـدُلُّ عـلى اجْتـماعِ القـوْمِ في الفعْلِ، ولا تـدلُّ عـلَى اجْتماعِهِـم في الزَّمانِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: وقوْلُ سِيبويهِ أجْودُ؛ لأنَّ «أجْمَعِينَ» معْرفةٌ، ولا تكُون حالًا[٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ قـالَ المفسِّرونَ: معْنـاه: يلعَنُـك أهْـلُ السَّماءِ وأهْـلُ[٦] الأرْضِ إلى يـوْمِ الحسـابِ.

قـالَ ابْـنُ الأنْباريِّ: وإنَّـما قـالَ: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ لأنَّه يومٌ لـه أوَّلُ وليْس له آخِـرُ، فجَـرى مجرَى الأبـدِ الَّذي لا يفْنـى، والمعْنَى: عليْـك اللَّعنة أبدًا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ يعْنِـي: المعْلُـومَ بمـوْتِ الخلَائـقِ فيـهِ، فـأرَاد أنْ يُذيقَـه ألمَ المـوْتِ قبْـلِ أن يُذيقَـه العـذَابَ الدَّائِـمَ في جهنَّـم.

---

(١) في (ج): أي.

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) الكتاب (٢/ ٣٨٧)، وذكره عنه وعن الخليل الزجّاج في معانيه (٣/ ١٧٩).

(٤) المقتضب (٤/ ٣٩٥)، وذكر ذلك عنه الزجاج في معانيه (٣/ ١٧٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٩).

(٦) ليست في (ف)، و(ر)، و(م).

قوْلُه تعَالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مفعُولُ التَّزْيينِ محذوفٌ، والمعْنَى: لأُزَيّنـنَّ لهم البَاطِـلَ حتَّى يقعُـوا فيـهِ. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾؛ أي: ولأُضِلنَّهُم.

والمخْلِصُـون: الَّذيـن أخْلَصُـوا دينَهـم للهِ عـنْ كُلِّ شـائبةٍ تُناقِـضُ الإخْـلاصَ، ومَـا أخللْنَـا بـهِ مِـنَ الكلِـمَات هاهُنـا، فقـد سبَقَ تفْسِـيرُها في الأعْـرافِ [الآيـة: ١٦] وغيْرِهـا.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٤٢/ب] اخْتلَفُوا في معْنَى هذا الكَلامِ على ثلاثَةِ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه يعْنِـي بقوْلِـه هـذَا: الإخْـلاصَ، فالمعْنَـى: إنَّ الإخْـلاصَ طَريـقٌ إليَّ مُسـتقِيمٌ، و«علـيَّ» بمعْنَـى: «إليَّ».

والثَّـاني: هـذا طريـقٌ علـيَّ جـوَازُه؛ لأنِّي بالمرْصَـادِ، فأُجَازِيهـم بأعْمَالِهـم؛ وهـوَ خـارجٌ مخْرجَ الوَعيـدِ؛ كـمَا تقُـول للرَّجُـلِ تُخاصِمُـه: طَريقُـكَ علـيَّ، فهـوَ كقوْلِـه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجـر: ١٤].

والثَّالـث: هـذا صراطٌ علـيَّ اسْتقامتُه؛ أي: أنَـا ضامِـنٌ لاسْـتقَامَتِه بالبَيـانِ والبُرهانِ.

وقـرَأ قتَـادَةُ، ويعْقـوبُ: «هـذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ» بكَسْرِ الـلَّام ورفْـعِ اليـاءِ وتَنْوِينِهَـا[1]؛ أي: رفيـعٌ.

---

(١) قـراءة عشريـة ليعقـوب، كما في النـشر (٢/ ٣٠١)، وعزاهـا في المحتسـب (٢/ ٣) للمذكورين، وانظـر: البحر المحيـط (٦/ ٤٧٨).

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢ - ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ **فِيهم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:**

أحدُها: أنَّهُم المؤمنُونَ.

والثَّاني: المعْصُومُونَ، رُويا عنْ قَتادةَ.

والثَّالث: المخْلِصُونَ، قالَه مُقاتِلٌ(١).

والرَّابع: المطِيعُونَ، قالَه ابْنُ جريرٍ(٢).

فعَلى هذِه الأقْوَالِ، تكُونُ الآيةُ مِنَ العَامِّ الَّذي أُريد بِه الخَاصّ.

وفي المرادِ بالسُّلطان قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الحُجَّةُ، قالَه ابْنُ جريرٍ(٣)، فيكُونُ المعْنَى: ليْسَ لكَ (عليْهم)(٤) حُجَّةٌ فِي(٥) إغْوائِهِم.

والثَّاني: أنَّه القهْرُ والغلَبَةُ؛ وإنَّما له أنْ يَغُرَّ ويُزَيِّنَ، قالَه أَبو سُليمانَ الدِّمشْقِيُّ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٥).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): على.

وسُئِل سُفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عنْ هذِه الآيَةِ(١)، فقَال: ليْس لكَ عليْهِم سُلطانٌ أنْ تُلْقِيَهُم فِي ذنْبٍ يَضِيقُ عفْوِي عنْهُ(٢).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعْنِي: الَّذينَ اتَّبعُوه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ وهيَ درَكَاتُها بعْضُها فوْقَ بعْضٍ، قالَ عليٌّ عليه السلام: أبْوابُ جهَنَّم ليْسَتْ كأَبْوَابِكُم هذِه، ولكنَّها هكذَا وهكَذَا وهكذَا بعْضُها فوْقَ بعْضٍ، ووصفَ الرَّاوي عنْه بيدِه وفتَح أصابعَهُ(٣).

قالَ ابْنُ جُريجٍ(٤): لَها سبْعَةُ أبْوابٍ، أوَّلُها جهَنَّمُ، ثُمَّ لظَى، ثُمَّ الحُطَمَةُ، ثُمَّ السَّعِيرُ، ثُمَّ سَقَرُ، ثُمَّ الجَحِيمُ، ثُمَّ الهاوِيةُ(٥).

وقالَ الضَّحَّاكُ: هيَ سبْعَةُ أدْراكٍ بعْضُها فوْقَ بعْضٍ، فأعْلَاها فيهِ أهْلُ التَّوْحيدِ يُعذَّبُون على قدْرِ ذُنُوبِهم ثُم يَخْرجُونَ، والثَّاني فيهِ النَّصارى، والثَّالث فيهِ اليهُودُ، والرَّابع فيهِ الصَّابِئُونَ، والخَامِسُ فيهِ المجوسُ، والسَّادس فيهِ مُشركُو العرَبِ، والسَّابعُ فيهِ المنافِقُون(٦).

---

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزل (٤/ ٣٨٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٦).

(٤) في (ج)، و(ف): جرير.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٠٧).

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٧١- ٤٧٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٦١٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٨٢- ٣٨٣).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: لما اتَّصَلَ العذَابُ بالبَابِ، وكانَ البَابُ مِن سبَبِه، سُمِّي باسْمِهِ للمُجاورةِ، كتَسْمِيتِهِمُ الحدَثَ غائطًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: مِن أتْباعِ إبْليسَ ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ والجُزْءُ: بعْضُ الشَّيْءِ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ قد شرحْنا في [سُورة][1] البقرَةِ [آية: ٢ - ٥٢] معْنَى التَّقْوَى والجنَّاتِ.

فأمَّا العُيون: فهيَ عُيونُ الماءِ، والخمْرِ، والسَّلْسَبيلِ، والتَّسْنيمِ، وغيْر ذلِك ممَّا ذُكر أنَّه مِن شرَابِ الجنَّةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ المعْنَى: يُقال لهُم: ادْخُلوها ﴿بِسَلَامٍ﴾، **وفيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: بسلامَةٍ مِنَ النَّار.

والثَّاني: بسلامَةٍ مِن كُلِّ آفةٍ.

والثَّالث: بتحيَّةٍ مِنَ اللهِ تعَالى.

---

(١) من (ر)، و(م).

وفي قوْله تعَالى: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: آمنين مِنْ عذابِ اللهِ.

والثَّاني: مِنَ الخُروجِ.

والثَّالث: مِنَ الموْتِ.

والرَّابع: مِنَ الخوْفِ والمرَضِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قد ذكرْنا تفسيرَها في [سُورة][1] الأعْرافِ [آية: ٤٣]، فإنَّ المفسِّرين ذكَرُوا ما هُناك هَاهُنا مِن تفْسيرٍ وسببِ نُزولٍ. [٤٤٣/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ منْصوبٌ علَى الحالِ، والمعْنَى: أنَّهم مُتوادُّونَ.

فإنْ قيلَ: كيْفَ نصبَ «إخْوانًا» على الحَالِ، فأوْجَب ذلِك أنَّ التَّآخي وقَع معَ نزْعِ الغِلِّ، وقد كانَ التَّآخِي بيْنَهُم في الدُّنْيا؟.

فقَد أجابَ عنْه ابْنُ الأنْباريِّ، فقَال: ما مضَى مِنَ التَّآخي قد كانَ تشُوبُه ضغَائِنُ وشحْناءُ، وهذا التَّآخي بيْنَهمُ الموجودُ[2] عنْد نزْعِ الغلِّ وهوَ تآخِي المصافَاةِ والإخْلاصِ، ويجُوز أنْ ينْتصبَ ﴿إِخْوَانًا﴾ على المدْح، المعنى: اذْكر إخْواناً. فأمَّا السُّرُورُ: فجمْعُ سَريرٍ.

(١) من (ر)، و(م).

(٢) في (ف): موجود.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالزَّبَرْجَدِ وَالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، السَّرِيرُ مِثْلُ مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى أَيْلَةَ[1]، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يَرى بعْضُهم قفَا بعْضٍ، حيثُما الْتفَتَ رأَى وجهًا يُحبُّه يُقابِلُه.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ أي: لَا يُصِيبُهُم في الجنَّةِ إعْياءٌ وتعَبٌ.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

سَبَبُ نُزولِها: ما روَى ابْنُ المبارَكِ بإسْنادٍ له عنْ رجُلٍ مِن أصْحابِ رسُولِ اللهِ -ﷺ- [قالَ: طلَعَ علينَا رسُولُ اللهِ ﷺ][2] مِنَ البَابِ الَّذِي يدخُلُ منْهُ بنُو شَيْبَةَ، ونحْنُ نضْحَكُ، فقَالَ: «أَلَا أَراكُم تَضْحَكُونَ»؟ ثُمَّ أدْبَرَ، حتَّى إذا كانَ عنْدَ الحَجَرِ، رجَعَ إلَيْنَا القَهْقرى، فقَالَ: «إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ؛ جَاءَ جِبْرِيلُ

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٦١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٤٠٩)، وأَيْلة: بفتح أوله، على وزن فَعْلة، مدينة على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر - الذي تشترك فيه الحدود المصرية والفلسطينية والأردنية والسعودية، قيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وقيل وهي مدينة اليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا، قيل: وقد سميت بأيلة بنت مدين ابن إبراهيم، وهي التي يطلق عليها اليهود اليوم: (ميناء إيلات)، انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢١٦)، ومعجم البلدان (١/ ٢٩٢)، وأطلس العالم (ص: ٢٩).

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

عليْهِ السَّلامُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! يقُولُ اللهُ تعَالى: لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي؟ ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾»[1].

وقَرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو بتحْرِيكِ ياءِ: «عِبَادِيَ» وَيَاءِ «أَنِّيَ أَنَا»، وأَسْكَنَها البَاقُون[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قد شرحْنا القِصَّةَ في هُود [آية: ٦٩]، وبيَّنَّا هُنالك معْنَى الضَّيفِ والسَّببَ في خوْفِه منْهُم، وذكرْنا معْنَى الوجَلِ في الأنفالِ [آية: ٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾؛ أي: إنَّه[3] يبلُغُ ويعلَمُ.

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٤ - ٦٦].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٩٢) عن مصعب بن ثابت، والطبري في تفسيره (١٧/ ١١١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٦).

(٣) ليست في (ف).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾؛ أي: بالوَلَـدِ ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾؛ أي: عـلَى حالـةِ الكـبَرِ والهـرَمِ ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

قـرَأ أبـو عمْـرٍو، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكسَـائِيُّ: «تُبَـشِّرونَ» بفتْـحِ النُّـونِ. وقـرَأ نافِـعٌ بكسْـرِ النُّـون، ووافَقَـه ابْـنُ كثِـيرٍ في كسْرِهـا، لكنَّـه شـدَّدَهَا. وهـذَا اسْـتفْهَامُ تعجُّـبٍ، كأنَّـه عجـبَ مِـنَ الوَلـدِ عـلَى كِـبَرِه[١].

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بـمَا قـضَى اللهُ أنَّـه كائِـنٌ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ يعْنِـي: الآيِسِـينَ.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزَةُ: «ومَـنْ يقْنَـطُ» بفتْـحِ النُّـون في جمِيـعِ القُـرآن. وقـرَأ أبـو عمْـرٍو، والكِسـائِيُّ: «يقْنِـطُ» بكـسْرِ النُّـونِ[٢]. وكُلُّهـم قـرءُوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشـورى: ٢٨] بفتْـحِ النُّـون.

ورَوى خارِجةُ عنْ أبي عمْرٍو: «ومَنْ يقْنُطُ» بضَمِّ النُّون[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: يُقـالُ: قَنَـط يَقنِـطُ، وقَنِـطَ يَقْنَـطُ، والقُنُـوطُ بمعْنَـى: اليـأْسِ[٤]، ولم يكُـن إبْراهيـمُ قانطًـا، ولكنَّـه اسْـتبْعَدَ وجُـودَ الولَـدِ. [٤٤٣/ب]

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) قـراءة شـاذة، انظـر: المحتسـب (٢/ ٥)، وإعـراب القـرآن؛ للنحـاس (٢/ ٢٤٢)، ونقلهـا ابـن القطـاع في كتـاب الأفعـال (١/ ١٢) عـن حيـوة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨١).

قوْلُـه[١]: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾؛ أي: مَـا[٢] أمْرُكُـم؟ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ ﴾؛ أي: بالعـذَابِ.

وقوْلُه تعَالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ اسْتِثْناءٌ ليْس مِنَ الأوَّلِ.

فأمّا آلُ لُوطٍ: فهمْ أتْباعُه المؤْمِنونَ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ ﴾ قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وأبـو عمْـرٍو، وابْـنُ عامِـرٍ:

«لمُنَجُّوهُم» مشدَّدة الجيمِ. وقرَأ حمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «لمنْجُوهُم» خَفِيفة[٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ المعْنَـى: إنَّـا لمنجُّوهُـم إلَّا امْرأَتَـهُ، ﴿قَدَّرْنَآ ﴾ ورَوى أبـو بكْرٍ عـنْ عاصِمٍ: «قدَرْنَـا» بالتَّخْفيفِ[٤]، والمعْنَى واحِـدٌ، يُقال: قدَّرْتُ وقـدَرْتُ، والمعْنَـى: قضَيْنَـا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ يعْنِي: البَاقـين فِي العذابِ.

قوْلُه تعَـالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ يعْنِي: لا أعْرِفُكم، ﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يعْنُـون: العـذابَ، كانُـوا يشُـكُّونَ في نُزولِـه. ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: بالأمْـرِ الَّـذِي لا شـكَّ فيـهِ مِن عـذابِ قوْمِكَ.

قوْلُه تعَـالى: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾؛ أي: سِرْ خلْفَهُم ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾؛ أي: حيْـثُ يأمُرُكم جِبْرِيلُ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ج): من.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٤) سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

وفي المكانِ الَّذِي أُمِرُوا بالمضِي إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الشَّام، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قريَةٌ مِن قُرى قومِ لُوطٍ، قالَه ابْنُ السَّائِبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾؛ أي: أوْحَيْنا إليْهِ ذلِك الأمْرَ؛ أي: الأمْرَ بهَلاكِ قوْمِه.

(قالَ الزَّجَّاجُ: فسَّرَ: مَا الأَمْرُ بِباقي الآيَةِ)[1]، والمعْنَى: وقضَيْنا إليْهِ أنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مقْطُوعٌ مُصبِحينَ[2].

فأمَّا الدَّابِرُ: فقد سبَقَ تفْسِيرُه، والمعْنَى: إنَّ آخِرَ مَن يبْقى منْكُم يهلَكُ وقْتَ الصُّبحِ.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهِي قريةُ[3] لُوطٍ، واسمُها: سَدُوم، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضْيافِ[4] لُوطٍ؛ طمَعًا في رُكوبِ الفَاحشَةِ، فقَال لهم لُوطٌ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾؛ أي: بقصْدِكُم إيَّاهُم بالسُّوءِ، يُقَال:

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٢).

(٣) في (م): وهم قوم.

(٤) في (ف): بأضياف قوم.

فضحَهُ يفْضحُه؛ إذا أبَان مِن أمْرِه مَا يلزمُه بِهِ العَارُ، وقد أثْبتَ يعْقُوبُ يَاءَ: «تَفْضَحُونِ» وَ«لَا تُخْزُونِ» في الوصْلِ والوقْفِ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: عنْ ضِيافَةِ العَالمِينَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بَنَاتِي إِن كُنتُمْ﴾ حرَّكَ ياءَ: «بنَاتِي» نَافِعٌ، وأبو جعْفر[(٢)].

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر: ٧٢ - ٧٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ معْناه: وحياتُك يَا مُحمَّدُ، رَواه أبو الجوزَاءِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٣)].

والثَّاني: لَعَيْشُكَ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٤)]، وبهِ قَال

---

(١) انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، والإتحاف؛ للدمياطي (ص: ٢٧٦).

(٢) سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ٢٧٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٨)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده -كما في المطالب (٤٠٢٦)- وأبو نعيم في الدلائل (٢١)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٨) من طريق سعيد بن زيد، وأخرجه أبو يعلى (٢٧٥٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢٢) من طريق عمرو بن مالك، بلفظ: «بحياتك»، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٣) إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٩)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٣٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية ابن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، به، وعزاه السيوطي (٤/ ١٠٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

الأخْفَشُ[١]، وهو يرجِعُ إلى معْنَى الأوَّلِ.

والثَّالث: أنَّ معْنَاه: وحقِّكَ على أُمَّتِك، تقُول العَربُ[٢]: لَعَمْرُ اللهِ لا أقُومُ، يعْنُونَ: وحَقِّ اللهِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

قالَ: وفي العَمر ثلاثُ لُغاتٍ: عَمرٌ وعُمْرٌ و عُمُرٌ، وهو عنْدَ العرَبِ: البقَاءُ[٣].

وحكَى الزَّجَّاجُ: أنَّ الخليلَ وسِيبويهِ وجميعَ أهْلِ اللُّغةِ قالُوا: العمرُ والعُمرُ في معْنًى واحِدٍ، فإذَا اسْتُعمل في القَسَم؛ فُتح لَا غيْرُ، وإنَّما آثَرُوا الفتْحَ (في القَسَم)[٤]؛ لأنَّ الفتْحَ أخَفُّ عليْهِم[٥]، وهمْ يُؤكِّدونَ القَسَم بـ«لعَمرِي» و«لعَمرك»، فلمَّا كثُر اسْتعمالُهُم إيَّاه، لزِمُوا الأخفَّ عليْهِم.

قالَ: وقالَ النَّحْويون: ارْتفَع: «لعمرك» بالابْتِداءِ، والخبَرُ محْذُوفٌ، [٤٤٤/أ] والمعْنَى: لعمْرك قسَمِي، ولعَمْرك مَا أُقْسِم بهِ، وحُذف الخبَرُ؛ لأنَّ في الكلامِ دليلًا عليهِ. المعْنَى: أُقسِم ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٦].

وفي المَرَادِ بهذِه السَّكرةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى: الضَّلالَةِ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: بمعْنَى: الغفْلَةِ، قالَه الأعْمَشُ.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) الزاهر في معاني كلمات النَّاس (١/ ٣٩١).

(٤) في (ج): للقسم.

(٥) في (ج): عليه.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٣- ١٨٤).

وقد شرَحْنَا معْنَى العمهِ في [سُورة][١] البقرَةِ [آية: ١٥].

وفي المشارِ إليْهِم بهذَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم قوْمُ لُوطٍ، قالَه الأكْثَرُونَ.

والثَّاني: قوْمُ نبيِّنَا ﷺ، قالَه عطَاءٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ يعْني: صيْحةَ العذَابِ، وهيَ صَيحةُ جِبريلَ عليْهِ السَّلامُ.

﴿مُشْرِقِينَ ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: أَشْرقْنَا، فنحْنُ مُشرِقُونَ: إذا صَادَفُوا شُروقَ الشَّمسِ، وهوَ طُلوعُها، كمَا يُقال: أصبحْنَا: إذا صادَفُوا الصُّبْحَ، يُقال: شرَقَتِ الشَّمسُ؛ إذا طلَعَتْ، وأشرَقَت؛ إذا أضَاءَتْ وصفَتْ، [على][٢] هذا أكثَرُ [أهلِ][٣] اللُّغةِ. وقد قِيلَ: شَرَقَتْ وأشرَقَتْ في معنى واحِدٍ، إلَّا أنَّ «مُشْرِقينَ» في معْنَى مُصادِفينَ لِطُلوع الشَّمْسِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ قد فسَّرْنا[٥] الآيةَ في سُورة[٦] هود [آية: ٨٢].

---

(١) من (ف)، و(م).

(٢) من (ج).

(٣) من (ج)، و(ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٤).

(٥) في (ج): شرحنا.

(٦) ليست في (ف).

وفي المتوَسِّمِينَ أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم المتفَرِّسُونَ.

رَوى أبو سَعِيدٍ الخُدْريُّ عنِ النَّبيِّ -ﷺ- أنَّه قَالَ: **«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تعالى»**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قالَ: للمتَفرِّسِينَ[1]. وبهذَا[2] قالَ مُجاهِدٌ، وابْنُ قُتيبةَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: توَسَّمْتُ فِي فُلانٍ الخَيْرَ؛ أي: تبيَّنْتُه[3].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المتوسِّمُونَ، في اللُّغةِ: النُّظَّارُ المتَثبِّتُونَ فِي نظَرِهِم حتَّى يعرفُوا حقيقةَ سِمةِ الشَّيءِ، يُقالُ: تَوسَّمْتُ في فُلانٍ كذَا؛ أي: عرفْتُ وسْمَ ذلِكَ فيهِ[4].

وقالَ غيْرُه: المتَوسِّمُ: النَّاظِرُ فِي السِّمَةِ الدَّالَّةِ علَى الشَّيءِ[5].

والثَّاني: المعْتَبِرُونَ، قالَهُ قَتادةُ.

والثَّالث: النَّاظِرُونَ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٢١)، والطبراني في الأوسط (٧٨٤٣)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٩)، والخطيب في تاريخه (٣/ ١٩١)، (٧/ ٢٤٢) من طريق محمد بن كثير به، وأخرجه البخاري في تاريخه (٧/ ٣٥٤)، والترمذي (٣١٢٧) من طريق عمرو بن قيس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٣) إلى مردويه وابن السني وابن أبي نعيم.

(٢) في (ج): وبه.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٤).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٦٣٩) ونسبه إلى أبي إسحاق الزجَّاج أيضًا.

والرَّابع: المتفكِّرُونَ، قالَه ابْنُ زَيْدٍ، والفرَّاءُ[١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا﴾ يعْنِي: قرْيَةَ قوْمِ لُوطٍ ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لَبِطَرِيقٍ واضِحٍ، رَواه نَهشَلٌ عنِ الضَّحَّاكِ عنْ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قَالَ قتادَةُ، والزَّجَّاجُ[٣]. وقالَ ابْنُ زيْدٍ: لَبِطَرِيقٍ[٤] مُبِينٍ[٥].

والثَّاني: لَبِهَلاكٍ، رواه أبو رَوقٍ عنِ الضَّحَّاكِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٦]، والمعْنَى: إنَّها بحَالِ هلَاكِها لم تعمرْ حتَّى الآنَ، فالِاعْتِبارُ بِها مُمكنٌ، وهي علَى طريقِ قُريشٍ إذا سَافَرُوا إلى الشَّامِ.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾ [الحجر: ٧٨ - ٧٩].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى «إنْ» واللَّام: التَّوكِيدُ، والأَيْكُ: الشَّجَرُ الملتَفُّ،

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٩١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٤٩) بلفظه عن قتادة، والطبري (١٧/ ١٢٢) بلفظه عن قتادة، وبنحوه عن مجاهد والضحاك، وورد بنحوه في معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٦٣٩)؛ للواحدي عن مجاهد وقتادة والضحاك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٣) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٤) في (ج): بطريق.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٢٣).

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٤) إلى ابن أبي حاتم.

فالفَصْلُ بيْنَ واحدِهِ وجمْعِه: الهاءُ. والمعْنَى: أصْحابُ الشَّجرةِ[١].

وقالَ المفسِّرُونَ: هم قوْمُ شُعيبٍ، كانَ مكانُهُم ذَا شجَرٍ، فكذَّبُوا شُعيبًا فأُهْلِكوا بالحَرِّ كما بيَّنَّا في سُورة هود عليه السلام [آية: ٨٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ في المكنَّى عنْهما قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهما[٢] الأيْكةُ ومدينَةُ قوْمِ لُوطٍ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: لُوطٌ وشُعيبٌ، ذكرَه ابْنُ الأنْبارِيِّ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قوْلانِ: [٤٤٤/ب]

أحدُهما: لَبطريقٍ ظَاهرٍ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وقِيل للطَّريق: إمَامٌ؛ لأنَّ المسَافِرَ يأتَمُّ[٣] بهِ حتَّى يصِيرَ[٤] إلى الموْضِعِ الَّذي يُريده[٥].

والثَّاني: لفِي كِتَابٍ مُستَبِينٍ، قالَه السُّدِّيُّ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: «وإنَّهما» يعْنِي: لُوطًا وشُعيبًا لَبطَريقٍ مِنَ الحقِّ يُؤتَمُّ بهِ[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٢) في الأصل، و(ج): أنها.

(٣) في الأصل: يلتم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ج): يصل.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٩).

(٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٢١).

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الحجر: ٨٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ **يعْنِي بِهِم: ثمُودَ.**

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَتْ منازِلُهُم بالحِجْرِ بيْنَ المدينةِ والشَّامِ(١).

وفي الحِجر قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه اسْمٌ للوادِي(٢) الَّذي كانُوا بِهِ، قالَه قتادَةُ، والزَّجَّاجُ(٣).

والثَّاني: اسْمُ مدِينَتِهِم، قالَه الزُّهريُّ، ومُقاتِلٌ(٤).

قالَ المفسِّرون: والمرَادُ بالمرْسلِينَ: صالِحٌ وحْدَه؛ لأنَّه(٥) مَن كذَّبَ نَبِيًّا فقدْ كذَّبَ الكُلَّ.

والمراد بالآياتِ: النَّاقةُ، قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: كانَ فيها آياتٌ: خُروجُها مِنَ الصَّخْرةِ، ودُنوُّ نتَاجِها عنْدَ خُروجِها، وعِظَمُ خلْقِها فلَمْ تُشبِهْها نَاقةٌ، وكثْرَةُ لَبنِها حتَّى كانَ يكْفِيهِم جميعًا، ﴿ فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الحجر: ٨١]: لم يتفكَّرُوا فيهَا ولم يسْتدلُّوا بهَا(٦).

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٣٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٧/ ٥٢٤).
(٢) في (ف)، و(ر)، و(م): اسم الوادي.
(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).
(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٥).
(٥) في (ر)، و(م): لأن.
(٦) تنوير المقباس (ص: ٢٨٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٦٤٣).

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٢ - ٨٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ قد شرحْناه في الأعْرافِ [آية: ٧٤].

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: آمِنِينَ أنْ تقَعَ علَيْهِم.

والثَّاني: آمِنِين مِن خَرابِها.

والثَّالث: مِن عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: مَا كانوا يعمَلُون مِن نحْتِ الجبَالِ.

والثَّاني: [ما كانُوا][1] يكْسِبونَ مِنَ الأمْوالِ والأنْعَامِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِلَّا﴾؛ أي: للحَقِّ ولإِظْهارِ الحَقِّ، وهوَ ثوابُ المصدِّقِ وعِقابُ المكذِّبِ.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: وإنَّ القيامَةَ لتَأْتِي، فيُجازى المشْركون بأعْمالِهم، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ عنهُم، وهو الإعْراضُ الخَالي مِن جزعٍ وفُحشٍ.

---

(١) ليست في الأصل، والمثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

قالَ المفَسِّرُون: وهذا منْسُوخٌ بآيةِ السَّيْفِ.

فأمَّا ﴿ٱلْخَلَّٰقُ﴾: فهو خالِقُ كُلِّ شيْءٍ. و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ قد سبَقَ شرْحُه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحجر: ٨٧ - ٨٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾.

سببُ نُزولها: أنَّ سبْعَ قَوافِلَ وَافتْ مِن بُصْرى وأذْرُعاتٍ لِيهُودِ قُريظةَ والنَّضيرِ في يوْمٍ واحِدٍ، فيهَا أنْواعٌ مِنَ البَزِّ والطِّيبِ والجَواهِرِ، فقَالَ المسْلِمُونَ: لو كانَتْ هذِه الأمْوَالُ لنَا لتقَوَّينَا بهَا وأنْفقْناهَا في سَبيلِ اللهِ، فأنْزلَ اللهُ هذِه الآيةَ، وقالَ: قد أعْطيْتكم سبْعَ آياتٍ هِيَ خيْرٌ لكُم مِن هذِه السَّبع القَوافلِ، ويدلُّ على صِحَّةِ هذا قوْلُه تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾... الآيةَ، قالَه الحُسينُ بْنُ الفضْلِ[1].

وفي المرَاد بالسَّبْع المثَاني أربعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها فاتِحةُ الكتَابِ، قالَه عُمرُ بْنُ الخطَّابِ، وعليُّ بْنُ أبي طالِبٍ، وابْنُ مسْعُودٍ في رِوايةٍ، وابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةِ الأكْثَرِين عنْهُ، وأَبو هُريرةَ، والحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، في رِوايةٍ، ومُجاهِدٌ في رِوايةٍ، وعطاءٌ، وقتادَةُ في آخَرِينَ.

---

(١) عزاه المصنف للحسين بن الفضل تبعًا للواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٨٣) (٥٥٦)، والحسين بن الفضل لم أقف له على ترجمة.

فعلَى هذَا، إنَّما سُمِّيت بالسَّبعِ؛ لأنَّها سبْعُ آيَاتٍ.

وفي تسمِيتِهَا بالمثانِي سبْعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لأنَّ اللهَ تعَالى اسْتثْنَاهَا لِأُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، فلم يُعطِهَا أُمةً قبْلَهُم، [٤٤٥/أ] رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: لأنَّها تُثنَّى في كُلِّ ركْعَةٍ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: **والمعْنَى:** آتيْناكَ السَّبعَ الآيَاتِ الَّتي تُثنَّى في كُلِّ ركْعَةٍ، وإنَّما دخلَتْ «مِنْ» للتَّوكِيدِ؛ كقوْلِه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾(٢) [محمد: ١٥].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: سُمِّي «الحمْد» مثَاني؛ لأنَّها تُثنَّى في كُلِّ صلَاةٍ(٣).

والثَّالث: لأنَّها ممَّا أُثْنِيَ بهِ علَى اللهِ تعالى؛ لأنَّ فيها حمْدَ اللهِ وتوحِيدَه وذكْرَ مملكتِهِ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ١٦٣) من طريق ابن جريج، قال: حدثني أبي عن سعيد بن جبير أنه أخبره أنَّه سأل ابن عبَّاس عن السبع المثاني قال: أم القرآن، قال سعيد: قرأها وقرأ فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقرأها سعيد بن جبير كما قرأها ابن عبَّاس، وقرأ فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقلت لابن عبَّاس: فما المثاني؟ قال: هي أم القرآن استثناها الله لأمة محمد فرفعها في أم الكتاب فدخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحدًا قبلها، قال: فقلت لأبي: أخبرك سعيد بن جبير أن ابن عباس قال له: «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من القرآن؟ قال: نعم!. وهو إسناد لين بسبب والد ابن جريج، وهو عبد العزيز، وكان لا يتابع حديثه.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٠٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

والرَّابع: لأنَّ فيها «الرَّحمن الرَّحيم» مرَّتَيْنِ، ذكره أبو سُليمان الدِّمشقيُّ عن بعْضِ اللُّغويين، وهذا على قوْلِ مَن يرى التَّسمية منْهَا.

والخامس: لأنَّها مقْسُومةٌ بيْنَ اللهِ تعالى وبيْنَ عبْدِه، ويدلُّ عليْهِ حدِيثُ أبي هُريرةَ: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**»[(١)].

والسَّادس: لأنَّها نزَلَتْ مرَّتَيْنِ، ذكرَهُ الحُسينُ بْنُ الفضْلِ.

والسَّابع: لأنَّ كلماتِها مُثناةٌ؛ مثْلُ: الرَّحمن الرحيم، إيَّاك إيَّاك، الصِّراط صِراط، عليهم عليهم، غير غير، ذكره بعْضُ المفسِّرينَ.

ومِن أعْظم فضائلِها أنَّ اللهَ تعالى جعلَها في حيِّزٍ، والقُرآنَ كلَّه في حيِّزٍ، وامْتنَّ عليْهِ بِها كَما امْتن عليْهِ بالقُرآن كُلِّه.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّها السَّبْعُ الطُّوَّلُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ في رِوايةٍ، وابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ في رِوايةٍ، ومُجاهِدٌ في رِوايةٍ، والضَّحَّاكُ.

فالسَّبْعُ الطُّوَّلُ هي: «البقرة»، و«ءالَ عِمْرَانَ»، و«ٱلنِّسَاء»، و«المائدة»، و«ٱلأَنْعَام»، و«ٱلأَعْرَاف».

وفِي السَّابعةِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها «يُونُس»، قالَه سَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: «بَرَاءةٌ» قالَه أبو مَالِكٍ.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم (٣٩٥)، وأبو داود في سننه حديث رقم (٨٢١)، والترمذي في سننه حديث رقم (٢٩٥٣).

والثَّالث: «الأنفَال» و«بَرَاءةٌ» جميعًا، رَواه سُفيانُ عن مِسعرٍ عنْ بعْضِ أهْلِ العلْمِ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وكانُوا يرَوْنَ «الأنفَال» و«بَرَاءة» سُورةً واحِدةً، ولِذلِك لم يفْصِلُوا بينَهُما(١).

قالَ شيْخُنا أبو منْصُورٍ اللُّغوي: هيَ الطُّولُ بضمِّ الطَّاء، ولا تقلْهَا بالكُسْرِ.

فعَلى هذَا، في تسْمِيتِها بالمثَانِي قوْلَانِ:

أحدُهما: لأنَّ الحُدودَ والفَرائِضَ والأمْثالَ ثُنِّيت فيهَا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: لأنَّها(٢) تُجاوِزُ المائةَ الأُولى إلى المائةِ الثَّانيةِ، ذكَره الماوردِيُّ(٣).

والقوْلُ الثَّالث: أنَّ السَّبعَ المثَانِي سبْعُ معَانٍ أُنزلتْ فِي القُرآن: أمْرٌ، ونهيٌ، وبِشارةٌ، وإنْذارٌ، وضرْبُ الأمْثالِ، وتِعدادُ النِّعَمِ، وأخْبارُ الأُمَمِ، قالَه زِيادُ بْنُ أَبِي مَريم(٤).

والقوْل الرَّابع: أنَّ المثَاني: القُرآنُ كلُّه، قالَه طاووسٌ، والضَّحَّاكُ، وأبو مَالِكٍ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٢) في الأصل: لأنها لا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٧١).

(٤) زياد بن أبي مريم الجزري، قال العجلي: تبعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، أخرج له ابن ماجه. انظر ترجمته في: التهذيب (٣/ ٣٣٠-٣٣١)، والتقريب (١/ ٢٧٠).

فعَلى هذَا، في تسْمِيةِ القُرآن بالمثَاني أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: لأنَّ بعْـضَ الآيـاتِ يتْلـو بعْضًـا، فتُثْنَـى الآخِـرةُ عـلَى الأُولى، ولها مَقاطِـعُ تفْصِـلُ الآيَـة بعْـدَ الآيَـةِ حتَّـى تنْقَـضِي السُّـورةُ، قالَـه أبو عُبيْـدةَ[1].

والثَّاني: أنَّه سُمِّي بالمثَانِي لِمَا يتَرَدَّدُ فيهِ مِنَ الثَّناءِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ.

والثَّالث: لِمَا يتردَّدُ فيهِ مِن ذكْرِ الجنَّةِ، والنَّارِ، والثَّوابِ، والعِقابِ. [٤٤٥/ب]

والرَّابـع: لأنَّ الأقَاصِيـصَ، والأخْبـارَ، والموَاعِـظَ، والآدَابَ، ثُنِّيـتْ فيـهِ، ذكَرهُـنَّ ابْـنُ الأنْبـاريِّ[2].

وقَـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: قـد يكـونُ المثَـاني سُـورَ القُـرآنِ كلِّـهِ، قِصَارهُـا وطِوَالهُا، وإنَّـما سُـمِّي مثَـاني؛ لأنَّ الأنْبـاءَ والقَصـصَ تُثنَّـى فيـهِ، فعَـلى هـذا القـوْلِ، المـرَادُ بالسَّـبعِ: سـبْعةُ أسْـبَاعِ القُـرآن، ويكـونُ في الـكلَامِ إضْـمارٌ، تقْديـرُه: وهـيَ القُـرآنُ العَظِيـمُ[3].

فأمَّا قوْلُه: ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ ففِي «مِن» قوْلَانِ:

أحدُهـا: أنَّهـا للتَّبْعيـضِ، فيكُـونُ المعْنَـى: آتينَـاكَ سـبْعًا مِـن جُملَـةِ الآيـاتِ الَّتِـي يُثْنَـى بهـا عـلَى اللهِ تعَـالى، وآتَيْنـاكَ القُـرآنَ.

والثَّـاني: أنَّهـا للصفَـةِ[4]، فيكـونُ السَّـبعُ هـيَ المثَـاني، ومنْـهُ قوْلُـه تعَـالى:

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٤).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٠٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٤) في (ف): الصفة.

﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] لا أنَّ بعْضَها رِجسٌ، ذكَرَ الوجهَيْنِ الزَّجَّاجُ[١]، وقد ذكرْنَا عن ابْنِ الأنْبارِيِّ قريبًا مِن هذَا المعْنَى.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ يعْنِي: العَظِيمَ القدْرِ؛ لأنَّه كلامُ اللهِ تعَالى، ووحْيُه.

وفي المرادِ بِهِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه جمِيعُ القُرآنِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه الفاتحةُ أيْضًا، قالَه أبو هُريرةَ، وقد رَوينَا فيهِ حديثًا في أوَّلِ تفْسيرِ الفاتحةِ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: فعَلَى القوْلِ الأوَّلِ، يكونُ قد نسَقَ الكُلَّ على[٢] البَعْضِ، كمَا يقُولُ العربيُّ: رأيتَ جِدارَ الدَّارِ والدَّارَ، وإنَّما يصْلُح هذَا، لأنَّ الزِّيادةَ الَّتي في الثَّاني مِن كثْرةِ العددِ أشْبهُ بِها ما يُغايِرُ الأوَّل، فجوَّزَ ذلِك عطْفُه عليْهِ.

وعلَى القوْلِ الثَّاني؛ نَسقَ الشَّيءَ على نفْسِه لَمَّا زِيدَ عليْهِ معْنَى المدْحِ والثَّناءِ، كما قالُوا: رُوي ذلِك عنْ عُمرَ وابْنَ الخطَّابِ. يُريدون ابْنَ الخطَّابِ: الفاضِلَ العالِمَ الرَّفيعَ المنْزِلةِ، فلمَّا دخلتْه زِيادةٌ، أشْبه مَا يُغايرُ الأوَّل، فعُطِف عليْه.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٢) في (ج): عن.

ولمَّا ذكرَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنَّتَه عليْه بالقُرآن، نَهاه عنِ النَّظر إلى الدُّنْيا ليستغْنِيَ بما آتاهُ مِنَ القُرآن عنِ الدُّنيا، فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أصنافًا مِنَ اليهُود والمشركِينَ، والمعْنَى: أنَّه نهاه عنِ الرَّغبةِ في الدُّنْيا.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: لا تحْزنْ عليْهم إنْ لم يُؤمنوا.

والثَّاني: لا تحْزنْ بما أنْعمتُ عليْهم في الدُّنيا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ألِنْ جانِبَك لهُم. وخفْضُ الجناحِ: عبارةٌ عنِ السُّكونِ وترْكِ التَّصعُّبِ والإباءِ. قالَ ابْنُ عبَّاس: ارْفُقْ بِهم ولا تُغلِظْ عليْهم[1].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ حرَّكَ ياءَ «إنِّي» ابْنُ كثيرٍ، وأبو عمْرٍو، ونافِعٌ[2]. وذكر بعْضُ المفسِّرينَ أنَّ معْناها منْسُوخٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩٣].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢).

(٢) قراءة سبعية، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٧٦).

قوْله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ في هذِه الكافِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنّها متعلِّقةٌ بقوْلِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾.

ثُم في معْنى الكَلامِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ المعْنَى: ولقد آتيناك سبْعًا مِنَ المثانِي؛ كما أنْزلنا الكُتبَ [٤٤٦/أ] علَى المقْتَسِمينَ، قالَه مُقاتِلٌ[١].

والثّاني: أنَّ المعْنَى: ولقد شرَّفْناك وكرَّمْناكَ بالسَّبْعِ المثَانِي، كما شرَّفْناكَ وأكرَمْناكَ بالَّذي أنْزلنَاه على المقْتَسِمينَ مِنَ العذَابِ، والكافُ بمعْنَى: «مِثْل»، و«مَا» بمعْنَى: «الَّذي» ذكرَه ابْنُ الأنْبارِيِّ.

والثَّاني: أنَّها مُتعلِّقةٌ بقوْلِه: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ والمعْنَى: إنِّي أنا النَّذير، أنْذرتُكُم مثْلَ الَّذي أُنزِل على المقْتَسِمينَ مِنَ العذَابِ، وهذا معْنَى قوْلِ الفرَّاءِ[٢].

فخرَجَ في معْنَى «أنْزلنَا» قوْلانِ:

أحدُهما: أنْزلنَا الكُتبَ، على قوْلِ مُقاتلٍ[٣].

والثَّاني: العذَابَ، على قوْلِ الفرَّاء[٤].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٩١- ٩٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٩١).

وفي «المقتسمين» ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم اليهودُ والنَّصارى، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1]، وبهِ قالَ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

فعَلى هذَا، فِي تسْمِيَتِهِم بالمقْتَسِمينَ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم آمَنوا ببعْضِ القُرآنِ، وكفَرُوا ببعْضِه، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهُمُ اقْتسَمُوا القُرآنَ، فقَال بعْضُهم: هذِه السُّورةُ لِي، وقالَ آخَرُ: هذِه السُّورةُ لِي؛ اسْتهزَاءً بهِ، قالَه عِكرِمَةُ.

والثَّالث: أنَّهُمُ اقْتسمُوا كُتبَهُم، فآمَن بعْضُهُم ببعضِهَا وكفَر ببعْضِها، وآمَن آخَرُون بما كفَر بهِ غيْرُهم، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّهم مُشركو قُريشٍ، قالَه قتادَةُ، وابْنُ السَّائبِ.

فعَلى هذَا، فِي تسْمِيَتِهِم بالمقْتَسِمِينَ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ أقْوَالهم تقسَّمت في القُرآن، فقَال بعْضُهم: إنَّه سحْرٌ، وزعَم بعْضُهم أنَّه كهانةٌ، وزعَم بعْضُهم أنَّه أساطِيرُ الأوَّلِينَ، منْهُم: الأسْودُ بْنُ عبْدِ يغُوث، والولِيدُ بْنُ المغيرةِ، وعدِيُّ بْنُ قيْسٍ السَّهمِيُّ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٤٢- ١٤٣- ١٤٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ومن طريق هشيم، قال أخبرنا أبو بشر، عن ابن عبَّاس، ومن طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عبَّاس، ومن طريق هشيم، عن منصور، عن الحسن، ومن عبد الملك، عن قيس، عن مجاهد.

والعَاص بْنُ وائلٍ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: أنَّهُم اقْتسمُوا على عِقَاب مكَّةَ.

قالَ ابْنُ السَّائب: هُم رهْطٌ مِن أهْلِ مكَّة اقْتسَمُوا على عِقابِ مكَّةَ حين حضَر المَوْسِمُ، قالَ لهُم الوليدُ بْنُ المغيرةِ: انْطَلِقُوا فتَفرَّقُوا على عِقابِ مكَّة حيْثُ يمرُّ بكُم أهْلُ المَوْسِمِ، فإذَا سألُوكم عنْهُ، يعْنِي: رسُولَ اللهِ -ﷺ- فلْيَقُلْ بعْضُكم: كاهِنٌ، وبعْضُكم: سَاحِرٌ، وبعْضُكم: شَاعِرٌ، وبعْضُكم: غَاوٍ، فإذَا انْتَهُوا إليَّ صَدَّقتُكُم، ومنْهُم: حنْظلَةُ بْنُ أبي سُفيانَ، وعُتبةُ وشَيْبةُ ابْنَا رَبيعةَ، والولِيدُ بْنُ المغيرةِ، وأبُو جهْلٍ، والعَاص بْنُ هِشامٍ، وأبو قيْسِ بْنُ الوليدِ، وقيْسُ بْن الفَاكِه، وزُهير بْنُ أبِي أُميَّةَ، وهِلالُ بْنُ عبْدِ الأسْوَدِ، والسَّائبُ بْنُ صَيفِيّ، والنَّضْرُ بْنُ الحارثِ، وأبو البخْترِي بْنُ هِشامٍ، وزمْعَةُ بْنُ الحجَّاجِ، وأُميَّةُ بْنُ خلَفٍ، وأوْسُ بْنُ المغِيرةِ(١).

والثَّالث: أنَّهُم قوْمُ صالِحٍ عليه السلام الَّذين ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [النمل: ٤٩]، فكفَاه اللهُ شرَّهُم، قالَه عبْدُ الرَّحمنِ بْنُ زيْدٍ. فعَلى هذَا، هوَ من القسْمِ، لا مِن القسْمَةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ **في المَرادِ بالقُرآن قوْلَانِ**:

أحدُهما: أنَّه كتابُنَا، وهوَ الأظْهرُ، وعليْهِ الجمْهُورُ. [٤٤٦/ ب]

والثَّاني: أنَّ المرادَ بهِ: كتُبُ المتقدِّمينَ قبْلَنا.

---

(١) انظر: بحر العلوم (٢/ ٢٦٢).

وفي «عِضينَ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مأخُوذٌ مِن الأعْضَاءِ.

قالَ الكِسائِيُّ، وأبو عُبيدةَ: اقْتسمُوا القُرآن[1] وجعَلُوه أعْضاءً[2].

ثُمَّ فيمَا فعلُوا فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهم عضَّوه أعْضاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. والمعْضِي: المفرّق. والتَّعْضية: تجْزئةُ الذَّبيحةِ أعْضاءً.

قالَ[3] عليه السَّلام: «لَا تَعْضِيَةَ فِي مِيرَاثٍ»[4] أرَاد تفْريقَ مَا يُوجب تفْريقَه ضررًا علَى الورَثَةِ كالسَّيْفِ ونحْوِه، وقالَ رُؤبةُ [من الرجز]:

وَلَيْسَ دِينُ اللهِ بِالْمُعَضَّى[5]

وهذَا المعْنَى فِي رِوايةِ سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

---

(١) في (م): بالقرآن.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥٥).

(٣) في الأصل: قال علي، والمثبت من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) أخرجه الدارقطني (٤/ ٢١٩) بنحوه بروايتين عن أبي بكر، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣٣) بنحوه بروايتين، والحديث ضعيف كما قال الشافعي: قال: ولا يكون مثل هذا الحديث حجة؛ لأنه ضعيف، وهو قول من لقينا من فقهائنا، وقال البيهقي: وإنما ضعفه لانقطاعه، وهو قول الكافة، وعلة أخرى أن الحديث يدور على صديق بن موسى، وهو ليس بحجة كما في الميزان (٣/ ٢٨)، وقد أشار إلى ذلك الآبادي في ذيل سنن الدارقطني (٤/ ٢١٩).

(٥) الرجز لرؤبة بن العجاج، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٣٩).

والثَّاني: أنَّهم عضَوا القوْلَ فيهِ؛ أي: فرَّقُوا، فقالوا: شِعْرٌ، وقالُوا: سحْرٌ، وقالُوا: كهانةٌ، وقالوا: أساطِيرُ الأوَّلِينَ، وهذا المعْنَى في رِوايةِ ابْنِ جُريجٍ عنْ مُجاهِدٍ، وبهِ قالَ قتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّه مأْخُوذٌ مِن العضَهِ، والعَضَهُ، بلِسانِ قُريشٍ: السِّحرُ، ويقُولون للسَّاحِرةِ: عاضِهةٌ، وفي الحديثِ: «أنَّ رسُولَ اللهِ -ﷺ- لَعَنَ الْعَاضِهَةَ وَالْمُسْتَعْضِهَةَ»(١)، فيكُون المعْنَى: جعلُوه سِحْرًا، وهذا المعْنَى في روايةِ عِكْرمَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢)، وبهِ قالَ عِكرمةُ، والفرَّاءُ(٣).

قوْلُه تعالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ هذا سؤالُ توْبيخٍ، يُسْأَلُون عمَّا عمِلُوا فيما أُمِروا بهِ مِنَ التَّوْحيدِ والإيمانِ، فيُقالُ لهُم: لِمَ عصيْتُم وترَكْتُم الإيمانَ؟ فتظْهر فضِيحتُهُم عنْدَ تعذُّرِ الجوابِ.

قالَ أبو العاليةِ: يُسأَلُ العِبادُ كُلُّهُم يوْمَ القِيامةِ عنْ خلَّتيْنِ: عمَّا كانوا يعْبدُونَ، وعمَّا أجابُوا المرْسلِينَ(٤).

فإنْ قِيلَ: كيْفَ الجمْعُ بيْنَ هذِه الآيةِ، وبيْنَ قوْلِه تعالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٣٩) من حديث ابن عبَّاس، وفي إسناده زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام، وهما ضعيفان، وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٢/ ٨٦٩): رواه سلمَة بن وهرام: عن عكرِمَة، عَن ابْن عَبَّاس. وَسَلَمَة: قَالَ أَحْمد بن حَنْبَل: أخْشَى أن يكون حَدِيثه ضَعِيفًا. وَالْبُخَارِيّ قَالَ: فِيهِ نظر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٤٨).

(٣) معاني القرآن (٣/ ٣٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٠).

فعَنْهُ جَوابانِ:

أحدُهما: أنَّه لَا يسأَلُهم: هل عمِلْتُم كذَا؟ لأنَّه أعْلَمُ، وإنَّما يقُول: لِمَ عمِلْتُم كذَا؟ رواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1].

والثَّاني: أنَّهُم يُسأَلُون في بعْضِ مواطِنِ القِيامَةِ، ولا يُسْأَلُون في بعْضِهَا، رَواه عِكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

قوْلُه تعَالَى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: فامْضِ لِمَا تُؤمر، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أظْهِر أمْرَكَ، رَواه ليْثٌ عنْ مُجاهِدٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾؛ أي: أظْهِر ذلِكَ. وأصْلُه: الفَرْقُ والفتْحُ، يُريد: اصْدَعِ الباطِلَ بحقِّكَ[3].

وقالَ الزَّجَّاجُ: أَظْهِر بِمَا تُؤمَر به، أُخِذ ذلِك مِنَ الصَّدِيعِ، وهوَ الصُّبْحُ[4]، قالَ الشَّاعر [من الوافر]:

.... كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ صَدِيعُ[5]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٥٢٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٣٩٥) عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٦).

(٥) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه (ص: ١٣٣)، وقيل: للشماخ في ملحق=

وقالَ الفرَّاء: إنَّما لم يقُلْ: بِما تُؤمر بِهِ؛ لأنَّه أرَاد: فاصْدَعْ بالأمْرِ[١].

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ أنَّ «بِهِ» مُضْمرةٌ؛ كما تقُول: مررْتُ بالَّذِي مرَرْت[٢].

والثَّالث: أنَّ المرَادَ بِهِ، الجهْرُ بالقُرآن في الصَّلاة، رَواه ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ[٣].

وقالَ مُوسى بْنُ عُبيدة: مَا زَالَ رسُولُ اللهِ -ﷺ- مُستخْفِيًا حتَّى نزَلتْ هذِه الآيةُ، فخَرَج هوَ وأصْحَابُه[٤]. [٤٤٧/أ]

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: اكْفُف عنْ حَرْبِهم.

والثَّاني: لا تُبالِ بِهم، ولا تلْتَفِتْ إلى لَوْمِهم على إظْهَارِ أمْرِك.

=ديوانه (ص: ٤٤٧)، وصدره:

تَرَى السِّرْحَانَ مُفْتَرِشًا يَدَيْهِ *** ....

وأكثر المصادر على (لَبَّته) بدل (غرته). ويروى (به السرحان) أو (بها السرحان). والبيت في العين (١/ ٢٩٢)، والمعاني الكبير (١/ ١٩٣)، ومعاني الزجاج (٣/ ١٨٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٥١٢)، ومعاني النحاس (٤/ ٤٥)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٢٤٠)، والبحر المحيط (٥/ ٤٥٤).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢/ ٩٣).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٣).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤١٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٦) إلى ابن جرير عن أبي عبيدة، أنَّ عبد الله بن مسعود قال.

والثَّالث: أعْرِضْ عنِ الِاهْتِمامِ باسْتهزائِهم.

وأكثرُ المفسِّرينَ على أنَّ هذا القدْرَ مِن الآيةِ منسوخٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٥ - ٩٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ المعْنى: فاصْدعْ بأمْرِي كما كفَيْتُكَ المستهزِئِينَ، وهمْ قوْمٌ كانوا يستهْزِئونَ بهِ وبالقُرآنِ.

وفي عددِهم قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانُوا خمسةً: الوليدُ بْنُ المغيرةِ، وأبو زمْعَةَ، والأسْودُ بْنُ عبْدِ يغُوثَ، والعَاص بْنُ وائلٍ، والحارِثُ بْنُ قيْسٍ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

واسْمُ أبي زمْعَةَ: الأسْودُ بْنُ المطلبِ. وكذلِك ذكرَهُم سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، إلَّا أنَّه قالَ مكانَ الحارِثِ بْنِ قيْس: الحارِث بن غيطلَةَ.

قال الزُّهرِيُّ: غيطَلَةُ أمُّه، وقيْسٌ أبوه، فهوَ واحِدٌ[1].

وإنَّما ذكرْت ذلِك؛ لئلَّا يُظنَّ أنَّه غيرُهُ، وقد ذكرْتُ في كتاب «التَّلقيح»[2] مَن يُنسب إلى أُمِّه مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعين ومن بعدِهم، وسمَّيْتُ آباءَهم؛ ليعْرفُوا إلى أيِّ الأبوَيْنِ نُسِبُوا.

---

(١) الأثر في تاريخ دمشق (٤١/ ٩٠).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر؛ لابن الجوزي (ص: ١٧٥).

وفي رواية عن ابنِ عبَّاسٍ مكان الحارثِ بْنِ قيْسٍ: عديُّ بْنُ قيْسٍ[١].

والثَّاني: أنَّهم كانوا سبْعةً، قالَه الشعْبِيُّ، وابْنُ أبي بزَّةَ[٢]، وعدَّهُم ابْنُ أبي بزَّةَ، فقَال: العاص بْنُ وائلٍ، والولِيدُ بْنُ المغِيرةِ، والحارِثُ بْنُ عديٍّ، والأسْودُ بْنُ المطلبِ، والأسْودُ بْنُ عبْدِ يغُوثَ، وأصْرمُ وبعككُ ابْنا عبدِ الحارِثِ بْنِ السّباقِ[٣].

وكذلِك عدَّهُم مُقاتِلٌ، إلَّا أنَّه قالَ مَكان الحارِثِ بْنِ عديٍّ: الحارثُ بْنُ قيْسٍ لسَّهمِيُّ، وقال: أصْرمُ وبعككُ ابْنا الحجَّاجِ بْنِ السّباقِ.

ذِكْرُ مَا أهْلَكَهُمُ اللهُ بِهِ وكفَى رسُولَه ﷺ أمْرَهُم

قالَ المفَسِّرونَ: أتَى جِبْريلُ عليه السلام رسُولَ اللهِ -ﷺ- والمسْتَهْزِئُونَ يطُوفُونَ بالبَيْتِ، فمَرَّ الوليدُ بْنُ المغِيرةِ، فقَالَ جِبْريلُ: يَا مُحمَّدُ! كيْفَ تجِدُ هذَا؟ فقَالَ: «بِئْسَ عَبْدُ اللهِ» قالَ: قَد كُفِيتَ، وأوْمَأ إلى سَاقِ الوَلِيدِ، فمَرَّ الوليدُ برجُلٍ يريشُ[٤] نبْلًا له، فتعلَّقتْ شَظْيةٌ مِن نبْلٍ بإزَارِه، فمنعَهُ الكِبْرُ أنْ يُطَامِنَ[٥] لينزعَها، وجعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ، فمَرِضَ ومَاتَ، وقِيل: تعلَّقَ سهْمٌ بثوْبِه فأصَابَ أكْحلَهُ فقطَعَه، فمَاتَ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٢) (١٣٦٥)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٧).

(٢) القاسم بن أبي بزة، بفتح الموحدة وتشديد الزاي، المكي مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة، مات سنة خمس عشرة، وقيل: قبلها. انظر: التقريب (٢/ ١١٥)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٨).

(٤) راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش.

(٥) يقال: طأمن ظهره: إذا حنى ظهره.

ومـرَّ العَـاص بْـنُ وائـلٍ، فقَـالَ جِبريـلُ: كيْـفَ تجِـدُ هـذَا يـا محمَّـدُ؟ فقَـال: «بِئْـسَ عبْـدُ اللهِ» فأشَـارَ إلى أخْمُـصِ رِجْلِـه، وقـالَ: قَـدْ كُفِيـتَ، فدخلَـتْ شـوْكَةٌ في أَخْمُصِـهِ، فانْتَفَخـتْ رِجْلُـه ومَـاتَ.

ومـرَّ الأسْـودُ بْـنُ المطَّلبِ، فقَال: كيْـف تجِدُ هذَا؟ قالَ: «عبْدُ سُـوءٍ» فأشَـارَ بيـدِه إلى عيْنَيْهِ، فعَمِـي وهلَك. وقِيل: جعَل ينْطَحُ برأسِـه الشَّـجرَ ويضْرِب وجْهَه [٤٤٧/ب] بالشَّـوْكِ، فاسْـتغَاثَ بغُلامِـهِ، فقَال (غلامُـه)[١]: لَا أرَى أحدًا يصْنَـعُ بِكَ هذا غيْرِ نفْسِـك، فمَات وهـوَ يقُول: قتَلَنِـي ربُّ محُمَّدٍ.

ومـرَّ الأسْـودُ بْـنُ عبْدِ يغُـوثَ، فقَـال جِبريـلُ عليـه السـلام: كيْـفَ تجِـدُ هـذَا؟ فقَـال: «بِئْـسَ عبْـدُ اللهِ» فقَـال: قـدْ كُفِيـتَ، وأشَـارَ إلى بطْنِـه، فسَـقَى بطنُـه، فـمَاتَ. وقِيـلَ: أصَـاب عيْنَـه شـوْكٌ، فسَـالَتْ حدَقَتَـاهُ. وقِيـل: خـرَجَ عـنْ أهْلِـه فأصَابَـهُ السَّـمُومُ، فاسْـودَّ حتَّـى عـادَ حبَشِـيًّا، فلـمَّا أتَـى أهْلَـه لم يعْرِفُـوه، فأغْلَقُـوا دُونَـهُ الأبْـوَابَ حتَّـى مـاتَ.

ومـرَّ بـهِ الحـارثُ بْـنُ قيْـسٍ، فقَـال: كيْـفَ تجِـدُ هـذَا؟ قـالَ: «عَبْـدُ سُـوءٍ» فأَوْمَـأ إلى رأسِـه، وقـالَ: قـدْ كُفِيـتَ، فانْتفَـخَ رأسُـهُ فـمَاتَ، وقِيـل: أصَابَـهُ العَطَـشُ، فلـم يـزَلْ يـشْرَبُ المـاءَ حتَّـى انقَـدَّ بطْنُـه[٢].

---

(١) من الأصل.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٤/ ١٤٧) بنحـوه، من طريق زياد، عن سـعيد بـن جبير، وذكره الثعلبـي في الكشـف والبيان (١٥/ ٥٢٩- ٥٣١)، والبغوي في معـالم التنزيل (٤/ ٣٩٥).

وأمَّـا أصْرمُ[١] وبَعْـكَك: فقَـال مُقاتِـلٌ: أخـذَتْ أحَدَهُمـا الدُّبَيْلَـةُ[٢] والآخَـرَ ذَاتُ الجَنْـبِ، فمَاتَـا جميعًـا[٣].

قـال عكْرِمـةُ: هلَـك المستَهْزِئُونَ قبْـلَ بـدْرٍ[٤]. وقـالَ ابْـنُ السَّـائب: أُهْلِكُـوا جميعًـا في يـوْمٍ وليلـةٍ[٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه التَّكذِيبُ.

والثَّاني: الِاسْتهزَاءُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: قُل سبْحَانَ اللهِ وبحَمْدِه، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: فصَلِّ بأمْرِ ربِّكَ، قالَه مُقاتِلٌ[٦].

---

(١) في تفسير مقاتل: أحرم، وفي البحر المحيط: الأثرم.

(٢) **الدُّبيلة:** داء في الجوف.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٣) (١٤٦٦)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٦) من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ قال: هم خمسة كلهم هلك قبل بَدْر: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأبو زمعة بن عبد الأسود، والحارث بن قيس، والأسود بن عبد يغوث.

(٥) تنوير المقباس (ص: ٤٨٢)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٦٣).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).

وفي قوْله: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: مِنَ المصلِّينَ.

والثَّاني: مِنَ المتَواضِعينَ، رُويا[1] عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الموْتُ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ، والجمْهورُ، وسُمِّي يقينًا؛ لأنه مُوقنٌ بهِ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: معْنى الآيةِ: اعْبُدْ ربَّك أبدًا، ولوْ قِيلَ: اعْبُدْ ربَّك، بغَيْرِ توْقِيتٍ، لجازَ إذا عبَدَ الإنْسانُ مرَّةً أنْ يكونَ مُطيعًا، فلمَّا قالَ: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أُمِر بالإقامَةِ على العِبادة ما دام حيًّا[2].

والثَّاني: أنَّه الحقُّ الَّذي لَا ريْبَ فيهِ مِنْ نصْركَ علَى أعْدَائِكَ، حكَاهُ الماورديُّ[3].

---

(١) في (ف): رووه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٧).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٧٦).

سُورَةُ النَّحْلِ

فَصْلٌ فِي نُزُولِهَا

رَوى مُجاهِدٌ، وعطيَّةُ، وابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أنَّها مكيَّةٌ[١]، وكذلِك رُوي عنِ الحسَنِ، وعِكْرِمَةَ، وعطَاء: أنَّها مكيَّةٌ كلَّها[٢].

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ فِي رِوايةٍ: إنَّه نزَل منْها بعْدَ قتْلِ حمْزَةَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾[٣] [النحل: ١٢٦]، وقالَ فِي رِوايةٍ: هيَ مكيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ نزَلْتْ[٤] بالمدينَةِ، وهيَ[٥] قوْلُه: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾... إلى قوْلِه: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[٦] [النحل: ٩٥- ٩٧].

وقالَ الشَّعبِيُّ: كلُّها مكيَّةٌ إلَّا[٧] قوْلَه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخِرِ الآياتِ[٨] [النحل: ١٢٦- ١٢٨].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٠٧) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٦٥).

(٤) في (س)، و(م): نزلن.

(٥) في (م): وهن.

(٦) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٥٤١)، ومعاني القرآن ٤/ ٥١).

(٧) في (ر): إلى.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٦٦) بمعناه عن الشعبي، وأحمد (٥/ ١٣٥)، بنحوه من طريقين عن أُبي، ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٦٥).

وقَالَ قتَادَةُ: هِيَ مكيَّةٌ إلَّا خَمْسَ آيَاتٍ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾... الآيتَيْنِ [النحل: ٩٥- ٩٦]، ومِن قوْلِه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرِهَا[١] [النحل: ١٢٦].

وقَالَ ابْنُ السَّائبِ: هِيَ مكيَّةٌ إلَّا خَمْسَ آيَاتٍ قوْلُه[٢]: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾... الآيَةَ [النحل: ٤١]، وقوْلُه: [﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾... الآيَةَ][٣] [النحل: ١١٠]، وقوْلُه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرِهَا[٤] [النحل: ١٢٦]. [٤٤٨/أ]

وقَالَ مُقاتِلٌ: هِي مكيَّةٌ إلَّا سبْعَ آيَاتٍ: قوْلُه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾... الآيَةَ [النحل: ١١٠]، وقوْلُه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾... الآيَةَ [النحل: ١٠٦]، وقوْلُه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾... الآيَةَ [النحل: ٤١]، وقوْلُه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً﴾... الآيَةَ [النحل: ١١٢]، وقوْلُه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرِهَا[٥] [النحل: ١٢٦].

وقالَ جابرُ بْنُ زيْدٍ: أُنْزل مِن أوّلِ النَّحْلِ: أرْبعُون آيةً بمكَّةَ وبقيَّتُها بالمدينةِ[٦].

---

(١) ذكره الجرجاني في درج الدرر (٣/ ١٠٦٥)، وأبو حيَّان البحر المحيط (٦/ ٥٠٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) تنوير المقباس (ص: ٢٢١).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٨).

(٦) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٧٥).

ورَوى حمَّادٌ عنْ عليِّ بْنِ زيْدٍ قالَ: كانَ يُقالُ لِسورةِ النَّحلِ: سُورةُ النِّعَمِ؛ يُريدُ لِكثْرةِ تَعْدادِ النِّعَمِ فيهَا[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾ [النحل: ١ - ٣].

قوْلُه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قرَأ حمْزةُ، والكِسائيُّ بالإمَالةِ[٢].

وسببُ نُزولِها: أنَّه لمَّا نزَل قوْلُه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، فقَال الكُفَّارُ بعْضُهم لِبعْضٍ: إنَّ هذَا يزْعُم أنَّ القِيامةَ قدِ اقْتربَتْ، فأمْسِكُوا عنْ بعْضِ ما كُنْتُم تعمَلونَ حتَّى ننْظُرَ، فلمَّا رَأوْا أنَّه لا ينْزِل شيْءٌ؛ قالُوا: ما نرَى شيْئًا فأنْزَل اللهُ تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] فأشْفقُوا، وانْتظَروا قُربَ السَّاعةِ، فلمَّا امْتدَّتِ الأيامُ قالُوا: يا مُحمَّدُ! ما نَرى شيْئًا مِمَّا تُخوفنا بِهِ؛ فأنْزَل اللهُ تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فوثَبَ رسُولُ اللهِ ﷺ، ورَفَع النَّاسُ رُؤوسَهُم، فنَزلَ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطْمَأنُّوا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الخازن (٣/ ٦٦).

(٢) قراءة سبعية، انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٥- ٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٧٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ١٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٧).

وفي قوْلِه: ﴿أَتَىٰٓ﴾ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه[١] بمعْنَـى: يـأْتِي؛ كـما يُقـال: أتَـاكَ الخـيْرُ فأَبْـشِرْ؛ أي: سَـيأتِيكَ، قالَـه ابْـنُ قُتيبـةَ[٢]. وشـاهِدُه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعـراف: ٤٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائـدة: ١١٦] ونحْـوُ ذلِـك.

والثَّاني: أتَى بمعْنَى: قرُبَ.

قالَ الزَّجَّاجُ: أعْلَم اللهُ تعَالى أنَّ ذلِك فِي قُرْبه بمنْزِلةِ مَا قدْ أتَى[٣].

والثَّالـث: أنَّ «أتَـى» للـماضِي، والمعْنَـى: أتَـى بعْـض عـذَابِ اللهِ، وهـوَ: الجـدْبُ الَّـذِي نـزَلَ بِهـم، والجُـوعُ.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فينـزِلُ بكِـم مسـتقبلًا كـما نـزَل بكُـمْ[٤] ماضيًـا، قالَـه ابْـنُ الأنْبـارِيِّ[٥].

وفي المرَادِ بـ«أمْرِ اللهِ» خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّهـا السَّـاعةُ، وهِـيَ تخْـرَّجُ[٦] عـلى قـوْلِ ابْـنِ عبـاسٍ الَّـذي قدَّمنـاه، وبـهِ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ[٧].

---

(١) في (ر): أتى.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٩).

(٤) ليست في (م).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٤).

(٦) في (ر): وقد يخرج. وفي (م): وقد تخرج: وفي (س): ويخرج.

(٧) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠).

والثَّـاني: خُـروج رسُـولِ اللهِ ﷺ، رَواه الضَّحَّـاكُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١]، يعْنِـي: أنَّ خُروجَـه مِـن أمَـاراتِ السَّـاعةِ.

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: أتَـى أمْـرُ اللهِ مِـن أشْراطِ السَّـاعة، فـلا تسْـتعْجِلُوا قيـامَ السَّـاعةِ.

والثَّالث: أنَّه الأحْكامُ والفرَائِض، قالَه الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: عذَابُ اللهِ، ذكَره ابْنُ الأنْبَاريِّ.

والخامِس: وعِيدُ المشْرِكينَ، ذكَرهُ الماوردِيُّ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ أي: لَا تطْلُبـوهُ قبْـل حينِـه. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنْزِيـهٌ لـه وبـراءَةٌ مِـنَ السُّـوءِ عـمَّا يُشركُـون بـهِ مِـنَ الأصْنَـامِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وأبـو عمْـرو: ﴿يُنْزِلُ﴾ بإِسْـكانِ النُّـونِ وتخْفِيـف الـزَّاي. وقـرَأ نافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ: «يُنَـزِّلُ» بالتَّشْـديدِ، ورَوى الكِسَـائيُّ عـنْ أبي بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: {تُنَـزَّل} بالتَّـاء مضْمُومـةً، وفتْـحِ الـزَّاي مُشـدَّدةً[٣]. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ رفْـعٌ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وَيُريد بالملائكةِ جبْريلَ عليه السَّلام وحْدَه[٤]. [٤٤٨/ ب]

---

(١) ذكـره السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ١٠٨)، وعـزاه إلى ابـن مردويـه مـن طريـق الضَّحَّـاك عـن ابـن عبَّـاسٍ.

(٢) النكت والعيون (٣/ ١٧٨).

(٣) قراءات سبعية، انظر: التيسير (ص: ٦١)، والسبعة (ص: ٣٧٠).

(٤) تنويـر المقبـاس (ص: ٢٢١)، وذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٥٥)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ٩).

وفي المُرَادِ بالرُّوح ستَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الوحْيُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(١)].

والثَّاني: أنَّه النُّبوَّةُ، رَواه عكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٢)].

والثَّالث: أنَّ المعْنَى: يُنزِّلُ[(٣)] الملائكةَ بأمْرِهِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٤)].

فعَلى هذا يكُون المعْنَى: أنَّ أمْرَ اللهِ كلَّه روحٌ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الرُّوح مَا كانَ فيهِ مِن أمْرِ اللهِ حياةُ النُّفُوسِ[(٥)] بالإرْشادِ[(٦)].

والرَّابع: أنَّه الرَّحمةُ، قالَه الحسَنُ، وقتادَةُ.

والخامِس: أنَّ أرْواحَ الخلْقِ[(٧)]: لا ينْزل ملَكٌ إلَّا ومعَهُ رُوحٌ، قالَه مُجاهِدٌ.

والسَّادس: أنَّه القُرآنُ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

فعلَى هذَا سمَّاه رُوحًا؛ لأنَّ الدِّين يحيَا بهِ، كَما أنَّ الرُّوحَ تُحيي البدَنَ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٠٩) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٦) عن مجاهد.

(٣) في (ر): تنزل.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٦٥).

(٥) في معاني الزجاج: للنفوس.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠).

(٧) في (م): أنه أرواح الخلائق.

وقالَ بعْضُهم: الباءُ في قوْلِه: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بمعْنَى: معَ، فالتَّقْديرُ[1]: معَ الرُّوحِ، ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾؛ أي: بأمْرِه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعْنِي: الأنْبياءَ ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾.

قالَ الزَّجّاج: والمعْنَى: أنْذِروا أهْلَ الكُفْرِ والمعَاصِي بـ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ أي: مُرُوهُم بتوْحِيدي[2]، وقالَ غيْرُه: أنْذِروا بـ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ أي: مُرُوهُم[3] بالتَّوْحيدِ معَ تخْوِيفِهم إنْ لم يُقِرُّوا.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤﴾ [النحل: ٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ قالَ المفَسِّرُونَ: أخذَ أُبيُّ ابنُ خلَفٍ عظْمًا رَمِيمًا، فجعَل يفتُّه ويقُول: يا محَمَّدُ! كيْفَ يبْعثُ اللهُ هذَا بعدَمَا رمَّ؟.

فنزَلَتْ فيهِ[4] هذِه الآيَةُ، والخَصِيمُ: المخاصِمُ، والمبين: الظَّاهِرُ الخُصومَةِ.

والمعْنَى: أنَّه مخْلُوقٌ مِن نُطفةٍ، وهوَ معَ ذلِك يخاصِمُ ويُنْكر البعْثَ، أفلَا يُستدلُّ بأوَّلِه علَى آخِرِه، وأنَّ مَن قدرَ علَى إيجادِهِ أوَّلًا، قدرَ[5] علَى إعادَتِه ثانيةً؟.

---

(١) في (م): تقديره.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠).

(٣) في (س): أنذروهم.

(٤) ليست في (س)، و(م).

(٥) في (ر): يقدر.

وفيـه تنْبيـهٌ عـلى إنْعـامِ اللهِ عليـهِ حيْـثُ[١] نقَلَـه مِـن حـالِ ضعْـفِ النُّطْفـةِ إلى القـوَّة الَّتـي أمكَنَـهُ معَهـا الخِصَـام.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ [النحل: ٥ - ٧].

قوْله تعَالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ﴾ الأنْعام: الإبِلُ، والبقَر، والغنَم.

قوْله تعَالى: ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهمـا: أنَّـه مَـا اسْـتُدفِئَ بـهِ مِـن أوْبارِهـا تُتَّخـذُ ثِيابًـا، وأخْبِيـةً، وغـيْرَ ذلِـك، رَوى العَـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّـه قـالَ: يعْنـي بالـدِفْء: اللِّبَـاسَ[٢]، وإلى هــذَا المعْنَـى ذهَـب الأكْثَـرُونَ.

والثَّـاني: أنَّـه نسْـلُها. رَوى عكرِمَـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾ قـالَ: الـدِفْءُ: نسْـلُ كُلِّ دابَّـةٍ[٣]، وذكَـر ابْـنُ السَّـائبِ قـالَ: يُقـال: الـدِفْء أوْلَادُهـا، ومَـن لَا يحْمِـلُ مِـنَ الصِّغـارِ[٤]، وحكَـى ابْـنُ فـارسٍ اللُّغـويُّ عـنِ

---

(١) في (ر)، و(م): حين.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ١٦٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ١١٠) إلى ابـن جريـر وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم عـن ابـن عبَّـاس.

(٣) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (١/ ٣٥٣)، والطـبري في تفسـيره (١٧/ ١٦٨) مـن طريـق سـماك، عـن عكرمـة، عـن ابـن عبـاس، قولـه: ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ﴾ قـال: نسـل كلّ دابـة، وذكـره السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ١١٠) إلى عبـد الـرزاق والفريـابي وابـن جريـر وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم عـن ابـن عبَّـاس.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٧٩).

الأُمـويِّ، قـالَ: الـدِفْءُ عنْـدَ العـرَب: نَتَـاجُ الإِبِـلِ وأَلْبَانِهَـا(١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾؛ أي: سِـوى الـدِفْءِ مِـنَ الجُلُـودِ، والألْبَـانِ، والنَّسْـلِ، والرُّكـوبِ، والعمَـلِ عليْهَـا، إلى غـير ذلِـك، ﴿وَمِنْهَـا تَأْكُلُونَ﴾ يعْنِـي: مِـن لحُـومِ الأَنْعَـامِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾؛ أي: زِينَـةٌ، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾؛ أي: حـين تَرِدُونَهَـا إلى مراحِهَـا(٢)، وهـوَ المـكانُ الَّـذِي تـأْوِي إليْـهِ، فتَرْجِـعُ عِظَـامَ الـضُّروعِ والأَسْـنِمَةِ، فيُقَـال: هـذَا مَـالُ فُـلانٍ، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُرسِـلُونَهَا بالغَـدَاة إلى مَراعِيهَـا.

فإنْ قِيلَ: لِمَ قدَّم الرَّواح وهوَ مُؤخَّرٌ؟.

فالجـوَابُ: أنَّهـا في حـالِ الـرَّواحِ تكُـونُ أجمَـلَ؛ لأنَّها قـد رعَـتْ، وامْتلأَتْ [٤٤٩/أ] ضُروعُهَـا، وامْتدَّتْ أسْـنِمتُهَا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ الإشَـارةُ بهـذَا إلى مـا يطِيـق(٣) الحمْـلَ منْهَـا، والأثْقَـالُ: جمْـعُ ثُقْـلٍ، وهـوَ متَـاعُ المسَـافِرِ.

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه عامٌّ في كُلِّ بلدٍ يقْصدُه المسافِرُ، وهوَ قوْلُ الأكْثرِينَ.

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٧).

(٢) في (ر): مراحلها.

(٣) في (م): تطيق.

والثَّاني: أنَّ المرادَ بِهِ: مكَّةَ، قالَه عكرِمَةُ، والأوَّل أصَحُّ، والمعْنَى: أنَّها تحملُكُم إلى كُلِّ بلَدٍ لَو تكلفتُم أنْتُم بلُوغه لم تبلغُوهُ إلَّا بشقِّ الأنْفُسِ.

وفي معْنَى «شِقِّ الأنْفُس» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه المشقَّةُ، قالَه الأكْثَرُونَ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقالُ: نحْنُ بشقٍّ مِنَ العَيْشِ؛ أي: بجَهْدٍ[1]؛ وفي حديثِ أُمِّ زرْعٍ: «وَجَدَنِي فِي أهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ»[2].

والثَّاني: أنَّ الشِّقَ: النِّصْفُ، فكانَ الجهْدُ يُنْقِص مِن قوَّةِ الرَّجُل ونفسِه كأنَّه قد ذَهَب نصْفُه، ذكرَه الفرَّاءُ[3].

قوْلُه تعالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: حِينَ مَنَّ عليْكُم بالنِّعَمِ الَّتي فيهَا هذِه المرَافِق[4].

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱلْخَيْلَ﴾؛ أي: وخلَقَ الخيْلَ ﴿وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: وخلَقَها زِينةً[5].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٩٧).

(٤) في (م): الرفق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

فَصْلٌ

ويجوزُ أكْلُ لحمِ الخيْلِ، وإنَّما لم يُذكرْ في الآيةِ؛ لأنَّه ليْس هوَ المقْصُودُ، وإنَّما معظَمُ المقْصُودِ بها: الرّكوبُ والزِّينةُ، وبهذَا قالَ الشَّافعِيُّ. وقالَ أبو حَنيفةَ، ومالِكٌ: لا تُؤكلُ لحُومُ الخيْلِ(١).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ذكَر قوْمٌ مِنَ المفَسِّرينَ: أنَّ المرَاد بهِ عجائِبُ المخْلُوقاتِ فِي السَّمواتِ والأرْضِ الَّتِي لم يُطَّلعْ عليْهَا؛ مثْلُ مَا يُروى: أنَّ للهِ ملكًا مِن صِفَتِه كذَا، وتحْتَ العرْشِ نهرٌ مِن صِفَتِه كذَا.

---

(١) اختلف أهل العلم في حكم أكل لحم الخيل على ثلاث مذاهب:

المذهب الأول: الجواز: اختاره من الصحابة عبد الله بن الزبير و أسماء وهو مذهب الشافعي وأحمد ومحمد وأبو يوسف وابن حبيب من المالكية وإسحاق والظاهرية غيرهم من أهل العلم. قال الشافعي الأم: كل ما لزمه اسم الخيل من العراب والمقاريف والبراذين، فأكلها حلال. قال ابن قدامة المقدسي الكافي: الحيوان ثلاثة أقسام: أهلي فيباح منه بهيمة الأنعام؛ لقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ والخيل كلها. قال ابن الهمام الفتح القدير: «وَيُكْرَهُ لَحْمُ الْفَرَسِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ»، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ.

المذهب الثاني: الكراهة ذهب إليه الأوزاعي وأبو عبيد وهو قول لمالك ورواية عن أبي حنيفة، قال ابن عبد البر: ولا تؤكل الخيل عند مالك كراهية لا تحريمًا.

المذهب الثالث: التحريم وهو مذهب ابن عباس وقول لأبي حنيفة وهو المعتمد من مذهب مالك. قال الموصلي الحنفي الاختيار: ولا يحل أكل كل ذي ناب من السباع ولا ذي مخلب من الطير، ولا تحل الحمر الأهلية ولا البغال ولا الخيل. انظر: الأم للشافعي (٢/ ٢٧٥)، الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٥٥٦ - ٥٥٧)، وفتح القدير؛ للكمال ابن الهمام (٩/ ٥٠١)، والكافي في فقه المدينة (١/ ٤٣٦)، والاختيار لتعليل المختار (٥/ ١٤).

وقالَ قوْمٌ: هوَ مَا أعدَّ اللهُ لأهْلِ الجنَّةِ فيهَا، ولأهْلِ النَّارِ.

وقـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ: في النَّـاسِ مَـنْ كـرِهَ تفْسِـيرَ هـذَا الحـرْفِ.
وقـالَ الشَّـعْبي: هـذَا الحـرْفُ مِـن أسْرارِ القُـرآنِ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحـل: ٩ - ١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾.

القَصْـدُ: اسْـتقامَةُ الطَّريـقِ، يُقـال: طَريـقٌ قصْـدٌ وقاصِـدٌ؛ إذا قصَـدَ بِـكَ مـا تُريـد. قـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى: وعلَـى اللهِ تبْيِـينُ الطَّريـقِ المسـتقِيمِ، والدُّعـاءُ إليْـهِ بالحُجَـجِ والبُرهـانِ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾.

قـالَ أبـو عُبيـدةَ: السَّـبِيلُ لفْظُـه لفْـظُ الواحِـدِ، وهـوَ في موْضِـعِ الجمِيـعِ، فكأنَّـه قـالَ: ومِـنَ السُّـبُلِ سَـبِيلٌ جائِـرٌ[2].

قـالَ ابْـنُ الأنْباريِّ: لَمَّا ذُكرَ السَّـبِيلُ، دلَّ على السُّـبُلِ. فلِذلـكَ قالَ: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ كـمَا دلَّ الحدَثـانِ علَى الحـوَادثِ في قوْلِ العبْـديِّ [من الوافر]:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥٧).

وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ حَيٌّ ... فَهَلْ يَبْقَى عَلَيْهِنَّ السِّلَامُ

أرَاد: فهَل يبْقَى علَى الحوادثِ، والسِّلامُ: الصُّخورُ، قالَ: ويجُوز أنْ يكُونَ إنَّما قالَ: ﴿وَمِنْهَا﴾؛ لأنَّ السَّبِيلَ يُذكَّرُ ويُؤنَّث، فالمعْنَى: مِنَ السَّبِيل جائِرٌ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: المعْنَى: ومِنَ الطُّرِيقِ[1] جائِرٌ لا يهْتَدُون فيهِ، والجَائِرُ: العادِلُ عنِ القصْدِ[2].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ومنْهَا جائِرُ الأهْوَاءِ المختلفَةِ[3]. وقالَ ابْنُ المبارِكِ: [٤٤٩/ ب] الأهْوَاءُ والبِدَعُ[4].

قوْلُه تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعْنِي: المطَرَ ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ وهوَ ما تشْرَبُونَه.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ذكرَ ابْنُ الأنْبارِيِّ في معْناه قوْلَيْنِ:

---

(١) في (ر)، و(م): الطرق.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٧٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٤) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: البيان ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ قال: الأهواء المختلفة.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٢٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٢٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١١).

أحدُهما: ومنْه سَقِي شَجرٍ، وشربُ شجرٍ، فخلَفَ المضَافَ إليْه المضَافُ؛ كقوْلِه: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٩٣].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: ومِن جهةِ المَاءِ شَجرٌ، ومِن سَقْيِهِ شجَرٌ، ومِن نَاحِيتِه شَجرٌ، فحُذفَ الأوَّل، وخلَفَه الثَّاني، قالَ زُهيرٌ [من الكامل]:

.... أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ[1]

أي: مِن مَرِّ حِجَجٍ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والمرَادُ بِهذِه الشَّجرِ: المرْعَى[2]. وقالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا نبَتَ[3] علَى الأرْضِ فهُو شَجرٌ، قالَ الشَّاعرِ يصِفُ الخيْلَ [من الرجز]:

يَعْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرْ
وَالْخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرْ[4]

---

(١) البيت في ديوان زهير (ص: ٨٦)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ٤٧٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٤٥٤)، والجمل المنسوب للخليل (ص: ١٦١)، والجمل؛ للزجاجي (ص: ١٣٩)، والإنصاف (ص: ٣١٥). **والقنة** -بالضم-: أعلى الجبل وأراد بها هنا ما أشرف من الأرض. **والحجر** -بكسر الحاء-: منازل ثمود بناحية الشام عند وادي القرى. **وأقوين**: خلون وأقفرن، وصدره:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحِجْرِ *** ....

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) في (م): ينبت.

(٤) الرجز للنمر بن تَوْلَب في ديوانه (ص: ٣٥٥)، وفيه: (عَسُرَ) بدل: (ضرَرْ). والشعر والشعراء (ص: ١٩١)، وفيه: (الشحم) بدل: (اللحم)، والأغاني (٢٢/ ٢٧٩)، واللسان (٨/ ٤٦٦٧) (هشش)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٣٢٤٨) (لحم)، وسمى اللبن=

يعْنِي: أنَّهم يسْقُون الخيْلَ اللَّبنَ إذَا أجْدَبَتِ الأرْضُ(١). و﴿تُسِيمُونَ﴾ بمعْنَى: تَرعَون، يُقال: سامَتِ الإبِلُ فهِيَ سائِمَةٌ؛ إذَا رعَتْ، وإنَّما أُخذ ذلِك مِنَ السُّومَةِ، وهيَ: العلَامةُ، وتأْويلُها: أنَّها تُؤثِّر في الأرْض برعْيها علَامَات.

قوْلُه تعَالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ﴾ ورَوى أبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «نُنْبِتُ» بالنُّون(٢).

قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد الحبُوبَ(٣)، ومَا بعْدَ هذا ظاهِرٌ إلى قوْله تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قالَ الأخْفشُ: المعْنَى: وجعَل النُّجومَ مُسخَّراتٍ، فجازَ إضْمارُ فعْلٍ غيْرَ الأوَّلِ؛ لأنَّ هذا المضْمرَ، في المعْنَى مثْلُ المظهَرِ، وقد تفْعَلُ العرَبُ أشدَّ مِن هذَا، قالَ الرَّاجز [من الرجز]:

تَسْمَعُ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَرَدَا وَفِي الْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَدَا(٤)

=لحمًا؛ لأنها تسمن على اللبن.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٨).

(٤) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٤١٥)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٠٥)، وروايته فيه:

تسمع للأحشاء منه لغطا *** ولليدين..............

وورد في الخصائص؛ لابن جني (٢/ ٤٣٢)، ورواية صدره:

تسمع للأجواف منه صرَدًا *** ....

وفي تفسير الطبري (١٤/ ٩٠- ٩١)، وروايته فيه: (صَوْرًا) بدل: (صَرَدًا)، وفيه: (وفي اليدين حشَّة وَبَوْرًا) وفيه: والحشة: اليبس.

المعْنَى: وتَرى في اليَديْنِ. والجُسْأةُ: اليَبسُ. والبَدَدُ: السَّعةُ[١].

وقالَ غيْرُه: قوْلُه تعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتٌ﴾ حالٌ مؤكّدةٌ؛ لأنَّ تسخيرَها قد عُرف بقوْلِه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسخَّرَاتٌ» (رفعًا كلّه، وروى حفصٌ عنْ عاصِمٍ: بالنَّصب، كالجمهُورِ، إلّا قوْلَه تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾)[٢] فإنَّه رفعُها[٣].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٢ - ١٦].

قوْلُه تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾؛ أي: وسخَّر ما ذرأ لكُم. وذرأ بمعْنَى: خلَق. و﴿سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: ذلَّلَهُ للرُّكوبِ والغوْصِ فيهِ ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعْنِي: السَّمكَ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعْنِي: الدُّرَّ، واللُّؤلُؤَ، والمرْجَانَ، وفي هذَا دلالَةٌ على أنَّ حالِفًا

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٥).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (س).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

لـو حلَـف: لا يلبِـسُ حُليًّـا، فلبِـسَ لؤلُـؤًا، أنَّـه يحْنَـثُ، وقـالَ أبـو حَنيفـةَ: لا يحْنَـثُ(١).

قوْله تعَالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ يعْنِي: السُّفنَ.

وفي معْنَى ﴿مَوَاخِرَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: جَواري، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ اللُّغويُّونَ: يُقال: مخرَتِ السَّفِينةُ مخرًا؛ إذا شقَّتِ الماءَ في جرَيَانِهَا.

والثَّاني: المواقِرُ(٢)، يعْنِي: المْلُوءةَ، قالَه الحسَنُ.

وفي قوْله تعَالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: بالرُّكوبِ فيهِ للتِّجارةِ ابْتغاءَ الرِّبح مِن فضْلِ اللهِ. [٤٥٠/أ]

والثَّاني: بما تستَخرِجُون مِن حلْيتِهِ، وتصيدُونَ مِن حيتَانِه.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وفِي دخُـولِ الـوَاوِ في قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ وجْهَـانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا معْطُوفـةٌ عـلى لَامٍ محْذُوفـةٍ، تقْدِيـرُه: وتـرَى الفُلْـكَ مواخِـرَ فيـهِ لِتنْتَفِعُـوا بذلِـكَ ولِتبْتغُـوا.

---

(١) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (٢/ ٣٣٦)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى البحرين (١/ ٥٨٠).

(٢) في المطبـوع: المواخـر. وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ١٨١) مـن طريـق عبـد الـوارث قـال: ثنـا يونـس، عـن الحسـن، في قولـه: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ قـال: المواقـر.

والثَّاني: أنَّهَا دخلَتْ لِفعْلٍ مُضمرٍ، تقْدِيرُه: وفعَل ذلِك لكِي تبْتَغُوا[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: نصَب فيهَا جِبالًا ثوَابتَ ﴿أَن تَمِيدَ﴾؛ أي: لِئلَّا تميدَ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: كراهَةَ أنْ تميدَ، يُقال: مادَ الرَّجُلُ يمِيدُ ميْدًا؛ إذا أُدير[٢] بهِ[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: الميْدُ: الحرَكَةُ والميْلُ، يُقال: فلانٌ يمِيدُ في مشيتِه؛ أي: يتكفَّأُ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: وجعَل فيهَا سُبُلًا؛ لأنَّ معْنَى «أَلْقَى»: «جعَل»[٥]. فأمَّا السُّبُلُ: فهِي الطُّرقُ. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: لِكي تهْتدوا[٦] إلى مقاصِدِكُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ فِيها ثَلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها معالِمُ الطُّرقِ بالنَّهارِ، وبالنَّجم هُم يهْتَدُون باللَّيلِ، رواه

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٦).

(٢) في نسخة المعاني المطبوعة: دِيرَ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٢)، وفيه: والميد: الحركة والميل. ومنه يقال: فلان يَمِيدُ في مشيته: إذا تَكَفَّأ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٦) في (م): أي: لعلكم تهتدون.

العَـوفيُّ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ[١].

والثَّـاني: أنَّهـا النُّجُـوم أيْضًـا، منْهـا مـا يكـونُ علامـةً لَا يُهتـدى بـهِ، ومنْهَا مـا يُهتـدَى بـهِ، قالَـه مُجاهِـدٌ، وقتـادَةُ، والنَّخَعِيُّ.

والثَّالث: الجِبَالُ، قالَه ابْنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ[٢].

وفِي المرادِ بالنَّجمِ أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الثُّريَّا، وبَناتُ نعْشٍ[٣]، والفرقدَانِ[٤]، والجَدْي، قالَه السُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّه الجَدْي، والفَرقَدَانِ[٥]، قالَه ابْنُ السَّائِبِ.

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ١٨٥) مـن طريـق عطيـة العـوفي عـن ابـن عبـاس ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ يعنـي بالعلامـات: معـالم الطـرق بالنهـار، وبالنجـم هـم يهتـدون بالليـل. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ١١٨) إلى ابـن جريـر وابـن أبي حاتـم وابـن مردويـه عـن ابـن عبَّـاس.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٢).

(٣) **بنـات نعـش**: سـبعة كواكـب؛ أربعـة منهـا نَعْـش؛ لأنهـا مُربعـة، وثلاثـةٌ بنـاتُ نعـشٍ؛ الواحـد ابـنُ نَعْـش؛ لأنَّ الكواكـب مذكـر فيذكرونـه عـلى تذكـيره، وإذا قالـوا: ثـلاث أو أربـع، ذهبـوا إلى البنـات. انظـر: المحيـط في اللغـة (١٠/ ٤١٩) (نـوأ)، والأزمنـة والأمكنـة (ص: ١٣٩- ٥٤٧)، واللسـان (٧/ ٤٤٧٤) (نعـش).

(٤) **الفرقـدان**: نجمان مُنيران في بنـات نعـش، يـضرب بهـما المثـل في طـول الصحبـة في التسـاوي والتشـاكل، وقيـل: نجمان في السماء لا يغربـان ولكنهـما يطوفـان بالجـدي، وقيـل: كوكبـان في بنـات نعـش الصغـرى. انظـر: اللسـان (٦/ ٣٤٠٢) (فرقـد)، وجنـى الجنتـين في تمييـز نوعـي المثنيين (ص: ٨٦).

(٥) في (م): أنه الفرقدان والجدي.

والثَّالث: أنَّه الجدْي وحْدَه؛ لأنه أثبَتُ النُّجومِ كُلِّها في مرْكَزِه، ذكرَهُ الماورديُّ(١).

والرَّابع: أنَّه اسْمُ جنْسٍ، والمرَادُ جميعُ النُّجومِ، قالَهُ الزَّجَّاجُ(٢).

وقرَأ الحسَنُ، (والضَّحَّاك، وأبو المتوكِّل)(٣)، ويحْيَى بْنُ وثَّابٍ: «وبالنُّجْم» بضمِّ النُّونِ وإسْكانِ الجِيم، وقرَأ الجَحْدرِيُّ: «وبالنُّجُم» بضمِّ النُّونِ والجِيمِ، وقرَأ مُجاهِدٌ: «وبالنُّجُومِ» بواوٍ علَى الجمْعِ(٤).

وفي المرَادِ بهذَا الاهْتِداءِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الاهْتدَاء إلى القِبْلَةِ.

والثَّاني: إلى الطَّرِيقِ في السَّفرِ.

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النحل: ١٧ - ١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ يعْنِي: الأوْثانَ، وإنَّما عبَّر عنْها بـ«مَنْ»؛ لأنَّهُم نحَلُوها العَقْلَ والتَّمييزَ. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يعْنِي: المشْرِكينَ، يقُول: أفلا تتعِظُونَ كما اتَّعظ المؤمِنُونَ؟.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٨٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٣) ساقط من (م).

(٤) قراءات شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٩)، والبحر المحيط (٥/ ٤٨٠).

قالَ الفرَّاءُ: وإنَّما جازَ أنْ يقُولَ: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾؛ لأنَّه ذُكِر معَ الخالِقِ؛ كقوْلِه: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥]، والعرَبُ تقُول: اشْتبَهَ عليَّ الرَّاكِبُ وجمَلُه[١]، فما أدْري مَنْ ذَا مِنْ ذَا؛ لأنَّهم لمَّا جمَعُوا بيْنَ الإنسانِ وغيْرِه، صلُحَتْ «مَن» فيهما جميعًا[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ قد فسَّرْناه في سورةِ[٣] إبراهيم [آية: ٣٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾؛ أي: لِما كانَ منْكُم مِن تقْصيرِكُم في شكْرِ نعمِهِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكُم إذْ لم يقطعْها عنكُم بتقْصيرِكُم[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ روى عبْدُ الوارِثِ، [٤٥٠/ب] إلَّا القزَّازَ «يُسِرُّون» و«يُعْلِنُونَ» بالياءِ[٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

---

(١) في (ر)، والمعاني للفراء: وحمله. وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٨٧)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٣/ ٣٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٩٨).

(٣) ليست في (ر)، و(س).

(٤) ليست في (س).

(٥) قراءة سبعية، قرأ عاصم في رواية هبيرة والقوّاس عن حفص بالياء فيهما، ويروى عن عبد الوارث عن أبي عمرو، وهو آحاد عنهم. انظر: السبعة (ص: ٣٧١)، وجامع البيان في القراءات السبع (٣/ ١٢٧١)، والمستنير في القراءات (ص: ٦٢٧)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٦٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قرَأ عاصِمٌ: يَدْعُونَ، باليَاءِ[١].

[قوْلُه تعَالى][٢]: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ يعْنِي: الأصْنامَ. قالَ الفرَّاءُ: ومعْنَى الأمْواتِ هاهُنا: أنَّها لَا رُوحَ فيهَا[٣]. قالَ الأخْفشُ: وقوْلُه: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ توْكِيدٌ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ «أيَّان» بمَعْنى: متَى.

وفِي المشارِ إلَيْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الأصْنامُ، عبَّرَ عنْهَا كما يُعبَّرُ عنِ الآدَمِيينَ.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: وذلِك أنَّ اللهَ تعَالى يبْعَثُ الأصْنامَ لها أرْوَاحٌ ومعَها شَياطِينُهَا، فيتَبرَّؤُونَ مِن عبادَتِهِم، ثُم يُؤمر بالشَّياطِينِ والَّذينَ كانُوا يعْبُدُونها إلى النَّار[٥].

والثَّاني: أنَّهُم الكفَّارُ، لَا يعلَمُون متَى بعْثُهم، قالَه مُقاتِلٌ[٦].

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) من (ر).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٩٨).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤١٥).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٣/ ٥٩)، والتفسير البسيط (١٣/ ٣٩).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٣).

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ
مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ
وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ
ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النحل: ٢٢ - ٢٧].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ قد ذكرْناه في سُورةِ البقرة [آية: ١٦٣].

قوْلُه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾؛ أي: بالبعْثِ والجزاءِ ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾؛ أي: جاحِدةٌ لا تعْرِف التَّوْحيدَ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾؛ أي: ممتنِعُونَ مِن قبُولِ الحَقِّ.

قوْلُه تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ قد فسَّرْناه في هود [آية: ٢٢]، ومعْنَى الآيةِ: أنَّه يُجازِيهم بسرِّهم وعلَنِهم؛ لأنَّه يعلمُه. والمسْتكْبِرُون: المتكبِّرُونَ عنِ التَّوحيدِ والإيمانِ.

وقالَ مُقاتِلٌ: ﴿مَا يُسِرُّونَ ﴾ حِين بَعثُوا في كُلِّ طريقٍ مَن يصدُّ النَّاسَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ حِين أظْهرُوا العداوةَ لِرسُول اللهِ(١).

---

(١) المصدر السابق.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾ يعْنِـي: المسـتكْبِرينَ ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ ﴾ عـلَى مُحمَّـدٍ ﷺ؟.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: «مـاذَا» بمعْنَـى «مَـا الَّـذي» و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ مرْفُوعـةٌ عـلى الجَـوابِ، كأنَّهُـم قالُـوا: الَّـذِي أَنْـزَل: أَسَـاطِير الأوَّلِـينَ؛ أي: الَّــذِي تذْكُـرونَ أنْتُـم أنَّـه مُنـزَّلٌ: أسَـاطِيرُ الأوَّلِـينَ[١].

وقد شرحْنَا معْنَى الأسَاطِيرِ فِي الْأنْعَامِ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: هُـمُ الَّذِيـن بعَثَهُـمُ الوليـدُ بْـنُ المغـيرةِ فِي طُـرق مكَّـةَ يصـدُّونَ النَّـاسَ عـنِ الإيـمانِ، ويقُـول بعْضُهُـم: إنَّ مُحمَّـدًا سَـاحِرٌ، ويقُـول بعْضُهُـم: شـاعِرٌ، وقـد شرحْنَـا هـذَا المعْنَـى في الْحِجْـرِ في ذكْـرِ المقْتَسِـمينَ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ ﴾ هـذِهِ لامُ العَاقبـةِ، وقـد شرحْنَاهَـا في غـيْرِ موْضِـعٍ، والأوْزَارُ: الآثَـامُ، وإنَّـما قـالَ: كامِلـةً؛ لأنَّـه لم يُكفَّـر منْهَـا شيْءٌ بـما يُصِيبهُـم مِـن نكبَـةٍ، أو بليَّـةٍ، كـما يُكفَّـر عـنِ المؤمِـن، ﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾؛ أي: أنَّهـم أضلُّوهُـم بغـيرِ دلِيـلٍ، وإنَّـما حمَلُـوا مِـن أوْزارِ الأتْبـاعِ؛ لأنَّهـم كانُـوا رُؤسـاءَ يُقْتـدى بِهِـم في الضَّلالَـةِ، وقـد ذكَـر ابْـنُ الأنْبَـاريِّ[٣] في «مِـن» وجْهَـيْنِ:

أحدُهـا: أنَّهـا للتَّبْعِيـضِ، فهُـم يحمِلُـون مَـا شَرِكُوهـم فيـهِ، فأمَّـا مَـا ركِبَـه أولئك باخْتِيارِهـم مِن غـيْرِ تزْيِينِ هـؤلاءِ، فلا يحْمِلُونـه، فيصِحُّ معْنَـى التَّبْعيضِ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٣- ٤٦٤).

(٣) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٣/ ٤٤).

والثَّاني: أنَّ «مِن» مُؤكِّدةٌ، والمعْنَى: وأوْزَار الَّذِين يُضلُّونهم. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: بِئْس مَا حمِلُوا على ظُهُورِهِم.

قوْله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. [٤٥١/أ]

قالَ المفَسِّرونَ: يعْنِي به: النَّمْرُودَ بْنَ كنْعَانَ، وذلِك أنَّه بنَى صرْحًا طويلًا.

واخْتلفُوا في طُولِه: فقَال ابْنُ عبَّاس: خمْسة آلافِ ذِراعٍ[1]. وقال مُقاتِلٌ: كانَ طولُه فرْسَخيْنِ[2][3]. قالُوا: ورَام أنْ يصعَدَ إلى السَّماءِ لِيُقاتِلَ أهْلَهَا بزعْمِه.

ومعْنَى «المكْرِ» هاهُنا: التَّدْبِيرُ الفاسِدُ.

وفِي الهاءِ والميمِ «مِنْ قَبْلِهِم» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها للمُقْتَسِمينَ علَى عِقابِ مكَّةَ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: لكفَّارِ مكَّة، قالَه مُقاتلٌ[4].

قوْلُه تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾؛ أي: مِنَ الأسَاسِ.

قالَ المفسِّرونَ: أرْسَل اللهُ ريحًا فألْقتْ رأسَ الصَّرحِ في البَحْرِ، وخرَّ عليْهِمُ البَاقِي.

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٧١) من رواية الكلبي، وذكره أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٦).

(٢) في الأصل، و(س)، و(م): فرسخان، والمثبت من (ر).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

قالَ السُّدِّيُّ: لمَّا سقَط الصَّرحُ، تبَلْبَلَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ مِنَ الفزَعِ، فتكلَّمُوا بثلاثَةٍ وسَبْعينَ لِسانًا، فلذلِكَ سُمِّيتْ «بابِل»، وإنَّما كانَ لِسانُ النَّاس قبْلَ ذلِك بالسُّريانيةِ[1].

وهذَا قوْلٌ مرْدُودٌ؛ لأنَّ التَّبلْبل يُوجِب الاخْتِلاطَ والتَّكلُّمَ بشيْءٍ غيْرِ مُستقيمٍ، فأمَّا أنْ يُوجِبَ إحْداثَ لُغةٍ مضْبُوطةِ الحَواشي؛ فباطِلٌ، وإنَّما اللُّغاتُ تعْليمٌ مِنَ اللهِ تعَالى.

فإنْ قِيلَ: إذَا كانَ الماكِرُ واحِدًا، فكيْفَ قالَ: «الَّذِين» ولم يقُلْ: «الَّذي»؟.

فعنْهُ ثلاثَةُ أجْوِبةٍ:

أحدُها: أنَّه كانَ الماكِرُ ملكًا له أتْباعٌ، فأُدْخِلوا معَه في الوصْفِ.

والثَّاني: أنَّ العرَبَ تُوقعُ الجمْعَ علَى الوَاحِدِ؛ فيقُول قائِلُهم: خرجْتُ إلى البصْرَةِ علَى البِغَالِ، وإنَّما خرَج علَى بغْلٍ واحِدٍ.

والثَّالث: أنَّ «الَّذِين» غيْرُ موقعٍ علَى واحِدٍ مُعيَّنٍ، لكنَّه يُراد بهِ: قد مكَرَ الجبَّارُونَ الَّذِين مِن قبْلِهم، فكانَ عاقِبَةُ مكْرِهم رُجُوعَ البلاءِ عليْهِم، ذكَرَ هذِه الأجْوبةَ ابْنُ الأنْبارِيِّ، قالَ: وذكَرَ بعْضُ العُلماءِ: أنَّه إنَّما قالَ: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾، لِيُنبِّهَ علَى أنَّهم كانُوا تحْتَه؛ إذْ لو لم يقُلْ ذلِك، لاحْتملَ أنَّهم لم يكونُوا تحْتَه؛ لأنَّ العرَبَ تقُولُ: سقَطَ عليْنَا البيْتُ، وخرَّ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٢- ١٩٣) من طريق أسباط عن السدي، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٧).

علينَا الحَانوتُ، وتدَاعتْ علينَا الدَّارُ، وليْسوا تحْتَ ذلِك[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَتَنٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: مِن حيْثُ ظنُّوا أنَّهم آمِنُونَ فيهِ. قالَ السُّدِّيُّ: أُخِذُوا مِن مأمَنِهم[٢].

وروى عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: خرَّ عليْهم عذَابٌ مِنَ السَّماءِ[٣]. وعامَّةُ المفسِّرينَ علَى ما حكيْنَاه مِن أنَّه بُنيانٌ سقَطَ.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: هذَا مَثَلٌ، والمعْنَى: أهْلَكَهُمُ اللهُ، كما هلَك مَنْ هُدِم مسْكَنُه مِن أسْفَلِه، فخَرَّ عليْه[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾؛ أي: يذلُّهم بالعذَابِ. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ قرَأ نافِعٌ، وأبو عمْرو، وابْنُ عامِرٍ، وعاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: «شُرَكاءِيَ» الَّذِين بهمْزَةٍ وفتْحِ اليَاءِ، وقالَ البزِّي، عنِ ابْنِ كثيرٍ: «شُرَكَايَ»[٥]؛ مثْل: هدايَ، والمعْنَى: أيْن شركائي علَى زعمِكُم؟ هلَّا دفَعُوا عنْكُم. [٤٥١/ب]

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ يقول: عذاب من السماء لمَّا رأوه استسلموا وذلوا.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٥) قراءات سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧١ - ٣٧٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧).

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: تُخالِفُون المسْلِمينَ فتعْبُدُونَهُم وهُمْ يعْبُدون اللهَ، وقرَأ نافِعٌ: «تُشَاقُّونِ» بكسْرِ النُّونِ[1]، أرَاد: تُشاقُّونَنِي، فحذَفَ النُّونَ الثَّانِيةَ، وأبْقَى الكسْرَةَ تدلُّ عليْها، والمعْنَى: كنْتُم تُنازِعُونَنِي فيهِم، وتُخالِفُون أمْرِي لِأجْلِهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهِم ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُم الملائِكةُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الحَفَظةُ مِنَ الملائِكةِ، قالَه مُقاتِلٌ[2].

والثَّالث: أنَّهم المؤمِنُونَ.

فأمَّا «الخِزْي» فقد شرَحْناه في مِواضِعَ. و«السُّوء» هَاهُنا: العذَابُ.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨ - ٢٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

قالَ عكْرِمَةُ: هؤلاءِ قوْمٌ كانوا بمكَّةَ أقرُّوا بالإسْلامِ ولم يُهاجِرُوا، فأخْرَجَهُم المشرِكونَ كرهًا إلى بدْرٍ، فقُتِل بعْضُهم[3]. وقد شرَحْنا هذا في

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧)، وتفسير البغوي (٢/ ٦١١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٥) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن=

سُورةِ النِّساء [آية: ٩٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: انْقَادُوا واسْتَسْلمُوا، والسَّلَمُ الاسْتِسْلامُ(١).

قالَ المفَسِّرونَ: وهذَا عنْدَ الموْتِ يتَبرَّؤُونَ مِنَ الشِّرْكِ، وهوَ قوْلُهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ وهو الشِّرْكُ، فتردُّ عليْهم الملائكةُ فتقُولُ: «بَلَى». وقِيلَ: هذا ردُّ خزَنَةِ جهَنَّمَ عليْهم ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ والتَّكْذيبِ. ثُمَّ يُقالُ لهم: ادْخُلوا أبْوَابَ جهَنَّم، وقد سبَقَ تفْسِيرُ ألْفاظِ الآيةِ، [النساء: ٩٧] و[الحجر: ٤٤].

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٠ - ٣٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

رَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ مُشركي قُرَيشٍ بعَثُوا ستَّةَ عشَرَ رجُلًا إلى عِقَابِ(٢) مكَّةَ أيَّامَ الحَجِّ على طريقِ النَّاسِ، ففرَّقُوهم على كلِّ

=دينار، عن عكرمة، قال: كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرج بهم كرهًا إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٢) العقاب: جمع عقبة، والعقبة: طريق في الجبل وعر.

عقبةٍ أربعةَ رِجالٍ، لِيصدُّوا النَّاسَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ. وقالُوا لهُم: مَن أتاكُم مِنَ النَّاسِ يسْألكم عنْ محُمَّدٍ فلْيَقُلْ بعْضُكم: شَاعِرٌ، وبعْضُكم: كاهِنٌ، وبعْضُكم: مجنونٌ، وألَّا ترَوْهُ ولَا يَراكُم خيْرٌ لكُم، فإذَا انْتَهوا إليْنَا، صدَّقْنَاكُم، فبلَغَ ذلِك رسُولَ اللهِ ﷺ، فبعَث إلى كُلِّ أرْبعةٍ منْهُم أرْبعَةً مِنَ المسلِمِينَ، فيهِم عبْدُ اللهِ بْنُ مسْعُودٍ، فأُمِروا أنْ يكذِّبُوهُم، فكانَ النَّاسُ إذَا مَرُّوا علَى المشْرِكينَ، فقالُوا مَا قالُوا، ردَّ عليْهِم المسلِمُونَ، وقالُوا: كذَبُوا، بل يدْعُو إلى الحَقِّ، ويأمُرُ بالمعْرُوفِ، وينْهَى عنِ المنكرِ، ويدْعُو إلى الخيْرِ، فيقُولُونَ: ومَا هذا الخَيْرُ الَّذي يدْعُوا إليْهِ؟ فيقُولُونَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾؛ أي: أنْزَل خيْرًا، ثُم فسَّر ذلِكَ الخيْرَ، فقَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قالُوا: لَا إلَه إلَّا اللهُ، وأَحْسَنُوا العمَلَ ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ أي: كرامَةٌ مِنَ اللهِ تعَالى في الآخِرَة، وهيَ الجنَّة، {وقيلَ للَّذينَ أحْسَنُوا في هذِه الدُّنْيَا حسنَةٌ} وهيَ مَا رزَقَهُم مِن خيْرِها وطاعِته فيهَا، ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ يعْني: الجنَّةَ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنَ الدُّنْيَا.

وفي قوْله تعَالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قوْلَانِ:

[٤٥٢/أ] أحدُهما: أنَّها الجنَّةُ، قالَه الجمْهورُ.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: في الكلَامِ محْذُوفٌ، تقْديرُه: ولنِعْمَ دارُ المتَّقِينَ الآخِرةُ، غيْرَ أنَّه لمَّا ذُكرت أوَّلًا، عُرِف معْنَاها آخرًا، ويجُوز أنْ يكُونَ

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٧٢).

المعْنَى: ولنِعَم دَارُ المتَّقِين جنَّاتُ عدنٍ[١].

والثَّاني: أنَّها الدُّنيا.

قالَ الحسَنُ: ولَنِعْمَ دارُ المتَّقِينَ الدُّنْيَا؛ لأنَّهم نَالوا بالعَملِ فيهَا ثوَابَ الآخِرَةِ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ قد شرحْنَاه في بَراءة [آية: ٧٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وقرَأَ حمْزَةُ: «يتوفَّاهُم» بياءٍ معَ الإمَالةِ[٣].

وفي معْنَى «طَيِّبِينَ» خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مُؤمِنِينَ.

والثَّاني: طاهِرينَ مِنَ الشِّركِ.

والثَّالث: زَاكيةً أفْعالُهم وأقْوالُهم.

والرَّابع: طَيِّبةً وفَاتُهم، سهْل خروجُ أرْوَاحِهم.

والخامسة: طَيِّبةً أنْفُسُهم بالموْتِ، ثقَةً بالثَّوابِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَقُولُونَ ﴾ يعْنِي: الملائِكةَ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾.

وفي أيِّ وقْتٍ يكونُ هذَا السَّلامُ؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: عنْدَ الموْتِ.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٨٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٧).

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

قالَ البراءُ بْنُ عازبٍ: يُسلِّم علَيْهِ ملَكُ الموْتِ إذَا دخَل عليْهِ(١).

وقالَ القرظيُّ: ويقُول له: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقَرأُ عليْكَ السَّلام، ويُبشِّرُه بالجنَّةِ(٢).

والثَّاني: عنْدَ دُخول الجنَّةِ.

قالَ مُقاتِلٌ: هذا قوْلُ خزنَةِ الجنَّة لهُم فِي الآخِرَةِ يقُولُون: سَلامٌ عليْكُم(٣).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النحل: ٣٣ - ٣٤].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٩)، من طريق أبي رجاء، عن محمد بن مالك، عن البراء، قال: قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ قال: يسلم عليه عند الموت، وذكره مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٧٦) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٨) من طريق يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، أنه سمع محمد بن كعب القُرَظيّ يقول: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال: السلام عليك وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم نزع بهذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ ... إلى آخر الآية. وأخرجه أيضًا أبو الشيخ في العظمة (ص: ١٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٧) من طريق أبي صخر به، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٢) من طريق يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن منده في كتاب الأحوال.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٧).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسَائِيُّ: «يَأْتِيهُم» باليَاء[1]، وهذا تهديدٌ للمُشركِين، وقد شرَحْنَاه في البقرةِ [آية: ٢١٠]، وآخِرِ الأَنْعَام.

وفي قولِه تعَالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ قولَانِ:

أحدُهما: أمرُ اللهِ فيهِم، قالَه ابنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: العذَابُ في الدُّنْيَا، قالَه مُقاتِلٌ[2].

قَوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يُريد: كُفَّارَ الأُمَمِ الماضِيةِ، كذَّبُوا كما كذَّبَ هؤلَاءِ. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بإهْلَاكِهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالشِّرْكِ ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾؛ أي: جزاؤُها.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: جزاءَ ما عمِلُوا مِنَ الشِّرْكِ[3]، ﴿وَحَاقَ بِهِم ﴾ قد بيَّنَّاه في الأَنْعَامِ، والمعْنَى: أحاطَ بهِم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ مِنَ العذَابِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٨).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٨٥)، بنحوه. وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦١)، والبسيط (١٣/ ٥٤).

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[النحل: ٣٥ - ٣٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ يعْنِـي: كُفَّـار مكَّـةَ ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ يعْنِـي: الأصْنَـامَ[1]؛ أي: لـو شـاءَ مَـا أشْرَكْنَـا ولا حرَّمْنَـا مِـن دُونـهِ مِـن شيْءٍ مِـن البَحِـيرةِ، والسَّـائبةِ، والوَصِيلـةِ، والحَـامِ، والحَرْثِ، وذلِـك أنَّـه لمَّـا نـزَل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان: ٣٠] قالُـوا هـذَا عـلَى سـبيلِ الاِسْـتهزاءِ، لا عـلَى سـبِيلِ الاِعْتِقَـادِ، وقيـلَ: معْنَـى كلامِهِـم: لـو لم يأمرْنَـا بهـذَا ويُـردْهُ منَّـا، لم نأْتِـه.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مِـن تكْذِيـبِ الرُّسـلِ وتحْرِيـمِ مَـا أحـلَّ اللهُ ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعْنِـي: لَيْـس علَيْهِـم إلَّا التَّبليـغُ، فأمَّـا الهدايـةُ، فهِـيَ إلى اللهِ تعَـالى، وبـيَّنَ ذلِـك بقوْلِـه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾؛ أي: كـمَا بعثْنَـاكَ في هـؤلَاءِ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وحِّـدُوه ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وهـوَ الشَّـيطَانُ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾؛ أي: [٤٥٢/ب]
أرْشَـدَهُ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾؛ أي: وجَبـتْ في سـابِقِ علْـمِ اللهِ تعَـالى، فأعْلَـم اللهُ عـزَّ وجـلَّ أنَّـه إنَّـما[2] بعَـثَ الرُّسُـلَ بالأمْـرِ بالعِبـادةِ، وهـوَ مِـن وراءِ الإضْـلَالِ والهِدَايـةِ.

﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مُعْتبريـنَ بآثَـارِ الأُمـمِ المكذِّبـةِ، ثُـمَّ أكَّـد أنَّ مَـن حقَّـتْ علَيْـهِ الضَّلالَـةُ لا يهتَـدي، فقَـال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾؛ أي:

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (س): لمَّا.

إن تطلُبْ هُداهُم بجهدِك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّ﴾ قرأ ابْنُ كثيرٍ، وأبو عمْرٍو، ونافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ: «لا يُهْدَى» برفْعِ الياءِ وفتْحِ الدَّالِ، والمعْنَى: مَن أضلَّه؛ فلَا هادِيَ لَه، وقرأ عاصِمٌ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «يَهْدِي» بفتْحِ الياءِ وكسْرِ الدَّال[١]، ولم يختَلِفوا في ﴿يُضِلُّ﴾ أنَّها بضمِّ الياءِ وكسْرِ الضَّادِ، وهذِه القِراءةُ تحْتَمِلُ معْنَيَيْنِ، ذكرهما ابن الأنباريِّ[٢].

أحدُهما: لا يهْدِي مَن طبَعَه ضالًّا، وخلَقَه شقِيًّا.

والثَّاني: لا يهْدِي؛ أي: لا يهْتَدِي مَن أضلَّه؛ أي: مَن أضلَّهُ اللهُ لا يهْتَدِي، فيكُون معْنَى يهدي: يهتَدِي، تقُولُ العرَبُ: قد هُدي فُلانٌ الطَّرِيقَ، يُريدون: اهْتدَى.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل: ٣٨ - ٤٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾.

سبَبُ نُزولِها: أنَّ رجُلًا مِنَ المسْلِمينَ كانَ له علَى رجُلٍ مِنَ المشْرِكين دَيْنٌ، فأتَاه يتقَاضاه، فكانَ فيما تكلَّم[٣] بِه: والَّذِي أرْجُوه بعْدَ الموْتِ،

---

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) ذكرهما الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٥٧) بدون نسبة إليه.

(٣) في (س): يتكلم.

فقَالَ المشْرِكُ: وإنَّك لتزعُمُ أنَّك تُبعَث بعْدِ الموْتِ؟ فأقْسَم باللهِ ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾... فنزَلَتْ هذه الآيةُ[1]، قالَه أبو العاليةِ. و﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مفسَّرٌ في المائدة [آية: ٥٣]، وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ عليْهِم. قالَ الفرَّاءُ: والمعْنَى: ﴿بَلَىٰ﴾ لَيبعثنّهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: يجُوز أنْ يكُونَ متعلِّقًا[3] بالبعْثِ، فيكُونُ المعْنَى: بلى يبعثُهُم لِيُبيِّنَ[4] لهُم، ويجوزُ أن يكُونَ معلَّقًا[5] بقوْلِه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ ليبيِّنَ لهُم[6].

وللمُفسِّرين في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُم جميعُ النَّاسِ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: أنَّهُم المشرِكُونَ، يُبيِّن لهُم بالبعْثِ مَا خالَفُوا المؤمنِينَ فيهِ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٠٣)، من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٨) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٠٠).

(٣) في (م): تعلقًا.

(٤) في (ر): فبين.

(٥) في (ر)، و(م): متعلقًا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٨).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾؛ أي: فيـمَا أقْسَـمُوا عليْـهِ مِـن نفْـيِ البعْـثِ. ثُـمَّ أخْـبرَ بقُدْرتِـه عـلى البعْـثِ بقوْلِـه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وعاصِـمٌ، وأبـو عمْـرٍو، وحمْـزةُ: «فيَكُـونُ» رفعًـا، وكذلِـك في كُلِّ القُـرآنِ. وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ، والكِسَـائِيُّ: «فيَكُـونَ» نصْبًـا(١).

قـالَ مكِـيُّ بْـنُ إبْراهيـمَ(٢): مَـن رفَـع، قطَعَـه ممَّـا(٣) قبْلَـه، والمعْنَـى: فهـوَ يكُـون، ومَـن نصَـب؛ عطفَـه عـلَى «يقُـول»، وهـذَا مثْـلُ قوْلِـه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وقـد فسَّرْنـاه في البقـرةِ [آيـة: ١١٧].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ سُمِّي الشَّيءُ قبْلَ وجُودِهِ شيْئًا؟.

فالجـوابُ: أنَّ الـشَّيءَ وقَـع عـلَى المعْلُـومِ عنْـدَ اللهِ قبْـل الخلْـقِ؛ لأنَّـه بمنزِلَـةِ مـا قـدْ عُويـنَ وشُـوهِدَ. [٤٥٣/أ]

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) أبـو السـكن مكـي بـن إبراهيـم بـن بشـير بـن فرقـد البرجمـي الحنظـلي التميمـي البلخـي، ثقـة ثبـت، مـن الطبقـة الخامسـة، روى عـن: أيمـن بـن نابـل، ويزيـد بـن أبي عبيـد، وبهـز بـن حكيـم، والجعيـد بـن عبـد الرحيـم، وروى عنـه: البخـاري، والستة عـن رجـل عنـه، وأحمـد ابـن حنبـل، ويحيـى بـن معيـن، وبنـدار، ومحمـد بـن يحيـى الذُّهـلي. قـال عنـه الـدار قطنـي: ثقـة مأمـون، وقـال النسـائي: ليـس بـه بـأس. تـوفي سـنة (٢١٤هــ). انظـر: تاريـخ الإسـلام (٥/ ٤٦٤).

(٣) في (ر): عماً.

قَوْلُه تعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾.

اخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَتْ علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزَلَتْ في سِتَّةٍ مِن أصْحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ: بِلالٌ، وعمَّارٌ، وصُهيبٌ، وخبَّابُ بْنُ الأرَتِّ، وعايشٌ[1] وجبْرٌ[2] مَوليانِ لِقُريشٍ، أخذَهُم أهْلُ مكَّةَ فجَعَلُوا يُعذِّبُونَهم، لِيردُّوهم عنِ الإسْلامِ، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ في أبي جنْدَلِ بْنِ سُهيلِ بْنِ عمْرٍو، قالَه داودُ بْنُ أبي هنْدٍ.

والثَّالثُ: أنَّهم جميعُ المهاجرِينَ مِنْ أصْحَابِ رسُولِ اللهِ ﷺ، قالَه قتادَةُ. ومعْنَى ﴿هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طلَبِ رِضاه وثوابِه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بما نالَ المشرِكُون منْهُم.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً﴾ وفيها خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لَنُنْزِلَنَّهم المدينَةَ، رَوى هذا المعْنَى أبو صالحٍ عنِ ابْنِ

---

(١) كذا في النسخ الخطية، والصواب: عابس، هو عابس مولى حويطب بن عبد العزَّى. انظر: أسد الغابة (٣/ ١٠٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٥٩).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، والصواب: جبير، فهو جبير مولى كثيرة بنت أبي سفيان. انظر: الكشف والبيان (١٦/ ٤٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٧١).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٢٤)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٢٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ٢٠).

عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ الحسَنُ، والشَّعبيُّ(٢)، وقتادةُ، فيكونُ المعْنَى: لَنُبوِئَنَّهم دارًا حسنَةً وبلدةً حسَنةً.

والثَّاني: لنَرزقنَّهُم في الدُّنْيا الرِّزقَ الحسَنَ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: النَّصْر على العدوِّ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أنَّه ما بقِي بعْدَهم مِنَ الثَّناءِ الحسَنِ، وصارَ لأوْلَادِهِم مِنَ الشَّرفِ، ذكَرَهُ الماوردِيُّ(٣)، وقد رُوي معْنَاه عنْ مُجاهِدٍ(٤)، فروى عنْهُ ابْنُ أبي نَجيحٍ أنَّه قالَ: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قالَ: لِسانُ صِدْقٍ(٥)(٦).

والخامِس: أنَّ المعْنَى: لَنُحسِنَنَّ إليْهِم في الدُّنْيا، قالَ بعْضُ أهْلِ المعانِي: فتكونُ علَى هذِه الأقْوال «لَنُبوئَنَّهم» علَى سبِيلِ الاِسْتعارَةِ، إلَّا علَى القوْلِ الأوَّلِ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يعْنِي: الجنَّةَ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ(٧).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٢٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٠٥- ٢٠٦) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي، ومن طريق سعيد، عن قتادة.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٨٩).

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن (٤/ ٦٧).

(٥) في (ر): لسانٌ صادقٌ.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٥٦٠).

(٧) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٦٣).

ونُقِل عن عُمرَ بْنِ الخطَّابِ -ﷺ- أنَّه كانَ إذا أعْطَى الرَّجُلَ مِن المهاجِرينَ عطَاءَه، قالَ: خُذْ بارَكَ اللهُ لكَ فيهِ، هذَا ما وعدَكَ[1] اللهُ في الدُّنيا، ومَا ذُخِر لكَ في الآخِرَةِ أفْضَلُ، ثُم يتْلُو هذِه الآيةَ[2].

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعَالى أثْنَى عليْهِم ومدَحَهُم بالصَّبْرِ فقَالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾؛ أي: على دينِهِم، لم يتْرُكوه لأذًى نَالَهُم، وهُم في ذلِك واثِقُون بربِّهِم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾.

قال المفَسِّرونَ: لَمَّا أنْكر مُشركو قُريشٍ نُبوَّةَ محمَّدٍ ﷺ، وقالُوا: اللهُ أعْظَم مِن أنْ يكونَ رسُولُه بشرًا، فهلَّا بعَثَ إلَيْنا ملَكًا! فنزلَتْ هذِه الآيةُ، **والمعْنَى**: أنَّ الرُّسُلَ كانوا مثْلَك آدَمِيينَ، إلَّا أنَّهُم يُوحَى إليْهِم.

وقرَأ حفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «نُوحِي» بالنُّون وكسْرِ الحَاءِ[3]. ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ ﴾ يا معْشرَ المشركينَ ﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ **وفِيهِم أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

---

(١) في الأصل: وعد، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٠٦)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ٢٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٨) إلى ابن المنذر.

(٣) قراءة سبعية، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧).

أحدُها: أنَّهُم أهْلُ التَّوراةِ والإنْجِيلِ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أهْلُ التَّوراةِ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: أهْلُ القُرآنِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والرَّابع: العُلَماء بأخْبَارِ مَن سلَفَ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[1]. [٤٥٣/ ب]

وفِي قوْلِه تعَالى: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: لا تَعلَمُون أنَّ اللهَ تعَالى بعَث رسُولًا مِنَ البَشَرِ.

والثَّاني: لا تعْلَمُون أنَّ محمَّدًا رسُولُ اللهِ.

فعلَى القوْلِ الأوَّلِ؛ جائِزٌ أن يسأَلَ مَن آمَن بِرسُولِ الله ومَن كفَر؛ لأنَّ أهْلَ الكتابِ والعلْمِ بالسِّيرِ متَّفِقُون علَى أنَّ الأنبياءَ كلَّهم مِنَ البشر، وعلى الثَّاني إنَّما يسْأَلُ مَن آمَنَ مِن أهْلِ الكتَابِ، وقد رُوِي عنْ مُجاهِدٍ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ قالَ: عبْدُ اللهِ بنُ سلَامٍ[2]، وعنْ قتادَة، قالَ: سلْمَان الفَارسيّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ فِي هذِه «الباءِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ في الكلَامِ تقْدِيمًا وتأْخِيرًا، تقْدِيرُه: ومَا أرْسَلْنا مِن قبلِك ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ إلَّا رِجالًا.

والثَّاني: أنَّ تقدير الكلام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أرْسَلْنَاهُم بالبيِّنَاتِ. والزُّبر: الكتب. وقد شرحْنا هذَا في آل عمران [آية: ١٨٤].

---

(١) النكت والعيون (٣/ ١٨٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٣)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

قَوْلُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ وهوَ القُرآنُ بإجماعِ المفسِّرينَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه مِن حلالٍ وحرامٍ[1]، ووعْدٍ ووَعِيدٍ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلِك فيعْتبرُونَ.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧)﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

قَوْلُه تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: أَرَادَ: مُشركي مكَّةَ. ومكْرُهُم السَّيئاتِ: شرْكُهُم وتكْذِيبُهُم، وسُمِّي ذلك مكْرًا؛ لأنَّ المكْرَ في اللُّغةِ: السَّعْي بالفسادِ[2]، وهذا استفهَامُ إنْكارٍ، ومعْنَاه: ينْبَغِي أنْ لا يأْمَنُوا العُقوبةَ، وكانَ مُجاهِدٌ يقُول: عنَى بهذا الكلامِ نمْرودَ بْنَ كنْعانَ.

قَوْلُه تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ فيهِ أربعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: فِي أسْفَارِهِم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3]، وبهِ قالَ قتادَةُ[4].

والثَّاني: في منَامِهِم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[5].

---

(١) في (س): ومن حرام.

(٢) في (م): في الفساد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٣٤) ط هجر.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٨)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٣) من طريق معمر، عن قتادة ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارهم.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٥٣٥).

والثَّالث: في لَيْلِهِم ونَهارِهِم، قالَه الضَّحَّاكُ، وابْنُ جُريجٍ، ومُقاتِلٌ[١].

والرَّابع: أنَّه جميعُ مَا يتقَلَّبُون فيهِ، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: علَى تنقُّصٍ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: التَّخوُّفُ: التَنَقُّصُ، ومثْلُه التَّخوُّن. يُقال: تخوَّفتْهُ الدُّهورُ[٣] وتخوَّنَتْه؛ إذا نقَصتْهُ وأخَذتْ مِن مالِه وجسمِهِ[٤].

وقالَ الهيْثَم بْنُ عديٍّ[٥]: التَّخوُّفُ: التَّنقُّصُ، بِلغةِ أزْد شُنوءة[٦].

ثُمَّ في هذَا التَّنَقُّصِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه تنقُّصٌ مِن أعْمالِهِم، قالَه[٧] الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٨].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠١).

(٣) في الأصل: الدهر، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٥) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن، أبو عبد الرحمن الطائي، الكوفي المؤرخ، قال ابن معين وأبو داود: كذاب، قال البخاري: سكتوا عنه، والنسائي: متروك الحديث، توفي سنة (٢٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٣)، والجرح والتعديل (٩/ ٨٥).

(٦) ذكر ذلك عنه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٣)، وذكره أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠).

(٧) في (ر)، و(م): رواه.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أخْذُ واحِدٍ بعْدَ واحِدٍ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا(١).

والثَّالث: تنَقُّصُ أمْوَالِهِم وثِمارِهِم حتَّى يهلِكَهُم، قالَه الزَّجَّاجُ(٢).

والثَّاني: أنَّه التَّخوُّفُ نفْسُه. ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: يأخذُهُم على خوْفٍ أنْ يُعاقبَ أو يتجاوزَ، قالَه قتادَةُ.

والثَّاني: أنَّه يأخذُ قرْيةً لِتخافَ القرْيةُ الأُخرى، قالَه الضَّحَّاكُ.

وقالَ الزَّجَّاج: يأْخُذهم بعْد أنْ يُخيفَهُم بأنْ يُهلكَ قريةً فتخافَ الَّتي تلِيهَا، فعَلى هذَا، يخوّفهم(٣) قبْل هلاكِهِم، فلم يتُوبُوا، فاسْتحقُّوا العذَابَ(٤).

[٤٥٤/أ] قوْلُه تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إذ لم يعجِّلْ بالعُقوبةِ، وأمْهَل للتَّوْبةِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٨ - ٥٠].

قوْلُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «أَوَلَمْ يَروا» باليَاءِ، وقرَأَ حمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «تَروْا» بالتَّاءِ، واخْتلف

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٩٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (ص: ٢٠١).

(٣) في (ر)، و(س)، و(م): خوفهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (ص: ٢٠١).

عـنْ عاصِـمٍ(١).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ أرادَ مِـن شيْءٍ لـه ظِـلٌّ، مِـن جبَـلٍ، أو شَـجرٍ، أوْ جِسْـمٍ قائِـمٍ. ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ قـرَأ الجَماعـةُ باليَـاءِ، وقـرَأ أبـو عمْـرٍو، ويعْقُـوبُ بالتَّـاءِ(٢). ﴿ظِلَـٰلُهُۥ﴾: وهـو جمْـعُ ظِـلٍّ، وإنَّـما جُمِـع وهـو مضـافٌ إلى واحِـدٍ؛ لأنَّـه واحِـدٌ يُـراد بـه الكثْـرة(٣)؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخـرف: ١٣].

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: ومعْنَـى ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ﴾: يـدُور ويرجِـعُ مِـن جانـبٍ، إلى جانـبٍ، والفَـيْءُ: الرُّجُـوع، ومنْـهُ قيـلَ للظِّـلِّ بالعَـشيِّ: فيْءٌ؛ لأنَّـه فـاءَ عـنِ المغـرَبِ إلى المشْرِقِ(٤).

قـالَ المفَسِّرون: إذا طلَعـتِ الشَّـمسُ وأنْـت مُتوجِّـهٌ إلى القبْلـةِ، كانَ الظِّـلُّ قُدَّامَـك، فـإذَا ارْتفعَـت كان عـنْ يمينِـكَ، فـإذَا كانَ بعْـدَ ذلِـك كانَ خلْفَـك، وإذا دَنَـتْ للغُـروبِ كانَ عـلى يسَـارِكَ، وإنَّـما وحَّـد اليمِـينَ، والمُـرادُ بـهِ: الجمْـعُ، إيجـازًا في اللَّفـظِ؛ كقوْلِـه تعَـالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمـر: ٤٥]، ودلَّـتِ «الشَّـمائل» عـلى أنَّ المـرَاد بـهِ الجمِيـعُ.

وقـالَ الفـرَّاءُ: إنَّـما وحَّـد اليمِـينَ، وجمَـعَ الشَّـمائلَ، ولم يقُـلْ: الشِّـمال؛ لأنَّ كُلَّ ذلـك جائـزٌ في اللُّغـة، وأنْشـدَ [مـن البسـيط]:

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٧٨).

(٢) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٤).

(٣) في (م): أراد به التكثير.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

الْـوَارِدُونَ وَتَيْـمٌ فِي ذَرَى سَـبَأٍ قَدْ عَـضَّ أَعْنَاقَهُم جِلْدُ الْجَوامِيسِ[١]

ولم يقُل: جُلود، ومثْلُه [من الوافر]:

كُلُـوا فِي نِصْـفِ بَطْنِكُـم تَعِيشُـوا ....[٢]

وإنَّما جازَ التَّوْحيدُ؛ لأنَّ أكْثَرَ الكلَامِ يُواجَه بِهِ[٣] الوَاحِد[٤].

وقـالَ غـيْرُه: اليمِين راجِعـةٌ إلى لفْـظِ مَـا، وهـوَ واحِـدٌ، والشَّـمائِلُ راجِعةٌ إلى المعْنَى.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: يعْنِـي[٥]: مُستَسْـلِمَةٌ، مُنقـادَةٌ[٦]، وقـد شرحْنـا هـذَا المعْنـى عنْـدَ قوْلِـه تعَـالى: ﴿وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [الرعـد: ١٥].

(١) البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تيم بن قيس من بكر بن وائل في ديوانه (ص: ٢٥٢)، والحجة للقراء السبعة (٤/ ٢١٧)، والمخصص؛ لابن سيده (١/ ٥٦)، والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٧٥)، وبلا نسبة في معاني الفراء (١/ ٣٠٨)، والمذكر والمؤنث (٢/ ١٢٠)، والمقصور والممدود؛ للقالي (١/ ٢٧٣).

(٢) البيت من الأبيات التي لا يعلم قائلها، وهو في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٤٩)، وتفسير الطبري (١/ ٣٦١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٩٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٠٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٤/ ٧٢)، والكتاب؛ لسيبويه (١/ ٢١٠)، وعجزه:

.... *** فَإِنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ

(٣) ليست في (س).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٠٢).

(٥) من الأصل فقط.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

وفي قوْلِه تعَالى: ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: والكفَّارُ صاغِرُونَ.

والثَّاني: وهذِه الأشْياءُ داخِرَةٌ مجبُولةٌ على الطَّاعةِ.

وقالَ الأخْفَش: إنَّما ذكَر مَنْ ليْسَ مِنَ الإنْس؛ لأنَّه لمَّا وصَفَهُم بالطَّاعةِ أشْبَهوا الإنْسَ في الفعْلِ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾... الآيَةَ.

السَّاجدونَ على ضرْبَيْنِ:

أحدُهما: مَن يعْقِلُ، فسجُودُه عِبادَةٌ.

والثَّاني: مَن لَا يعْقِلُ، فسجُودُه بيانُ أثَرِ الصَّنْعةِ فيهِ، والخضُوع الَّذي يدلُّ علَى أنَّه مخْلُوقٌ، هذا قوْلُ جماعَةٍ مِنَ العُلماءِ، واحْتجُّوا في ذلِك بقوْلِ الشَّاعِرِ [من الطويل]:

بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حَجَراتِهِ تَرىَ الْأُكْمَ فِيهِ سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ[٢]

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٦).

(٢) البيت لزيد الخيل في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٢)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٩٠)، والكامل (٢/ ٢٠١)، وبلا نسبة في الصناعتين (ص: ٢٨٦)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٢٩٥)، **البلق**: جمع أبلق، وهو الفرس المحجل، **الحجرات**: الناحية، **الأكم**: جمع أكمة، وهي تل أشد ارتفاعًا مما حوله ودون الجبل. يصف كثرة هذا الجيش وأن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

قَالَ ابْنُ قُتيبةَ: حَجَراتِه؛ أي: جوَانِبَه، يُريد أنَّ حوَافِرَ الخيْلِ قدْ قلَعَتِ الأَكَمَ ووطِئتَهَا حتَّى خشَعَتْ وانْخَفَضتْ[١].

فأمَّا الشَّمْسُ والقمَرُ والنُّجُوم: فألْحَقَها جمَاعةٌ بمَن يعْقِلُ؛ فقَالَ أبو العالِيةِ: سُجودُهَا حقِيقَةٌ، ما منْهَا غارِبٌ إلَّا خرَّ ساجِدًا بيْنَ يدَي اللهِ عزَّ [٤٥٤/ب] وجلَّ، ثُمَّ لا ينْصَرِفُ حتَّى يُؤذنَ لَه[٢].

ويشْهَدُ لقوْلِ أبي العالِيةِ: حدِيثُ أبي ذرٍّ قالَ: كنْتُ معَ رسُولِ الله ﷺ في المسْجِدِ حِينَ وجبَتِ الشَّمْسُ، فقالَ: «يَا أبَا ذرٍّ! تَدْرِي أيْنَ ذهَبَتِ الشَّمْسُ؟» قلْتُ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَم، قالَ: «فإنَّها تذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ بيْنَ يدَي ربِّهَا عزَّ وجلَّ فتَسْتَأذِنُ فِي الرُّجُوعِ فيُؤْذَنُ لَها فكأنَّها قدْ قِيلَ لَها: ارْجِعِي مِن حيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ إلى مَطْلِعِهَا فذلِك مُستقرُّهَا»... ثُم قرَأ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] أخرجه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥٨٦) من طريق ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر، قالا ثنا عوف، قال: سمعت أبا العالية الرياحي يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٨) إلى ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) صحيح البخاري حديث رقم (٣١٩٩)، ومسلم حديث رقم (١٥٩)، بلفظ: قال النبي ﷺ: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾» [يس: ٣٨].

وأمَّا النَّبات والشَّجر، فلَا يخْلُو سُجودُه مِن أرْبعَة أشْياءَ:

أحدُها: أنْ يكونَ سجُودًا لا نعْلمُه، وهذَا إذا قُلْنا: إنَّ اللهَ تعَالى يُودعُه فهْمًا.

والثَّاني: أنَّه تفيُّؤُ ظِلالِه.

والثَّالث: بيانُ الصَّنْعةِ فيهِ.

والرَّابع: الِانْقِيادُ لما سخّر له.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إنَّما أخْرجَ الملائكةَ مِنَ الدَّوابِّ؛ لِخُروجِهم بالأجْنِحَةِ عنْ صفَةِ الدَّبيبِ.

وفي قوْلِه: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه مِن صِفةِ الملائِكةِ خَاصَّةً، قالَه ابْنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ[1].

والثَّاني: أنَّه عامٌّ في جميعِ المذْكُوراتِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقِيُّ.

وفِي قوْلِه: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ **قوْلَانِ:** ذكرَهُما ابْنُ الأنْباريِّ.

أحدُهما: أنَّه ثناءٌ علَى اللهِ تعَالى، وتعْظِيمٌ لِشأْنِه، **وتلْخِيصُه:** يخافُونَ ربَّهم عاليًا رفِيعًا عظِيمًا.

والثَّاني: أنَّه حالٌ، **وتلْخِيصُه:** يخَافُون ربَّهم مُعظِّمِينَ له عَالمِين بعَظِيمِ سُلْطانِه.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النحل: ٥١ - ٥٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾.

سببُ نُزولِها: أنَّ رجُلًا مِنَ المسْلِمينَ دعَا اللهَ في صلَاتِه، ودَعا الرَّحْمنَ، فقَال رجُلٌ مِنَ المشْرِكينَ: ألَيس يزْعُم مُحمَّدٌ وأصْحابُه أنَّهم يعْبُدونَ ربًّا واحِدًا، فما بَالُ هذَا يدْعُو ربَّيْنِ اثْنَيْنِ؟! فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه مُقاتِلٌ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: ذكْرُ الاثْنَيْنِ توكِيدٌ؛ كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ **في المرَادِ بالدِّينِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه الإخْلاصُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: العِبادةُ قالَه سَعيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: شَهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وإقَامةُ الحُدودِ، والفَرائِضُ، قالَه عِكْرِمَةُ.

والرَّابع: الطَّاعةُ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

وفي معْنَى[٤] «وَاصِبًا» أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: دائِمًا، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٥]، وبِه قالَ الحسَنُ،

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٤) ليست في (م).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) إلى ابن جرير=

وعِكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ، والثَّوْريُّ، واللُّغويُّونَ، وَقالَ أبو الأسْودِ الدُّؤَليُّ [من الكامل]:

لَا أَبْتَغِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ   يَوْمًا بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبًا[1]

قالَ ابنُ قُتيبةَ: وَمعْنَى الكلامِ: أنَّه ليْسَ مِن أحَدٍ يُدانُ له ويُطاع إلَّا انْقَطَع ذلِك عنه[2] بِزوالٍ أو هلَكَةٍ، غيْرُ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ الطَّاعةَ تدُوم له[3].

والثَّاني: واجِبًا، رَواه عِكْرِمةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4]. [٤٥٥/أ]

والثَّالث: خالصًا، قالَه الرَّبيع بْنُ أنَسٍ.

والرَّابع: ولَه الدِّين مُوصبًا؛ أي: مُتعبًا؛ لأنَّ الحَقَّ ثَقِيلٌ، وهذا[5] كما تقُول العرَبُ: هُم ناصِبٌ، أي: مُنْصِبٌ، قالَ النَّابغةُ [من الطويل]:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ   وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ[6]

=وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) البيت لأبي الأسود في ديوانه (ص: ٣٧)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١/ ٣٦١)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣/ ١٩٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦/ ٥٨).

(٢) في (م): انقطع عنه ذلك.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٣) من طريق يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس، في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: واجبًا. وذكره النحاس في معاني القرآن (٤/ ٧٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) إلى ابن جرير والفريابي.

(٥) في (ر): وهو.

(٦) البيت للنابغة في ديوانه (ص: ٥٤)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢/ ١٨٤)، ومعاني=

ذكره ابنُ الأنباريِّ[١].

قالَ الزَّجَّاجُ: ويجوزُ أنْ يكُونَ المعْنَى: لـه الدِّينُ، والطَّاعةُ، رضِيَ العبْدُ بما يُؤمَر بهِ وسهُل عليْه، أو لم يسْهُلْ، فلَه الدِّينُ وإنْ كانَ فيهِ الوَصَبُ، والوَصَبُ، شِدَّةُ التَّعبِ[٢].

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: **المعْنَى**: ما حَلَّ بكُم مِن نعْمةٍ، مِن صحَّةٍ في جسْمٍ، أو سَعةٍ في رِزْقٍ، أوْ متَاعٍ مِن مالٍ ووَلَدٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[٣]، وقرَأ ابْنُ أبي عبْلَة: «فمنَّ الله» بتشْديدِ النُّونِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد الأسْقامَ، والأمْرَاضَ، والحَاجَةَ[٥].

=القرآن؛ للفراء (٢/ ٣٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٢٠)، والكتاب؛ لسيبويه (٢/ ٢٠٧)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٦٧).

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٥) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: الضُّرُّ: السُّقم.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: تَجْأَرُون: ترْفعُون أصْواتَكُم إليْهِ بالإسْتِغاثةِ، يُقال: جأَرَ يجْأَرُ جُؤارًا، والأصْوات مبْنِيَّةٌ على «فُعَالٍ» و«فَعِيلٍ»، فأمَّا «فُعَال»؛ فنحْوُ: «الصُّرَاخُ» و«الجُـؤَارُ»[١]، وأمَّا «الفَعِيلُ»؛ فنحْوُ: «العَوِيلُ» و«الزَّئِيرُ»، والفُعَالُ أكْثَرُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد أهْلَ النِّفاقِ[٣]. وَقالَ ابْنُ السَّائبِ: يعْنِي: الكفَّارَ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: ليَكْفُروا بأنَّا أنْعمنَا عليْهِم، فجَعَلُوا نِعَمَنَا[٥] سَببًا إلى الكُفْرِ، وهو كقوْلِه تعَالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨] ويجُوز أنْ يكُونَ «لِيكْفُروا»؛ أي: لِيجحدُوا نعْمةَ اللهِ في ذلِك[٦].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ تَهدُّدٌ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقِبةَ أمْرِكُم.

---

(١) في (ر): الخوار.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (س)، و(م): نعمتنا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤- ٢٠٥).

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل: ٥٦ - ٥٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعْنِي: الأوْثَانَ[1].

وفِي الَّذِين لَا يعْلَمُون قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـم الجاعِلُـون، وهـمُ المشرِكُـون، والمعْنَـى: لِـا لَا يعْلَمُـون لهـا ضرًّا ولا نفعًـا، فمفعُـولُ العِلْـم محْذُوفٌ، وتقْدِيـرُه: مَـا قلْنَـا، هـذا قـوْلُ مُجاهِـدٍ، وقتَـادَةَ.

والثَّـاني: أنَّهـا الأصْنـامُ الَّتِـي لا تعْلـم شـيْئًا، وليْـسَ لهـا حِـسٌّ ولا معْرِفـةٌ، وإنَّـما قـالَ: يعْلَمُـون؛ لأنَّهُـم لمـا نَحوهُـا الفهْـمَ، أجرَاهـا مُجْرى مَـن يعْقِـلُ على زعْمِهِـم، قالَـه جماعَـةٌ مِـن أهْـلِ المعَـاني.

قـالَ المفَسِّرونَ: وهـؤلاءِ مُشركـو العـرَبِ جعَلَـوا لأوْثَانِهِـم جُـزءًا مِـن أمْوَالِهـم؛ كالبَحـيرةِ والسَّـائبةِ وغـيْرِ ذلِـك ممَّـا شرحْنَـاه في الأنعـام[آيـة: ١٣٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ رجَـع عـنِ الإخْبَـار عنْهُـم إلى الخِطَـابِ لهُـم، وهـذَا سُـؤالُ توْبِيـخٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾.

---

(١) في (س)، و(م): للأوثان.

قَالَ المفسِّرُونَ: يعْني: خُزاعةَ وكنانَةَ، زعمُوا أنَّ الملائكةَ بنَاتُ اللهِ ﴿سُبْحَنَهُۥ﴾؛ أي: تنزَّهَ عمَّا زعمُوا. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعْنِي: البَنِينَ.

قالَ أبوسُليمانَ: المعْنَى: ويتَمَنَّوْنَ لأنفُسِهِم الذُّكورَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾؛ أي: أُخْبِرَ أنَّه قد ولُد له [٤٥٥/ب] بنْتٌ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: مُتغيرٌ تغَيُّرَ مُغتمٍّ، يُقال لكُلِّ مَن لقِيَ مكْرُوهًا: قدِ اسْودَّ وجْهُه غمًّا وحُزْنًا[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أي: يكْظِمُ شِدَّةَ وجْدِه، فلا يُظْهِرُه، وقد شرحْنَاه في سُورة يُوسُفَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَتَوَرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾.

قَالَ المفَسِّرُونَ: هذَا صَنِيعُ مُشركي العرَبِ، كانَ أحَدُهم إذا ضَرَبَ امْرأتَهُ المْخاضُ، تَوارى إلى أنْ يعْلَمَ مَا يُولدُ له، فإنْ كانَ ذكرًا؛ سُرَّ بهِ، وإنْ كانَتْ أُنثى، لم يظْهرْ أيَّامًا يُدبِّر كيف يصْنَعُ في أمْرِها، وهوَ قوْلُه تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ وَالهَاءُ ترجِعُ إلى «مَا» في قوْلِه: ﴿مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ والهُون في كَلام العرَبِ: الهَوانُ.

وقرَأ ابْنُ مسْعُود، وابْنُ أبي عبْلَةَ، والجَحْدرِيُّ: «عَلَى هَوَانٍ»[٢].
والدَّسُّ: إخفَاءُ الشَّيءِ فِي الشَّيءِ، وكانُوا يدْفِنُون البنْتَ وهيَ حيَّةٌ ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ إذ جعلُوا للهِ البنَاتِ اللَّاتي محلُّهنَّ منْهُم هذَا، ونسَبُوه إلى

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٥).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣).

الولَـدِ، وجعَلُـوا لأنفُسِـهمُ البَنِـين.

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النحـل: ٦٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾؛ أي: صفَـةُ السَّـوْءِ مِـنَ احْتياجِهـم إلى الوَلَـدِ، وكرَاهتِهـم الإنَـاثَ(١)؛ خـوْفَ الفقْـرِ والعَـارِ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾؛ أي: الصِّفَـةُ العُلْيَـا مِـن تنزُّهِـه وبرَاءتِـه عـنِ الوَلَـدِ.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحـل: ٦١].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾؛ أي: بشرْكِهـم ومعَاصِيهـم، كلَّـما وُجِـدَ شيْءٌ منْـهُ(٢) أُوخِـذُوا بِـه ﴿مَا تَـرَكَ عَلَىٰ ظَهْـرِهَا ﴾ يعْنِـي: الأرْضَ، وهـذِه كنايـةٌ عن غـيْرِ مذْكُورٍ، غيْرَ أنَّه مفهـومٌ؛ لأنَّ الدَّوابَّ إنَّما هـيَ على الأرْضِ.

وفي قوْلِه: ﴿مِن دَآبَّةٍ ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه عنَى جميعَ ما يدبُّ على وجْهِ الأرْضِ، قالَهُ ابْنُ مسْعُودٍ.

قالَ قتَادةُ: وقدْ فُعِل ذلِك في زمَنِ نُوحٍ عليْهِ السَّلامُ(٣).

---

(١) في (ر)، و(س)، و(م): للإناث.

(٢) في (ر)، و(س): منهم.

(٣) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (٣/ ٧٣) مـن طريـق معمـر عـن قتـادة، في قوْلِـهِ تعَـالَى: ﴿مَا تَـرَكَ عَلَىٰ ظَهْـرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطـر: ٤٥] قَـالَ: «قَـدْ فَعَـلَ ذَلِـكَ زَمَـانَ نُـوحٍ». وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (٢٠/ ٤٨٦) مـن طريـق سـعيد، عـن قتـادة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَـرَكَ عَلَىٰ ظَهْـرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ إلا مـا حمـل نـوح في السـفينة.

وقالَ السُّدِّيُّ: المعْنَى: لأَقْحطَ المطَرُ فلم تَبْقَ دابَّةٌ إلَّا هلكَتْ[١]، وإلى نحْوِه ذهَب مُقاتِلٌ[٢].

والثَّاني: أنَّه أرَاد مِنَ النَّاس خاصَّةً، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

والثَّالث: مِنَ الإنْسِ والجِنِّ، قالَه ابْنُ السَّائبِ، وهوَ اخْتِيارُ الزَّجَّاجِ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهوَ منْتَهى آجالِهم، وباقِي الآيةِ قد تقدَّم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل: ٦٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ **المعْنَى**: ويحْكُمُون لَه بما يكْرهُونَه لأنفُسِهم، وهو البَناتُ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: تقُول الكَذِبَ.

وقرَأ أبو العاليةِ، والنَّخَعيُّ، وابْنُ أبي عبْلَةَ: «الْكُذُب» بضمِّ الكافِ والذَّالِ[٤]، ثُمَّ فسَّر ذلِك الكذِبَ بقوْلِه: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **وفيها ثلاثةُ أقْوالٍ**:

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٠)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي في الآية يقُول: إذا قحط الْمَطَر لم يبْق فِي الأَرْض دَابَّة إِلَّا مَاتَت.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٦).

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١١)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣).

أحدُها: أنَّها البَنُون، قالَه مجاهِدٌ، وقتادَةُ، ومُقاتلٌ[١].

والثَّاني: أنَّها الجزاءُ الحسَنُ مِنَ اللهِ تعَالى، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

والثَّالث: أنَّها الجنَّةُ، وذلِك أنَّه لمَّا وعَدَ اللهُ تعَالى المؤْمِنينَ الجنَّةَ، قالَ المشرِكُونَ: إن كانَ ما تقُولُونَه حقًّا، لَنَدْخُلنَّها قبْلَكم، ذكَرَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحنَاها فيما مضَى.

[٤٥٦/أ] وقالَ الزَّجَّاجُ: «لَا» ردٌّ لِقوْلِهم، والمعْنَى: ليْس ذلِك كما وصَفُوا «جَرَمَ» أنَّ لهُم النَّارَ، المعْنَى: جرَمَ فعْلُهم؛ أي: كسَب فعْلُهم هذَا ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٣]، وفيهَا[٤] أرْبعةُ أوْجهٍ، قرَأ الأكْثَرُونَ: «مُفْرطُونَ» بسكُونِ الفاءِ وتخْفيفِ الرَّاءِ وفتْحِها[٥].

وفِي معْنَاها قوْلَانِ:

أحدُهما: مُتْرَكُونَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) في (ر): وفيه.

(٥) قرأ نافعٌ بكسرِ الراءِ وتخفيفِها، وقرأ أبو جعفرٍ بكسرِ الراءِ، وتشديدِها معَ فتحِ الفاءِ، وقرأ الباقون: بفتحِ الراءِ وتخفيفِها. انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٤).

وقالَ الفرَّاء: مَنْسِيُّونَ في النَّارِ(١).

والثَّاني: معجلونَ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ أيضًا.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: معجلُونَ إلى النَّار(٢).

قالَ الزَّجَّاجُ: معْنَى «الفَرْطِ» في اللُّغةِ: المتقدِّمُ، فمعْنى «مُفْرَطُونَ»: مُقدَّمُون إلى النَّار، ومَن فسَّرها «مُتركُونَ» فهو كذلِك أيضًا؛ أي: قد جُعلوا مُقدَّمِينَ إلى العذَابِ أبدًا، متروكِينَ فيهِ(٣).

وقرَأ نافِعٌ، ومحبُوبٌ عنْ أبي عمْرٍو، وقُتيبةُ عنِ الكِسَائِيِّ: «مفرِطُون» بسكُون الفاءِ وكسْرِ الرَّاء وتخفِيفِها(٤).

قالَ الزَّجَّاجُ: **ومعْناها**: أنَّهم أفْرطُوا في معصيةِ اللهِ(٥).

وقرَأ أبو جعْفرٍ وابْنُ أبي عبْلَةَ: «مُفَرِّطُونَ» بفتْحِ الفاءِ وتشْدِيدِ الرَّاءِ وكسْرِها(٦).

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٧).

(٤) قراءة سبعية، سبق ذكرها.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٠٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣)، والمروي عن ابن أبي عبلة والأعرج: بفتح الراء مشدد، كما في شواذ الكرماني.

قَالَ الزَّجَّاجُ: ومعْناها: أَنَّهم فرطُوا في الدُّنْيا فلم يعملُوا فيها للآخِرةِ، وتصْدِيقُ هذِه القِراءة: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1] [الزمر: ٥٦].

وروى الوليدُ بنُ مُسلمٍ عنِ ابْنِ عَامِرٍ: «مُفَرَّطُونَ» بفتْحِ الفَاء والرَّاءِ وتشْديدِهَا[2].

قَالَ الزَّجَّاجُ: وتفْسِيرُها كتفْسِير القِراءةِ الأُولى، فالمفرِّط والمفرَّط بمعنًى [واحدٍ][3][4].

﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٣ - ٦٤].

قوْلُه تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾.

قَالَ المفَسِّرونَ: هذِه تعْزِيةٌ للنَّبِيِّ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الخَبِيثَةَ حتَّى عصَوا وكذَّبُوا، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه يوْمُ القِيامةِ، قالَه ابْنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ[5]، كأنَّهما أرادا:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٢) تعتبر انفرادة شاذة من رواية الوليد، وتروى عن أبي جعفر من العشرة، وقد ذكرت في المبسوط (ص: ٢٢٥)، والمبهج (ص: ٥٨٧)، والبستان (ص: ٦٤٦).

(٣) من (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٥).

فهُوَ وليُّهُم يوْمَ تكُونُ لهُم النَّارُ.

والثَّاني: أنَّه الدُّنيا، فالمعْنَى: فهوَ مُوالِيهم في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرةِ، قالَه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعالَى: ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ يعْنِي: الكُفَّارَ[1] ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: مَا خالَفُوا فيهِ المؤمنينَ مِنَ التَّوحيدِ والبعْثِ والجزاءِ، فالمعْنَى: أنْزلناه بيانًا لما وقَع فيهِ الاخْتِلافُ.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٦٥ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾ [النحل: ٦٥ - ٦٦].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعْنِي: المطَرَ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾؛ أي: بعْدَ يُبْسِها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يعْتَبِرونَ.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم﴾.

قرَأ أبو عمْرٍو، وابْنُ كثيرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: «نُسْقِيكُمْ» بضمِّ النُّونِ، ومثْلُه في المُؤْمِنينَ.

وقرَأ نافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عن عاصِمٍ: «نَسْقِيكُم» بفتْحِ النُّون فيهما[2]. وقرَأ أبو جعْفَر: «تَسْقِيكم» بتاءٍ مفْتُوحةٍ[3]، وكذلِك في

---

(١) في (س): للكفار.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨).

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، وهي ضعيفة، كما في تفسير=

الْمُؤْمِنِينَ، وقد سبَق بيَانُ الأنعام، وذكرْنا معْنَى «العِبرة» في آل عِمْرانَ، والفرْقُ بيْنَ «سَقَى» وأَسْقَى في الْحِجرِ.

فأمَّا قوْلُه: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ فقَال الفرَّاء: النَّعم والْأنْعامُ شيْءٌ واحِدٌ، وهمَا جمْعانِ، فرَجَع التَّذْكير إلى معْنَى «النَّعم»؛ إذ كانَ يؤدي عنِ الأنْعَام، [٤٥٦/ب]
أنْشَدني بعْضُهم [من الرجز]:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللِّقَاحِ وَبَرَدْ(١)

فرجَعَ إلى اللَّبنِ؛ لأنَّ اللَّبنَ والأَلْبانَ فِي معْنًى، قالَ: وقالَ الكِسَائيُّ: أرَاد: نَسْقِيكُم ممَّا في بُطُون(٢) مَا ذكرْنَا، وهوَ صوابٌ(٣)، أنْشدنِي بعْضُهم [من الرجز]:

مِثْلُ الْفِرَاخِ نُتِّفَتْ حَوَاصِلُهْ(٤)

=القرطبي (١٠/ ١٢٣).

(١) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٣٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٦٥- ٦٦)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١١٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨١)، وقبله:

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنَ الْأَسَدْ
جَبْهَتَهُ أَوِ الْخَرَاةِ وَالْكَتَدْ
بَالَ سُهَيْلٌ فِي الْفَضِيخِ فَفَسَدْ

(٢) في (ر): البطون.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٠٩).

(٤) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٠٩)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والمحتسب؛ لابن جني (٢/ ١٥٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٠٠)، والصحاح؛ للجوهري (٤/ ٤٠).

وقالَ المبرد: هذَا فاشٍ في القُرآنِ؛ كقوْلِه للشَّمسِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] يعْنِي: هذَا الشَّيءَ الطَّالِعَ، وكذلِك ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٥- ٣٦] ولم يقل: «جاءَتْ»؛ لأنَّ المعْنَى: جاءَ الشيْءُ الَّذِي ذكرْنَا[١].

وقالَ أبو عُبيدَةَ: الهَاءُ فِي «بُطونِه» للبعْضِ، والمعْنَى: نَسْقِيكم ممَّا في بُطونِ البعْضِ الَّذِي له لَبنٌ؛ لأنَّه ليْس لكلِّ الأنْعامِ لبَنٌ[٢].

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: ذهَب بقوْلِه: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ إلى النَّعَم، والنَّعمُ تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ[٣].

والفرْثُ: ما فِي الكرِش، والمعْنَى: أنَّ اللَّبن كان طعامًا، فخلَص مِن ذلِكَ الطَّعامِ دَمٌ، وبقِي منْهُ فرْثٌ في الكَرِشِ، وخلَص مِن ذلِكَ الدَّم.

﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾؛ أي: سهلًا فِي الشُّرب لا يشجى به شَاربُه، ولا يغصّ. وقالَ بعْضُهم: سائغًا؛ أي: لا تعافه النَّفسُ وإنْ كانَ قد خرَجَ مِن بيْنِ فرْثٍ ودَمٍ.

ورَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: إذا اسْتقرَّ العلَفُ في الكرِشِ، طحَنَه، فصَارَ أسْفلُه فرْثًا، وأعْلاه دمًا، وأوْسطُه لبنًا، والكبدُ مُسلطةٌ على هذِه الأصْنافِ الثَّلاثةِ، فيجْرِي الدَّمُ في العُروقِ، واللَّبنُ في الضَّرْعِ، ويبْقَى

---

(١) ذكر ذلك عن المبرد الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ١١٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٥).

الفَـرْثُ في الكَـرِشِ[١].

قوْلـه تعَـالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾[النحـل: ٦٧] تقْدِيـرُ الـكلَامِ: ولكُـم مِـن ثمَـراتِ النَّخِيـلِ والأعْنَـابِ مـا تتَّخِـذُونَ منْـهُ سـكرًا، والعـرَبُ تُضْمـر ﴿مَا﴾؛ كقوْلِـه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾[الإنسـان: ٢٠]؛ أي: مَـا ثـمَّ. والكنَايـةُ فِي «مِنْـه» عائِـدةٌ عـلَى «مَـا» المضمـرةِ.

وقـالَ الأخْفـشُ: إنَّـما لم يقُـلْ: منْهـا؛ لأنَّـه أضْمـر الـشَّيء؛ كأنَّـه قـالَ: ومنْهَـا شيْءٌ تتَّخـذونَ منْـهُ سـكرًا[٢].

وفِي المرادِ بالسّكر ثَلاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه الخمـرُ، قالَـه ابْـنُ مسْـعودٍ، وابْـنُ عُمـرَ، والحَسَـنُ، وسـعِيدُ ابْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، وإبْراهيـمُ، ابْـنُ أبي ليْـلَى، والزَّجَّـاجُ[٣]، وابْـنُ قُتيبـةَ[٤].

ورَوى عمْرُو بْنُ سُفيان، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: السَّكَرُ: مَا حُرِّم مِن ثمرتِها[٥].

---

(١) ذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٧٠)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ١١٣) مـن روايـة الكلبـي عـن أبي صالـح.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤١٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٥).

(٥) أخرجـه عبـد الـرزاق (٢/ ٢٧١)، والطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٤١)، مـن طريـق الأسـود، عـن عمـرو بـن سـفيان، عـن ابـن عبـاس، قولـه: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قـال: السَّـكَر: مـا حُـرِّم مـن شرابـه، والـرزق الحسـن: مـا أحـلّ مـن ثمرتـه.

قالَ هؤلاء المفَسِّرون: وهذه الآيةُ نزلَتْ إذْ كانتِ الخمْرةُ مُباحةً، ثُمَّ نُسخ ذلِك بقوْلِه: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وممَّن ذكَر أنَّها منْسُوخةٌ، سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، والشَّعْبِيُّ، والنَّخعيُّ.

والثَّاني: أنَّ السَّكرَ: الخلُّ، بلُغةِ الحبَشةِ، رَواه العوْفِيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وقالَ الضَّحَّاكُ: هوَ الخلُّ، بلُغةِ اليَمنِ(٢).

والثَّالث: أنَّ «السَّكر» الطَّعم، يُقال: هذا له سكرٌ؛ أي: طعْمٌ، وأنْشدُوا [من الرجز]:

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكَرَا(٣)

قالَه أبو عُبيدةَ(٤). فعَلى هذَيْنِ القوْلَيْنِ الآيةُ مُحكمَةٌ.

فأمَّا الرِّزْقُ الحسَنُ: فهو ما أحلَّ منْها، كالتَّمرِ، والعِنَبِ، والزَّبيبِ، [٤٥٧/أ] والخلِّ، ونحْوِ ذلِك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٤)، وعزاه السيوطي (٤/ ١٢٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٢) انظر: نواسخ القرآن؛ للمصنف (٢/ ٤٩٤).

(٣) الرجز لجندل، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٦٣)، وبلا نسبة في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٤٥)، وتفسير الطبري (١٧/ ٢٤٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٨٣)، والكشف والبيان (١٦/ ٧٤)، والنكت والعيون (٣/ ١٩٨) ويروى:

جعلت أعراض الكرام سكرا

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٦٣).

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ في هذَا الوحْيِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّه إلْهامٌ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مجُاهِدٌ[١]، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ[٢].

والثَّاني: أنَّه أمْرٌ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]. ورَوى ابْنُ مجُاهِدٍ عنْ أبيهِ قالَ: أرسَلَ إليْهَا.

والنَّحلُ: زَنابيرُ العسَلِ، وَاحِدتُها: نحْلةٌ. «ويعْرِشُون»: يجعلُونَهُ عريشًا.

وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «يَعْرُشُونَ» بضَمِّ الرَّاءِ[٤]، وهمَا لُغتانِ، يُقالُ: «يعرِش» و«يعرُش»؛ مثل: «يعكِف»، و«يعكُف»، ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: مَا يعرِشُون مِن الكرومِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٢) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾... الآية، قال: أمرها أن تأكل من الثمرات، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللًا.

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ١١٣).

والثَّاني: أنَّهَا سُقوفُ البيوتِ، قالَه الفرَّاءُ(١).

ونـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: كُلُّ شيْءٍ عـرشٌ، مِـن كَـرْمٍ، أو نَبـاتٍ، أو سـقْفٍ؛ فهـوَ عَـرْشٌ، ومَعْـروشٌ(٢). وقيـلَ: المـراد بــ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾: ممَّـا يبنُـونَ لهَـا(٣) مِـنَ الأماكـنِ الَّتـي تُلقِـي فيهَـا العسَـل، ولـوْلَا التَّسـخيرُ، مـا كانـت تـأْوِي إليْهَـا.

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾.

قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: أي: مِـنَ الثَّمَـراتِ، و«كُلّ» هاهُنـا ليسَـتْ علَـى العُمـومِ، ومثْلُـه قوْلُـه: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(٤) [الأحقـاف: ٢٥].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: فهِـيَ تـأْكُلُ الحامِـضَ والمـرَّ، ومَـا لا يُوصَـف طعْمُـه، فيحِيـلُ اللهُ عـزَّ وجـلَّ مِـن ذلِـك عسـلًا(٥).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ السُّـبُل: الطُّـرق، وهـيَ الَّتِـي تُطلَـب(٦) فيهـا الرَّعْـي. «والذُّلـل» جمْـع ذلُـولٍ.

وفِي الموصُوف بِهَا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّهـا السُّبُل، فالمعْنَـى: اسْـلُكِي السُّـبُلَ مُذَلَّلـةً لـكِ، فـلا يتوعَّـرُ

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٣) في (ر): لهم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٠).

(٦) في (ر): يطلب.

عليْهَا مكانٌ سلكتَه، وهذا قوْلُ مُجاهِدٍ، واخْتيارُ الزَّجَّاجِ[(١)].

والثَّاني: أنَّها النَّحْلُ، فالمعْنَى: إنَّكِ مُذلَّلةٌ بالتَّسْخيرِ لبني آدَمَ، وهذا قوْلُ قتادةَ، واخْتيارُ ابْنِ قُتيبةَ[(٢)].

قوْلُه تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾ يعْني: العسَلَ ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: منْهُ أحمَرُ، وأبْيَضُ، وأصْفَرُ[(٣)].

قالَ الزَّجَّاجُ: ﴿يَخۡرُجُ﴾ مِن بُطونِها، إلَّا أنَّها تُلقِيه مِن أفْواهِها، وإنَّما قَالَ: ﴿مِنۢ بُطُونِهَا﴾؛ لأنَّ اسْتحالَةَ الأطْعمةِ لا تكُون إلَّا في البطْنِ، فيخْرُجُ كالرِّيقِ الدَّائمِ الَّذي يخْرُجُ مِن فَمِ ابْنِ آدَمَ[(٤)].

قوْلُه تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ في هاءِ الكنايةِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى العسَلِ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[(٥)]، وبه قالَ ابْنُ مسْعُودٍ.

وقدِ اخْتلَفُوا، هلِ الشِّفَاءُ الَّذي فيهِ يخْتَصُّ بمرَضٍ دُون غيْرِه، أمْ لَا؟ علَى قوْلَينِ:

أحدُهما: أنَّه عامٌّ في كُلِّ مرَضٍ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٢٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٢٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ العسل.

قَالَ ابْنُ مسْعُودٍ: العسَلُ شِفاءٌ مِن كُل دَاءٍ(١). وقَالَ قتادَةُ: فيهِ شِفاءٌ للنَّاسِ مِن الأدْوَاءِ(٢).

وقد رَوى أبو سعِيدٍ الخدريُّ قَالَ: جاءَ رجُلٌ إلى رسُولِ اللهِ، فقَال: إنَّ أَخِي اسْتطلَقَ بطْنُه، فقَال: «اسْقِهِ عَسَلًا» فسَقَاهُ، ثُمَّ أتَى فقَالَ: قدْ سَقَيْتُه فلَم يَزِدْهُ إلَّا اسْتطلَاقًا، قَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»... فذَكَر الحدِيثَ إلى أنْ قَالَ: فشُفِي(٣)، إمَّا فِي الثَّالثةِ، وإمَّا في الرَّابعَةِ. فقَالَ رسُول اللهِ «صَدَقَ اللهُ [٤٥٧/ ب] وَكَذَبَ بَطَنُ أَخِيكَ» أخرجَهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ(٤). ويعْنِي: بقوْلِه: «صَدَقَ اللهُ»: هذه الآيةَ.

والثَّاني: فيهِ شفَاء للأوْجَاعِ الَّتِي شِفَاؤُها فيهِ، قالَه السُّدِّيُّ.

والصَّحِيحُ أنَّ ذلِك خَرج مَخرجَ الغالِبِ.

قَالَ ابْنُ الأنْبَاريِّ: الغالِبُ على العَسَلِ أنَّه يعْمَل في الأدْوَاءِ، ويدْخُلُ في الأدْويةِ، فإذَا لم يُوافِقْ آحادَ المرْضَى: فقَدْ وافَقَ الأكْثرِينَ، وهذا كقوْلِ العرَبِ: الماءُ حياةُ كُلِّ شيْءٍ، وقد نَرى مَنْ يقْتُلُه الماءُ، وإنَّما الكلَامُ على الأغْلَبِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٧) بلفظه، والطبري (١٧/ ٢٥٠) بلفظه، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٤٢)، وانظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٠) من طريق سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ففيه شفاء كما قال الله تعالى من الأدواء.

(٣) في الأصل: فسقي، والمثبت من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) أخرجه البخاري، حديث (٥٦٨٤)، ومسلم، حديث (٢٢١٧) من طريق أبي المتوكل.

والثَّاني: أنَّ الهاءَ ترجِع إلى الاِعْتِبارِ. والشِّفاءُ: بمعْنَى: الهدَى، قالَه الضَّحَّاكُ.

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى القُرآنِ، قالَه مُجاهِدٌ.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ ﴾ [النحل: ٧٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ﴾؛ أي: أوْجدَكُم ولم تكُونوا شيْئًا ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ ﴾ عنْد انْقِضاءِ آجالِكُم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ ﴾ وهو أرْدؤُه، وأدْونُه، وهيَ حالَةُ الهرَمِ.

وفي مِقدارِه مِنَ السِّنين ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: خمْسٌ وسبعُون سنَةً، قالَه عليٌّ عليه السلام.

والثَّاني: تِسْعُون سنَةً، قالَه قتادَةُ.

والثَّالث: ثمانُون سنَةً، قالَه قطْرُبٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔا ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: لكِي لا يعقِلَ مِن بعْدِ عقْلِه الأوَّلِ شيْئًا[1].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: حتَّى لا يعْلَمَ بعْدَ علْمِه بالأمُورِ شيْئًا، لِشدَّةِ هرمِه[2].

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أنَّ منْكُم مَن يكبُر حتَّى يذْهبَ عقْلُه خرفًا، فيصِيرُ بعْدَ أنْ كانَ عالمًا جاهلًا؛ لِيريكُم مِن قُدْرتِه، كما قدرَ علَى إمَاتتِه

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

وإحْيائِـه، أنَّـه قـادِرٌ عـلَى نقْلِـه مِـنَ العِلْـمِ إلى الجهْـلِ[١].

ورَوى عطَـاءٌ، عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّـه قـالَ: ليْـسَ هـذَا في الْمُسْـلِمِينَ، المسْلِمُ لا يـزْدَادُ في طُـولِ العُمـرِ والبقَـاءِ إلَّا كرَامـةً عنْـدَ اللهِ وعقـلًا، ومعْرِفةً[٢].

وقالَ عكْرِمةُ: مَن قرَأَ القُرآنَ لم يُردَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ[٣].

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحـل: ٧١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾.

يعْنِـي: فضَّـل السَّـادةَ عـلى المماليـكِ ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ يعْنِـي: السَّـادةَ ﴿ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ فعـبَّرتْ «مَـا» عـنْ «مَـنْ»؛ لأنَّـه موْضِـعُ إبْهـامٍ؛ تقُـول: مـا فِي الـدَّارِ؟ فيقُـول المخاطَـبُ: رجُـلانِ أو ثلَاثـةٌ.

ومعنـى الآيـة: أنَّ المـوْلَى لا يـردُّ عـلى مـا ملَكَـتْ يمِينُـه مِـن مالِـه حتَّـى يكـونَ المـولى والممْلُـوكُ فِي المـالِ سـواءً، وهـذَا[٤] مثَـلٌ ضرَبَـه اللهُ تعَـالى للمُشركِـينَ الَّذِيـن جعَلُـوا الأصْنَـامَ شُركاءَ لـه، والأصْنـامَ ملكًا لـه؛ يقُـول: إذا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٣)، والتفسير البسيط (١٣/ ١٢٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥١١)، والبيهقي في الشعب (٢٧٠٦) من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة، وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٧٠٦) من طريق عاصم، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٦٧) إلى ابن جرير وعبد بن حميد، من قول عكرمة.

(٤) في (ر): وهو.

لم يكنْ عبيدُكم معَكم في المُلْكِ سَواءً، فكيْفَ تجْعَلُون عبِيدي معِي سَواءً، وتَرضَون لِي ما تأْنَفُون لأنفسِكم منْهُ؟.

ورَوى العوفي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: لم يكُونوا أشْركُوا عبِيدَهم فِي أمْوَالِهم ونِسائِهم، فكيْفَ يُشركونَ عبِيدي معِي في سُلطانِي[1]؟.

ورَوى أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قالَ: نزَلَت في نصَارَى نَجْرانَ [٤٥٨/أ] حينَ قالُوا: عيسى ابْنُ اللهِ تعَالى[2].

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قرَأ أبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «تَجْحَدُونَ» بالتَّاءِ[3].

وفِي هذِه النِّعمةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: حُجَّتُه وهِدايتُه.

والثَّاني: فضْلُه ورِزْقُه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٢)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يقول: لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ فذلك قوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٨٠- ٨١).

(٣) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨).

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [النحل: ٧٢ - ٧٤].

قولُه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ يعني: النِّساءَ.

وفي معنَى ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ **قولانِ:**

أحدُهما: أنَّه خلَقَ آدمَ، ثُم خلَقَ زوجتِه منْهُ، قاله قتادَةُ.

والثَّاني: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: مِن جِنْسِكُم مِن بنِي آدمَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وفي الحفدَةِ خمْسَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم الأصْهارُ، أخْتانُ الرَّجُلِ علَى بناتِه، قالَه ابنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ فِي رِوايةٍ[١]، ومجاهدٌ في رِوايةٍ[٢]، وسَعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، والنَّخَعيُّ، وأنْشدُوا مِن ذلِك [من الطويل]:

وَلَوْ أَنَّ نَفْسِي طَاوَعَتْنِي لَأَصْبَحَتْ ... لَهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ عَلَيَّ أَبِيَّةٌ ... عَيُوفٌ لِأَصْهَارِ اللِّئَامِ قَذُورُ[٣]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٤) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾ قال: الأصهار. وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٦) عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٤) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) المروي عن مجاهد في معنى الحفدة: الأنصار والأعوان، أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٦).

(٣) البيتان بلا نسبة في النكت والعيون (٣/ ٢٠٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٤٢)، ومحاضرات=

والثَّاني: **أنَّهم الخَدَمُ**، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ مُجاهِدٌ في رِوايةٍ، الحسَنُ[١]، وطاووسٌ وعِكْرِمةُ في رِوايةٍ، والضَّحَّاكُ[٢].

وهذَا القوْلُ يحتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحدُهما: **أنَّه يُراد بالخدَمِ: الأوْلَاد؛ فيكون المعنى: أنَّ الأوْلَادَ يخدمونَ.**

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الحَفَدَةُ: الخدَمُ والأعْوَانُ، **فالمعْنَى**: هم بنُونَ، وهم خدَمٌ[٣].

وأصْل الحفَدِ: مدَاركةُ الخطو والإسْراع في المشي، وإنَّما يفعل الخدم هذا، فقِيل لهم: حفَدة، ومنْهُ يُقال في دُعاء الوتر: «**وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِد**»[٤].

=الأدباء (٢/ ٢٢٩)، والبيت الأول في المذكر والمؤنث (١/ ٢١٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٦) عن مجاهد، والحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٥- ٢٥٧) عن الضحاك، وعكرمة.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩) من طريق عبد القاهر، عن خالد بن أبي عمران، قال بينا رسول الله ﷺ يدعو... فذكره معضلًا به، وهذا إسناد ضعيف مع إعضاله، فعبد القاهر بن عبد الله، وأورده الذهبي في الميزان (٢/ ٦٤٢)، وقال: نكرة، ما روى عنه سوى معاوية بن صالح الحضرمي، وشيخه خالد بن أبي عمران، من أتباع التابعين، فحديثه معضل، انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٤٢)، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠) كلاهما من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من قوله، قال البيهقي: صحيح موصول. وقول البيهقي صحيح إن سلم من تدليس ابن جريج، فإنه عنعنه.

والثَّاني: أنْ يُرادَ بالخدَمِ: المَمَالِيكُ؛ فيكُون معْنَى الآيةِ: وجعَل لكُم مِن أزْوَاجِكُم بَنِينَ، وجعَل لكُم حفَدةً مِن غيْرِ الأزْوَاجِ، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ[١].

والثَّالث: أنَّهُم بنُو امْرأةِ الرَّجُل مِن غيْرِه، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والرَّابع: أنَّهم ولَدُ الولَدِ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣].

والخامِس: أنَّهُم كِبارُ الأوْلَادِ، والبَنُون: صِغارُهُم، قالَه ابْنُ السَّائب، ومُقاتِلٌ.

قال مُقاتِلٌ: وكانوا في الجاهليةِ تخدمُهُم أوْلادهم[٤].

قالَ الزَّجَّاجُ: وحقِيقةُ هذا الكلامِ أنَّ الله تعَالى جعَل مِنَ الأزْوَاج بنِينَ، ومَن يُعاون علَى ما يحتاج إليه بسُرْعَة وطَاعةٍ[٥].

قوْله تعَالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُريد: مِن أنْواع الثِّمارِ والحُبوبِ والحيَوانِ[٦].

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٨) من طريق عطية العوفي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٣).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوجيز (ص: ٦١٣)، والتفسير البسيط (١٣/ ١٤٠).

قوْلُه تعَالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الأصْنامُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الشَّرِيكُ والصَّاحِبةُ والوَلَدُ، فالمعْنى: يُصدِّقُون أنَّ للهَ ذلِك؟ قالَه عطاءٌ.

والثَّالث: أنَّه الشَّيطانُ، أمَرَهُم بتحْرِيم البَحِيرةِ والسَّائبةِ، فصَدَّقُوا.

وفي المرَاد بـ«نعمة اللهِ» ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها التَّوْحيدُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: القُرآنُ والرَّسُولُ.

والثَّالث: الحلَالُ الَّذِي أحلَّهُ اللهُ لهُم.

[٤٥٨/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾.

وفي المشَار إليْهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الأصْنامُ، قالَه قتَادَةُ.

والثَّاني: الملائِكةُ، قالَهُ مُقاتِلٌ(١).

قوْلُه تعَالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعْنِي: المطرَ {و} مِن ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ، والثَّمرَ.

قوْلُه تعَالى: ﴿شَيْـًٔا﴾.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

قَالَ الأَخْفَشُ: جعَلَ «شيْئًا» بدلًا مِنَ الرِّزْقِ[١]، والمعْنَى: لا يمْلِكُونَ رِزقًا قلِيلًا ولَا كثِيرًا، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: لا يقْدِرُونَ علَى شيْءٍ.

قَالَ الفرَّاءُ: وإنَّما قَالَ في أوَّلِ الكلَامِ: «يمْلِكُ»، وفِي آخِرِه: «يَستطِيعُونَ»؛ لأنَّ «مَا» فِي مذْهَبِ: جمْعٌ لآلهتِهِم، فوحَّد «يمْلِك» علَى لفْظِ «مَا» وتوْحِيدها، وجمَعَ فِي «يستطَيعُون» علَى المعْنَى؛ كقوْلِه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[٢] [يونس: ٤٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: لا تُشبِّهُوه بخَلْقِه؛ لأنَّه لا يُشْبِه شيْئًا، ولَا يُشْبِهُه شَيْءٌ، فالمعْنَى: لا تجعَلُوا له شريكًا.

وفي قوْلِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: يعْلَمُ ضرْبَ المثَلِ، وأنْتُم لا تعْلَمُون ذلِك، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّاني: يعْلَمُ أنَّه ليْسَ له شرِيكٌ، وأنْتُم لا تعْلَمُون أنَّه ليس له شَرِيكٌ، قالَه مُقاتِلٌ[٣].

والثَّالث: يعْلَمُ خطأَ مَا تضرِبُون مِنَ الأمْثَالِ، وأنْتُم لا تعْلَمُون صوَابَ ذلِك مِن خطَئِه.

والرَّابع: يعْلَم ما كانَ ويكونُ، وأنْتُم لا تعْلَمُون قدْرَ عظَمَتِه حين أشْرَكْتُم بهِ، ونسَبْتُمُوه إلى العَجْزِ عنْ بعْثِ خلْقِه.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١١٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: بيَّنَ شبهًا، فيهِ بيانٌ للمقصودِ[١]، **وفيهِ قولَانِ**:

أحدُهما: **أنَّه مثلٌ** للمُؤمنِ والكافرِ. فالَّذي ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: هو الكافِرُ؛ لأنَّه لا خيرَ عندَه، وصاحِبُ الرِّزق هو المؤمنُ، لما عنْدَه مِن الخيْرِ، هذا قوْلُ ابنِ عبَّاسٍ، وقتادَةَ.

والثَّاني: **أنَّه مثلٌ** ضرَبَهُ اللهُ تعالى لنفسِه وللأوْثانِ؛ لأنَّه مالِكُ كلِّ شيْءٍ، وهي لا تملِكُ شيْئًا، هذا قوْلُ مُجاهِدٍ، والسُّدِّيِّ. وذكر في التَّفسيرِ أنَّ هذا المثلَ ضُرب بقوْمٍ[٢] كانوا في زمَنِ رسُولِ اللهِ ﷺ، **وفيهم قولَانِ**:

أحدُهما: **أنَّ المملُوكَ**: أبو الجوارِ، وصَاحبَ الرِّزقِ الحسنِ: سيِّدُه هِشامُ بْنُ عمْرٍو، رَواه عكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٣]. وقالَ مُقاتِلٌ: المَمْلُوكُ: أبو الحواجِرِ[٤].

والثَّاني: **أنَّ المَمْلوكَ**: أبو جهْلِ بْنُ هِشامٍ، وصَاحبَ الرِّزقِ الحسَنِ: أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

---

(١) في (ر)، و(م): المقصود.

(٢) في (م): لقوم.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٩٤)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٦/ ٩٢-٩٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨). وفي الدر المنثور (٤/ ٢٣٥): أبو الجوزاء.

فأمّا قوْلُه: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ولم يقُلْ: يستويانِ؛ لأنَّ المرادَ: الجنْسُ.

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: لفْظُ «مَنْ» لفْظُ توْحيدٍ، ومعْناها معْنَى الجمْعِ، ولم يقَعِ المثَلُ بِعَبْدٍ مُعيَّنٍ، ومالِكٍ معينٍ، لكن عنِي بهما جماعَةُ عبيدٍ، وقوْم مالِكونَ، فلمَّا فارَقَ مِن تأويلِ الجمْعِ، جمَعَ عائِدَها لِذلكَ.

وقوْلُه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو المستحِقُّ للحمْدِ؛ لأنَّه المنعِمُ، ولا نعْمةَ للأصْنامِ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعْني: المشركِينَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الحمْدَ لله. قالَ العُلماءُ: وصفَ أكثرهم [بذلِك][1]، والمراد: جميعُهُم.

قوْلُه تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ قد فسَّرنا «البكم» في البقرة [آية: ١٨]. ومعْنَى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ أي: مِن [٤٥٩/أ] الكلامِ؛ لأنَّه لا يفْهمُ ولا يُفْهم عنْهُ.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: ثقْلٌ على وَلِيِّهِ وقرابتِهِ[2].

وفِيمَنْ أُريدَ بهذا المثَلِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه مثَلٌ ضربَه اللهُ تعالى للمؤمِنِ والكافِرِ، فالكَافِرُ هوَ الأبْكَمُ، والَّذي يأْمُر بالعدْلِ هو المؤمنُ، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

---

(١) من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٥) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

والثَّاني: أنَّها نزلَتْ في عُثمانَ بْنِ عفَّانَ، هو الَّذي يأمُرُ بالعدْلِ، وفي مولًى له كانَ يكرهُ الإسْلامَ وينْهى عُثمانَ عنِ النَّفقةِ في سَبيلِ اللهِ، وهوَ الأبْكَم، رَواه إبْراهيمُ بْنُ يعْلَى بْنِ مُنيَّة[1] عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّالث: أنَّه مثَلٌ ضرَبهُ الله تعَالى لِنفْسِه، وللوثَنِ. فالوَثنُ: هو الأبْكَمُ، والله تعالى: هو الآمِرُ بالعدْلِ، وهذا قوْلُ مُجاهدٍ، وقتادةَ، وابْنِ السَّائبِ، ومُقاتلٍ[3].

والرَّابع: أنَّ المرادَ بالأبْكم: أُبيُّ بْنُ خلَفٍ، وبالَّذي يأْمُر بالعَدْلِ: حمْزَةُ، وعُثمانُ بْنُ عفَّانَ، وعُثمانُ بْنُ مظْعُون، قالَه عطاءٌ.

فيُخرَّجُ على هذِه الأقوالِ في معْنَى «موْلَاه» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه مولى حقيقةً، إذا قلنا: إنَّه رجلٌ مِنَ النَّاس.

---

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي تفسير الطبري: أمية.

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٠)، وفيهما: إبراهيم، عن عكرمة، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٠٦)، وابن عساكر في تاريخه (٤٦/ ٢١٠- ٢١١) من طرق عن حماد بن سلمة به، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦٣)، من طريق إبراهيم، عن عكرمة، عن يَعْلى بن أمية، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده. وفي قوله: ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾... إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ قال: هو عثمان بن عفان. قال: والأبكم الذي أينما يُوَجِّهُ لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفَّان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨).

والثَّاني: أنَّه بمعنى الولي، إذا قلْنا: إنَّه الصَّنمُ، فالمعْنَى: وهو ثقل علَى وليِّهِ الَّذي يخدمُه ويزينه.

ويُخرج في معْنى «أينَما يوجهه» قولَانِ: إنْ قلْنا: إنَّه رجلٌ، فالمعنى: أينما يُرسله. والتَّوجيه: الإرْسال في وجهٍ مِنَ الطَّريق.

وإنْ قُلنا: إنَّه الصَّنم؛ ففي معْنى الكلام قوْلَانِ:

أحدُهما: أينَما يدْعُوه، لا يُجيبه، قالَه مُقاتلٌ[١].

والثَّاني: أينما يوجهه تأميله إيَّاه ورجاه له، لا يأتهِ ذلِك بخير، فحذَف التَّأميل، وخلفَه الصَّنم؛ كقوْلِه: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؛ أي: على ألْسِنةِ رُسلِك.

وقرأ البزيُّ عنِ ابْنِ مُحيصن «أَيْنما تُوَجِّهْهُ» بالتَّاء على الخطابِ[٢].

فأمَّا قوْلُه: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإنْ قُلنا: هو رجُلٌ، فإنَّما كان كذلِكَ؛ لأنَّه لا يفْهَمُ ما يُقال له، ولا يُفهم عنْهُ؛ إمَّا لِكفره وجُحودِه، أو لِبُكم بِهِ. وإنْ قُلنا: إنَّه الصنم؛ فلِكَوْنِه جمادًا. ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾؛ أي: هذا الأبْكَمُ ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: ومَن هوَ قادِرٌ على التَّكلُّم، ناطِقٌ بالحقِّ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧].

(١) المصدر السابق.

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قـد ذكرْنـاه في آخـر هـود [آيـة: ١٢٣].

وسـبَبُ نُـزولِ هـذِه الآيـةِ: أنَّ كُفَّـارَ مكَّـةَ سـألُوا رسُـولَ اللهِ ﷺ؟ متَـى السَّـاعةُ؟ فنزلَـتْ هـذهِ الآيـةُ، قالَـه مُقاتـلٌ[(١)].

وقالَ ابْنُ السَّائبِ: المرادُ بالغَيْبِ هاهُنا: قِيامُ السَّاعةِ[(٢)].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ يعْنِـي: القِيامـةَ ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ واللَّمـحُ: النَّظـرُ بسُرعـةٍ، والمعْنَـى: إنَّ القيامـةَ في سُرعـةِ قِيامِهـا وبعْـثِ الخلائِـقِ كلَمْـحِ العَـيْنِ؛ لأنَّ اللهَ تعَـالى يقُـول: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقـرة: ١١٧].

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ قـالَ مُقاتِـلٌ: بـلْ هـوَ أسرعُ[(٣)]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: ليْـسَ المـرادُ أنَّ السَّـاعةَ تـأتِي في أقـربَ مِـن لمـحِ البَـصرِ، ولكنَّـه يصِـفُ سُرعـةَ القُـدرةِ علَى الأتْيـانِ بهـا متَـى شـاءَ[(٤)]. [٤٥٩/ب]

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحـل: ٧٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٢).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٢٨).

(٣) انظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/ ٢٨٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

قرأ حمْزةُ: «إِمَّهَاتِكم» بكسْرِ الألِفِ والميمِ، وقرَأ الكِسائيُّ بكسْرِ الألِفِ وفتْحِ الميمِ، والباقون بضمِّ الألفِ وفتْحِ الميم[١]، وكذلِك في «النُّور» و«الزمر» [و«الطَّارِق»][٢] و«النَّجْم»، ولا خِلافَ بيْنَهُم في الابْتداءِ بضمِّ الهمْزةِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ لفْظُه لفْظُ الواحِدِ، والمرادُ به الجميعُ، وقد بيَّنَّا علَّةَ ذلِك في أوَّلِ البقرة [آية: ٧]. والأفئدةُ: جمْعُ فؤادٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: مثْلُ: غُراب وأَغْربة، ولم يجمع «فُؤاد» على أكْثر العددِ، لم يقُل فيه: «فِئدان»؛ مثْل غُراب وغِربان[٣].

وقال أبو عبيدة: وإنَّما جعَل لهمُ السَّمع والأبْصار والأفْئدةَ قبْلَ أنْ يخرجَهم، غيْر أنَّ العرَبَ تقدِّم وتؤخِّر، وأنْشد [من البسيط]:

ضَخْمٌ تُعَلَّقُ أَشْنَاقُ الدِّيَاتِ بِهِ   إِذَا الْمُؤون أُمِرتْ فَوْقَهُ حَمَلَا[٤]

الشَّنَق: ما بيْنَ الفرِيضَتَيْنِ، والمؤون أعْظَمُ مِن الشَّنَق، فبدأ بالأقَلِّ قبْلَ الأعْظَم[٥].

---

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٩٤).

(٢) من (ر) فقط.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

(٤) البيت للأخطل في مجاز القرآن (١/ ٣٦٥)، والأضداد (ص: ٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٤٧٦)، ومجالس ثعلب (ص: ٨٨)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٠٧)، وكتاب الأفعال (٢/ ٣٤٠).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٦٥).

قال المفسرون: ومقصود الآية: أنَّ الله تعالى أبانَ نعمَه عليهم حيث أخرجهُم جُهَّالًا بالأشياء، وخلَق لهم الآلات التي يتوصَّلُون بها إلى العلم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل: ٧٩].

قولُه تعالى: ﴿ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: هوَ الهواءُ البعيدُ مِنَ الأرْضِ[(١)].

قوْله تعالى: ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فيهِ قوْلانِ:

أحدهما: ما يُمْسكُهنَّ عنْد قبْضِ أجْنحتهِنَّ وبسْطِهَا أنْ يقعْنَ على الأرْضِ إلَّا اللهُ، قالَه الأكْثرُونَ.

والثَّاني: ما يُمسكُهنَّ أنْ يُرسلْنَ الحِجارةَ على شِرارِ هذِه الأُمَّةِ، كما فعلَ بغيْرهِم، إلَّا اللهُ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٠ - ٨٣].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾؛ أي: موضعًا تسْكُنونَ فيـهِ، وهـي المسـاكِنُ المتَّخَـذةُ مِـن الحجَـرِ والمـدَر تَسْـتر العـوْراتِ والحُـرَمَ، وذلِـك أنَّ الله تعَـالى خلَـق الخشَـبَ والمـدَر والآلـةَ الَّتـي بهـا يُمكـن بنـاءُ البيـتِ وتسـقيفُه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾: وهـي القِبـابُ والخِيـمُ المتَّخـذةُ مـن الأدمِ ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾؛ أي: يخِـفُّ عليْكُـم حمْلُهـا ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «ظَعَنِكُـم» بفتْـحِ العـينِ. وقـرَأ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسَـائيُّ بتسْـكينِ العـينِ[1]، وهُمـا لُغتـانِ؛ كالشَّـعْر، والنَّهْـر والنَّهَـر، والمعْنَـى: إذا سَـافرتُم.

﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾؛ أي: لا تثْقُـلُ عليْكُـم في الحالَـيْنِ. ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ يعْنِـي: الضَّـأنَ ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ يعْنِـي: الإبِـلَ ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ يعْنِـي: المعِـزَ ﴿أَثَٰثٗا﴾ قـالَ الفـرَّاءُ: الأثَـاثُ: المتَـاعُ، لَا واحِـدَ لـه، كـما أنَّ المتـاعَ لا واحِـدَ لـه. والعـرَبُ تقُـول: جمْـعُ المتـاعِ: أمْتِعـةٌ، ولـو جمعْـتَ الأثـاثَ، لَقُلْـت: ثلاثـةُ آثَّـةٍ وأُثُـثٍ؛ مثْـلُ: (أعَثَّـة وعثـث) لا غـيْر[2].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: الأثَـاثُ: متَـاعُ البيْـتِ مِـنَ الفُـرش والأكْسِـيةِ. قـالَ أبـو زيْـدٍ: واحِـد الأثَـاثِ: أثاثـة[3].

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، والسبعة (ص: ٣٧٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٧).

[٤٦٠/أ] وقـالَ الزَّجَّـاج: يُقَـال: قـد أثَّ يئـثُّ أثًّـا؛ إذا صـارَ ذَا أثـاثٍ[١]. ورُوي عـنِ الخليـلِ أنَّـه قـالَ: أصْلُـه مِـنَ الكثْـرةِ، واجْتـماع بعْـضِ المتـاعِ إلى بعْـضٍ، ومنْـهُ: شـعْرٌ أثيـثٌ[٢].

فأمَّا قوْلُه: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ فقِيل: إنَّما جمَعَ بيْنَه وبيْنَ الأثَاثِ، لِاخْتلافِ اللَّفْظينِ.

وفِي قوْلِه: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قوْلَانِ:

أحدهمـا: أنَّـه المـوْتُ، والمعْنَـى: ينْتَفِعُـونَ بـهِ إلى حـينِ المـوْتِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ، ومُجاهِـدٌ.

والثَّاني: أنَّه [إلى][٣] حين البِلَى، فالمعْنَى: إلى أنْ يبْلَى ذلِك الشَّيء، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾؛ أي: ممَّـا يَقِيكُـم حـرَّ الشَّـمسِ، وفيـهِ خمْسَـةُ أقْـوالٍ:

أحدُها: أنَّه ظِلالُ الغَمامِ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: ظِلالُ البُيوتِ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّالث: ظِلالُ الشَّجرِ، قالَه قتادَةُ، والزَّجَّاجُ[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٥).

(٢) العين (٨/ ٢٥٣).

(٣) من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٥).

والرَّابع: ظِلالُ الشَّجرِ والجبَالِ، قالَه ابْنُ قُتيبةَ(١).

والخامِس: أَنَّه كُلُّ شيْءٍ له ظِلٌّ مِن حائِطٍ، وسقْفٍ، وشجَرٍ، وجبَلٍ، وغيْرِ ذلِك، قالَهُ أبو سُليمانَ الدِّمَشقيُّ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾؛ أي: ما يكِنُّكُم مِنَ الحرِّ والبردِ، وهيَ: الغيران والأسْرَابُ. وواحِدُ الأكْنَان «كِنٌّ» وكُل شيْءٍ وقى شيْئًا وستَرَهُ فهوَ «كِنٌّ».

﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾: وهي القُمُص ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾، ولم يقُل: البرد؛ لأنَّ ما وقى مِنَ الحرِّ، وقى مِنَ البردِ، وأنْشدَ [من الوافر]:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي(٢)

وقالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما خصَّ الحرَّ؛ لأنَّهم كانوا في مكانَاتِهم(٣) أكْثر مُعاناةً له مِنَ البرْدِ، وهذا مذْهبُ عطَاءِ الخُراسانيِّ(٤).

قوْلُه تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ يُريد الدُّروعَ الَّتي يتَّقُون بها شِدَّةَ الطَّعنِ والضَّربِ في الحرْبِ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٢) البيت للمثقب العبدي، كما في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤/ ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢/ ٥٧٥)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٥)، والصناعتين (ص: ١٨٥).

(٣) الذي في المعاني؛ للزجاج: مكانهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

قوْلُه تعَالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: مثلما أنْعَم اللهُ عليْكُم بهذِه الأشْياءِ. ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ في الدُّنْيا ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ والخِطابُ لأهْلِ مكَّةَ، وكان أكْثرُهم حينئذٍ كفَّارًا، ولو قيلَ: إنَّه خِطابٌ للمُسلِمينَ، فالمعْنَى: لعلَّكُم تدُومُون على الإسْلام، وتقُومُون بحقِّه.

وقرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو رجَاءٍ: «لَعلَّكُم تَسْلَمُونَ» بفتْحِ التَّاءِ واللَّام[1]، على معْنَى: لعلَّكم إذا لبستُم الدُّروعَ تَسْلَمُون مِن الجِرَاح في الحَرْبِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعْرضُوا عنِ الإيمانِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وهذِه عنْدَ المفسِّرينَ منْسُوخةٌ بآيَةِ السَّيفِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

وفي هذِه النِّعمةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها المساكِنُ، نِعَمُ اللهِ عزَّ وجلَّ علَيْهم في الدُّنْيا.

وفي إنْكَارِها ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم يقُولون: هذِه ورِثْنَاها عن آبائِنا.

رَوى ابْنُ أبي نَجيحٍ عنْ مُجاهِدٍ قالَ: نِعَمُ اللهِ: المَساكِنُ، والأنْعامُ، وسَرابِيلُ الثِّيابِ، والحديدِ، يعرِفُه كُفَّارُ قُريش، ثُم يُنكرُونَه[2] بأنْ يقُولوا:

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٤).

(٢) في (س): ينكرونها.

هـذَا كانَ لآبائِنَـا ورِثْنَـاه عنْهُـم، (رواه ابـنُ أبي نَجِيـحٍ)(١) عـنْ مُجاهـدٍ(٢).

والثَّـاني: أنَّهـم يقُولـون: لـوْلَا فُـلانٌ لـكَانَ كـذَا، فهـذا إنْكَارُهـم، قالَـه [٤٦٠/ ب] عـوْنُ بْـنُ عبْـدِ اللهِ.

والثَّالـث: يعْرِفُـون أنَّ النِّعَـمَ مِـنَ اللهِ، ولكـن يقُولُـونَ: هـذِه بشـفَاعةِ آلهتِنَـا، قالَـه ابْـنُ السَّـائبِ، والفـرَّاءُ(٣) وابْـنُ قُتيبـةَ(٤).

والثَّـاني: أنَّ المـرادَ بالنِّعمـةِ هاهُنـا: مُحمَّـدٌ ﷺ يعْرِفُـونَ أنَّـه نبِـيٌّ(٥)، ثُـمَّ يُكذِّبُونـه، وهــذا مـرْويٌّ عـن مُجاهـدٍ، والسُّـدِّيِّ(٦)، والزَّجَّـاجِ(٧).

---

(١) في (ر): وهذا.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٣) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، والسَّرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش، ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لآبائنا، فورّحونا إيَّاه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٧) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٢).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٥) هذا القول أولى الأقوال عند الطبري (١٧/ ٢٧٤): «وذلك أنَّ الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله وعما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده. إذ لم يكن معنى يدلُّ على انصرافه عما قبله وعما بعده، فالذي قبل هذه الآية قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ وما بعده: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو رسولها...».

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٢-٢٧٣) من طريق محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: محمد ﷺ.

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قـالَ الحسَـنُ: وجميعُهُـم كُفَّـارٌ[١]، فذكَـر الأكْثـرَ، والمـرادُ بـهِ الجمِيـعُ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل: ٨٤ - ٨٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعْنِـي: يـوْمَ القِيامـةِ، وشـاهِدُ كُلِّ أُمَّـةٍ نَبِيُّهَـا[٢] يشْـهَدُ عليْهَـا بتصْدِيقِهَـا وتكْذِيبِهَـا.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فِي الاعْتـذارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: لا يُطلَـب منْهُـم أن يرجِعُـوا إلى مـا أمَر اللهُ بـهِ؛ لأنَّ الآخِرةَ ليْسـتْ بـدارِ تكْليفٍ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: أشْركُـوا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ يعْنِـي: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُؤخَّرُون، ولا يُمْهلُون. ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ يعْنِـي: الأصْنـامَ الَّتِي جعَلُوها شُركاءَ للهِ في العِبـادةِ، وذلِـك أنَّ اللهَ يبْعَثُ كُلَّ معْبُودٍ مِن دُونِـه؛ فيقُول المشرِكُون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟﴾؛ أي: نعْبُـدُ مِن دُونِك.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٧)، والتفسير البسيط (١٣/ ١٦٤)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٠٧).

(٢) في (م): منها.

فإنْ قيلَ: فهذا معْلومٌ عنْدَ اللهِ تعالى، فما فائِدةُ قولِهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؟

فعنْهُ جوابانِ:

أحدُهما: أنّهم لمّا كتمُوا الشِّركَ في قوْلِهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ عاقبَهُم اللهُ تعالى بإِصْماتِ ألْسِنتِهِم، وإنْطاقِ جوارِحِهِم، فقالُوا عنْدَ مُعاينةِ آلهتِهِم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾؛ أي: قد أقررْنا بعْدَ الجحدِ، وصدَّقْنا بعْدَ الكَذِبِ؛ الْتِماسًا للرَّحمةِ، وفِرارًا مِنَ الغضَبِ، فكأنَّ هذا القوْلَ منْهُم على وجْهِ الاعْترافِ بالذَّنْبِ، لا على وجْهِ إعْلامِ مَن لا يعْلَم.

والثَّاني: أنّهم لمّا عايَنُوا عِظَمَ غضَبِ اللهِ تعالى قالُوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ تقديرًا أن يعُودَ عليهم مِن هذا القوْلِ روحٌ، وأنْ تُلْزِم الأصْنام إجْرامَهُم، أو بعْضَ ذُنُوبِهِم؛ إذْ كانوا يدَّعُونَ لها العقْلَ والتَّمييزَ، فأجابَتْهُمُ الأصْنامُ بما حسَم طمَعَهُم.

قوْلُه تعالى: ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾؛ أي: أجابُوهم وقالُوا لهم: ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: ردَّت عليْهِم آلهتُهُم قوْلَهم[١].

وقالَ أبو عُبيدةَ: «فألْقَوْا»؛ أي: قالُوا لهم، تقولُ[٢]: ألْقَيْت إلى فُلانٍ كذا؛ أي: قُلتُ له[٣].

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٢).

(٢) في (ر): يقال.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٦).

قالَ العُلماءُ: كذَّبُوهم في عبادَتِهِم إيَّاهُم، وذلِك أنَّ الأصْنامَ كانَتْ جمادًا لا تعْرِفُ عَابدِيها، فظهَرَتْ فضيحَتُهم يومئذٍ؛ إذْ عبَدُوا مَن لم يعْلَمْ بعبادَتِهِم، وهذا(١) كقوْلِه: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ ﴾ [مريم: ٨٣].

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ المعْنَى: أنَّهمُ اسْتسلَمُوا لَه.

وفي المشَار إليْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ المشرِكُونَ، قالَه الأكْثَرُونَ.

ثُمَّ في معْنَى اسْتسلامِهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهمُ اسْتسلَمُوا له بالإقْرارِ بتوْحِيدِه ورُبوبيَّتِهِ. [٤٦١/أ]

والثَّاني: أنَّهمُ اسْتسلَمُوا لِعذَابِه.

والثَّاني: أنَّهمُ المشرِكُون والأصْنامُ كلُّهُم.

قالَ الكلبيُّ: والمعْنَى: أنَّهمُ اسْتسلَمُوا للهِ مُنقادِين لحُكْمِه(٢).

قوْلُه تعالَى: ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: بطَلَ قوْلُهم أنَّها تشْفَعُ لهم.

والثَّاني: ذهَب عنْهُم ما زيَّن لهُمُ الشَّيطانُ أنَّ للهِ شريكًا وولدًا.

---

(١) في (ر): وذلك.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٢٩) بلفظ: استسلم العابد والمعبود لله تَعَالَىٰ، وذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٦٨) بنفس لفظ التنوير.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨﴾ [النحل: ٨٨].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: منعُوا النَّاسَ مِن طاعةِ اللهِ والإيمانِ بمُحمَّدٍ ﷺ(١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ إنَّما نكَّر العذَابَ الأوَّلَ؛ لأنَّه نوعٌ خاصٌّ لقَوْمٍ بأعْيَانِهِم، وعرَّف العذَابَ الثَّاني؛ لأنَّه العذابُ الَّذي يُعذَّب بهِ أكْثرُ أهْلِ النَّارِ؛ فكانَ في شُهرتِه بمنزلةِ النَّارِ في قوْلِ القائلِ: نعُوذ باللهِ مِنَ النَّارِ، وقد قيلَ: إنَّما زِيدوا هذَا العذابَ على ما يستحِقُّونَهُ مِن عذابِهِم؛ بصَدِّهِم عن سبيلِ اللهِ.

وفي صِفة هذا العذابِ الَّذي زِيدوا أرْبعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها عقَاربُ كأمْثالِ النَّخْلِ الطِّوَالِ، رَواه مسْرُوقٌ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ(٢).

والثَّاني: أنَّها حيَّاتٌ كأمْثالِ الفِيَلةِ، وعقاربُ كأمْثالِ البِغَالِ، رَواه زِرٌّ عنِ ابْنِ مسْعُودٍ(٣).

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٢٩)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٩)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٦)، والطبراني في الكبير (٩١٠٥)، والحاكم (٢/ ٣٥٥-٣٥٦) عن ابن عيينة، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٥٨)، وهناد في الزهد (٢٦٠) عن أبي معاوية وابن عيينة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، عن عبد الله ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ قال: زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال.

(٣) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٨) (٥٢٦) من طريق أبي بكر الحارثي، أنا محمد بن حيان، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، حدثنا الحكم،=

والثَّالث: أنَّها خمسةُ أنْهارٍ مِن صُفْرٍ مُذابٍ تَسِيلُ مِن تحْتِ العرْشِ يُعذَّبُونَ بها؛ ثلاثةٌ على مِقدارِ اللَّيلِ، واثْنانِ على مِقدار النَّهارِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه الزَّمْهريرُ، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

قالَ الزَّجَّاجُ: يخْرُجون مِن حرِّ النَّارِ إلى الزَّمْهريرِ فيتَبادَرُون مِن شِدَّةِ برْدِه إلى النَّارِ[(١)].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **وفي المشارِ إليْهم قوْلانِ:**

أحدُهما: أنَّهم قوْمُه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أُمَّتُه، قالَه مُقاتِلٌ[(٢)].

وتمَّ الكلامُ هاهُنا، ثُمَّ قالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: التِّبيانُ: اسْمٌ في معْنَى البَيانِ[(٣)].

فأمَّا قوْلُه تعالَى: ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ فقالَ العُلماءُ بالمعَانِي: يعْنِي[(٤)]: لكُلِّ شيْءٍ مِن أُمور الدِّينِ؛ إمَّا بالنَّصِّ عليْهِ، أو بالإحالةِ على ما يُوجِب العِلْمَ؛ مثْلُ بيانِ رسُولِ الله ﷺ، أوْ إجْماعِ المسْلِمِينَ.

=عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: زيدوا حيات كأمثال الفيلة وعقارب البغال الدلم، وقال أبو المنهال: إنهم يستغيثون بالنار فرارًا من تلك الأفاعي والعقارب وهربًا منها.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

(٤) ليست في (ر).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ [النحل: ٩٠ - ٩٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: **أنَّه** شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، رواه ابنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: **أنَّه** الحقُّ رواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **أنَّه** استواءُ السَّريرةِ والعَلانيةِ في العَمَلِ لله تعالى، قالَه سُفيانُ بنُ عُيينةَ.

والرَّابع: **أنَّه** القضاءُ بالحقِّ، ذكرَهُ الماورديُّ(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٩) من طريق علّي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. وأخرجه أيضًا البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٧٢) (٢٠٦) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٨) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٠٩).

قَالَ أبو سُليمانَ: العدْلُ في كلَامِ العرَب: الإنْصافُ، وأعْظَمُ الإنْصَافِ: الاِعْتِرافُ للمُنْعِم بنِعْمَتِه.

وفي المرَادِ بالإحْسانِ خَمْسَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه أدَاء الفرَائِضِ، رَواه ابْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: العفْوُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: الإخْلاصُ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

[٤٦١/ب] والرَّابع: أنْ تعْبُدَ اللهَ كأنَّك ترَاه، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والخامِس: أنْ تكُون السَّريرةُ أحْسنَ مِن العَلانِيةِ، قالَه سُفيان بْنُ عُيينةَ.

فأمَّا قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فالمرادُ بِه: صِلةُ الأرْحَامِ.

وفي الفَحْشاء قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الزِّنَا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: المعاصِي، قالَه مُقاتِلٌ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ يقول: أداء الفرائض. وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٥٨٣) من طريق عبد الله بن صالح به.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٧٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

وفي المنْكَر أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **أنَّه الشِّركُ، قالَه مُقاتِلٌ**(١).

والثَّاني: **أنَّه مَا لَا يُعرف في شريعَةٍ ولا سُنَّةٍ.**

والثَّالث: **أنَّه ما وعَدَ اللهُ عليْهِ النَّارَ، ذكرَهُما ابْنُ السَّائب.**

والرَّابع: **أن تكونَ**(٢) **علانيةُ الإنْسانُ أحْسنُ مِن سَرِيرتِهِ قالَه سُفيان بْنُ عُيينةَ.**

فأمَّا ﴿ وَٱلْبَغْيِ ﴾ فقَال ابْنُ عبَّاسٍ: هوَ الظُّلم(٣)، وقد سبَقَ شرْحُه في موَاضِعَ [البقرة: ١٧٣]، و[الأعراف: ٣٣]، و[يونس: ٢٣/ ٩٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: يُؤدِّبكُم(٤)، وقد ذكرْنا معْنَى الوعْظِ في سُورَة آلنّسَاء، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعْنَى: تتَّعِظُونَ.

قالَ ابْنُ مسْعُودٍ: هذِه الآيةُ أجْمَعُ آيةٍ في القُرآنِ لخيرٍ أو لشرٍّ(٥).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في الأصل: يكون، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٠) من طريق علّي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿ وَٱلْبَغْيِ ﴾ يقول: الكبر والظلم.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٥٨) من طريق الحجاج ابن المنهال به، والحاكم (٢/ ٣٥٦)، والبيهقي في الشعب (٢٤٤٠) من طريق معتمر ابن سليمان به، كما أخرجه الطبراني في الكبير (٨٦٥٩- ٨٦٦٠) من طرق عن عامر الشعبي به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٨) إلى سعيد بن منصور ومحمد ابن نصر في الصلاة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقَالَ الحسَنُ: واللهِ مَا تَرَكَ العَدْلُ والإِحْسَانُ شَيْئًا مِن طاعةِ الله إلَّا جمَعَاه، ولا تركَتِ الفحشَاءُ والمنكرُ والبَغْيُ شيْئًا مِن معصِيةِ اللهِ إلَّا جمَعُوه[1].

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ اخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَتْ على قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها نزَلَتْ في حِلْفِ أهْلِ الجاهليَّةِ، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

والثَّاني: أنَّها نزَلَتْ في الَّذِين بايعُوا رسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ المفَسِّرُونَ: العهْدُ الَّذي يجِبُ الوفَاءُ بِهِ، هوَ الَّذي يحْسُنُ فعْلُه، فإذَا عاهَدَ العبد عليْه، وجَب الوفاءُ بِهِ، والوعْدُ مِن العْهَدِ.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ أي: بعد تغْليظِهَا وتشْدِيدِها بالعزْمِ والعقْدِ علَى اليمِين، بخِلافِ لغوِ اليمِينِ، ووكدْتُ الشَّيءَ توْكيدًا، لُغةُ أهْلِ الحجازِ، فأمَّا أهْلُ نجْدٍ، فيقُولُون: أكدْتُه تأكيدًا.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: وكدْتُ الأمْرَ، وأكدْتُ، لُغتَانِ جيِّدتَانِ، والأصْلُ الواوُ، والهمزةُ بدلٌ منْها[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩٥) (١٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٨) من طريق عاصم بن علي، حدثنا جويرية بن بشير الهجيمي، قال: سمعت الحسن، قرأ يومًا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾... إلى آخرها، ثم وقف فقال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله، والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترَكَ العدْلُ، والإحْسَانُ من طاعةِ الله شيْئًا إلَّا جمَعَهُ، ولا ترَكَ الفحْشَاءُ، والمنْكرُ والبغْيُ، مِن مَعْصيةِ اللهِ شيْئًا إلَّا جمَعَهُ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾؛ أي: بالوفَـاءِ، وذلِـك أنَّ مَـن حلَـف بـاللهِ، فكأنَّـه أكْفـلَ اللهَ بالوفَـاء بـما حلَـف عليْـهِ.

وللمُفَسِّرينَ في معْنَى «كفِيلًا» ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: شهِيدًا، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: وكيلًا، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: حفيظًا، مراعيًا لِعقدكم، قالَه أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾.

قـالَ مُجاهِـدٌ: هـذَا فِعْـلُ نِسـاءِ أهْـلِ نجْـدٍ، تنْقُـضُ إِحْداهُـنَّ حَبْلَهَـا، ثُـم تَنْفُشُـه، ثُـمَّ تَخْلِطُـه بالصُّـوفِ فتَغْزِلُـه[١].

وقـالَ مُقاتِـلٌ: هـيَ امْـرَأةٌ مِـن قُريـشٍ تُسـمَّى رَيْطَـةَ بنْـتَ عمْـرِو بْـنِ كعْـبٍ، كانَـتْ إذا غزَلَـتْ، نقَضَتْـهُ[٢].

وقـالَ ابْـنُ السَّـائبِ: اسْـمُها «رَائِطـةُ»[٣]. وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: اسْـمُها: رَيطَـةُ بنْـتُ عمْـرِو المريـة، ولقَبُهـا: الجَعْـرَاءُ[٤]، وهـيَ مِـن أهْـل مكَّـةَ، وكانَـتْ معْرُوفـةً عنْـد المخاطَبِـينَ، فعرَفُوهـا بوصْفِهـا، ولم يكُـن لهـا نظِـيرٌ في فعْلِهـا

---

(١) ذكره أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٨٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٤).

(٣) تنويـر المقبـاس (ص: ٢٩١) واسـمها في مطبـوع التنويـر: رابطـة، وذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٣/ ١٧٨) وفيـه: رابطـة.

(٤) في البحر المحيط: الجفراء.

[٤٦٢/أ] ذلِك، كانَتْ مُتناهيةَ الحمْقِ، تغْزِل الغزْلَ مِن القُطن أو الصُّوف فتُحْكِمُه، ثُمَّ تأمُرُ جاريتَها بتقْطِيعِه[١].

وقالَ بعْضُهم: كانَتْ تغْزِل هيَ وجوَارِيها، ثُم تأمُرُهنَّ أنْ ينْقُضنَ مَا غزَلْنَ، فضَربَها اللهُ مثلًا لِنَاقِضِي العْهد. و«نقَضتْ» بمعْنَى: تنْقُض؛ كقوْلِه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] بمعْنَى: وينادي.

وفي المرادِ بالغزْلِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الغزْلُ المعْرُوفُ، سواءٌ كانَ مِن قُطْنٍ أو صُوفٍ أو شعْرٍ، وهو قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّه الحبْلُ، قالَه مُجاهِدٌ.

وقوْلُه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ قالَ قتادَةُ: مِن بعْدِ إبْرَامٍ[٢]. وقوْلُه: ﴿أَنكَٰثٗا﴾؛ أي: أنْقَاضًا.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: الأنْكَاثُ: ما نُقِض مِن غزْلِ الشَّعر وغيْرِه. وَواحِدُها: نِكْث؛ يقُول: لَا تؤكِّدُوا على أنْفُسِكم الأيمانَ والعُهودَ، ثُم تنْقُضوا ذلِك وتحْنَثُوا [فيهِ][٣]، فتكونُوا كامْرأةٍ غزَلَتْ ونسجَت، ثُمَّ نقَضتْ ذلِك النَّسجَ، فجعلَتْه أنْكاثًا[٤].

---

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٩) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) من (ر).

(٤) غريب القرآن (٢٤٨).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: دغـلًا، ومكـرًا، وخديعـةً، وكُلُّ شيْءٍ دخلَـه عيْـبٌ، فهـو مدْخـولٌ، وفيـهِ دخَـلٌ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ قـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: المعْنَـى: لأنْ تكُـونَ أمَّـةٌ، ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾؛ أي: هـيَ أغْنَـى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾[١]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى: بـأنْ تكـونَ أمَّـةٌ هـيَ أكْثَـرُ، يُقـالُ: ربَـا الشَّـيْءُ يرْبُـو: إذا كثُـرَ[٢].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: قالَ اللُّغويُّونَ: «أرْبَى» أزْيدَ عددًا.

قـالَ مُجاهِـدٌ: كانُـوا يُحالِفـون الحُلفـاءَ فيجِـدُون أكْثَـرَ منْهُـم وأعـزَّ، فينقُضـونَ حلْـفَ هـؤلاءِ ويُحالِفُـون أُولئـك، فنُهـوا عـنْ ذلِـك[٣].

وقـالَ الفـرَّاءُ: المعْنَـى: لا تغْـدِرُوا بقـوْمٍ لِقلَّتِهِـم وكثْرَتِكُـم، أو قِلَّتِكُـم وكثْرَتِهِـم، وقـدْ غررْتُموهُـم بالأيْـمانِ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِۦ﴾ في هذِه الهاءِ[٥] ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى الكثْرَةِ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وابْنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ[٦].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٤- ٤٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٦)، من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال: كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنهوا عن ذلك. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٩) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) في (ر): الآية.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

فيكـون المعنـى: إنَّـما يختبرُكُـم اللهُ بالكثْـرةِ، فـإذا كانَ بـيْن قوْمَـيْنِ عهْـدٌ، وكثُـر أحدُهمـا، فـلَا ينْبغِـي أنْ يفسـخَ العهـدَ(١) الَّـذي بيْنَـه وبـيْنَ الأقـلِّ.

فإنْ قيلَ: إذا كنَّى عنِ الكثْرةِ، فهلَّا قِيل بِها؟

فقـد أجـابَ عنْـهُ ابْـنُ الأنْبـاريِّ، بـأنَّ الكثْـرَةَ ليْـس تأنِيثُهـا حقِيقيًّـا، فحُملـتْ عـلَى معْنَـى التَّذْكـير، كـما حُمِلـتِ الصَّيحـةُ عـلى معْنَـى الصِّيـاح.

والثَّـاني: أنهـا ترْجِـع إلى العَهْـد، فإنَّـه لِدلالـةِ الأيْـمانِ عليْـهِ، يَجْري مجرَى المظْهـرِ، ذكـرَهُ ابْـنُ الأنْبـاريِّ.

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى الأمْرِ بالوفَاء، ذكَرَه بعْضُ المفسِّرينَ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قـد فسَّرْنـاه في آخِرِ هُـود [آيـة: ١١٨].

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ صرِيـحٌ في تكْذِيـب القدَرِيَّـةِ، حيْـثُ أضَـافَ الإضْـلالَ والهدايـةَ إليْـهِ، وعلَّقَهُـما بمشِـيئَتِه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحـل: ٩٤ - ٩٦].

---

(١) ليست في (ر).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ هـذَا اسْـتِئْنافٌ للنَّهـي عـنْ أَيْـمانِ الخَدِيعـةِ.

﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ قـالَ أبُـو عُبيـدةَ: هـذا مثَلٌ يُقال لِـكلِّ [٤٦٢/ ب] مُبتـلًى بعْـدَ عافيـةٍ، أو سَـاقطٍ في ورْطـةٍ بعْـدَ سـلامةٍ: زلَّتْ بـه قدمُه[١].

قـالَ مُقاتِـلٌ: ناقِـضُ العْهـدِ يـزلُّ في دينِـه كـما تـزلُّ قـدَمُ الرَّجُـل بعْـدَ الاِسْـتِقامَةِ[٢].

قـالَ المفَسِّرونَ: وهـذَا نهْـيٌ للَّذيـن بَايَعُـوا رسُـولَ اللهِ ﷺ عـلَى الإسْـلَامِ ونـصْرةِ الدِّيـن عـنْ نقْـض العهْـدِ، ويـدلُّ عليـه قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾ يعْنِـي: العُقوبـةَ ﴿ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يُريـد أنَّهـم إذا نقَضُـوا عهْدَهُـم مـعَ رسُـولِ اللهِ ﷺ، صـدُّوا النَّـاس عـنِ الإسْـلامِ، فاسْـتحقُّوا العـذَابَ.

وقوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يعْنِـي: في الآخـرة. ثُـمَّ أكَّـد ذلـك بقوْلِـه: ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

قـالَ أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ: نزَلَـتْ في رَجُلَـيْنِ اخْتصـمَا إلى رسُـولِ اللهِ ﷺ في أرْضٍ، يُقـال لأحَدِهِـمَا: «عَيـدانُ بْـنُ أَشْـوعَ»[٣] وهو صَاحِـبُ الأرْضِ،

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

(٣) عيـدان بـن أشـوع -ﷺ- هـو رَبِيعَـةُ بـن عَيْدَان بـن ذي العـرف بـن وائـل الكِنْدِي، ويقـال: الحضرمـي، شـهد فتـح مـصر، ولـه صحبـة، وهـو الـذي تخاصـم مـع امـرئ القيـس في أرض إلى النبـي -ﷺ-. انظـر: أسـد الغابـة (٢/ ٢٦٦)، والإصابـة (٣/ ٥١).

وللآخِرِ: «امْرؤُ القَيْس»[١] وهو المدَّعَى عليْهِ، فهَمَّ امْرؤُ القيْسِ أنْ يحلِفَ، فأخَّرَه رسُولُ الله ﷺ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ[٢].

وذكَر أبو بكْرٍ الخطِيبُ أنَّ اسْمَ صاحبِ الأرْضِ «رَبِيعةُ بْنُ عبْدَانَ»[٣]، وقِيلَ: «عَيْدانَ» بفتْحِ العيْنِ وياءٍ مُعجمةٍ باثْنتينِ.

ومعْنَى الآيةِ: لا تنْقُضوا عُهودَكُم، تطْلبُون بنقْضِها عرضًا يسيرًا مِنَ الدُّنيا، إنَّ مَا عنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوابِ علَى الوَفاءِ هو خيْرٌ لكُم مِنَ العاجِلِ.

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾؛ أي: يفْنَى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في الآخِرة ﴿بَاقٍ ﴾ وقَفَ بالياءِ ابْنُ كثِيرٍ فِي رِوايةٍ عنْهُ، ولا خِلافَ في حذْفِها في الوصْلِ[٤].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ قرأَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «ولَيَجْزِيَنَّ» باليَاءِ. وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وعاصِمٌ: «وَلَنَجْزِيَنَّ» بالنُّونِ[٥].

---

(١) امرؤ القيس بن عابس الكندي -رضي الله عنه- صحابي، وفد إلى النبي -ﷺ- فأسلم وثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد من كندة، وكان شاعرًا نزل الكوفة في أواخر عمره، وتوفي بها نحو سنة (٢٥هـ). انظر: الاستيعاب (١/ ١٩٤)، وأسد الغابة (١/ ١٣٧)، والأعلام (٢/ ١١).

(٢) أخرج القصة الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٣٣)، عن الأشعث، وذكرها السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٤٩)، الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٨٨)، وانظر: تنوير المقباس (ص: ٢٩٢)، والعجاب في بيان أسباب النزول (١/ ٤٥١).

(٣) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (٦/ ٤٢٩).

(٤) رويَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (بَاقِي) و(مُفْتَرِي). انظر: الغيث؛ للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ١٣٧).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨).

ولم يختلفوا في ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ﴾ أنَّها بالنُّون، ومعنى هذِه الآيةِ: وليَجْزِينَّ الَّذينَ صَبَرُوا علَى أمْرِه أجرهم[1] بأَحْسَنَ ما كانوا يعمَلُون في الدُّنيا، ويَتجاوزُ عنْ سيِّئاتِهِم.

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾.

فِي سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ امْرَأَ القيْسِ المتقدّم ذكرُه أقرَّ بالحقِّ الَّذي كانَ هَمَّ أنْ يحلفَ عليْهِ، فنزَلَتْ فيهِ (هذه الآية)[2]: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾، وهوَ إقْرارُهُ بالحقِّ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ ناسًا مِن أهْلِ التَّوارةِ، وأهْلِ الأنجيلِ، وأهْلِ الأوْثانِ، جلَسُوا، فتفَاضلُوا، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه أبو صالِحٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾.

اخْتلَفُوا أيْنَ تكونُ هذِه الحياةُ الطَّيبةُ علَى ثلاثةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها في الدُّنْيَا، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ يعني في الدنيا.

ثُمَّ فيهَا للمُفسِّرينَ تسْعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها القَناعَةُ، قالَه عليٌّ عليه السَّلام(١)، وابْنُ عبَّاسٍ في رِوايةٍ، والحسَنُ في رِوايةٍ(٢)، ووهبُ بْنُ منبِّهٍ.

والثَّاني: أنَّها الرِّزقُ الحَلالُ، رَواه أبو مَالِكٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

وقالَ الضَّحَّاكُ: يأكُل حَلالًا ويلبِسُ حلالًا(٤).

[٤٦٣/أ] والثَّالث: أنَّها السَّعادةُ، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥).

والرَّابع: أنَّها الطَّاعةُ، قالَه عِكْرِمَةُ.

والخامِس: أنَّها رِزق يوْمٍ بِيوْمٍ، قالَه قتَادَةُ.

والسَّادس: أنَّها الرِّزقُ الطَّيِّبُ، والعمَلُ الصَّالِحُ، قالَه إسْماعيلُ بْنُ أبي خالِدٍ.

والسَّابع: أنَّها حلَاوةُ الطَّاعةِ، قالَه أبو بكْرٍ الورَّاقُ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٠) من طريق أبي خزيمة سليمان التمَّار، عمَّن ذكره عن عليّ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال: القنوع.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٠)، من طريق أبي سعيد، عن الحسن البصريّ، قال: الحياة الطيبة: القناعة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٩- ٢٩٠) من طريق إسماعيل بن سَمِيع، عن أبي مالك وأبي الربيع، عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٠) من طريق أبي رَوْق، عن الضحاك، في قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قالَ: يأكل حلالًا ويلبس حلالًا.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩١) من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال: السعادة.

والثَّامن: العَافِيةُ والكِفَايةُ.

والتَّاسع: الرِّضا بالقَضَاء ذكرَهُمَا الماوردِيُّ(١).

والثَّـاني: **أنَّهـا في الآخـرَةِ**، قالَـه الحسَـنُ، ومجُاهِـدٌ، وسـعِيدُ بـنُ جُبـيرٍ، وقتَـادَةُ، وابْـنُ زيْـدٍ، وذلِـك إنَّـما يكـونُ في الجنَّـةِ.

والثَّالث: **أنَّها في القبر**، رَواه أبو غسان عن شريك(٢).

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحـل: ٩٨ - ١٠٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: **أنَّ المعْنَـى**: فـإذَا أردْت القِـراءةَ فاسْـتعِذْ، ومثْلُـه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائـدة: ٦]، وقوْلُـه: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[الأحـزاب: ٥٣]، وقوْلُـه: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلـة: ١٢]، ومثْلُـه في الـكلام: إذا أكَلْـتَ فقُـلْ: باسْـمِ اللهِ، هــذا قـوْلُ عامَّـةِ العُلـماء واللُّغويـين.

(١) النكت والعيون (٣/ ٢١٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٠) عن السدي.

والثَّاني: أنَّه علَى ظاهرِهِ، وأنَّ الاِسْتعاذةَ بعْدَ القِراءةِ، رُوي عنْ أبي هُريرةَ[1]، ودَاودَ.

والثَّالث: أنَّه مِنَ المقدَّمِ والمؤخَّرِ، فالمعْنَى: فإذا استعذْتَ باللهِ فاقرَأْ، قالَه أبو حاتمٍ السِّجستانيُّ[2]، والأوَّلُ أصَحُّ.

فَصْلٌ

والاِسْتعاذَةُ عنْدَ القِراءة سُنَّةٌ في الصَّلاةِ وغيْرِها.

وفي صِفتِهَا عنْ أحمدَ رِوايتَانِ:

إحداهما: أعوذ باللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، إنَّ اللهَ هوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، رَواها أبو بكْرٍ المروذيُّ.

والثَّانية: أعوذُ باللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إنَّ اللهَ هوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، رَواها حنبلٌ[3]. وقد بيَّنا معنى «أعُوذُ» في أوَّلِ الكِتابِ.

---

(١) أخرجه الشافعي في تفسيره (١/ ١٨٥) من طريق إبراهيم بن محمد، عن ربيعة بن عثمان، عن صالح بن أبي صالح: أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رافعاً صوته: «ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم» ، في المكتوبة، «وإذا فرغ من أم القرآن». وهذا الإسناد لا يحتج به، لأن إبراهيم بن محمد هو الأسلمي، وقد أجمع أهل النَّقل والحديث على ضعفه، ولم يُوثِّقه سوى الشافعي. قال أبو داود: كان قدريًّا رافضيًّا مأبونًا كل بلاء فيه، وصالح بن أبي صالح الكوفي ضعيف واه. انظر: انظر: التاريخ الكبير (١/ ٣٢٣) ترجمة (١٠١٣)، والكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٣٥٣)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٨٠٥)، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٠١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٧).

(٣) انظر: الشرح الكبير (١/ ٥٢١).

وشرحْنَا اشْتقاقَ الشَّيطانِ في البقرَةِ: [آية: ١٤] والرَّجيمِ في آل عِمْرانَ [آية: ٣٦].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.

في المرَادِ بالسُّلطانِ قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّه التَّسلطُ.**

ثُم فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: ليـسَ لـه عليْهِم (مِـنْ)[1] سُـلطانٍ بِحـالٍ؛ لأنَّ اللهَ صرَفَ سُـلطانَهُ عنْهُـم بقوْلِـه[2]: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجـر: ٤٢].

والثَّاني: ليسَ له عليْهِم سُلطانٌ؛ لِاسْتعاذَتِهم منْهُ.

والثَّالث: ليسَ له قُدرةٌ علَى أنْ يحملَهُم على ذنْبٍ لا يُغفر.

والثَّاني: **أنَّه الحُجَّةُ.**

فالمعْنَى: ليْسَ له حُجَّةٌ على مَا يدْعُوهم إليْهِ مِنَ المعَاصِي، قالَهُ مُجاهِدٌ.

فأمَّا قوْلُه: ﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ معْنَاه: يُطِيعُونَهُ.

وفي هاءِ الكِنايةِ في قوْلِه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ **قوْلَانِ:**

أحدُهما: **أنَّها ترجِعُ إلى اللهِ تعَالى**، قالَه مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (م): لقوله.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى الشَّيطَانِ، فالمعْنَى: والَّذِين هُم مِن أجْلِه مُشركونَ باللهِ، وهذا كما يُقال: صَار فلانٌ بِك عالمًا؛ أي: مِن أجْلِك، هذا قولُ ابْنِ قُتيبةَ[1].

وقالَ ابْنُ الأنْباريِّ: المعْنَى: والَّذين هُم بإشْراكِهم إبْليسَ في العِبادةِ، مُشركونَ باللهِ تعَالى[2].

[٤٦٣/ب] قوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾.

سبَبُ نُزولها: أنَّ اللهَ تعَالى كان يُنْزِلُ الآيةَ، فيُعمل بها مُدَّةً، ثُم ينْسخُهَا، فقَال كُفَّارُ قُريشٍ: واللهِ مَا مُحَمَّدٌ إلَّا يسْخَرُ مِن أصْحابِه، يأمُرُهم اليوْمَ بأمْرٍ، ويأتِيهم غدًا بما هوَ أهْونُ عليْهِم منْهُ، فنزَلَت هذِه الآيةُ، قالَه أبو صالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والمعْنَى: إذا نسخْنَا آيةً بآيةٍ، إمَّا نسخُ الحكمِ والتِّلاوةِ، أوْ نسْخُ الحُكمِ معَ بقاءِ التِّلاوةِ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ مِن ناسخٍ ومنْسُوخٍ، وتشْديدٍ وتخْفيفٍ، فهوَ عليمٌ بالمصْلحةِ في ذلك ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾؛ أي: كاذِبٌ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قوْلَانِ:

أحدُهما: لَا يعْلَمُون أنَّ اللهَ أنْزلَهُ.

والثَّاني: لا يعْلَمُون فائدةَ النَّسخِ.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨- ٢٤٩).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/ ٥٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٥).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ﴾ يعْنِـي: القُـرآنَ ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ يعْنِـي: جِبريـلَ. وقـدْ شرحْنَـا هـذا الإسْـمَ في البقـرة [آيـة: ٨٧].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: مِـن كلامِـهِ ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالأمْـرِ الصَّحيحِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بـما فيـهِ مِـنَ البيِّنـاتِ فيـزْدادُوا يقِينًـا.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾ [النحـل: ١٠٣ - ١٠٥].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ﴾ يعْنِـي: قُريشًـا ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾؛ أي: آدمـيٌّ، ومـا هـوَ مِـن عنْـدِ اللهِ.

وفيمَن أرَادوا بِهذَا البَشرِ تسْعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: **أنَّـه** كانَ لِبنـي المغِـيرة غُـلامٌ يُقـال لـه «يعِيـشُ» يقـرَأُ التَّـوراةَ، فقالُـوا: منْـهُ يتعلَّـمُ محُمَّـدٌ، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ، رَواه عِكْرِمةُ عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ(١).

(١) تفسـير الثـوري (ص: ١٦٧)، وأخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٢٩٩)، وأخرجـه المسـتغفري في الصحابـة، كـما في الإصابـة (٦/ ٦٨٩) مـن طريـق وكيـع، قـال: ثنـا أبي، عـن سـفيان، عـن حبيـب، عـن عكرمـة، قـال: كان النبـيّ ﷺ، يقرئ غلامًـا لبنـي المغيرة أعجميًّا، قـال سـفيان: أراه يقـال لـه: يَعِيـش، قـال: فذلـك قولـه: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٣١) إلى ابـن جريـر.

وقالَ عِكرِمَةُ في رِوايةٍ: كانَ هذَا الغُلامُ لِبني عَامرِ بْنِ لُؤيٍّ، وكانَ رُوميًّا[١].

والثَّاني: أنَّه فتًى كانَ بمكَّة يُسمَّى «بلْعامُ» وكانَ نصْرانيًّا أعجميًّا، وكانَ رسُولُ الله ﷺ يُعلِّمُه، فلمَّا رَأى المشْرِكُون دخولَه إليْه وخُروجَه، قالُوا ذلِك، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيضًا[٢].

والثَّالث: أنَّه نزلَتْ في كاتبٍ كانَ يكتُبُ لِرسُولِ اللهِ ﷺ، فيُملي عليْهِ «سَمِيعٌ عَليمٌ» فيكتبُ هوَ: «عزِيزٌ حَكِيمٌ» أو نحْوَ هذَا، فقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «أيَّ ذَلِكَ كَتبْتَ فهُوَ كذَلِكَ»، فافْتُتِنَ، وقالَ: إنَّ مُحمَّدًا يكِلُ ذلِك إليَّ فأكْتُب ما شئْتُ، رُوي عنْ سعِيدِ بْنِ المسيِّبِ[٣].

---

(١) ذكره عنه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٤/ ١٠٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٩٨- ٢٩٩) من مسلم بن عبد الله المُلائي، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم قينا بمكة، وكان أعجميَّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله ﷺ حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلِّمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٤٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠١) من طريق ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أنَّ الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي، فكان يملي عليه رسول الله ﷺ: «سميع عليم» أو «عزيز حكيم» وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله ﷺ، فيقول: أعزيز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول رسول الله ﷺ: أيُّ ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك، فقال: إن محمدًا يكل ذلك إليَّ، فأكتب ما شئت، وهو الذي=

والرَّابع: أنَّه غلامٌ أعجميٌّ لامرأةٍ من قريشٍ يُقال له: «جابرٌ»، وكانَ جابرٌ يأتي رسولَ اللهِ ﷺ فيتعلَّمُ منهُ، فقال المشركونَ: إنَّما يتعلَّم محمَّدٌ من هذا، قالَه سعيدُ بْنُ جُبير.

والخامس: أنَّهم عنوا سلْمانَ الفارسيَّ، قالَهُ الضَّحَّاكُ؛ وفيهِ بُعدٌ من جهةِ أنَّ سلْمانَ أسْلمَ بالمدينةِ، وهذه [الآيةُ][1] مكيَّةٌ.

والسَّادس: أنَّهم عنوا [بهِ][2] رجُلًا حدَّادًا كان يُقال له: «يوحنّس» النَّصرانيّ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والسَّابع: أنَّهم عنوا [بهِ][3] غُلامًا لِعامرِ بْنِ الحضْرَميِّ، وكانَ يهوديًّا أعْجميًّا، واسْمُه: «يَسارٌ»، ويُكنى: «أبا فكيهةَ» قالَه مُقاتِلٌ[4]. وقدْ رُوي عنْ سعيدِ بْنِ جُبيرٍ نحوُ هذا، إلَّا أنه لم يقُلْ: إنَّه كانَ يهوديًّا.

والثَّامن: أنَّهم عنوا غُلامًا أعْجميًّا اسْمُه: «عَائِشٌ» وكانَ مملُوكًا لحُويطب، وكانَ قد أسْلَم، قالَه الفرَّاءُ[5]، والزَّجَّاجُ[6]. [٤٦٤/أ]

=ذكر في سعيد بن المسيب من الحروف السبعة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(١) من (ر).

(٢) من (ر).

(٣) من (ر).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٧).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١١٣).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٩).

والتَّاسع: أنَّهما رجُلانِ، قالَ عبْدُ اللهِ بْنُ مُسلمٍ الحَضرميُّ: كانَ لنَا عبْدَانِ مِن أهْلِ عينِ التَّمرِ، يُقالُ **لأحدِهِمَا**: «يَسارٌ» وللآخرِ «جَبْرٌ» وكانَا يصْنعَانِ السُّيوفَ بمكَّةَ، ويَقرآنِ الإنجيلَ، فربَّما مرَّ بِهما النَّبيُّ ﷺ، وهُما يَقرَآنِ فيقِفُ يسْتمِعُ، فقَالَ المشركُونَ: إنَّما يتعلَّمُ منْهُما[1].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: فعَلى هذا القَوْلِ؛ يكونُ البشَرُ واقعًا على اثْنَينِ، والبَشرُ مِنْ أسْماءِ الأجْنَاسِ، يُعبَّرُ عنِ اثْنينِ، كما يُعبَّرُ «أحَدٌ» عنِ الاثْنينِ والجمعِ[2]، والمذكَّرِ والمؤنَّثِ.

قَوْلُه تعَالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾.

قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبوعمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وعاصِمٌ: «يُلْحِدُونَ» بضمِّ الياءِ وكسْرِ الحاءِ، وقرَأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ: «يَلْحَدُونَ» بفتْحِ الياءِ والحَاءِ[3].

فأمَّا القِراءةُ الأُولى: فقَالَ ابْنُ قُتيبةَ: «يُلْحِدُونَ»؛ أي: يَمِيلُون إليْهِ ويزعُمونَ أنَّه يعلِّمُه، وأصْلُ الإلحادِ: الميْلُ[4]. وقالَ الفرَّاء: «يُلحدون» بضَمِّ الياءِ: يعْتَرِضُونَ، ومنْهُ قوْلُه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ [الحج: ٢٥]؛ أي: باعْتِراضٍ، «ويَلْحَدون» بفتْحِ الياءِ: يمِيلونَ[5].

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩١) (١٣٦).

(٢) في (ر)، و(س)، و(م): والجميع.

(٣) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١١٣)، ولغات القرآن (ص: ٧٠).

وقالَ الزَّجَّاج: يَلحدون إليْهِ؛ أي: يَمِيلُونَ القوْلَ فيهِ[١] أنّه أعْجمِيٌّ[٢].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: لا يكادُ عوَامُّ النَّاسِ يُفرِّقُون بيْنَ العجميِّ والأعْجميِّ، والعرَبِيِّ والأعْرابيِّ، **والأعْجَمِيُّ**: الَّذي لا يُفصح وإنْ كانَ نازلًا بالبادِيةِ، **والعَجمِيُّ**: منْسُوبٌ إلى العجَمِ وإنْ كان فصِيحًا؛ **والأعْرَابيُّ**: هو البدويُّ، **والعَربيُّ**: منْسُوبٌ إلى العرَبِ وإنْ لم يكُن بدَوِيًّا[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ﴾ يعْنِي: القُرآنَ ﴿عَرَبِيٌّ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: أي: أنَّ صاحِبَه يتكلَّمُ بالعرَبيَّةِ[٤].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الَّذِين إذَا رَأَوا الآياتِ الَّتي لا يقْدِر عليْهَا إلَّا اللهُ، كذَّبُوا بِهَا[٥]، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: أنَّ الكَذِبَ نعْتٌ لازِمٌ لهُم، وعادةٌ مِن عادَاتِهم، وهذَا رَدٌّ عليْهِم إذْ قالُوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١]، وهذِه الآيةُ مِن أبْلَغِ الزَّجرِ عنِ الكذِبِ؛ لأنَّه خصَّ به مَن لا يُؤمِنُ.

---

(١) في (س): إليه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٩).

(٣) أدب الكاتب (ص: ٣٩- ٤٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٠).

(٥) في (س): كذبوها.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ۞يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾ [النحل: ١٠٦ - ١١١].

قوْلُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: نزلَتْ في عبدِ اللهِ بْنِ سعْدِ بْنِ أبي سرْحٍ القُرشيِّ، ومَقِيس ابْنِ صُبَابةَ، وعبدِ اللهِ بْنِ أنس بْنِ خَطلٍ، وطُعْمةَ بْنِ أُبيْرِقٍ، وقيْسِ بْنِ الوَلِيدِ بْنِ المغِيرَةِ، وقيْسِ بْنِ الفَاكِهِ المخزُومِيِّ[١].

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فاخْتلَفُوا فيمَنْ نزَلَ على أرْبعَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه نزَل في عمَّار بْنِ ياسرٍ، أخذَه المشْرِكونَ فعذَّبُوه، فأعْطَاهُم ما أرَادُوا بلِسانِه، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادَةُ[٢].

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٤) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ قال: ذُكِر لنا أنها نزلت في عمار ابن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا: اكفر بمحمد، فتابعهم على=

والثَّاني: أنَّه لما نزَلَ قوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلى آخر الآيتينِ اللَّتينِ في سُورة النِّساء [آية: ٩٦- ٩٧] كتَبَ بها المسلِمُون [٤٦٤/ ب] الَّذين بالمدينةِ إلى مَن كانَ بمكَّة، فخرَجَ ناسٌ ممَّن أقرَّ بالإسْلامِ، فاتبعَهُمُ المشركون، فأدْركُوهم، فأكْرهُوهُم[١] حتَّى أعْطوا الفِتنةَ، فنزَلَ قولُه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، رَواه عِكرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبه قالَ مُجاهِدٌ[٢].

والثَّالث: أنَّه نزَلَ في عيَّاشِ بْنِ أبي رَبيعةَ، كانَ قد هاجَرَ فحلَفَتْ أُمُّه ألَّا تسْتَظِلَّ ولَا تشبَعَ مِن طعَامٍ حتَّى يرجِعَ، فرجَعَ إليْهَا، فأكْرَهَهُ المشرِكُونَ حتَّى أعْطَاهُم بعْضَ ما يُريدُونَ، قالَه ابْنُ سيرينَ.

=ذلك وقلبه كاره، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) ليست في (ر)، و(س).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٦- ٣٠٧) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ قال ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبيّ ﷺ بالمدينة، أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٤٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٣٢) إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

والرَّابع: أنَّه نزَل في جبْرٍ، غُلامِ ابْنِ الحضْرَمِيِّ، كان يهوديًّا فأسْلَم، فضَربه سيِّدُه حتَّى رجَع إلى اليهوديَّة، قالَه مُقاتل[1].

فأمَّا قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ فقَال مُقاتِلٌ: هُمُ النَّفر المسَمّونَ في أوَّلِ الآيةِ[2].

فأمَّا التَّفسير: فاخْتلَف النُّحاةُ في قوْلِه: ﴿مَن كَفَرَ﴾، وقوْلِه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ فقَال الكُوفيُّون: جوابُهما جميعًا في قوْلِه: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾، وقالَ البصريُّونَ: بل قوْلُه: ﴿مَن كَفَرَ﴾ مرْفوعٌ بالردِّ على ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: ويجوزُ أن يكونَ خبرُ ﴿مَن كَفَرَ﴾ محذوفًا، لوضُوحِ معْنَاه، تقْدِيرُه: مَن كفَر باللهِ، فاللهُ عليْهِ غضْبانُ[3].

قوْلُه تعالى: ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾؛ أي: ساكِنٌ إليْهِ راضٍ بهِ. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ قالَ قتادَةُ: مَن أتَاه بإيثارٍ واخْتيارٍ[4].

وقالَ ابنُ قُتيبةَ: مَن فتَحَ له صدْرَهُ بالقَبُولِ[5].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٨٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٤) بلفظ: من أتى الكفر على اختيار واستحباب.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

وقالَ أبو عُبيدةَ: المعْنى: مَن تابعَتْهُ نفْسُه، وانبَسَطَ إلى ذلِك، يُقالُ: مَا ينْشَرحُ صدْري بذلِك؛ أي: ما يطِيبُ، وجاءَ قوْلُه: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾ على معْنَى الجمِيع؛ لأنَّ «مَن» تقَعُ على الجميعِ[١].

فَصْلٌ

الإكْراهُ علَى كلمَةِ الكُفْرِ يُبيح النُّطق بِهَا.

وفي الإكْراه المبِيحِ لِذلك عنْ أحمَدَ رِوايتَانِ[٢]:

إحدُاهما: أنَّه يخافُ على نفسِه أو علَى بعْضِ أعْضائِه التَّلفَ إنْ لم يفْعَلْ ما أُمِر بهِ.

والثَّانيةُ: أنَّ التَّخويفَ لا يكونُ إكْراهًا حتَّى ينَالَ بعذابٍ، وإذا ثبَت جوازُ «التَّقية» فالأفْضلُ ألَّا يفعلَ، نصَّ عليه أحمَدُ، في أسيرٍ خُيِّرَ بيْنَ القتْلِ وشُرْب الخمْرِ، فقَال: إنْ صبَرَ علَى القتْلِ فله الشَّرفُ، وإنْ لم يصْبِرْ، فلَه الرُّخصةُ، فظاهِرُ هذا الجوَازُ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٨).

(٢) في المغني ١٢/ ٢٩٢- ٢٩٤: من أكره على الكفر، فأتى بكلمة الكفر لم يصر كافرا وبهذا قال مالك وأبو حنيفة والشافعي. وقد قال النبي ﷺ: «عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». ولأنه قول أكره عليه بغير حق فلم يثبت حكمه. لكن من الأفضل له أن يصبر ولا يقولها وإن أتى ذلك على نفسه لما روى خبّاب عن رسول الله ﷺ قال: «إن كان الرّجل من قبلكم ليحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بمنشار، فيوضع على شق رأسه، ويشقّ باثنين، ما يمنعه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم ما يصرفه ذلك عن دينه».

ورَوى عنْـهُ الأثْـرمُ أنَّـه سُـئل عـنِ التَّقيـةِ في شرْبِ الخمْـرِ، فقَـال: إنَّـما التَّقيـة في القـوْلِ. فظاهِـرُ هـذَا أنَّـه لا يجـوزُ لـه ذلِـك(١).

فأمَّـا إذَا أُكـره عـلى الزِّنـا؛ لم يجُـزْ لـه الفعْـلُ، ولم يصِـحَّ إكْراهُـه، نـصَّ عليـه أحمـدُ.

فـإنْ أُكـره عـلى الطَّـلاقِ؛ لم يقَـعْ طلاقُـه، نـصَّ عليـه أحْمـدُ، وهـو قـوْلُ مالِـكٍ، والشَّـافعِيِّ. وقـالَ أبـو حَنيفـةَ: يقَـعُ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ **في المشَـارِ إليْـهِ بذلِـك قـوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه الغضَبُ والعذابُ، قالَه مُقاتِلٌ(٢).

والثَّاني: أنَّه شرْحُ الصَّدرِ للكُفْرِ. [٤٦٥/أ]

«واسْتحبُّوا» بمعْنَى: أحبُّوا الدُّنْيا واخْتارُوها علَى الآخِرةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وبأنَّ اللهَ لا يُريد هدايتَهُم.

ومـا بعْدَ هذَا قد سبَقَ شرْحُه... إلى قولـه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ **ففيه قولان:**

---

(١) قـال الطـوفي في شرح المختـصر (١/ ٤٦٥) العجـب مـن أصحابنـا يرجحـون الأخـذ بالرخصة في الفطـر وقـصر الصـلاة في السـفر مـع يسـارة الخطـب فيهـا ويرجحـون العزيمـة فيـما يـأتي عـلى النفس كالإكراه عـلى الكفـر وشرب الخمر، فإمَّـا أن يرجحـوا الرخصـة مطلقًـا أو العزيمـة مطلقًـا، أمـا الفـرق فـما يظهـر لـه كبـيرة فائـدة أ.هــ. وانظـر القواعـد والفوائـد الأصوليـة (ص: ٤٩- ١١٨)، والمغنـي (٨/ ١٤٥- ١٤٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

أحدُهما: الغَافِلُون عمَّا يُراد بهم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: عنِ الآخِرة، قالَه مُقاتِلٌ[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ قد شرحْنَاهَا في هُود.

قوْلُه تعَالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ اخْتلَفُوا فيمَنْ نزلَتْ علَى أرْبعَةِ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها نزلَتْ فيمَن كان يُفتن بمكَّةَ منْ أصْحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ قوْمًا منَ المسلِمِينَ خرَجُوا للهجرَةِ، فلحِقَهُمُ المشْركونَ فأعْطَوْهُمُ الفتنَةَ، فنزَلَ فيهِم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فكَتَب المسْلِمُون إليْهِم بذلِك، فخَرجُوا، وأدْركَهُمُ المشركُونَ فقَاتلُوهُم حتَّى نَجَا مَن نجَا وقُتل مَنْ قُتل، فنزلَتْ فيهِم هذِه الآيةُ، رَواه عِكرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٧) من طريق عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتِل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كلّ خير، ثم نزلت=

والثَّالث: أنَّها نزلَتْ فِي عبْدِ اللهِ بْنِ سعْدِ بْنِ أبي سَرْحٍ، كانَ الشَّيطانُ قد أزلَّه حتَّى لحِقَ بالكُفَّارِ، فأمَر بهِ رسُولُ الله ﷺ أنْ يُقتلَ يوْمَ الفتْحِ، فاسْتجارَ لَه عُثمانُ بْنُ عفَّانَ، فأجارَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ، وهذَا مرْويٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، والحسَنِ، وعِكرمَةَ، وفيهِ بُعدٌ؛ لأنَّ هذا المشارَ إليْه وإنْ كانَ قدْ عادَ إلى الإسْلامِ، فإنَّ الهجرةَ انْقطعَتْ بالفتْحِ.

والرَّابع: أنَّها نزَلَت في عيَّاشِ بْنِ أبي رَبيعةَ، وأبي جنْدلِ بْنِ سُهيل بْنِ عمْرٍو، وعبْدِ اللهِ بْنِ أسيد الثَّقفيِّ، قالَه مُقاتِلٌ[١].

فأمَّا قوْلُه تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ فقرَأ الأكْثرُونَ: «فُتِنُوا» بضمِّ الفَاءِ وكسْرِ التَّاءِ، على معْنَى: مِن بعْدِ مَا فتَنَهُمُ المشرِكُونَ عنْ دينِهِم. قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فُتِنوا بمعْنَى: عُذِّبوا[٢].

وقرَأ عبْدُ اللهِ بْنُ عامِرٍ: «فتَنُوا» بفتْحِ الفاءِ والتَّاءِ[٣]، على معْنَى: مِن بعْدِ مَا فتَنُوا النَّاسَ عنْ دينِ اللهِ، يُشير إلى مَنْ أسْلَم مِنَ المشرِكينَ.

وقالَ أبو عليٍّ: مِن بعْد ما فتَنُوا أنْفسَهُم بإظْهارِ مَا أظْهرُوا للتَّقيةِ؛ لأنَّ الرُّخصةَ لم تكن نزَلَتْ بعْدُ[٤].

=فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجًا، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِل من قُتِل.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٣١).

(٣) قراءتان سبعيتان. انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٧٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾؛ أي: قاتَلُوا معَ رسُول اللهِ ﷺ ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الدِّين والجهَادِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ فِي المكْني عنْهَا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: **الفِتنةُ**، وهوَ مذْهَبُ مُقاتِلٍ[١].

والثَّاني: **الفعْلَةُ الَّتي فعَلُوهَا**، قالَهُ الزَّجَّاجُ[٢].

والثَّالث: **المجاهَدةُ**، والمهاجرَةُ، والصَّبرُ.

والرَّابعُ: **المهاجرَةُ**، ذكرهما واللَّذين قبْلَهُما ابْنُ الأنْبَارِيِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: هو منْصُوبٌ علَى أحَدِ شيْئَيْنِ: إمَّا علَى معْنى: إنَّ ربَّك لَغفورٌ يوْمَ تأْتِي، وإمَّا علَى معْنَى: اذْكُرْ يوْمَ تأْتِي[٣]. [٤٦٥/ب]

ومعْنى ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾؛ أي: عنْهَا. والمرَادُ: أنَّ كُلَّ إنْسانٍ يُجادِلُ عنْ نفْسِهِ.

وقد رُوي عنْ عُمرَ بْنِ الخطَّابِ ﵁ أنَّه قالَ لِكعبِ الأحْبارِ: يا كعْبُ! خوِّفْنَا، فقَالَ: إنَّ لِجهنَّمَ زفْرةً ما يبْقَى ملَكٌ مُقرَّبٌ، ولَا نبِيٌّ مُرسلٌ إلَّا وقَع جَاثِيًا علَى رُكْبتَيْهِ، حتَّى إنَّ إبْراهِيمَ خلِيلَ الرَّحمنِ ليدلِي بالخلَّةِ فيقُول: «يَا ربِّ! أنَا خلِيلُكَ إبْراهِيمُ لَا أسْألُك إلَّا نفْسِي»، وإنَّ

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢١).

تصْدِيقَ ذلِك في كتَابِ اللهِ: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾[1]، وقد شرحْنَا معْنَى «الجدال» في هود [آية: ٣٢].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ في هذِه القرْيةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّها مكّةُ، قالَه ابْنُ عبّاسٍ، ومُجاهدٌ، وقتادةُ، والجمْهورُ، وهوَ الصَّحِيحُ.

والثّاني: أنّها قريةٌ أوْسعَ اللهُ علَى أهْلِها حتَّى كانوا يسْتنْجُونَ بالخُبْزِ، فبعَثَ اللهُ عليْهِم الجُوعَ حتَّى كانُوا يأْكُلون ما يقْعدونَ، قالَه الحسَنُ.

فأمَّا ما يُروى عنْ حفْصَةَ أنّها قالَتْ: هيَ المدِينةُ، فذلِك علَى سبِيلِ التَّمْثيلِ، لَا علَى وجْهِ التَّفْسِيرِ.

وبيانُه: ما رَوى سُلَيْمُ بن عِترٍ[2]، قالَ: صدرْنَا مِنَ الحَجِّ معَ حفْصَةَ،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٥٤- ١٥٥)، وأحمد في الزهد (ص: ١٥١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٦٨- ٣٦٩) بنحوه.

(٢) سليم بن عتر بن سلمة بن مالك بن عتر ابن وهب بن عوف بن معاوية بن الحارث بن أيدعان بن سعد بن تجيب أبو سلمة التّجيبي المصري، قاضي مصر، كان يسمى الناسك لشدة عبادته، شهد خطبة عمر بالجابية. وروى عن عمر، وعلي بن أبي طالب، وأبي الدرداء، وحفصة أم المؤمنين، وأم الدرداء. توفي سنة (٨٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٢/ ٨١٦).

وعُثمانُ محْصُورٌ بالمدينَةِ، فرَأَتْ راكِبَيْنِ فسَأَلَتْهُمَا عنْهُ، فقالَا: قُتل، فقَالَتْ: والَّذِي نفْسِي بيدِه إنَّها للقرية، تعْنِي: المدينةَ الَّتِي قالَ اللهُ تعَالى في كتابه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾، تعْنِي حفْصة: أنَّها كانَتْ على قانُونِ الاِسْتِقامةِ في أيَّام النَّبِيِّ ﷺ وأبي بكْرٍ وعُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ عنْدَ قتْلِ عُثمانَ ﷺ(١).

ومعْنَى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾؛ أي: ذاتَ أمْنٍ يأمَنُ فيهَا أهْلُها أنْ يغَارَ عليْهِم، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾؛ أي: ساكِنةً بأهْلِها لا يحْتاجُون إلى الاِنْتِقالِ عنْهَا لِخَوْفٍ أو ضِيقٍ.

وقد شرَحْنا معْنى الرَّغدِ في البقرةِ [آية: ٣٥-٥٨].

وقوْلُه: ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: يُجلب إليها مِن كُلِّ بلَدٍ، وذلِك كلُّه بدعوةِ إبْراهِيمَ عليْه السلام، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكْذِيبِهِم رسُولَ اللهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣١٠)، من طريق نافع بن يزيد، قال: ثني عبد الرحمن بن شريح، أنَّ عبد الكريم بن الحارث الحضرميّ، حدث أنه سمع مِشْرَح بن عاهانَ، يقول: سمعت سليم بن نمير يقول: صدرنا من الحجّ مع حفصة زوج النبيّ ﷺ، وعثمان محصور بالمدينة، فكانت تسأل عنه ما فعل، حتى رأت راكبين، فأرسلت إليهما تسألهما، فقالا قُتِل فقالت حفصة: والذي نفسي بيده إنها القرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ قرأها، قال أبو شريح: وأخبرني عبد الله بن المغيرة عمن حدثه، أنّه كان يقول: إنها المدينة، وقوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فكفر أهل هذه القرية بأنعم الله التي أنعم عليها.

وفي وَاحدِ الأنْعُم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ واحِدَها «نُعْم» قالَه أبو عُبيدةَ[١]، وابْنُ قُتيبةَ[٢].

والثَّاني: «نعْمة» قالَهُ الزَّجَّاجُ[٣].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: ليْسَ قوْلُ مَنْ قالَ: هو جمْعُ «نعْمَة» بشيْءٍ؛ لأنَّ «فِعْلَة» لا تجمَعُ علَى «أفْعُل» وإنَّما هوَ جمْعُ «نُعْم» يُقال: يوْمُ نُعْمٍ، ويوْمُ بُؤسٍ، ويجمَعُ «أنْعُمًا» و«أبْؤُسًا»[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾.

ورَوى عُبَيدُ بْنُ عَقِيلٍ[٥]، وعبْدُ الوَارثِ عنْ أبي عمْرٍو: «والخوْفَ» بنصْبِ الفاءِ[٦].

وأصْلُ الذَّوقِ إنَّما هوَ بالفَمِ، وهذَا اسْتعارَةٌ منْهُ، وقد شرحْنَا هذَا المعْنَى في آل عمْرَانَ [آية: ١٠٦ - ١٨٥].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) ابن عقيل بن صبيح، أبو عمرو الهلالي البصري، راو ضابط صدوق، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، روى القراءة عنه خلف بن هشام، مات سنة سبع ومائتين. انظر: غاية النهاية (١/ ٤٩٦).

(٦) قراءة سبعية. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٧٦)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٠).

وإنَّما ذكَر اللِّبَاسَ هاهُنا تجوزًا، لما يظْهرُ عليْهِم مِن أثَرِ الجُوعِ والخوْفِ، فهو كقوْلِه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك لمَا يظْهر على المتَّقِي مِن أثَرِ التَّقوى.

قالَ المفَسِّرُونَ: عذَّبهم اللهُ بالجُوعِ سبْعَ سِنينَ حتَّى أكَلُوا الجِيفَ [٤٦٦/أ] والعِظامَ المحترقَةَ.

فأمَّا الخوْفُ: فهوَ خوْفهُم مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ ومِن سَرايَاهُ الَّتِي كانَ يبعثُها حوْلَهُم. والكلامُ في هذه الآيةِ خرَجَ على القرْيةِ، والمرَادُ أهْلُها، ولذلِكَ قالَ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ يعْنِي به: تكْذِيبَهُم[1] لِرسُولِ اللهِ ﷺ وإخْراجَهُم إيَّاه ومَا همُّوا بهِ مِن قتْلِه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾ [النحل: ١١٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعْنِي: محمَّدًا ﷺ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّه الجُوعُ**، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **القتْلُ ببدْرٍ**، قالَه مُجاهِدٌ.

قالَ ابْنُ السَّائبِ: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾؛ أي: كافِرُونَ[2].

---

(١) في (ر): بتكذيبهم.

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٣١).

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [النحل: ١١٤ - ١١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ في المخاطَبينَ بِهذا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّهم المسلِمونَ، وهوَ قوْلُ الجمهُورِ.

والثَّاني: أنَّهم أهْلُ مكَّةَ المشرِكونَ، لَمَّا اشتدَّتْ مجاعتهُم، كلَّم رؤساؤُهم رسُولَ الله ﷺ، فقالُوا: إنْ كنْتَ عادَيْتَ الرِّجالَ، فما بالُ النِّساءِ والصِّبيانِ؟ فأذِنَ رسُولُ اللهِ ﷺ للنَّاس أنْ يحملُوا الطَّعامَ إليْهم، حكَاه الثَّعلَبيُّ[1]، وذكرَ نحْوَهُ الفرَّاءُ، وهذِه الآيةُ والَّتي تلِيها مفسَّرتَانِ في البقرة [آية: ١٧٢- ١٧٣].

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل: ١١٦].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبَاريِّ: اللَّام في «لما» بمعْنَى مِن أجْل.

وتلخِيصُ الكلام: ولا تقُولوا: هذِه الميتةُ حلَالٌ، وهذِه البَحِيرةُ حرَامٌ؛ مِن أجْلِ كذبِكُم، وإقْدامِكم على الوصْفِ، والتَّخرصِ لِما لَا أصْلَ له، فجرتِ اللَّامُ هاهُنا مجراها في قوْلِه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

---

(١) الكشف والبيان (١٦/ ١٤٧- ١٤٨).

[العاديات: ٨]؛ أي: وإنَّه مِن أجْل حُبِّ الخيْرِ، لَبَخيلٌ «ومَا» بمعْنَى المصْدر، والكذب: منْصُوبٌ بـ«تصِف».

والتَّلخِيص: لا تقولُوا لوصْفِ ألْسنتِكُمُ الكذِب.

وقرأ ابْنُ أبي عبْلَة: «الكُذُب»[1]، قالَ ابْنُ القاسِمِ: هو نعْتُ الألْسنةِ، وهوَ جمْعُ كذُوبٍ.

قال المفَسِّرونَ: والمعْنَى: أنَّ تحليلَكُم وتحريمَكُم ليْس له معْنى إلَّا الكذب.

والإشارةُ بقوْلِه: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ إلى ما كانوا يُحلُّون ويُحرِّمُون ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ وذلك أنَّهم كانُوا ينْسِبونَ ذلِك التَّحليلَ والتَّحريمَ إلى الله سبحانه، ويقولُونَ: هو أمرَنَا بهذَا.

وقوْلُه: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾؛ أي: متاعُهُم بهذا الَّذي فعَلُوه قليلٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩﴾ [النحل: ١١٨ - ١١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ يعْني بهِ ما ذُكر في الأنعام: [آية: ١٢٦]، وهوَ قوْلُه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بتحريمِنَا ما حرَّمنا عليْهِم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالبغْي والمعاصِي.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٦)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٤٢٩).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قد شرحْناه في سُورة النِّساء [آية: ١٧] وشرحْنا في البقرة [آية: ١٦٠] التَّوبة والإِصْلاحَ، [٤٦٦/ب] وذكرْنا معْنَى قوْلِه: ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ آنفًا.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

قالَ ابنُ الأنْباريِّ: هذا مِثْلُ قوْلِ العرَبِ: فُلان رحْمةٌ، وفُلان علَّامةٌ، ونَسَّابةٌ، يقْصدُون بهذَا التَّأنِيثِ قصْدَ التَّناهِي في المعْنَى الَّذِي يصِفُونَه، والعَربُ قد تُوقِع الأسْماءَ المبهمةَ على الجَماعةِ، وعلَى الواحِدِ؛ كقوْلِه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وإنَّما ناداهُ جبْرِيلُ وحْدَه(١).

وللمُفسِّرين في المَرادِ بالأُمَّةِ هَاهُنا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **أنَّ الأمَّةَ: الَّذي يعْلَم الخيْرَ**، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، والفرَّاءُ(٢)، وابْنُ قُتيبةَ(٣).

والثَّاني: **أنَّه المؤمنُ وحْدَه في زمانِه**، رَوى هذَا المعْنَى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبِه قالَ مُجاهِدٌ.

---

(١) ذكر قول ابن الأنباري أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٦٠٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١١٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

والثَّالث: أَنَّه الإمامُ الَّذي يُقتدى بهِ، قالَه قتادةُ، ومُقاتِلٌ[١]، وأبو عُبيدةَ[٢]، وهوَ في معْنى القوْلِ الأوَّلِ.

فأمَّا القَانِتُ: فقَال ابْنُ مسْعُودٍ: هوَ المطِيعُ[٣]. وقد شرحْنَا «القنوت» في البقرة [آية: ١١٦- ٢٣٨] وكذلك الحَنِيف [البقرة ١٣٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَمْ يَكُ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: أصْلُها: يكُنْ، وإنَّما حُذفتِ النُّون عنْدِ سِيبويهِ؛ لكثْرَةِ اسْتعمالِ هذَا الحرْفِ، وذكَرَ الجُلَّةُ مِن البصريين أنَّها إنَّما احتملتِ الحذْفَ؛ لأنَّه اجْتمَع فيهَا كثْرةُ الإسْتعمالِ، وأنَّها عِبارةٌ عنْ كُلِّ ما يمضي مِنَ الأفْعالِ وما يُستأنف، وأنَّها قد أشْبهَتْ حُروفَ اللِّين في أنَّها تكون علامةً كما تكُونُ حُروفُ اللِّينِ علامةً، وأنَّها غُنَّةٌ تخرجُ مِنَ الأنْفِ، فلذلك احْتملَتِ الحذْفَ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ انتصب بدلًا مِن قوْلِه: ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرْنَا واحِدَ الأنْعُمِ آنفًا، وشرحْنَا معْنى «الإجْتِباء» في الأنعام [آية: ٨٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٧)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣١٦- ٢١٧)، من طريق سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العُبَيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود، عن الأمَّة القانت، قال: الأمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله. وأخرجه الطبراني (٩٩٤٤) من طريق شعبة به، ورقم (٩٩٤٦) من طريق شعبة، عن مجالد وبيان أو أحدهما عن الشعبي به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٢).

قالَ مُقاتِلٌ: والمرَاد بالصِّرَاطِ المستقيمِ هاهُنا: الإسْلامُ[١].

قوْله تعَالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ فيهَا سِتَّةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **أنَّه الذِّكرُ الحسَنُ،** قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **النُّبوَّةُ،** قالَه الحسَنُ.

والثَّالثُ: **لِسانُ صِدْقٍ،** قالَه مُجاهِدٌ.

والرَّابع: **اجْتماعُ المِلَلِ على وِلَايتِهِ،** فكلُّهُم يتولَّونَهُ ويرْضَوْنَهُ، قالَه قتادَةُ.

والخامِس: **أنَّها الصَّلاةُ عليْهِ مَقْرُونة بالصَّلاةِ علَى مُحمَّدٍ** صلى الله عليهما وسلم، قالَهُ مُقاتِلُ بْنُ حيَّانَ.

والسَّادس: **الأوْلَادُ الأبْرارُ على الكِبرِ،** حكَاهُ الثَّعلبيُّ[٢]. وباقِي الآيةِ مُفسَّرٌ في البقرَةِ [آية: ١٣٠].

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣ ﴾ [النحل: ١٢٣].

قوْله تعَالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ملَّته: دِينُه.

وفيما أُمِر باتِّباعِه مِن ذلِك قوْلَانِ:

أحدُهما: **أنَّه أُمِر باتِّباعِه في جميع ملَّتِه، إلَّا ما أُمِر بترْكِه،** وهذَا هوَ الظَّاهِرُ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

(٢) الكشف والبيان (١٦/ ١٥٥).

والثَّاني: اتِّباعُه في التَّبرُّؤِ مِن الأوْثانِ، والتَّديُّنِ بالإسْلامِ، قالَه أبو جعْفرٍ الطَّبريُّ[1].

وفي هذِه الآيةِ دليلٌ علَى جوَازِ اتِّباعِ المفْضُولِ؛ لأنَّ رسُولَنا أفْضلُ الرُّسُلِ، وإنَّما أُمِر باتِّباعِه؛ لِسبْقِه إلى القوْلِ بالحقِّ.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل: ١٢٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ ﴾؛ أي: إنَّما فُرض تعْظِيمُه وتحْريمُه، وقرَأ الحسَن، وأبو حيْوَةَ: «إنَّما جعَلَ» بفتْحِ الجِيم والعَيْنِ، «السَّبْتَ» بنصْبِ التَّاء[2] ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ والهاءُ ترجِعُ إلى السَّبت. [٤٦٧/أ]

وفي معْنى اخْتلافِهم فيهِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّ مُوسى عليه السلام قال لهُم: تفرَّغُوا لله في كُلِّ سبْعةِ أيَّامٍ يوْمًا، فاعْبدُوه في يوْمِ الجمُعةِ، ولا تعملُوا فيه شيْئًا مِن صنيعِكُم، فأبَوا أنْ يقْبَلُوا ذلِك، وقالُوا: لا نبْتَغِي إلَّا اليوْمَ الَّذي فُرغ فيهِ مِن الخلْقِ، وهوَ يوْمُ السَّبتِ، فجُعل ذلِك عليْهِم، وشُدِّدَ عليْهِم فيهِ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٣٢٠).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٦)، والبحر المحيط (٦/ ٦١٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٢٢٩) عن الكلبي.

وقـالَ مُقاتِـلٌ: لمَّـا أمرَهُـم مُوسـى بيـوْمِ الجمُعـةِ، قالُـوا: نتَفـرَّغ يـوْمَ السَّـبْتِ، فـإنَّ اللهَ لم يخلُـقْ فيـه شـيْئًا، فقَـالَ: إنَّـما أُمِـرتُ بيـوْمِ الجمُعـة، فقَـال أحْبارُهُـم: انْتهـوا إلى أمْـرِ نبيِّكُـم، فأَبَـوا، فذلِـك اخْتلافُهـم، فلـمَّا رأَى مُوسـى حرصَهـم عـلَى السَّـبت، أمَرَهُـم بـهِ، فاسْـتحلُّوا فيـهِ المعـاصِي[١].

ورَوى سـعِيد بْـنُ جُبـيرٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ قـالَ: رَأى مُوسـى رجُـلًا يحْمِـلُ قصبًـا يـوْمَ السَّـبت، فـضَرَب عُنقَـه، وعكفَـتْ عليْـهِ الطَّـير أرْبعِـينَ صَباحًـا[٢].

وذكَـر ابْـنُ قُتيبـةَ في «مختلـف الحديـثِ»: أنَّ اللهَ تعـالى بعَـث مُوسـى بالسَّـبْت، ونُسـخ السَّـبتُ بالمسـيحِ[٣].

والثَّاني: أنَّه بعْضُهُم اسْتحلَّه، وبعْضُهُم حرَّمَه، قالَه قتادَةُ.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوْلـه تعَـالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: نزَلَـتْ مـعَ الآيـةِ الَّتِـي بعْدَهـا، وسـنذْكُر هُنـاك السَّـببَ.

فأمَّا السَّبيلُ: فقَال مُقاتلٌ: هو دينُ الإسْلامِ[٤].

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٠٢) (١٥٢٩٦) من طريق السدي، عن أبي مالك أو سعيد بن جبير قال: رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل قصبًا يوم السبت، فضرب عنقه.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٨٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٤).

وفي المرادِ ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **أنَّها القُرآنُ**، رَواه أبو صالح عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

والثَّاني: **الفِقهُ**، قالَه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **النُّبوَّةُ**، ذكَره الزَّجَّاجُ[٢].

وفي ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: **مواعِظُ** القُرآنِ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: **الأدَبُ** الجميلُ الَّذي يعْرِفُونه، قالَه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَادِلْهُم﴾ في المشارِ إليْهِ قوْلانِ:

أحدُهما: **أنَّهم** أهْلُ مكَّة، قالَه أبو صالِحٍ.

والثَّاني: **أهْلُ** الكِتابِ، قالَه مُقاتِلٌ[٣].

وفي قوْلِه: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: **جادلْهُم** بالقُرآنِ.

والثَّاني: **بـ«لا آله إلَّا الله»** رُوي القوْلانِ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّالث: **جادِلْهُم** غيْرَ فظٍّ ولا غليظٍ، وأَلِنْ لهُم جانبَكَ، قالَه الزَّجَّاجُ[٤].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

وقال بعْضُ عُلماء التَّفْسير: وهذا منْسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ **المعْنَى:** هو أعْلم بالفرِيقَيْنِ، فهوَ يأمُرُك فيهما بما فيهِ الصَّلاح.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ **في سببِ نُزولها قوْلانِ:**

أحدُهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ أشْرفَ علَى حمزةَ، فرآه صريعًا، فلم يرَ شيْئًا كانَ أوْجعَ لقلْبه منْهُ، فقال: «**واللهِ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ**»، فنزلَ جِبريلُ، والنَّبيُّ ﷺ واقِفٌ، بقوْلِه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرها، فصبرَ رسُولُ اللهِ وكفَّرَ عنْ يمِينِه، قالَه أبو هُريرةَ[1].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٣- ١٤)، والبزار في مسنده (٢/ ٣٢٦) كما في كشف الأستار، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٦١٤) من طريق عمرو بن عاصم، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) من طريق عبد العزيز بن السري، و(٢/ ٢٨٩) من طريق حجاج بن المنهال، كلهم عن صالح المري به. قال ابن كثير: هذا إسناد فيه ضعيف؛ لأنَّ صالحًا هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث. والآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٣) رقم (١٧٢٥) من طريق بشر بن الوليد عن صالح المري، والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٨٥) رقم (٩٢٥٣) من طريق الهيثم بن جميل عن صالح المري.=

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: رَأى رسُولُ اللهِ ﷺ حمْزةَ قد شُقَّ بطْنُه، وجُدعت [٤٦٧/ ب] أُذناه، فقال: «لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ النِّسَاءُ، أَوْ تَكُونَ سُنَّةً بعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ بُطونِ السِّباعِ والطَّيرِ، وَلَأَقْتُلَنَّ مَكَانَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ»، فنزَلَ قوْلُه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾... إلى قوْلِه: ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[1].

=وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٥٦- ١٥٧) رقم (٢٩٣٦) من طريق خالد بن خداش، وسعيد بن سليمان، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧) من طريق خالد بن خداش، كلاهما عن صالح المري به. وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: صالح واه، سمعه منه خالد بن خداش، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٩)، وقال: رواه الطبراني والبزار، وفيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٩) وعزاه إلى ابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل.

(١) أخرجه الدارقطني (٤/ ١١٨)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٤٠-٢٤١) عن البغوي به.
وقال الدارقطني: لم يروه غير إسماعيل بن عياش، وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين. وأسند العقيلي عن الإمام أحمد قوله: هذا من حديث الحسن بن عمارة، ليس هذا من حديث ابن أبي غنية، هو أتقى لله من أن يحدث مثل هذا. وقال في نصب الراية (٢/ ٣١١): قد ورد مصرحًا فيه بالحسن بن عمارة، كما رواه الإمام أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي في سننه عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس... والحسن بن عمارة متروك.
وأخرجه الطبراني في معجمه (١١٠٥١)، والبيهقي في سننه (٤/ ١٢) بإسناد آخر عن يزيد بن أبي يزيد، عن مقسم ومجاهد، عن ابن عباس بنحوه. ورواه ابن ماجه في سننه (١٥١٣) بهذا الإسناد. قال ابن الجوزي في التحقيق: ويزيد بن أبي زياد منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث، وتعقَّبه صاحب التنقيح: بأن ما حكاه عن البخاري والنسائي إنَّما هو في يزيد بن زياد، وأمَّا راوي هذا الحديث، فهو الكوفي، ولا يقال فيه: ابن زياد، وإنما هو ابن أبي زياد، وهو مما يُكتب حديثُه على لينه، وقد روى=

وروى الضَّحَّاكُ عن ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ يَوْمئِذٍ: «لَئِنْ ظَفِرْتُ بِقَاتِلِ حمْزَةَ لَأُمَثِّلَنَّ بهِ مُثلَةً تتحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ» وكانَتْ هِندٌ وآخَرونَ معَها قد مثَّلُوا بهِ، فنزلَت هذِه الآيَةُ[1].

والثَّاني: أنَّه أُصِيبَ مِنَ الأنْصارِ يوْمَ أُحُدٍ أرْبعةٌ وسِتُّونَ، ومِن المهاجرين سِتَّةٌ منهُم حمْزَةُ، ومثَّلُوا بقتْلاهُم، فقَالَتِ الأنْصارُ: لئِنْ أصبْنَا منْهُم يوْمًا مِنَ الدَّهرِ، لنَزِيدَنَّ على عدتِهِم مرَّتَيْنِ، فنزَلَتْ هذه الآيةُ، قالَه أُبيُّ بْنُ كعْبٍ[2].

=له مسلم مقرونًا بغيره، وروى له أصحاب السنن، وقال أبو داود: لا أعلم أحدًا ترك حديثه، وقد جعلهما -يعني ابن الجوزي- في كتابه الذي في الضعفاء واحدًا وهو وهم. انظر: نصب الراية؛ للزيلعي (٢/ ٣١٠).

(١) عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وأحمد (٥/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ٣٥٩- ٣٥٨)، والنسائي في التفسير (٢٩٩)، وابن حبان (٤٨٧)، من حديث أبي بن كعب، وإسناده حسن لأجل الربيع بن أنس، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، وله شاهد مرسل، أخرجه الطبري (٢١٩٩٦) و(٢١٩٩٧) عن الشعبي مرسلًا، وله شاهد من مرسل عطاء بن يسار، أخرجه الطبري (٢١٩٩٨)، وآخر من مرسل قتادة برقم (٢١٩٩٩)، وآخر من مرسل ابن جريج برقم (٢٢٠٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٥) (١١٢١٥)، وأخرجه ابن حبان، (٢/ ٢٣٩) (٤٨٧)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣٥٩-٤٤٦)، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٣) (٢٩٣٨)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند (٢١٢٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٨) إلى النسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل. وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية وقال في الفتح (٧ / ٣٧٢): «وهذه طرق يقوي بعضها بعضًا».

ورَوى أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّ المسـلِمِينَ قالـوا: لَئِـنْ أمْكننَـا اللهُ منْهُـم، لَنُمَثِّلَـنَّ بالأحْياءِ[1] فضْـلًا عـنِ الأمْـواتِ، فنزلَـتْ هـذِه الآيـةُ. يقـول: إنْ كُنْتـم فاعِلـين، فمثِّلُـوا بالأمْـوات، كـما مثَّلُـوا بأمْواتِكـم.

قـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: وإنَّـما سَـمَّى فعْـلَ المشركـينَ مُعاقبـةً وهـمُ ابْتـدؤوا بالمثْلَـةِ، لِيـزدوجَ اللَّفظـانِ، فيخِـفَّ عـلى اللِّسـانِ؛ كقوْلِـه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشـورى: ٤٠].

فَصْلٌ

واخْتلَف العُلماءُ، هل هذِه الآيَةُ منسوخةٌ، أمْ لا؟ على قولَيْنِ:

أحدُهـا: أنَّهـا نزلَـتْ قبْلَ {بَـرَاءة} فأُمِـر رسُـولُ اللهِ ﷺ أنْ يُقاتِلَ مَـن قاتَلَه، ولا يَبْـدأ بالقِتـالِ، ثُـمَّ نُسخ ذلِك، وأُمِـر بالجهَـادِ، قالَه ابْـنُ عبَّـاسٍ، والضَّـحَّاكُ.

فعـلَى هـذا يكـونُ المعْنَـى: ﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ ﴾ عـنِ القِتـالِ، ثُـمَّ نُسـخ هـذا بقوْلِـه: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبـة: ٥].

والثَّـاني: أنَّهـا مُحكمَـةٌ، وإنَّـما نزلَـتْ فيمَـن ظُلِـم ظُلامـةً، فـلا يحِـلُّ لـه أنْ ينَـالَ مِـن ظالِمِـه أكْثرَ مِمَّـا نالَـه الظَّـالمُ منْـهُ، قالَـه مُجاهِـدٌ، والشَّـعبيُّ، والنَّخَعـيُّ، وابْـنُ سِـيرينَ، والثَّـوريُّ.

وعلى هذا يكون المعْنَى: ولئِن صبرْتُم عنِ المثلَة، لَا عنِ القتَالِ.

---

(١) في (س): بالأحياء منهم.

قَوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾؛ أي: بتوفقِيـه ومعُونتِـهِ. وهـذَا أمْـرٌ بالعَزيمـةِ.

وفي قوْلِه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما علَى كُفَّار مكَّةَ إنْ لم يُسلموا، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: ولا تحْـزنْ عـلى قتْلَى أُحـدٍ، فإنَّهُـم أفْضَـوا إلى رحمـةِ اللهِ، ذكـرَهُ علِـيُّ بْـنُ أحْمَـدَ النَّيسـابوريُّ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾.

قـرَأ الأكْثـرَون بنصْـبِ الضَّـادِ، وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ: «في ضِيـقٍ» بكسْـرِ الضَّـادِ هَاهُنـا[٢]، وفي النمـلِ: [آية: ٧٠].

قـالَ الفـرَّاء: الضَّيـق بفتْـحِ الضَّـادِ: مـا ضَـاق عنْـه صـدْرُك، والضِّيـق: مَا يكـون في الَّـذي يضِيـق ويتَّسـعُ؛ مثْـلُ: الـدَّار والثَّـوب وأشـباه ذلِك[٣].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: الضَّيـق: تخْفِيـف ضيـقٍ؛ مثْلُ: هَـيْنٍ ولَـيْنٍ، وهـوَ إذا كانَ عـلَى هـذَا التَّأويـلِ: صِفـةٌ كأنَّـه قـال: لَا تَـكُ فِي أمْـر ضَيِّـقٍ مِـن مكْرِهِـم.

[٤٦٨/أ] قـالَ: ويُقـال: مـكانٌ ضَيْـقٌ وضِيـقٌ، بمعنـى واحـد؛ كـما يُقـال: رَطْـلٍ ورِطْـلٍ، وهـذَا أعْجـبُ إليَّ[٤].

---

(١) التفسير البسيط (١٣/ ٢٣٦).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

فأمَّا مكْرُهم المذْكُورُ هاهُنا؛ فقَال أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاس: هُوَ فعْلُهم وعمَلُهم[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ ما نَهاهم عنْهُ، وأحْسَنوا فيما أمرَهُم بهِ، بالعَوْنِ والنَّصرِ.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٣).

سُورةُ بَني إِسْرَائِيلَ

فَصْلٌ فِي نُزولِهَا

هي مكيَّةٌ في قولِ الجماعةِ، إلَّا أنَّ بعضَهم يقُول: فيهَا مدنيٌّ، فرُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّه قالَ: هيَ مكيَّةٌ إلَّا ثمانِ آياتٍ: مِن قوْلِه: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿نَصِيرًا﴾[1] [الإسراء: ٧٣- ٧٥]، وهذا قوْلُ قتادةَ.

وقالَ مُقاتلٌ: فيهَا مِنَ المدنيِّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوْلُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وقوْلُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقوْلُه: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقوْلُه: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقوْلُه: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ والَّتي تليهَا [الإسراء: ٧٤- ٧٥][2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾[الإسراء: ١].

قوْلُه تعالَى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ رُوي عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه سُئِلَ عنْ تفْسيرِ: «سُبحانَ اللهِ»، فقَال: «تَنْزِيهُ للهِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ»[3]، وقد ذكرْنَا هذَا المعْنَى فِي البقرة [آية: ٣٢].

---

(١) في الأصل، و(ر): بصيرًا، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣) عن موسى بن طلحة مرفوعًا، والطبراني في الدعاء (١٧٥١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٠) (١٨٤٨)، والخطيب البغدادي في الكفاية في=

قَـالَ الزَّجَّـاجُ: وأَسْرى: بمعْنَـى: سـيَّرَ عبْـدَه، يُقـال: أَسْرَيْـتُ وسَرَيْـتُ؛ إذا سِرْتَ ليْـلًا، وقـد جـاءَتِ اللُّغتَـانِ في القُـرآنِ، قـالَ اللهُ تعَـالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجـر: ٤][1].

وفي معْنَى التَّسْبيحِ هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّ العـرَبَ تُسبِّحُ عنْـد الأمْرِ المعْجبِ، فكأنَّ اللهَ تعَـالى عجَّـبَ العبـادَ مِمَّـا أسْـدَى[2] إلى رسُـولِه مِـنَ النِّعمـةِ.

والثَّـاني: أن يكـونَ خـرَجَ مخْـرَجَ الـرَّدِّ عليْهِـم؛ لأنَّـه لمـا حدَّثَهُم بـالإِسْراء، كذَّبُـوه، فيكـونُ المعْنَـى: تنـزَّه اللهُ أنْ يتَّخِـذَ رسُـولًا كذَّابًـا. ولا خـلَافَ أنَّ المـرَادَ بعبْـدِه هَاهُنـا: محُمَّـدٌ ﷺ.

=علـم الروايـة (ص: ٢٢٦) مـن طريـق حفـص بـن سـليمان ثنا طلحـة بـن يحيى، عـن أبيـه، عـن طلحـة بـن عبيـد الله، وأخرجـه البيهقـي في الأسـماء والصفـات (١/ ١٠٥) رقـم (٥٩)، والواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ٩٣) رقـم (٥٣٥) مـن طريـق جعفـر بـن سـليمان، عـن طلحـة بـن يحيى بـن طلحـة بـن عبيـد الله، عـن أبيـه، عـن طلحـة بـن عبيـد الله، قـال: سـألت نبـي الله ﷺ، عـن تفسـيره سـورة سـبحان؛ قـال: «تنزيـه الله، عـز وجـل، عـن كل سـوء، نـزه نفسـه عنـه»، وذكـره الهيثمـي في مجمـع الزوائـد (١٠/ ٩٧- ٩٨)، وقـال رواه البـزار، وفيـه عبـد الرحمـن بـن حمـاد الطلحـي، وهـو ضعيـف بسـبب هـذا وغيره، وأورده الذهبـي في الميـزان (٢/ ٥٥٧) مـن روايـة عبـد الرحمـن بـن حمـاد الطلحـي.

وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (١/ ١١٠) إلى الطـبري والديلمـي والخطيـب في الكفايـة مـن طـرق عنـه مرفوعًـا، ولـه شـاهد عـن ابـن عبَّـاس موقوفًـا ذكـره السـيوطي أيضًـا في الـدر المنثـور (١/ ١١٠) وعـزاه إلى عبـد بـن حميـد وابـن أبي حاتـم والمحامـلي في أماليـه.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٥).

(٢) في (ر): أسرى.

وفي قوْلِه: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنّه أُسري بهِ مِن نفْسِ المسْجدِ، قالَه الحسَنُ، وقتادةُ، ويُسنده[١] حدِيثُ مالِك بْنِ صعْصَعةَ، وهوَ في الصَّحِيحيْنِ: بيْنَما أنا في الحَطِيمِ[٢] وربَّما قالَ: بعْضُ الرُّواةِ: في الحِجْرِ.

والثّاني: أنّه أُسري بهِ مِن بيْتِ أمِّ هَانِئٍ، وهوَ قوْلُ أكْثرِ المفسِّرينَ، فعَلى هذَا يعْنِي بالمسجِدِ الحَرامِ: الحَرَمَ. والحرَمُ كلُّه مسْجدٌ، ذكرَه القَاضِي أبو يعْلَى وغيْرُه.

فأمَّا ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ (فهو بيْتُ المقْدسِ، وقيل له)[٣]: الأقْصى؛ لِبُعد المسافَةِ بيْنَ المسْجدَيْنِ. ومعْنَى ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: (أنَّ اللهَ أجْرى حوْلَه)[٤] الأنْهارَ، وأنْبتَ الثِّمارَ. وقِيل: لأنّه مقرُّ الأنْبياءِ، ومهبِطُ الملائكةِ.

واخْتلَف العُلماءُ، هلْ دخَلَ بيْتَ المقْدِس، أمْ لا؟

فرَوى أبو هُريرةَ أنّه دخَل بيْتَ المقْدسِ، وصلَّى فيهِ بالأنْبياءِ، ثُم عُرِج به إلى السَّماء[٥]. وقالَ حُذيفةُ بْنُ اليَمانِ: لم يدْخُلْ بيْتَ المقدسِ ولم

---

(١) في الأصل، و(ر): ويشيده، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) في (ر): الحطم.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٢٨٤)، وابن منده في الإيمان (٧٤٠) من طريق حجين بن المثنى به، وأخرجه أبو عوانة (١/ ١٣١)، وابن منده (٧٤٠) من طريق أحمد بن خالد الوهبي به وأربعتهم عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به، من حديث=

يصلِّ فيه، ولا نزَلَ عن البُراقِ حتَّى عُرج بهِ[1].

[٤٦٨/ب] فإنْ قِيلَ: ما معْنى قوْلِه: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وأنْتُم تقُولون: صَعِدَ إلى السَّماءِ؟

فالجوَابُ: أنَّ الإسْراءَ كانَ إلى هُنالِكَ، والمعْرَاجَ كانَ مِن هُنالِكَ.

وقيلَ: إنَّ الحِكمةَ في ذِكْرِ ذلِك، أنَّه لوْ أخبَرَ بصُعودِه إلى السَّماءِ في بَدْءِ الحديثِ، لاشْتدَّ إنْكارُهم [عليْهِ][2]، فلَمَّا أخْبرَ ببيْتِ المقدِسِ، وبَانَ لهُم صِدْقُه فيما أخْبَرَهُم بهِ مِن العلَاماتِ الصَّادقةِ، أخبَر بمِعْراجِه.

=أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي. فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي. فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم -يعني نفسه- فحانت الصلاة فأممتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلّم عليه. فالتفت إليه فبدأني بالسلام». واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٨/ ٣٢١)، والترمذي (٣٤١٤) كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود عن زرٍّ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه به، وعاصم بن أبي النجود، هو ابن بهدلة، صدوق له أوهام، ولا يُقبل ما تفرد به من مرويات، ولم أجد من تابعه على روايته هذه، ثم إن متن الحديث فيه نكارة، ففيها أنَّ رسول الله ﷺ لم يصلِّ في بيت المقدس، وهو خلاف ما جاء في صحيح مسلم حديث رقم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﵁: أنَّه ﷺ ربط الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلَّى فيه ركعتين.

(٢) من (س).

قوْلُه تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعْنِي: مَا رأى؛ أي: تلْك اللَّيلةَ مِنَ العجَائِبِ الَّتِي أخبَرَ بِهَا النَّاسَ. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمقالَةِ قُريشٍ، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بِهَا.

وقد ذكرْنَا في كِتابِنَا المسمَّى بـ«الحدَائِق»[1] أحاديثَ المعْرَاج، وكرهْنَا الإِطالَةَ هَاهُنا.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٢ - ٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ لَمَّا ذكَر في الآيةِ الأُولى إكْرَامَ مُحمَّدٍ ﷺ، ذكَر في هذِه كرَامةَ مُوسى عليه السلام.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراة. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: دللْنَاهم بهِ على الهُدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ قرَأ أبو عمْرٍو: «يتَّخِذُوا» باليَاءِ، والمعْنَى: هديْنَاهُم لئلَّا يتَّخِذُوا. وقرَأ البَاقونَ بالتَّاء[2].

قالَ أبو عليٍّ: وهوَ على الانْصرافِ إلى الخطَابِ بعْد الغَيْبَة؛ مثْلُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثُمَّ قالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[3].

---

(١) الحدائق (١/ ٢٢١).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٣).

قوْلُه تعالَى: ﴿وَكِيلًا ﴾ قالَ مجاهِدٌ: شريكًا[١]. وقالَ الزَّجَّاجُ: ربًّا[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما قِيلَ للرَّبِّ: وكِيلٌ؛ لِكفايتِه وقِيامِه بشأْنِ عِبادِه، مِن أجْلِ أنَّ الوكيلَ عنْدَ النَّاس قد عُلِم أنه يقُوم بشؤونِ أصْحَابِه، وتفقُّدِ أمُورِهِم، فكانَ الرَّبُّ وكيلًا مِن هذِه الجهةِ، لَا على معْنَى ارْتفاعِ منْزلةِ الموكِّل وانْحِطاطِ أمْرِ الوكِيلِ[٣].

قوْلُه تعالَى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا ﴾ قالَ مُجاهِدٌ: هوَ نِداءٌ: يا ذُرِّيَةَ مَنْ حمَلْنَا[٤].

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: مَن قرَأ: «ألَّا تتَّخِذُوا» بالتَّاء، فإنَّه يقُول: بعْد الذُّريةِ مُضمرٌ حُذف اعْتمادًا علَى دلالَةِ ما سبَقَ[٥]. فتلْخِيصُه: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حمَلْنا معَ نوحٍ لا تتَّخِذُوا وكيلًا، ويجوزُ أنْ يُستغنى عنِ الإضْمارِ بقوْلِه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾؛ لأنَّه بمعْنَى: اشْكُرُونِي كشُكْره.

ومَن قرَأ: «لَا يَتَّخِذُوا» بالياءِ؛ جعَل النِّداءَ متَّصِلًا بالخِطَابِ، و«الذُّرِّيةَ» تنتَصِبُ بالنِّداءِ، ويجُوز نصْبُها بالاتِّخاذِ على أنَّها مفْعُولٌ ثانٍ. تلْخيص الكلَامِ: أنْ لا يتَّخِذوا ذُرِيَّةَ مَن حمَلْنا معَ نُوح وكيلًا. قالَ قتادَةُ:

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٢) إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٦).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧-٨).

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٢٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٣٦) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ قَالَ: هُوَ على النداء يَا ذُرِّيَّة من حملنَا مَعَ نوح.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٨٦).

النَّـاسُ كلُّهـم ذرِّيَّـةُ مَـن أنْجـى اللهُ في تلْـك السَّـفِينةِ[١].

قـالَ العُلـماء: ووجْـهُ الإنْعـام عـلَى الخَلْـق بهـذَا القـوْلِ، أنَّهـم كانـوا في صُلْـب مَـن نجَـا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ قـالَ سَـلمانُ الفـارسيُّ: كانَ إذَا أكل؛ قـالَ: «الْحَمْـدُ للهِ» (فسَـمَّاه اللهُ عبْـدًا شـكُورًا)[٢]، وإذَا شَرِبَ قَـالَ: «الحمْـدُ للهِ»[٣]. وقـالَ غـيْرُه: كانَ إذا[٤] لبِـس ثوْبًـا قـالَ: «الحمْـدُ للهِ».

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء: ٤ - ٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٣) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذُكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش؛ وأما يافث: فأبو الروم.

(٢) هذه الجملة في (س) مؤخرة بعد قوله: لبس ثوبه، قال الحمد لله.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٤)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧١)، وابن عساكر في تاريخه (١٧/ ٦٦٧)، والمحاملي في أماليه (٦٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٢) إلى الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) في (س): إذا كان.

قوْله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيه قوْلانِ:

أحدهما: أخبَرْناهُم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: قضَيْنَا عليهِم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1]. وبهِ قالَ قتَادةُ؛ فعَلى الأوَّلِ: تكُون «إلى» على أصْلِها، ويكونُ الكتَابُ: التَّوراة، [٤٦٩/أ] وعلى الثَّاني: تكونُ[2] «إلى» بمعْنَى: «علَى»، ويكونُ الكِتابُ الذِّكْر الأوَّل.

قوْله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعْني: أرْضَ مِصْرَ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعَاصِي ومُخالفةِ التَّوراةِ.

وفي مَنْ قتلُوه مِنَ الأنْبياء فِي الفسَادِ الأوَّلِ قوْلانِ:

أحدُهما: زكرِيَّاءُ، قالَه السُّدِّيُّ عنْ أشْياخِه.

والثَّاني: شَعْيَاء، قالَه ابْنُ إسْحاقَ.

فأمَّا المقْتولُ مِنَ الأنْبياءِ فِي الفَسادِ الثَّاني: فهوَ يحْيَى بْنُ زكَرِيَّاء. قالَ مُقاتِلٌ: وكانَ بيْنَ الفسادَيْنِ مائتَا سنةٌ وعشَرَ سِنين[3].

فأمَّا السَّببُ فِي قتْلِهم زكرِيَّاءَ: فإنَّهُمُ اتَّهمُوه بمَريمَ، وقالُوا: منْهُ حمَلتْ، فهرَبَ منْهُم، فانْفتَحتْ له شجرَةٌ فدَخَل فيهَا وبقِيَ مِن رِدائهِ هدْبٌ، فجاءَهُمُ الشَّيطانُ فدَلَّهم عليْهِ، فقَطعُوا الشَّجرةَ بالمنْشَار وهوَ فيهَا.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٥٦).

(٢) في (ر): يكون.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢١) وفيه: فكان بين الهلاكين، بدل: كان بين الفسادين.

وأمَّـا السَّـببُ في قتْلِهـم «شَـعْيَاءَ»: فهُـو أنَّـه قـامَ فيهـم برِسـالةٍ مِـنَ اللهِ ينْهَاهـم عـنِ المعـاصِي.

وقيـلَ: هـوَ الَّـذِي هـرَب منْهُـم فدَخـل في الشَّـجرةِ حتَّـى قطَعُـوه بالمنْشَـارِ، (وإنَّ زكرِيَّـاءَ)[1] مـاتَ حتْـفَ أنْفِـه.

وأمَّا السَّببُ في قتْلِهم يَحْيى بْنَ زكرِيَّاءَ، ففِيه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ ملِكَهُم أرَاد نِكاحَ امْرأةٍ لا تحِلُّ له، فنَهَاه عنْهَا يَحْيَى.

ثُمَّ فيهَا أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّها ابْنَةُ أخيه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: ابْنتُه، قالَه عبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبيرِ.

والثَّالـث: أنَّهـا امْـرأةُ أخِيـه، وكان ذلِـك، لا يصلـحُ عنْدَهـم، قالَه الحُسـينُ بْـنُ عـليٍّ عليهما السَّـلام.

والرَّابع: ابْنةُ امْرأتِه، قالَه السُّدِّي عنْ أشْياخِه.

وذكـر أنَّ السَّـببَ في ذلِـك: أنَّ ملِـكَ بنِـي إسْرائيـلَ هـوِيَ بنْـتَ امْرأتِـه، فسـأَل يَحْيَـى عـنْ نكاحِهـا، فنَهَـاهُ، فحَنِقـتْ أمُّهـا عـلَى يَحْيَـى حـينَ نهَـاه أنْ يتـزوَّجَ ابْنتَهـا، وعمِـدَت إلى ابْنتِهـا فزَيَّنتْهَـا وأرْسـلَتْها إلى الملِـك حِـين جلَـس عـلَى شرَابِـه، وأمَرَتْهـا أنْ تَسْـقيَه، وأنْ تَعـرضَ لـه، فـإن أرادَهـا عـلى نفْسِـها، أَبـتْ حتَّـى يُؤتـى بـرأْسِ يَحْيَـى بْـنِ زكَرِيَّـاءَ في طَسْـتٍ، ففَعَلـتْ ذلِـك، فقَـال:

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

ويحَكِ سَلِيني غيْرَ هذَا، فقالَتْ: مَا أُريد إلَّا هذا، فأمَرَ، فأُتي برأسِه، والرَّأسُ يتكَلَّمُ ويقُول: لا تحِلُّ لكَ، لَا تحِلُّ لكَ[1].

والقوْل الثَّاني: أنَّ امْرأةَ الملكِ رأَتْ يحْيَى عليه السَّلام وكانَ قد أُعْطِي حُسنًا وجمالًا، فأرَادتْه علَى نفْسِه، فأبَى، فقَالتْ لِابْنتِهَا: سَلِي أَباكِ رَأسَ يحْيَى، فأعْطَاها مَا سألَتْ، قالَه الرَّبيعُ بْنُ أنس.

قالَ العُلماء بالسِّيَر: ما زَال دمُ يحْيَى يغْلِي حتَّى قُتل عليْه مِن بني إسرائيلَ سبعُون ألفًا، فسَكَنَ، وقيل: لم يسْكنْ حتَّى جاءَ قاتِلُه، فقَال: أنَا قتَلْتُه، فقُتِل، فسَكَنَ.

قوْله تعَالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: لَتعْظُمُنَّ عن الطَّاعة ولَتبْغُنَّ.

[**قوْله تعالى**][2]: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾؛ أي: عُقوبةُ أُولَى المرَّتين ﴿بَعَثْنَا﴾؛ أي: أرْسلْنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ وفيهم **خمْسةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: أنَّهم جالُوتُ وجنودُه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وقتادَةُ.

والثَّاني: «بُخْتَنَصَّر»، قالَه سعيدُ بْنُ المسيِّبِ، واخْتارَه الفرَّاءُ [٤٦٩/ ب][3]، والزَّجَّاجُ[4].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٧٢-٣٧٣)، وتاريخه (١/ ٥٨٩)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٢٦١).

(٢) من (م).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٧).

والثَّالث: العَمَالِقةُ، وكانُوا كفَّارًا، قالَه الحسَنُ.

والرَّابع: سَنْحَارِيبُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والخامِس: قوْمٌ مِن أهْل فارسٍ، قالَه مُجاهِدٌ.

وقالَ ابْنُ زيْدٍ: سلَّط اللهُ عليْهِم سَابُورَ ذَا الأكْتافِ مِن مُلوكِ فارسَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: ذوي عددٍ وقوَّةٍ في القِتالِ.

وفي قوْلِه: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ **ثلاثةُ أقْوالٍ**:

أحدُها: مشَوا بيْنَ منازِلِهم، قالَه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

وقالَ مُجاهِدٌ: يتجسَّسُونَ أخْبارَهُم، ولم يكُن قِتالٌ[٢]. وقالَ الزَّجَّاجُ: طَافُوا خِلالَ الدِّيارِ ينْظُرون هل بقِيَ أحَدٌ لم يقْتُلوه؟ و«الجَوْسُ»: طلَبُ الشيْءِ باسْتقصَاءٍ[٣].

---

(١) أخرجه الطبراني في تفسيره (١٧/ ٣٥٧) من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكًا من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلَّط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٦٨) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ثم ذكر نحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٥) إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٧).

والثَّاني: قتَلُوهم بيْنَ بُيوتِهِم، قالَه الفرَّاءُ[١]، وأبو عُبيدةَ[٢].

والثَّالث: عاثُوا وأفْسَدُوا، يُقال: جَاسُوا وحَاسُوا، فهُم يَجُوسُونَ ويَحُوسُون؛ إذا فعَلُوا ذلِك، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

فأمَّا الخِلالُ: فهيَ جمْعُ خلَل: وهوَ الِانْفراجُ بيْنَ الشَّيْئيْنِ.

وقرَأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وابْنُ جُبيرٍ، وأبو المتوكِّل: «خَلَلَ الدِّيارِ» بفتْحِ الخاءِ واللَّامِ من غيْرِ ألِفٍ[٤]. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾؛ أي: لا بدَّ مِن كوْنِه.

[قوْلُه تعالى][٥]: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أظْفرْناكُم بِهِم. والكَرَّةُ، معناهَا: الرَّجعةُ والدُّولةُ، وذلِك حين قتَلَ داودُ جالوتَ وعادَ ملكُهم إليْهِم.

وحكَى الفرَّاءُ: أنَّ رجُلًا دعَا علَى «بُخْتَنصَّر»، فقتَلَه اللهُ، وعادَ ملكُهُم إليْهِم[٦].

وقيلَ: غزَوا ملِكَ بابلَ فأَخذُوا ما كان في يدِه مِنَ المالِ والأسْرَى.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾؛ أي: أكْثرَ عددًا وأنْصارًا منْهُم.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥١).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ٢٦٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٥).

(٥) من (م).

(٦) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: النَّفيرُ والنَّافر واحِدٌ؛ كما يُقال: قَدِيرٌ وقادِرٌ، وأصْلُه: مَنْ يَنْفِر معَ الرَّجُلِ مِن عشيرتِه وأهْلِ بيْتِه[1].

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: ٧ – ٨].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾؛ أي: وقُلنا لكُم: إنْ أحْسَنتُم فأطَعْتُمُ اللهَ ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: عاقبةُ الطَّاعة لكُم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفسادِ والمعاصِي ﴿فَلَهَا﴾ **وفيه قولانِ:**

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: فإليْها.

والثَّاني: فعلَيْها.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: جوابُ «فإذَا» محْذوفٌ، تقديرُه: فإذَا جاءَ وعْدُ عُقوبةِ المرَّةِ الآخرةِ مِن إفسادِكُم، بعثْنَاهم لِيسُوؤوا وجُوهكم، وهذَا الفسادُ[2]: هوَ قتْلُهم يحْيَى بْنَ زكريَّاءَ، وقصْدُهُم قتْلَ «عِيسَى» فرُفِع، وسلَّط اللهُ عليْهِم مُلوكَ فارسَ والرُّومِ فقتَلُوهُم وسَبَوْهُم، فذلِك قوْلُه: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «لِيَسُوؤوا» بالياء علَى الجميعِ والهمْزِ بيْنَ الواوَيْنِ، والإشارَةُ إلى المبعوثين. وقرَأ ابْنُ

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥١)

(٢) في (م) زيادة: (الثاني)، وهي مضروب عليها في الأصل، وليست في بقية النسخ.

عامِرٍ، وحمْزةُ، وأبـو بكْـرٍ عـن عاصِـمٍ: «لِيَسُوءَ» علَى التَّوحيـدِ[١]؛ قـالَ أبـو علِيٍّ: فيـهِ وجْهَـانِ:

أحدُهما: لِيَسُوءَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

والثَّاني: لِيَسُوءَ البَعْثُ[٢].

وقرأ الكِسائِيُّ: «لِنَسُوءَ» بالنُّون[٣]، وذلك راجِعٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفيمن بعثَ علَيهِم في المرَّة الثَّانية قوْلانِ:

أحدُهما: بُخْتَنَصَّر، قالَه مُجاهِدٌ، وقتادَةُ.

[٤٧٠/أ] وكثِيرٌ مِـن الـرُّواةِ يأْبـى هـذَا القـوْلَ، ويقُولُـون: كان بـيْن تخْريـبِ «بُخْتَنَـصَّر» بيْـتَ المقْـدِسِ، وبـيْنَ موْلـد يَحْيـى بْـنِ زَكرِيَّـاءَ زمَـانٌ طويـلٌ.

والثَّاني: أَنْطَيَاخُوس الرُّوميُّ، قالَه مُقاتِلٌ[٤].

ومعْنـى ﴿لِيَسُـٔوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: ليُدْخِلـوا عليْكُـم الحـزنَ بـمَا يفْعَلُـون مِـن قتْلِكـم وسَـبْيِكُم؛ وخُصَّـتِ المسـاءاةُ بالوُجـوه، والمـرَاد: أصْحـابُ الوجُـوهِ، لَـا يبْـدُو عليْهَـا مِـن أثـرِ الحُـزْنِ والكَآبـةِ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ يعْنِـي: بيْـتَ المقـدسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المـرَّةِ الأُولى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾؛ أي: ليدمِّـروا ويخرِّبـوا.

---

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٦- ٨٧).

(٣) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٧٨)، والتيسير (ص: ١٣٩).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَال لِكُلِّ شيْءٍ ينْكَسِر مِن الزُّجاجِ والحدِيدِ والذَّهبِ: تِبْرٌ. ومعْنَى ﴿مَا عَلَوْا﴾؛ أي: لِيُدَمِّروا في حَالِ عُلوِّهم عليْكُم[١].

قوْله تعَالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ هذا ممَّا[٢] وُعِدُوا به في التَّوراةِ. و«عَسى» مِن الله واجِبةٌ، فرحمَهُمُ اللهُ بعْدَ انْتقامِه منْهُم، وعَمَّر بلادَهُم، وأعَادَ نِعمَهُم بعْدَ سبعِينَ سنةً. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى معصيتِنا ﴿عُدْنَا﴾ إلى عُقوبَتِكُم.

قَالَ المفَسِّرون: ثُمَّ إنَّهم عادُوا إلى المعصيةِ، فبعَثَ اللهُ عليْهِم مُلوكًا مِن ملُوكِ فارسَ والرُّومِ. قالَ قتادَةُ: ثُمَّ كانَ آخِر ذلِك أنْ بعَثَ اللهُ عليْهِم مُحمَّدًا ﷺ، فهُم فِي عذابٍ إلى يوْمِ القِيامَةِ، يُعْطُون[٣] الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرونَ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: سِجْنًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ.

وقالَ مُجاهِدٌ: يُحْصَرُونَ فيهَا[٥]. وقالَ أبو عُبيدَةَ، وابْنُ قُتيبَةَ:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٨).

(٢) في (س): ما.

(٣) في (ر): فيعطون.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٠)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٣٨٩) من طريق معمر، عن قتادة، قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ فعادوا، فبعث الله عليهم محمدا ﷺ، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿حَصِيرًا﴾ قال: يحصرون فيها. ومن طريق ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ قال: يُحصرون فيها.

محبسًا[١]. وقالَ الزَّجَّاجُ: «حَصِيرًا»: حَبْسًا، أُخِذ مِن قوْلِك: حصرْتُ الرَّجُلَ؛ إذا حبسْتُه، فهوَ محْصُورٌ، وهذَا حصِيرُه؛ أي: محْبسُه، والحصِيرُ: المنْسُوجُ، سُمِّي حصيرًا؛ لأنَّه حُصرت طاقاتُه بعْضُها معَ بعْضٍ، ويُقال للجَنْب: حَصِيرٌ؛ لأنَّ بعْضَ الأضْلاعِ محْصُورٌ معَ بعْضٍ[٢].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: حصِيرًا: بمعْنَى: حاصِرة، فصُرف مِن حاصرةٍ إلى حصِيرٍ، كما صُرف «مُؤلم» إلى أليمٍ.

والثَّاني: فِراشًا ومِهادًا، قالَه الحسَنُ.

قالَ أبو عُبيدةَ: ويجُوز أنْ يكونَ لهُم جهنَّمُ[٣] مِهادًا بمنْزلَةِ الحصِيرِ، والحَصِيرُ: البِسَاطُ الصَّغِيرُ[٤].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٩ - ١٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: «الَّتِي» وصْفٌ للجمْعِ، والمعْنَى: يهْدِي إلى الخِصَالِ الَّتِي هيَ أقْومُ الخِصالِ.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٧١). وغريب القرآن (ص: ٢٥١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٧).

(٣) في (م): تكون جهنم لهم. وفي (س): تكون لهم جهنم.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٧١).

قالَ المفَسِّرونَ: وهيَ توْحِيدُ اللهِ والإيمانُ بهِ وبِرُسُلِه والعمَلُ بطاعَتِه، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾؛ أي: بأنَّ لهُم ﴿أَجْرًا﴾ وهوَ الجنَّةُ، ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: ويُبشرُهُم بالعذَابِ لأعْدائِهِم، وذلِك أنَّ المؤمنينَ كانُوا في أذًى مِن المشركينَ، فعَجَّلَ اللهُ لهُمُ البُشرى في الدُّنيا بعِقَابِ الكافِرينَ.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ [الإسراء: ١١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ وذلِك أنَّ الإنْسانَ يدْعُو في حالِ الضَّجَرِ والغَضَبِ على نفْسِه وأهْلِه بما لا يحِبُّ أنْ يُستجابَ له كما يدْعُو لنفسِه بالخَيْرِ. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعجِّلُ بالدُّعاء بالشَّرِّ عنْدَ الغضَبِ والضَّجَرِ عَجلتَه بالدُّعاء بالخيْرِ. [٤٧٠/ب]

وفِي المرَادِ بالإنْسانِ هَاهُنا ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه اسْمُ جنْسٍ يُراد بِهِ النَّاسُ، قالَهُ الزَّجَّاجُ وغيْرُهُ[١].

والثَّاني: آدَمُ، فاكْتفَى بذكْرِه مِن ذكْرِ ولَدِه، ذكَرَه ابْنُ الأنْبارِيِّ.

والثَّالث: أنَّه النَّضْرُ بنُ الحارِثِ حينَ قالَ: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قالَه مُقاتِلٌ[٢].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٤).

وقالَ سلْمَانُ الفَارسيُّ: أوَّلُ مَا خلَقَ اللهُ مِن آدمَ رأسُه، فجعَلَ ينْظُر إلى جسَدِه كيْفَ يُخلَقُ، قالَ: فبَقِيتْ رِجلَاهُ، فقالَ: يا رَبِّ! عَجِّل، فذلِك قوْلُه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾؛ أي: علامَتيْنِ يدُلَّانِ على قُدرة خالقِهما. ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فيهِ قولَانِ:

أحدُهما: أنَّ آيةَ اللَّيلِ: القمَرُ، ومحْوُها: مَا في بعْضِ القمَرِ مِنَ الإسْودَادِ، وإلى هذَا المعْنَى ذهَب عليٌّ عليه السلام، وابْنُ عبَّاسٍ في آخرِينَ.

والثَّاني: آيةُ اللَّيلِ محُيتْ بالظُّلمةِ الَّتِي جعلَتْ مُلازمةً للَّيلِ؛ فنُسبَ المحوُ إلى الظُّلمةِ؛ إذْ كانَتْ تمحو الأنْوار وتُبطلُها، ذكرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

ويُروى أنَّ الشَّمسَ والقمرَ كانَا في النُّور والضَّوءِ سَواءً، فأرْسلَ اللهُ جبريلَ فأمرَّ جناحَهُ على وجْه القمَرِ فطمَسَ عنْهُ الضَّوءَ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٤) من طريق الحكم، عن إبراهيم، أنَّ سلمان الفارسيّ، قال: أوَّل ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يُخلق، قال: وبقيت رجلاه؛ فلما كان بعد العصر قال: يا ربِّ عَجِّل قبل الليل، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾. وأخرجه ابن عساكر (٧/ ٣٨٤) من طريق محمد بن المثنى به، وابن أبي شيبة (١٤/ ١١٠-١١١) عن محمد بن جعفر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٦) إلى ابن جرير مختصرًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعْنِي: الشَّمسَ ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مُنِيرة، قالَه قتادَةُ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: وإنَّما صلُحَ وصْفُ الآيةِ بالإبْصارِ على جِهةِ المجازِ؛ كما يُقالُ: لعِبَ الدَّهْرُ بِبَنِي فُلانٍ.

والثَّاني: أنَّ معْنَى «مُبْصِرة»[1]: مُبصَرًا بها، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[2].

والثَّالثُ: أنَّ معنى «مُبْصرة»: «مُبَصِّرَةً»، فجرَى «مُفْعِل» مجْرَى «مُفَعِّل»، والمعْنَى: أنَّها تُبصِّرُ النَّاس، أي: تُريهم الأشْياءَ، قالَه ابْنُ الأنْباريِّ. ومعاني الأقْوالِ تتَقارَبُ.

قوْلُه تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: لِتُبْصروا كيْفَ تتصرَّفُون في أعْمالِكم وتطلُبونَ رِزقَكم بالنَّهار ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ بمحْوِ آيةِ اللَّيلِ، ولوْلَا ذلِك، لم يُعرفِ اللَّيلُ مِنَ النَّهار، ولم يُتبيَّن العددُ. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: ممَّا يُحتاجُ إليه: ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيَّنَّاه تبيِنًا لا يُلتبس معَه بغيْرِه.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٢).

قَوْلُه تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ ﴾ وقرأ ابنُ أبي عبْلَةَ: «وكُلُّ» برفعِ اللَّامِ[١]. وقرأ ابنُ مسعُودٍ، وأُبَيٌّ، والحسَنُ: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَيْرَهُۥ﴾ بياءٍ ساكنةٍ مِن غيرِ ألِفٍ[٢].

وفي الطَّائِرِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ شقَاوتُه وسعَادتُه، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

قالَ مُجاهِدٌ: ما مِن مولُود يُولد إلَّا وفِي عُنُقِهِ ورَقةٌ مكتُوبٌ فيهَا شقِيٌّ، أو سَعِيدٌ[٣].

والثَّاني: عملُه، قالَه الفرَّاءُ[٤]، وعنِ الحسَنِ كالقوْلَيْنِ.

والثَّالث: أنَّه ما يُصِيبه، قالَه خصِيفٌ. وقالَ أبو عُبيدَةَ: حظُّه[٥].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والمعْنَى فيما أرى -والله أعلم-: أنَّ لكُلِّ امْرِئٍ حظًّا مِنَ الخيْرِ والشَّرِّ قد قضَاهُ اللهُ [عليْهِ][٦]، فهو لازمٌ عنقه، والعرَبُ تقُول:

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٩٨) من طريق الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٧) إلى أبي داود في كتاب القدر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (١/ ٢٤٢).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٢).

(٦) من (م).

لِكلِّ ما لزِم الإنْسانَ: قد لزِمَ عنقهُ، وهذَا لكَ عليَّ وفي عُنقي حتَّى أخرجَ منْهُ، وإنَّما قِيلَ للحظِّ مِنَ الخيْرِ والشَّرِّ: «طَائِرٌ»؛ لِقوْلِ العرَبِ: [٤٧١/أ] جرَى له الطَّائِر بكذَا مِن الخيْرِ، وجرَى له الطَّائر بكذَا مِنَ الشَّرِّ، على طريقِ الفألِ والطِيَّرةِ، فخاطَبَهُمُ اللهُ بما يستعملُون، وأعْلَمَهم أنَّ ذلِك الأمْرَ الَّذِي يجعَلُونه بالطَّائرِ، هو الَّذِي يلزمُه أعْنَاقهم(١).

وقالَ الأزْهريُّ: الأصْلُ في هذَا أنَّ اللهَ تعالى لَّما خلَقَ آدَمَ، علِمَ المطِيعَ مِن ذُرِّيتِهِ، والعَاصِي، فكتَبَ ما علِمَه منْهم أجْمَعِينَ، وقضَى سعادةَ مَن علِمَه مُطيعًا، وشقاوةَ مَن علِمَهُ عاصيًا، فصَارَ لِكُلٍّ منْهم ما هوَ صائِرٌ إليْهِ عنْدَ خلْقِه وإنْشائِه، فذلِكَ قوْلُه: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾(٢).

والرَّابع: أنَّه ما يَتطَيَّر مِن مثْلِه مِن شيْءٍ عملُه، وذِكْرُ العُنقِ عِبارةٌ عن اللُّزومِ لَه، كلُزومِ القِلادةِ العُنقَ مِن بيْنِ ما يُلبسُ، هذا قوْلُ الزَّجَّاجِ(٣).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: الأصْلُ في تسْمِيتِهِمُ العمَلَ طائِرًا، أنَّهم كانُوا يَتطيَّرُون مِن بعْضِ الأعْمالِ(٤).

قوْلُه تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ قرَأ أبو جعْفرٍ: «ويُخْرَجُ» بياءٍ مضْمُومةٍ وفتْحِ الرَّاءِ. وقرَأ يعقُوبُ، وعبْدُ الوارثِ: باليَاء مفْتُوحة وضَمِّ الرَّاءِ(٥).

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٢).

(٢) تهذيب اللغة (١٤/ ١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٠).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٢٥).

(٥) قراءتان عشريتان، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، وإتحاف=

وقَرَأ قتادَةُ، وأبو المتوكِّل: «ويُخْرِجُ» بياءٍ مرْفُوعةٍ وكسْرِ الرَّاءِ. وقرَأ أبو الجوْزاءِ، والأعْرَجُ: «وتَخْرُجُ» بتاءٍ مفْتُوحةٍ ورفْعِ الرَّاءِ[١].

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ وقرَأ ابْنُ عبَّاسٍ، وعكْرِمةُ، والضَّحَّاكُ: «كِتَابٌ» بالرَّفْعِ. ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأبو جعْفرٍ: «يُلقَّاهُ» بضَمِّ الياءِ وتشْدِيدِ القَافِ، وأمَالَ حمْزةُ، والكِسائِيُّ القَافَ[٢].

قالَ المفَسِّرونَ: هذَا كِتابُه الَّذي فيهِ مَا عمِلَ، وكانَ أبو السَّوَّارِ العَدَوِيُّ[٣] إذا قرَأ هذِه الآيةَ قالَ: نشْرتَانِ وطيَّةٌ، أمَّا مَا حييتَ يا ابْنَ آدَمَ، فصَحِيفتُك منْشُورةٌ، فأَمْلِ فيهَا مَا شئْتَ، فإِذا مِتَّ؛ طُويتْ، ثُم إذَا بُعثتَ، نُشرَتْ[٤].

=فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٢)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٨٦).

(١) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٨٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢).

(٢) سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٣) أبو السوار العدوي البصري، قيل: اسمه حسان بن حريث، وقيل بالعكس، روى له البخاري ومسلم والنسائي، ثقة من الثانية. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٩٢)، والتقريب ترجمة (٨١٥٢).

(٤) أخرجه الثعلبي بسنده في الكشف والبيان (١٦/ ٣٠٠- ٣٠١) من طريق شعيب بن محمد قال: حدثنا مكي بن عبدان، قال: حدثنا أحمد بن الأزهر، قال: حدثنا روح بن عبادة؛ قال: حدثنا بسطام بن مسلم، قال: سمعتُ أبا التَّياح يقول: سمعت أبا السوار العدويَّ يقرأ هذِه الآية، ثم قال: نشرتان وطيّة، أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك منشورة، فأمل فيها ما شئت، ثم إذا متّ طويت، ثم إذا بعثت نشرت.

قوْلُه تعَالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَـٰبَكَ ﴾ وقرأ أبو جعْفرٍ: «اقْرَا» بتخْفِيفِ الهمْزةِ(١)، وفيهِ إضْمارٌ، تقْدِيرُه: فيُقَال لَه: اقْرأْ كتَابَك.

قالَ الحسَنُ: يقْرؤُه أُميًّا كانَ أوْ غيْرَ أُمِّيٍّ، ولقَد عدَل عليْكَ مَن جعَلَك حسِيبَ نفْسِكَ(٢).

وفي معْنَى ﴿حَسِيبًا﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مُحاسِبًا.

والثَّاني: شاهدًا.

والثَّالث: كافيًا.

والمعْنَى: أنَّ الإنْسانَ يُفَوَّض إليْهِ حِسابُه ليعلمَ عدْلَ اللهِ بيْنَ العِبادِ، ويرَى [وجُوبَ](٣) حُجَّةِ اللهِ عليْهِ، واسْتحقَاقَه العُقوبةَ، ويعْلَم أنَّه إنْ دخَلَ الجنَّة فبِفَضْل اللهِ، لَا بعملِه، وإنْ دخَلَ النَّار فبِذَنْبِه.

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: وإنَّما قالَ: ﴿حَسِيبًا﴾، والنَّفْسُ مؤنَّثةٌ؛ لأنَّه يعْنِي بالنَّفْس: الشَّخْصَ، أوْ لأنَّه لَا علامَةَ للتَّأنِيثِ في لفْظِ النَّفْسِ، فشُبِّهتْ بالسَّماءِ والأرْضِ، قالَ تعَالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨](٤)، قالَ الشَّاعِرُ [من المتقارب]:

---

(١) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٦)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: ١٠٤).

(٢) ذكر عنه ذلك السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨١).

(٣) من (س)، و(م).

(٤) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٧/ ٢٣).

.... وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا[١]

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

قوْلُه تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾؛ أي: لَه ثوابُ اهْتدَائِه، وعليْهُ عِقابُ ضَلالِه.

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ ﴾؛ أي: نفسٌ وازِرةٌ ﴿ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إنَّ الوَليدَ بْنَ المغيرةِ قالَ: اتَّبِعُوني وأنا أحْمِلُ أوْزارَكُم، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٢]. [٤٧٠/ ب]

قالَ أبو عُبيدةَ: والمعْنَى: ولا تَأْثَمْ آثِمَةٌ إثْمَ أُخرَى[٣]. قالَ الزَّجَّاجُ: يُقالُ: وزَرَ يَزِرُ، فهو وازِرٌ، وَزْرًا، ووِزْرًا، ووِزْرَةً، ومعْناه: أَثِمَ إثْمًا[٤].

---

(١) البيت لعامر بن جُوَين الطَّائي أحد الخُلعاء الفُتَّاك، كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكتاب لسيبويه (٢/ ٤٦)، والأصول في النحو (٢/ ٤١٣)، والكامل؛ للمبرد (٢/ ٢٠٧)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٩٩)، ونسب للأعشى في التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٩١)، وتفسير الرازي (٣٠/ ٦٩٣) ولعله خطأ، وصدره:

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها *** ....

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢١٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣١).

وفي تأويلِ هذِه الآيةِ وجْهَانِ:

أحدُهما: أنَّ الآثِمَ لا يُؤخذ بذنْبِ غيْرِه.

والثَّاني: أنَّه لا ينْبَغِي أنْ يعملَ الإنْسانُ بالإثْمِ؛ لأنَّ غيرَه عَمِلَه، كَمَا قالَ الكُفَّارُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ومعْنَى ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ أي: حتَّى نُبيِّنَ ما بهِ نعذِّب، ومَا مِن أجْلِه ندخلُ الجنَّةَ.

فَصْلٌ

قالَ القاضِي أبو يعلى: في هذَا دليلٌ علَى أنَّ معرفةَ اللهِ لا تجِبُ (عقلًا، وإنَّما تجِبُ)[1] بالشَّرْعِ، وهو بعْثَةُ الرُّسلِ، وأنَّه لو ماتَ الإنْسانُ قبْلَ ذلِك، لم يُقطعْ عليْهِ بالنَّارِ.

قالَ: وقيل معْناه: أنَّه لَا يعذِّب في مَا طريقُه السَّمْعُ إلَّا بقِيامِ حُجَّةِ السَّمْعِ مِن جهَةِ الرَّسولِ، ولهذا قالوا: لو أسْلَم بعْضُ أهْلِ الحرْبِ في دَار الحرْبِ ولم يسمَعْ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ونحْوِها، لم يلزمْهُ قضاءُ شيْءٍ منْهَا؛ لأنَّها لم تلْزمْه إلَّا بعْدَ قِيامِ حُجَّةِ السَّمْعِ، والأصْلُ فيهِ قصَّةُ أهْلِ قُباء حِين اسْتَدَارُوا إلى الكعْبةِ ولم يسْتأنِفُوا، ولو أسْلَمَ في دارِ الإسْلام ولم يعْلَمْ بفرْضِ الصَّلاةِ، فالواجِبُ عليْهِ القضاءُ؛ لأنَّه قد رأى النَّاسَ يصلُّون في المساجِدِ بأذانٍ وإقامَةٍ، وذلِك دعاءٌ إليْهَا[2].

---

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٢) انظر: الفروع وتصحيح الفروع (١٠/ ٢١٧)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٥/ ١٧).

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٦ - ١٧].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ **فِي سبَبِ إرَادتِه لِذلك قوْلَانِ:**

أحدُهما: ما سبَق لهُم فِي قضَائِه مِنَ الشَّقَاءِ.

والثَّاني: عِنادهُمُ الأَنْبياء وتكْذِيبُهُم إيَّاهُم.

قَوْلُه تعَالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ قرَأَ الأكْثَرونَ: «أَمَرْنَا» مُخفَّفَةً، على وزْن فَعَلْنا، **وفِيهَا ثلَاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه[1] مِن الأمْرِ، وفِي الكلَامِ إضْمارٌ، تقْدِيرُه: أمَرْنا مُتْرَفِيهَا بالطَّاعَةِ، ففَسَقُوا، هذَا مذْهبُ سعِيدِ بْنِ جُبيرٍ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: ومثْلُه فِي الكلَامِ: أمَرْتُك فعَصيْتَنِي، فقَدْ عُلم أنَّ المعصيةَ مُخالفةُ الأمْرِ[2].

والثَّاني: كثَّرنا يُقَال: أَمَرْتُ الشَّيءَ وآمَرْتُه، أي: كثَّرتُه، ومنْهُ قوْلهُم: مُهرةٌ مأمُورةٌ؛ أي: كثيرةُ النَّتاجِ، يُقال: أَمِرَ بنُو فُلانٍ يأمرُون أمْرًا؛ إذا كثُروا، هذا قوْلُ أَبِي عُبيدةَ[3]، وابْنِ قُتيبةَ[4].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

والثَّالِث: أنَّ معنَى أَمْرَنَا: أمَّرنا، يُقال: أَمَرت الرَّجُل، بمعْنَى، أمَّرتُه، والمعْنَى: سلَّطنا مُتْرفِيهَا بالإِمَارة، ذكره ابْنُ الأَنْبَاريِّ.

ورَوى خارجَةُ عنْ نافِعٍ: «آمَرْنَا» ممْدُودةً؛ مِثْلُ: آمَنَّا، وكذلِكَ رَوى حمَّادُ بْنُ سلَمَةَ عنِ ابْنِ كثِيرٍ، وهيَ قِراءةُ ابْنِ عبَّاسٍ، وأبي الدَّرْداءِ، وأبي رَزِينٍ، والحَسَنِ، والضَّحَّاكِ، ويعْقُوبَ[١].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: وهيَ اللُّغةُ العاليةُ المشهُورةُ، ومعْنَاه: كثَّرنا، أيْضًا[٢].

ورَوى ابْنُ مُجاهِدٍ أنَّ أبا عمْرٍو قرَأ: «أمَّرْنَا» مُشدَّدةَ الْمِيمِ، وهيَ رِوايةُ أبانَ عنْ عاصِمٍ، وهيَ قِراءةُ أبي العَاليةِ، والنَّخَعيِّ والجحْدَريِّ[٣].

قالَ ابْنُ قُتيبة: المعْنَى: جعلْنَاهُم أُمرَاءَ[٤]. [٤٧٢/أ]

وقرَأ أبو المتوكِّل، وأبو الجَوْزاءِ، وابْنُ يعْمُرَ: «أَمِرْنَا» بفتْحِ الهمْزةِ، مكْسُورةَ الميمِ مخفَّفةً[٥].

---

(١) قراءة عشرية من قراءة يعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، وانظر عزوها لروايتي نافع وأبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٣) قراءة شاذة، انظر رواية أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩)، وعن الباقين في المحتسب (٢/ ١٦)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٧).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٥) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٦).

فأمَّا المتْرَفُون: فهمُ المتنَعِّمُونَ الَّذِين قد أبْطرَتْهمُ النِّعمةُ وسِعةُ العيْشِ. والمفَسِّرُون يقُولون: همُ الجبَّارُون والمسلَّطُون والملُوكُ(١)، وإنَّما خصَّ المتْرَفِين بالذِّكْر؛ لأنَّهمُ الرُّؤساءُ، ومَن عداهم تبَعٌ لهُم.

قوْلُه تعالى: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾؛ أي: تمرَّدُوا في كُفْرِهم؛ لأنَّ الفِسْقَ في الكُفْر: الخُروجُ إلى أفحشِهِ. وقد شرحْنَا معْنَى الفسْقِ في البقرة [آية: ٢٦/ ١٩٧].

قوْلُه تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: وجَب عليْهَا العذابُ(٢). وقد ذكرْنَا معْنَى التَّدمِيرِ في الأعْراف [آية: ١٣٧].

قوْلُه تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ وهوَ(٣) جمْعُ قرْنٍ. وقد ذكرْنَا اخْتِلافَ النَّاسِ فيهِ في الأنْعام [آية: ٦]، وشرحْنَا معْنَى الخبِير والبصِير في البقرة.

قالَ مُقاتِلٌ: وهذِه الآيةُ تخْويفٌ لكُفَّارِ(٤) مكَّةَ(٥).

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾[الإسراء: ١٨ - ١٩].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٦).

(٣) في (ر): وهي.

(٤) في (م): لأهل.

(٥) المصدر السابق.

قوْلُه تعَالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعْنِي: مَن كانَ يُريد بعمَلِه الدُّنيا، فعبَّر بالنَّعْت عنِ الاسْم ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ مِن عرَضِ الدُّنيا، وقيلَ: مِن البسْطِ والتَّقْتِير ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: لِمَن نُريد هلكَتَهُ، قالَه أبو إسْحاق الفِزَاريُّ(١).

والثَّاني: لِمَنْ نُريد أن نعجِّلَ له شيْئًا، وفي هذَا ذمٌّ لِمَنْ أرَاد بِعمَلِه الدُّنْيا، وبيانٌ أنَّه لا ينَال معَ ما يقصدُه منْهَا إلَّا ما قُدِّر لَه، ثُمَّ يدْخلُ النَّار فِي الآخِرَةِ.

وقالَ ابْنُ جريرٍ: هذِه الآيَةُ لِمَنْ لا يُوقن بالمعَادِ(٢).

وقد ذكرْنا معْنَى جنَّهم في البقرة [آية: ٢٠٦] ومعْنَى يصْلَاها في سورةِ النِّساء [آية: ١٠]، ومعْنَى مذْمُومًا مدْحُورًا في الأعراف [آية: ١٨].

قوْلُه تعَالى: ومن ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعْنِي: الجنَّةَ ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾؛ أي: عمِلَ لهَا العمَلَ الَّذي يصلُح لهَا، وإنَّما قالَ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ لأنَّ الإيمانَ شرْطٌ في صِحَّةِ الأعْمالِ، ﴿فَأُولَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: مقْبُولًا. وشُكْرُ اللهِ عزَّ وجلَّ لهُم: ثوابُه إيَّاهُم، وثنَاؤُه عليْهِم.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩)، وأبو إسحاق الفزاري: هو الإمام إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الكوفي، أحد الأعلام، روى عن عطاء بن السائب، وحميد الطويل، وعنه: الأوزاعي، والثوري، وهما من شيوخه، كان ثقة فاضلًا صاحب سنة وعزو، كثير الحديث فقيهًا، أدب أهل الثغر وعلَّمهم السنة، وكان يأمر وينهى، توفي سنة (١٨٥هـ). انظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٩).

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ قال الزَّجَّاج: «كلًّا» منصوبٌ بـ«نُمِدُّ». و«هؤلاء»: بدلٌ مِن «كل»، والمعْنى: نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاءِ مِن عطَاءِ ربِّكَ[1].

قالَ المفسِّرونَ: كُلًّا نُعطي مِنَ الدُّنيا، البرَّ والفَاجِرَ، والعَطاءُ هاهُنا: الرِّزْقُ، والمحْظُور: الممْنُوعُ، والمعْنَى: أنَّ الرِّزْقَ يعُمُّ المؤمِنَ والكافِرَ، والآخِرةُ للمُتَّقِين خاصَّةً. ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمَّدُ ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وفِيمَا فُضِّلوا فيهِ قولانِ:

أحدُهما: الرِّزْقُ، (منْهم مُقلٌّ، ومنْهم مُكثِرٌ.

والثَّاني: الرِّزقُ)[2] والعمَلُ، فمِنْهم موفَّقٌ لعمَلٍ صَالِحٍ، ومنْهم ممْنوعٌ[3] مِن ذلِك.

قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الخِطَابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمعْنى عامٌّ لجميعِ المكلَّفِينَ.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٣).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٣) ليست في (ر).

والمخذولُ: الَّذي لا ناصِرَ لَه، والخِذلانُ: تَرْكُ العوْنِ. قالَ مُقاتِلٌ: نزلَتْ حِينَ دعُوا رسُولَ اللهِ ﷺ إلى ملَّةِ آبائِه(١).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾. [٤٧٢/ ب]

قرَأ(٢) ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: أمَرَ ربُّكَ(٣).

ونقَلَ عنْهُ الضَّحَّاكُ أنَّه قالَ: إنَّما هيَ ووصَّى ربُّك فالْتصَقَتْ إحْدَى الوَاوَيْنِ بالصَّادِ(٤)، وكذلك قرَأ أُبَيُّ بْنُ كعْبٍ، وأبو المتوكِّلِ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: ووصَّى(٥).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٧).

(٢) في (س)، و(م): روى.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٣)، من طريق علّي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علّي، عن ابن عبّاس ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يقول: أمر. وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٤) من طريق هُشيم، عن أبي إسحاق الكوفي، عن الضَّحَّاك بن مزاحم أنه قرأها: (وَوَصَّى رَبُّكَ) وقال: إنّهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافًا. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٠- ١٧١) إلى ابن جرير ولأبي عبيد وابن المنذر. وأبو إسحاق الكوفي هو عبد الله بن ميسرة، ضعيفٌ، وهشيم، وإن كان ثقة إلا أنّه كثير التدليس، وقد عنعن هنا.

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني=

وهذَا علَى خِلافِ مَا انْعقَدَ عليْهِ الإجْمَاعُ[١]، فلَا يُلتفتُ إليْهِ.

وقَرَأ أبو عِمْرانَ، وعاصِمٌ الجحْدَريُّ، ومُعاذٌ القارئُ: «وقضاءُ ربِّك» بقافٍ وضَادٍ بالمدِّ والهمْزِ والرَّفْعِ وخفْضِ اسْمِ الربِّ[٢].

قالَ ابْنُ الأنْبَاريِّ: هذَا القضَاءُ ليْس مِن بابِ الحتْمِ والوجُوبِ، ولكنَّه مِن بابِ الأمْرِ والفرْضِ، وأصْلُ القضَاءِ في اللُّغةِ: قطْعُ الشَّيءِ بإحْكامٍ وإتْقانٍ، قالَ الشَّاعر يرثِي عُمرَ [من الطويل]:

قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوائِقَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفْتَّقِ[٣]

أرادَ: قطعْتَها مُحكِمًا لها.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾؛ أي: وأمَرَ بالوَالِديْنِ إحْسانًا، وهوالبرُّ والإكْرامُ، وقد ذكرْنا هذا في البقرة [آية: ٨٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، [وعَاصِمٌ][٤]، وابْنُ عامِرٍ: «يبْلُغَنَّ» علَى التَّوحيدِ، وقرَأ حمْزةُ، والكِسَائيُّ،

=(ص: ٢٧٩)، والبحر المحيط (٦/ ٢٥).

(١) في (ر): ما انعقد الإجماع عليه.

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩).

(٣) البيت للشماخ في ديوانه (ص: ٤٤٩)، وحياة الحيوان (٢/ ٤٨٨)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٢١)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٣٣)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٣٤٣)، وزهر الآداب (٢/ ٩٦٨)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٦).

(٤) من (س)، و(م).

وخلَـفٌ: «يَبْلُغَـانِ» عـلَى التَّثْنِيـةِ[١].

قـالَ الفـرَّاءُ: جُعلـت «يَبْلُغَـنَّ» فعْـلًا لأحدِهِمَـا وكـرَّت عليْهِـما «كِلَاهُمـا». ومَـن قـرَأَ: «يَبْلُغَـانِ» فإنَّـه ثنَّـى؛ لأنَّ الوَالِدَيْـنِ قـد ذُكِـرا قبْل هـذَا، فصَـارَ الفعْلُ على عدَدِهِمـا، ثُمَّ قـالَ: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ علَى الائتنـاف[٢]؛ كقوْله: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائـدة: ٧١]، ثُـمَّ اسْـتأنف فقَـال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

قـرَأ أبـو عمْـرٍو، وحمْـزَةُ، والكِسَـائيُّ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «أفِّ» بالكسْرِ مِـن غـيْرِ تنْوِيـنٍ. وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، وابْـنُ عامِـرٍ، ويعْقُـوبُ، والمفَضَّـلُ: «أُفَّ» بالفتْـحِ مِـن غـيْرِ تنْوِيـنٍ. وقـرَأ نافِـعٌ، وحفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «أُفٍّ» بالكسْرِ والتَّنْويـنِ[٤].

وقـرَأ أبو الجـوْزَاءِ، وابْنُ يعْمُـرَ: «أُفٌّ» بالرَّفْعِ والتَّنْوينِ وتشْـديدِ الفَاءِ. وقرَأ مُعـاذٌ القَارِئُ، وعاصِـمٌ الجحْدَرِيُّ، وحُميدُ بْـنُ قيْسٍ: «أَفًّا»؛ مثْلُ: «تعسًـا»[٥].

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٢) في (م): الاستئناف.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٠).

(٤) قـراءات سـبعية، انظر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٧٩)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ١٣٩)، وتفسـير البغـوي (٢/ ٦٧٦)، والنـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٣٠٦- ٣٠٧).

(٥) قراءتـان شـاذتان، انظـر: المحتسـب (٢/ ١٨)، ومختـصر الشـواذ (ص: ٧٩)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٧٩).

وقـرَأ أبـو عِمْـرانَ الجُـونيُّ، وأبـو السِّـمَالِ العَـدويُّ: «أُفٌّ» بالرَّفْـعِ مِـن غيْرِ تنْوِيـنٍ مـعَ تشْـديدِ الفـاءِ، وهِيَ رِوايـةُ الأصْمعيِّ عـنْ أبي عمْـرٍو. وقـرَأ عِكرِمَةُ، وأبـو المتـوكِّل، وأبـو رجَـاءٍ، وأبـو الجَـوْزاءِ: «أُفْ» بإسْـكانِ الفَـاءِ وتخْفِيفِها(١).

وقـالَ الأخْفـشُ: وهـذا لأنَّ بعْـضَ العـرَبِ يقُـول: أُفْ لـكَ، عـلَى الحِكايـةِ، والرَّفْـعُ قبِيـحٌ؛ لأنَّـه لم يجِـئ بعْـدَهُ لامٌ(٢).

وقـرَأ أبـو العالِيـةِ، وأبـو حُصيـنٍ الأسْـدِيُّ: «أُفِّي» بتشْـدِيدِ الفـاءِ وبيـاءٍ [مُمالـة](٣). ورَوى ابـنُ الأنْبـاريِّ أنَّ بعْضَهُـم قرَأَهـا: «إِفٍّ» بكسْـرِ الهمْـزةِ(٤).

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: فيهَـا سبْعُ لُغـاتٍ: الكسْرُ بِـلا تنْويـنٍ، وبِتَنْويـنٍ، والضَّمُّ بـلا تنْويـنٍ، وبِتَنْوِيـنٍ، والفتْـحُ بِـلا تنْويـنٍ، وبِتنْويـنٍ، واللُّغـةُ السَّـابعَةُ لا تجُـوز في القِـراءة: «أُفِّي» باليـاءِ، هكـذَا قـالَ الزَّجَّـاجُ(٥).

وقـالَ ابـنُ الأنْبـاريِّ: في «أفٍّ» عـشْرةُ أوْجـهٍ: «أُفَّ لَـكَ»، بفتْـحِ الفـاءِ، و«أُفِّ» بكسْرِهَـا، و«أُفُّ»، و«أُفًّا لَـكَ» بالنَّصـبِ والتنْويـنِ على مذْهـبِ الدُّعاءِ؛ [٤٧٣/أ]
كـما تقُـول: ويـلًا للكافريـن، و«أُفٌّ لَـكَ» بالرَّفـعِ والتَّنْويـن، وهـوَ رفْـعٌ بالـلَّام؛ كقَوْلِـه تعَـالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، و«أفـهٍ لَـكَ» بالخفْـضِ والتَّنْوينِ؛ تشْـبِيهًا بالأصْـواتِ؛ كقوْلِـك: صـهٍ ومـهٍ، و«أُفْهًـا لَـكَ»، عـلَى مذْهَـبِ الدُّعَـاءِ

(١) قراءات شاذة، انظر المصادر السابقة.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٢).

(٣) من (س).

(٤) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٤).

أيْضًـا، و«أُفِّي لَـكَ» عـلَى الإضافَـةِ إلى النَّفْـسِ، و«أُفْ لَـكَ» بسُـكونِ الفـاءِ؛ تشْبِيهًا بـالأدَواتِ؛ مثْلُ: كَـمْ، وهَـلْ، وبَـلْ، و«إفْ لَـكَ» بكَسْرِ الألِـفِ[1].

قـال الشَّـيخ[2]: وقـرأْتُ عـلَى شـيْخِنَا أبي منْصُـورٍ اللُّغـويِّ: قـالَ: وتقُولُ: «أُفِ مِنْـهُ»، و«أُفَ»، و«أُفُ»، و«أُفِ»، و«أُفًـا»، و«أُفٌ»، و«أُفِّي» مُضـافٌ، و«أُفهَـا»، وَ«أُفًـا» بالألِـفِ، ولا تقُـل: «أُفي» باليـاءِ فإنَّـه خطَـأٌ.

فأمَّا معْنَى «أُفٍّ» ففِيه خمْسةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه وسَخُ الظُّفرِ، قالَه الخَلِيلُ[3].

والثَّاني: وسَخُ الأُذُنِ، قالَه الأصْمَعِيُّ[4].

والثَّالث: قُلامةُ الظُّفرِ، قالَه ثعْلَبٌ[5].

والرَّابـع: أنَّ الأُفَّ: الِاحْتِقـارُ والِاسْـتصغارُ، مِـن الأَفَـفِ، والأَفَـفُ عنْـد العـرَبِ: القِلَّـةُ، ذكـرَه ابْـنُ الأنْبـاريِّ أيْضًـا[6].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨١).

(٢) في (ر): قال، وليست في (س)، و(م).

(٣) العين (٨/ ٤١٠).

(٤) ذكر ذلك عنه الأصمعي (١٥/ ٤٢٢).

(٥) ذكر ذلك عنه ابن فارس في مجمل اللغة (ص: ٨٠).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨٠)، وانظر: الغريبين في القرآن والحديث (١/ ٨٢).

والخامِسُ: أنَّ الأُفَّ: ما رفعتَه مِنَ الأرْضِ مِن عُودٍ أوْ قصبَةٍ، حكاهُ ابْنُ فارسٍ اللُّغويُّ[١].

قالَ الشَّيخُ[٢]: وقرأتُ علَى شيخِنا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ[٣] قالَ: معْنى الأُفِّ: النَّتنُ، والتَّضجُّرُ، وأصْلُها: نفخُكَ الشَّيءَ يسْقُطُ عليْكَ مِن تُرابٍ ورمَادٍ، وللمكانِ تُريدُ إمَاطةَ الأذَى عنْهُ، فقِيلَتْ لِكُلِّ مُستثقَلٍ.

قالَ الشَّيخُ[٤]: وأمَّا قوْلُهم: «تُفّ»، فقد جعلَها قوْمٌ بمعْنَى «أُفٍّ»، فرُوي عنْ أَبِي عُبيدٍ أنّه قالَ: أصْلُ الأُفِّ والتُّفِّ: الوسَخُ علَى الأصابِعِ إذَا فتَلْتَه[٥].

وحكَى ابْنُ الأنْبارِيِّ فرقًا، فقَالَ: قالَ اللُّغويُّون: أصْلُ الأُفِّ في اللُّغةِ: وسَخُ الأُذنِ، والتُّفُّ: وسَخُ الأظفارِ، فاسْتعمَلَتْهما العرَبُ فيما يُكره ويُستقذَرُ ويُضجرُ منْهُ[٦].

وحكَى الزَّجَّاجُ فرقًا آخرَ، فقَالَ: قدْ قيلَ: إنَّ «أُفّ»: وسَخُ الأظْفارِ، و«التُّفُّ»: الشَّيءُ الحقِيرُ؛ نحْوُ: وسَخُ الأُذُنِ، أوِ الشَّظيَّةُ تُؤخذُ مِن الأرْضِ، ومعْنَى «أُفّ»: النَّتنُ[٧].

---

(١) مجمل اللغة (ص: ٨٠).

(٢) في (ر): قال، وليست في (س)، و(م).

(٣) ليست في (م).

(٤) في (س): قلت، وفي (م): قال المصنف.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي (١٦/ ٣١٢).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٨٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٤).

ومعْنَى الآيةِ: لا تقُلْ لهُما كلامًا تتبرَّمُ فيه بهما؛ إذا كَبِرَا وأسنَّا، فينْبَغِي أنْ تتولَّى مِن خدمَتِهما؛ مِثلَ الَّذي تولَّيا مِنَ القِيامِ بشأْنِكَ وخدمَتِكَ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: لا تُكلِّمهُما ضجرًا صائِحًا فِي وجُوهِهِما.

وقالَ عطاءُ بْنُ أبي رَباحٍ: لا تنْفُض يدَكَ عليْهِما(١). يُقالُ: نَهَرْتُه أنْهرُه نَهْرًا، وانْتَهرْتُه انْتِهارًا، بمعنى واحد.

وقالَ ابْنُ فارسٍ: نهرْتُ الرَّجُلَ وانْتَهرْتُه؛ مثْلُ: زجَرْتُه(٢).

قالَ المفَسِّرونَ: وإنَّما نهَى عنْ أذاهُما في الكِبرِ، وإنْ كانَ منْهيًّا عنْه علَى كُلِّ حالَةٍ(٣)؛ لأنَّ حالةَ الكِبَرِ يظْهَرُ فيهَا منْهُما مَا يُضجِرُ ويُؤذِي، وتكْثُرُ خِدمَتُهُما.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ أي: ليِّنًا لطِيفًا أحْسنَ مَا تجِدُ. وقالَ سعِيدُ بْنُ المسيِّب: قوْلُ العبْدِ المذْنِبِ للسَّيِّدِ الفظِّ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٧) من طريق محمد بن عبيد، قال: ثنا واصل الرَّقاشيّ، عن عطاء بن أبي رَباح، في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ قال: لا تنفض يدك على والديك. يقال منه: نَهَرَه يَنهره نَهْرًا، وانتهره ينتهره انتهارًا. وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ١٧١) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) مجمل اللغة (ص: ٨٤٥).

(٣) في (ر): حال.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٨) من طريق حَرْملة بن عمران، عن أبي الهَدَّاج التُّجِيبي، قال: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن من برّ الوالدين، فقد عرفته، إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظّ. وعزاه السيوطي (٤/ ١٧١) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾؛ أي: أَلِنْ لهُما [٤٧٣/ب] جانِبَكَ مُتذلِّلًا لهُما مِن رحْمتِكَ إيَّاهُما. وخفْضُ الجَناحِ قد شرحْناه في الحجرِ [آية: ٨٨].

وقالَ عطاءٌ: جناحُكَ: يداكَ، فلا ترْفَعْهما على والِدَيْكَ[1].

والجمْهورُ يضُمُّونَ الذَّالَ مِن «الذُّلِّ». وقرَأَ أبو رَزينٍ، والحسَنُ، وسَعيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وعاصِمٌ الجحْدَرِيُّ، وابْنُ أبي عُبلَةَ: بكسْرِ الذَّالِ[2].

قالَ الفرَّاءُ: الذُّلُّ: أنْ تتذَلَّلَ لهُما، مِنَ الذُّلِ، والذُّلُّ: أنْ تتذَلَّلَ ولسْتَ بذَليلٍ في الخِلْقةِ[3]، والذُّلُّ والذِّلَّةُ: مصْدرُ الذَّليلِ، والذِّلُّ، بالكسْرِ: مصْدرُ الذَّلُولِ؛ مثْلُ الدَّابَّةِ والأرْضِ[4].

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: مَن قرَأ «الذِّل» بكسْرِ الذَّالِ، جعَلَه بمعْنى الذُّلِّ، بضمِّ الذَّالِ، والَّذي عليه كُبراءُ أهْلِ اللُّغةِ أنَّ الذُّلَّ؛ مِنَ الرَّجُلِ الذَّليلِ، والذِّل مِنَ الدَّابَّةِ الذَّلُولِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾؛ أي: مثْلَ رحْمتِهما إيَّاي في صِغَري حتَّى ربَّياني، وقد ذهَب قوْمٌ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ المطلَقَ نُسِخَ منه الدُّعاءُ لأهْلِ الشرْكِ بقوْلِه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٨)، والكامل (ص: ٥٨٧).

(٣) في (م): الخدمة.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٢).

لِلْمُشْرِكِينَ ﴾، وهـذَا المعْنَى منْقُولٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، والحسَـنِ، وعِكْرِمَـةَ، ومُقاتِـلٍ(١).

ولَا أرَى هـذا نسْـخًا عنْـدَ الفُقهـاءِ؛ لأنَّـه عـامٌّ دخلَـهُ التَّخْصِيـصُ، وقـد ذكَـرَ قرِيبًـا ممَّـا قلْتُـه ابْـنُ جريـرٍ(٢).

قوْلُـه تعَـالَى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾؛ أي: بِـمَا تُضْمِـرُون مِـنَ الْـبرِّ والعُقُـوقِ، فمَـنْ بـدرَتْ منْـهُ بـادِرةٌ وهـوَ لا يُضْمِـر العُقـوقَ؛ غفـر لـه ذلِـكَ، وهــو قوْلُــه تعَــالَى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾؛ أي: طائِعِــينَ للهِ، وقيــل: بارِّيــنَ، وقِيــل: توَّابِــين، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ فِي الأَوَّابِ عــشْرَةُ أقــوَالٍ:

أحدُها: أنَّه المسْلِمُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّـاني: أنَّـه التَّـوَّابُ، رَواه أبـو صالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبِـهِ قـالَ مُجاهِـدٌ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، و الضَّحَّـاكُ، وأبـو عُبيـدةَ(٣).

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: هـوَ التَّائبُ مـرَّةً بعْدَ مـرَّةٍ(٤). وقـالَ الزَّجَّاجُ: هـوَ التَّوَّابُ المقلِـعُ عـنْ جمِيعِ ما نهَـاهُ اللهُ عنْـهُ، يُقال: قـدْ آبَ يـؤُوبُ أوْبًـا؛ إذَا رجَعَ(٥).

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٥).

والثَّالث: أنَّه المُسَبِّحُ، رَواه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والرَّابع: أنَّه المطِيعُ للهِ تعَالى، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحَةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والخامِس: أنَّه الَّذِي يذْكُر ذنْبَه في الخلَاءِ، فيَسْتغْفِرُ اللهَ منْه، قالَه عُبيدُ بْنُ عُمَيْرٍ.

والسَّادس: أنَّه المقبِلُ إلى اللهِ تعَالى بقلْبِه وعمَلِه، قالَه الحسَنُ.

والسَّابع: المصلِّي، قالَه قتادَةُ.

والثَّامن: هوَ الَّذِي يُصلِّي بيْنَ المغْربِ والعِشاءِ، قالَه ابْنُ المنْكَدِرِ.

والتَّاسع: الَّذِي يُصلِّي صلاةَ الضُّحَى، قالَه عوْنٌ العُقيليُّ.

والعَاشِر: أنَّه الَّذِي يُذْنِب سِرًّا ويتُوبُ سِرًّا، قالَه السُّدِّيُّ.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه قرابةُ الرَّجُلِ مِن قِبَلِ أبيهِ وأُمِّهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ؛ **فعلَى هذَا في حقِّهِم ثلاثةُ أقْوالٍ:**

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٢) من طريق عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ قال: المسبحين.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن علّي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ يقول: للمطيعين المحسنين.

أحدُها: أنَّ المرَاد بِهِ: بِرُّهُم وصِلتُهُم.

والثَّاني: النَّفقَةُ الوَاجِبةُ لهُم وقْتَ الحاجَةِ.

والثَّالث: الوصِيَّةُ لهُم عنْدَ الوفَاةِ.

والثَّاني: أنَّهُم قَرابةُ الرَّسُولِ، قالَه عليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السلام، والسُّدِّيُّ. فعَلى هذَا، يكونُ حقُّهُم: إعْطاؤُهم مِن الخُمس، ويكونُ [٤٧٤/أ] الخِطَابُ للْولَاةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: يجُوز أن يكونَ المرَادُ: الصَّدقَاتِ الواجِبةَ، يعْنِي: الزَّكاةَ، ويجُوزُ أن يكونَ الحقّ الَّذي يلْزمُه إعْطاؤُه عنْد الضَّرورةِ إليْهِ.

وقيلَ: حقُّ المسْكِين: مِنَ الصَّدقَةِ، وابْنُ السَّبيلِ: مِنَ الضِّيَافةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ فِي التَّبْذِيرِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه إنْفاقُ المالِ في غيْر حقٍّ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ.

وقالَ مُجاهِدٌ: لو أنْفقَ الرَّجُلُ مالَه كلَّه في حقٍّ، ما كانَ مُبذِّرًا، ولو أنْفقَ مُدًّا في غيْرِ حقٍّ، كان مُبذِّرًا(١).

قالَ الزَّجَّاجُ: التَّبْذِيرُ: النَّفقَةُ في غير طاعَةِ اللهِ، وكانَتِ الجاهليَّةُ تنْحَرُ الإبِلَ وتُبذِّرُ الأمْوالَ تطْلُب بذلِك الفخْرَ والسُّمعةَ، فأمَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالنَّفقَةِ فِي وجْهِهَا فيمَا يقربُ منْهُ(٢).

---

(١) ذكر ذلك عنه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٩) بلا إسناد، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٥).

والثَّاني: أنَّه الإسْرافُ المتْلِفُ للمَالِ، ذكرَهُ الماوردِيُّ(١).

وقالَ أبو عُبيدةَ: المبذِّرُ: هوَ المسْرِفُ المفْسِدُ العائِثُ(٢).

قوْلُه تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾؛ لأنَّهم يُوافِقُونَهُم فيما يدْعُونَهُم إليْهِ، ويُشاكِلُونَهم في معْصِيةِ اللهِ، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾؛ أي: جاحِدًا لِنعَمِه. وهذَا يتضمَّنُ أنَّ المسْرِفَ كفُورٌ للنِّعَمِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ في المشَارِ إليْهِم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم الَّذِينَ تقدَّمَ ذكْرُهُم مِنَ الأقَارِبِ والمسَاكِينِ وأبْناءِ السَّبِيل، قالَهُ الأكْثَرُون.

فعَلى هذَا في عِلَّةِ هذَا الإعْراضِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الإعْسَارُ، قالَه الجمْهُورُ.

والثَّاني: خوْفُ إنْفاقِهِم ذلِك في معْصِيةِ اللهِ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

وعلَى هذَا في الرَّحمَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الرِّزقُ، قالَه الأكْثَرُونَ.

والثَّاني: أنَّه الصَّلاحُ والتَّوْبةُ، هذَا علَى قوْلِ ابْنِ زيْدٍ.

والثَّاني: أنَّهُمُ المشْرِكُونَ، فالمعْنَى: فإمَّا تُعْرِضَنَّ عنْهُم لِتكْذِيبِهِم، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

---

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٣٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٤).

فتَحْتَمِلُ إذًا الرَّحمَةُ وجْهَيْنِ:

أحدُهما: انْتِظارُ النَّصْرِ عليْهِم.

والثَّاني: الهِدايةُ لهُم.

والثَّالث: أنَّهُم ناسٌ مِن مُزينةَ جاؤوا يستحْمِلُونَ رسُولَ اللهِ ﷺ، فقَالَ: لا أجِدُ ما أحْمِلُكُم عليه، فبَكَوا، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه عطاءٌ الخُراسَانيُّ.

والرَّابع: أنَّها نزَلَتْ في خَبَّابٍ، وبلَالٍ، وعمَّارٍ، ومهجعٍ[1]، ونحْوِهِم مِنَ الفُقَراءِ، كانُوا يسْأَلُون رسُولَ اللهِ ﷺ فلا يجِدُ مَا يُعطِيهم، فيُعْرِضُ عنْهُم ويسْكُت، قالَه مُقاتِلٌ[2].

فعَلى هذا القوْلِ والَّذِي قبْلَه تكونُ الرَّحْمَةُ بمعْنَى الرِّزقِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: ليِّنًا هيِّنًا، وهوَ مِنَ اليُسرِ[3].

وللمُفسِّرينَ فيهِ ثلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه العِدَةُ الحسَنَةُ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

---

(١) مِهجعُ بن صالح، مولى عمر بن الخطاب. ويقال إنّه من أهل اليمن أصابه سبيٌ فَمَنّ عليه عُمَر بْن الخطاب. وكان من المهاجرين الأولين. وقتل يوم بدْر بين الصفين. لا عقب له. انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٩)، والاستيعاب (٤/ ١٤٨٦) ترجمة (٢٥٧٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٥).

والثَّاني: أنَّه القوْلُ الجميلُ؛ مثْلُ أنْ يقُولَ: رزقَنا اللهُ وإيَّاكَ، قالَه ابْنُ زيْدٍ؛ وهذَا علَى مَا تقدَّمَ مِن قوْلِه.

والثَّالث: أنَّه المدَارَاةُ لهُم باللِّسانِ، على قوْلِ مَنْ قالَ: هُمُ المشْرِكُونَ، قالَه أبو سُليمانُ الدِّمشقِيُّ؛ وعلَى هذَا القوْلِ، تحْتمِلُ الآيةُ النَّسْخَ. [٤٧٤/ب]

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩ - ٣١].

قوْلُه تعَالَى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾.

سببُ نُزولِها: أنَّ غُلامًا جاءَ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فقَالَ: إنَّ أُمِّي تسْألُك كذَا وكذَا، قالَ: مَا عنْدَنَا اليَوم شَيْءٌ، قالَ: فتَقُول لكَ: اكْسُنِي قمِيصَك، قالَ: فخَلعَ قمِيصَهُ فدَفعَه إليْهِ، وجلَسَ في البيْتِ حاسِرًا، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ(١).

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٤) (٥٧٥) من طريق سليمان بن سفيان الجهني قال: حدثنا قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: جاء غلام إلى رسول الله - ﷺ - فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: "مَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَيْءٌ"، قال: فتقول لك اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسرا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾... الآية. وإسناده ضعيف بسبب سليمان الجهني. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٠٩) ترجمة رقم: (٣٤٧٠)، وبسبب قيس بن الربيع، انظر: تقريب التهذيب (٢/ ١٢٨) ترجمة رقم: (١٣٩)، ومعناه غريب كذلك. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٧٦) إلى ابن جرير.

ورَوى جابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ نحْوَ هذَا، فزَادَ فيهِ، فأذَّنَ بِلالٌ للصَّلاةِ[١]، وانْتَظَرُوه فلم يخْرُجْ، فشُغِلَ قلُوبُ الصَّحابةِ، فدخَلَ عليْهِ بعْضُهُم، فرَأَوْهُ عُريانًا، فنزلَتْ هذه الآيَةُ[٢].

والمعْنَى: لَا تُمْسِكْ يدَكَ عنِ البذْلِ كُلَّ الإمْساكِ حتَّى كأنَّها مقْبُوضةٌ إلى عُنُقِكَ.

---

(١) هذا من أمارات ضعف هذا الأثر؛ لأنَّ السورة مكية، ولم يكن يؤذن للصلاة بمكة، بل بدأ الأذان بالمدينة كما ذكر الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه"، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]، وقوله عز وجل: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال الحافظ ابن حجر: يشير بذلك إلى أن ابتداء الأذان كان بالمدينة؛ لأنَّ ابتداء الجمعة إنما كان بالمدينة، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في هذا الباب ظاهر في أن الأذان إنما شرع بعد الهجرة؛ لقوله: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يومًا في ذلك... الحديث (٦٠٤) عند البخاري، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٨٠)، وذكره الإمام مسلم أيضًا في الصحيح، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان (٣٧٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٧) بدون إسناد، قال جابر بن عبد الله: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدًا فيما بين أصحابه أتاه صبي فقال: يا رسول الله إن أمي تستكسيكَ درعًا ولم يكن عند رسول الله - ﷺ - إلا قميصه، فقال للصبي: "من ساعة إلى ساعة يظهر كذا، فعد إلينا وقتا آخر"، فعاد إلى أمه، فقالت قل له: أمي تستكسيك القميص الذي عليك، فدخل رسول الله - ﷺ - داره ونزع قميصه وأعطاه، وقعد عريانا، فأذن بلال للصلاة فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم فرآه عريانًا، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية. قال ابن حجر في الكافي الشاف (٩٩): لم أجده.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾: في الإِعْطَاءِ والنَّفقةِ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ تلومُ نفسُكَ ويلُومُكَ النَّاسُ.

﴿مَّحْسُورًا﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: تَحْسِرُكَ العطيَّةُ وتَقْطَعُكَ كما يَحْسِرُ السَّفرُ البَعِيرَ فيبْقَى مُنْقطعًا به[1].

قالَ الزَّجَّاجُ: المحْسُورُ: الَّذِي قدْ بلَغَ الغَايةَ في التَّعَبِ والإِعْيَاءِ. فالمعْنَى: فتقْعُدُ وقدْ بلغتَ فِي الحِملِ علَى نفْسِك وحالِكَ حتَّى صرْتَ بمنْزِلةِ مَن قد حُسِر[2].

قالَ القاضِي أبو يعْلَى: وهذا الخِطَابُ أُريد بهِ غيْرُ رسُولِ الله ﷺ؛ لأنَّه لم يكُنْ يدَّخرُ شيئًا لِغدٍ، وكان يجُوع حتَّى يشدَّ الحجرَ علَى بطْنِه، وقد كانَ كثيرٌ مِن فُضلاء الصَّحابةِ يُنْفِقونَ جميعَ ما يمْلِكُونَ، فلَمْ ينْهَهُمُ اللهُ تعَالى، لِصحَّةِ يقينِهم، وإنَّما نهَى مَن خِيفَ عليْهِ التَّحسُّرِ علَى ما خرَج مِن يدِه، فأمَّا مَن وثِقَ بوعْدِ اللهِ تعالى، فهو غيْرُ مُرادٍ بالآيةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يوسِّعُ علَى مَن يشَاءُ ويُضيِّق، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ حيْثُ أجْرَى أرْزَاقَهُم علَى ما علِمَ فيهِ صلَاحَهُم.

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٦).

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ قد فسَّرْناه في الأنعام [آية: ١٥١].

قوْلُه تعالى: ﴿كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ قرَأ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «خِطْئًا» مكسُورةُ الخاءِ ساكِنَةُ الطَّاءِ مهْمُوزةٌ مقْصُورةٌ.

وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وعطَاءٌ: «خِطَاءً» مكْسُورةُ الخَاءِ ممْدُودةٌ مهْمُوزةٌ. وقرَأ ابْنُ عامِرٍ: «خَطَأً» بنصْب الخَاءِ والطَّاءِ وبالهمْزِ مِن غيْرِ مَدٍّ، وقرَأ أبو رَزِينٍ كذلِكَ، إلَّا أنَّه مدّ(١).

وقرَأ الحسَنُ: وقتادَةُ: «خَطْئًا» بفتْحِ الخاءِ وسُكونِ الطَّاءِ مهْموزٌ مقْصورٌ. وقرَأ الزُّهْرِيُّ، وحُميدُ بْنُ قيْسٍ(٢): «خِطًى» بكسْرِ الخاءِ وتنْوِينِ الطَّاءِ مِن غيْرِ همْزٍ ولا مَدٍّ(٣).

قالَ الفرَّاء: «الخِطْءُ»: الإثْمُ، وقد يكونُ في معْنَى خطَأٍ؛ كما قالُوا: قِتْبٌ وقَتَبٌ، وحِذْرٌ وحَذَرٌ، ونِجْسٌ ونَجَسٌ(٤). والخِطْءُ، والخِطَاءُ، والخَطَاءُ، ممدودٌ؛ لُغاتٌ. وقالَ أبو عُبيده: خَطِئتُ وأخْطأْتُ، لُغتانِ(٥).

---

(١) قراءات سبعية، وعشرية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩ - ١٤٠)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٧).

(٢) هو حميد بن قيس، أبو صفوان الأعرج، المكي، المقرئ، روى عن مجاهد وعكرمة وطائفة، وروى عنه: مالك، والسفيانان، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر: طبقات القراء (١/ ٢٦٥)، وتقريب التهذيب (١/ ٢٠٣)، والخلاصة (١/ ٢٦٠).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ١٩)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢/ ١٢٣)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٧٦).

وقالَ أبو عليٍّ: قِراءة ابْنِ كثِيرٍ: «خِطاءً»، يجُوز أن تكونَ مصْدرَ خاطَأَ وإنْ لم يُسمعْ خاطَأَ، ولكن قد جاءَ مَا يدُلُّ عليْه[1]، أنْشدَ أبو عُبيدةَ[2][قولَه][3] [من المتقارب]: [٤٧٥/أ]

تَخَاطَأَتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ ....[4]

وقالَ الأخْفَشُ: خَطِئَ يَخْطَأُ بمعْنَى: أَذْنَب، وليْس بمعْنَى: أخْطَأَ؛ لأنَّ أخْطَأَ: فيمَا لم يصنعْهُ عمْدًا[5]، تقُول فيما أتَيْتَه عمْدًا: خَطِئْتُ، وفيمَا لم تتعمدْهُ[6]: أخْطَأْتُ[7].

وقالَ ابْنُ الأنباري: الخِطْءُ: الإثْمُ، يُقال: قد خَطِئَ يَخْطَأُ: إذا أَثِمَ، وأخْطَأَ يُخطِئُ: إذا فارَق الصَّوابَ. وقد شرحْنا هذا في سُورة[8] يُوسفَ عند قوْله: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِـِٔينَ﴾ [آية: ٩١].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٩٦- ٩٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٥).

(٣) من (ر).

(٤) صدر بيت لأَوْفى بن مَطَر المازني، كما في سمط اللآلي في مجاز القرآن (٢/ ٥)، وشرح أمالي القالي (١/ ٤٦٥)، وشرح أبيات المغني (٧/ ٤١)، وبلا نسبة في الديباج لأبي عبيدة (ص: ٥)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٩٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٩٤)، وعجزه:

.... *** وَوَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ أَعْجَلِ

(٥) في (ر): عدًا.

(٦) في (ر): يتعمده.

(٧) معاني القرآن (٢/ ٤٢٢).

(٨) ليست في (س).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢ - ٣٣].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوْزاءِ، والحَسَنُ: بالمدِّ[١].

قالَ أبو عُبيدةَ: وقد يُمدُّ الزِّنا في كلَامِ أهْلِ نجْدٍ[٢]، قالَ الفرزْدَقُ [من الطويل]:

أَبا حَاضِرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِنَاؤُهُ ... وَمَنْ يَشْرَبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرا[٣]

وقالَ أيْضًا [من الكامل]:

أَخْضَبْتَ فِعْلَكَ للزِّنَاءِ وَلَمْ يَكُنْ[٤] ... يَوْمَ اللِّقَاءِ لِتَخْضِبَ الأَبْطَالَا[٥]

وقالَ آخَرُ [من الكامل]:

.... كَمَا ... كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ[٦]

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٧).

(٣) البيت له في مجاز القرآن (١/ ٣٧٧)، والصحاح (٢/ ٦٨٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٦)، والمخصص (٥/ ١٥) بلفظ: (أبا خالد).

(٤) في (س)، و(م): تكن.

(٥) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١/ ٣٧٧).

(٦) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه (ص: ٣٥)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١٥٤)، وسط اللآلي (١/ ٣٦٨)، ولسان العرب (٣/ ١٨٧٥) (زني)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛=

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قد ذكرْناه في الأنعام [آية: ١٥١].

قوْلُه تعَالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: الأجْودُ إدْغامُ الدَّالِ معَ الجِيمِ، والإظْهارُ جيِّدٌ بالِغٌ، إلَّا أنَّ الجِيمَ مِن وسَطِ اللِّسانِ، والدَّالَ مِنْ طرفِ اللِّسانِ، والإدْغامُ جائِزٌ؛ لأنَّ حُروفَ وسَطِ اللِّسانِ تقربُ مِن حُروف طرفِ اللِّسان. ووليّه: الذي بيْنَه وبيْنَه قرَابةٌ تُوجِبُ المطالبةَ بدَمِه، فإنْ لم يكُن له[1] وليٌّ، فالسُّلطانُ وليُّه[2].

وللمفَسِّرينَ في السُّلطانِ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّه الحُجَّة، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الوَالي، والمعْنَى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ ينْصُرُه وينْصِفُه في حقِّه، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

(وفي قوْلُه)[3]: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ قرَأ ابْنُ كثير، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ: «فَلَا يُسْرِفْ» باليَاءِ. وقرَأ ابْنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسائِيُّ: بالتَّاء[4].

=للفراء مجاز القرآن (١/ ٣٧٨)، تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٦)، وتفسير الطبري (٣/ ٣١٢)، وصدره:

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا نَقُولُ كَمَا *** ....

(١) ليست في (س).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٧).

(٣) في (س): قوله، وفي (م): قوله تعالى.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٥).

وفي المشارِ إليهِ بالآيَةِ(١) قولانِ:

أحدُهما: أنَّه وليُّ المقتُولِ.

وفي المرادِ بإسْرافِهِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنْ يقتُلَ غيرَ القاتِلِ، قالَه ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ.

والثَّاني: أنْ يقتُلَ اثنَيْنِ بواحِدٍ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: أنْ يقتُلَ أشْرَفَ مِنَ الَّذي قُتِلَ، قالَه ابنُ زيْدٍ.

والرَّابع: أنْ يُمثِّلَ قالَه قتادَةُ.

والخامِس: أنْ يتولَّى هوَ قتْلَ القاتِلِ دُونَ السُّلطَانِ، ذكَرَه الزَّجَّاجُ(٢).

والثَّاني: أنَّ الإشارةَ إلى القاتِلِ الأوَّلِ. والمعْنَى: فلا يُسرِفِ القاتِلُ بالقتْلِ تعَدِّيًا وظُلمًا، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾؛ أي: مُعانًا عليْهِ.

وفي هاءِ الكنَايةِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ترجِعُ إلى الوليِّ، فالمعْنَى: أنَّه كانَ منْصُورًا بتمْكِينِه مِن القوَدِ، قالَه قتادَةُ والجمْهُور.

والثَّاني: أنَّها ترجِعُ إلى المقتُولِ، فالمعْنَى: أنَّه كانَ منْصُورًا بقتْلِ قاتِلِه، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) في (م): في الآية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٧).

والثَّالث: أنَّها ترجِعُ إلى الدَّم، فالمعْنَى: أنَّ دمَ المقتُولِ كانَ منْصُورًا؛ أي: مطْلوبًا بِهِ.

والرَّابع: أنَّها ترجِعُ إلى القتْلِ، ذكرَ القوْلَيْنِ الفرَّاءُ[1].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤ - ٣٦].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ قد شرحْنَاهُ في الأنْعام [آية: ١٥٢]. [٤٧٥/ب]

قوْلُه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾ وهو عامٌّ فيما بيْنَ العبْدِ وبيْنَ ربِّه، وفيما بيْنَه وبيْنَ النَّاسِ.

قالَ الزَّجَّاجُ: كُل ما أمرَ اللهُ بِهِ ونَهى عنْه فهوَ مِنَ العهْدِ[2].

قوْلُه تعالى: ﴿ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ قالَ ابْنُ قُتيبةَ: أي: مسْؤولًا عنْهُ[3].

قوْلُه تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾؛ أي: أتمُّوه ولا تبْخَسُوا منْهُ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾.

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٨)، وعبارته في النسخة المطبوعة: والعَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللهُ عَلَيْه، وكل ما بينَ العِبادِ من المواثيق فهيَ عُهُود.

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٦).

فيهِ خمسُ لُغاتٍ:

أحدُها: قُسطَاسٌ بضَمِّ القافِ وسِينَيْنِ، وهذِه قِراءةُ ابْنِ كثِيرٍ، ونافِعٍ، وأبي عمْرٍو، وابْنِ عامِرٍ، وأبي بكْرٍ عنْ عاصِمٍ هاهُنا، وفي الشُّعراء [آية: ١٨٢].

والثَّانية: كذلِك، إلَّا أنَّ القافَ مكْسُورةٌ، وهذِه قِراءةُ حمْزةَ، والكِسَائِيِّ، وحفْصٍ عنْ عاصِمٍ[1]. قالَ الفرَّاء: هُمَا لُغتانِ[2].

والثَّالثة: قُصْطَاصٌ، بصَادَيْنِ[3].

والرَّابعة: قُصْطَاسٌ، بصادٍ قبْلَ الطَّاءِ وسِينٍ بعْدَها، وهاتَانِ مرْوِيَّتانِ عنْ حمْزَةَ[4].

والخامِسة: قُسْطَان، بالنُّونِ.

قالَ الشَّيخُ[5]: قرأْتُ علَى شيخِنَا أبي منْصُورٍ اللُّغويِّ عنِ ابْنِ دُريدٍ قالَ: القُسْطَاسُ: الميزَانُ، رُومِيٌّ معرَّبٌ، ويُقالُ: قُسْطَاسٌ، و قِسْطَاسٌ[6].

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٠).

(٢) لغات القرآن (ص: ٨٠).

(٣) رواية (قصطاص) هي رواية عبيد الله بن موسى العبسي، عن حمزة، كما في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٤) رواية (قصطاس) هي رواية الأعشى عن شعبة، كما في جامع البيان؛ للداني (٣/ ١٠٢٤)، وزاد الأشموني عنه، والكامل؛ للهذلي (ص: ٥٠٧)، وزاد أنَّها رواية قنبل، وعزاها مكي في الهداية (٦/ ٤١٩٩) للأعمش عن أبي بكر.

(٥) قوله: (قال الشيخ) ليس في (ر)، و(س)، و(م).

(٦) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٩٩).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: ذلِـك الوفَـاءُ خـيْرٌ عنْـدَ اللهِ وأقْـربُ إليْـهِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ أي: عَاقِبـةً في الجـزَاءِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

قـالَ الفـرَّاءُ: أصْـلُ «تَقْـفُ» مِـن القِيَافَـةِ؛ وهـيَ تتبُّـعُ الأثـرِ، وفيـهِ لُغتـانِ: قَفَـا يَقْفُـو، وقَـافَ يَقُـوفُ، وأكْثـرُ القُـرَّاءِ يجْعَلُونَهـا مِـن قفَـوْتُ، فيُحـرِّكُ الفـاءَ إلى الـواوِ ويجْـزِمُ القـافَ؛ كـما تقُـول: لَا تَـدْعُ[1].

وقـرَأ مُعـاذٌ القَـارِئُ: «لَا تَقُـفْ»[2]؛ مِثْـلُ: تَقُـلْ؛ والعـرَب تقُـولُ: قُفْـتُ أثَـرَه، وقفَـوْتُ، ومثْلُـه: عَـاثَ وعَثَـى، وقـاعَ الجمَـلُ النَّاقـةَ وقَعَـا؛ إذَا رَكِبهَـا[3].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرَأَ بإسْـكانِ الفـاءِ وضَـمِّ القـافِ؛ مِـن قـافَ يقُـوفُ، فكأنَّـه مقْلُـوبٌ مِـن قفَـا يقْفُـو، والمعْنَـى واحـدٌ؛ تقُـول: قفـوْتُ الـشَّيءَ أقْفُـوه قفْـوًا؛ إذا تبعْـتُ أثَـرَهُ[4].

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـة: «لا تقْـفُ»؛ أي: لَا تُتْبِعْـه الظُّنُـونَ والحَـدْسَ، وهـوَ مِـنَ القفَـاءِ مأخُـوذٌ، كأنَّـك تقْفُـو الأُمُـورَ؛ أي: تكـونُ في أقْفائِهَـا وأواخِرِهَـا تتعقَّبهَا. والقائِـفُ: الَّـذي يعْـرِف الآثـارَ ويتبعُهَـا، فكأنَّـه مقْلُـوبٌ عنِ القَـافِي[5].

---

(١) لغات القرآن (ص: ٨٢)، ومعاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٢) قـراءة شـاذة، عزاهـا الكرمـاني في شـواذ القـراءات (ص: ٢٨٠) إلى الكلبـي، وانظـر: شـواذ ابـن خالويـه (ص: ٨٠)، والبحـر المحيـط (٧/ ٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للفراء .

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٥).

وللمُفسِّرينَ في المرَادِ بِهِ أربعَةُ أقْوَالٍ:

أحدها: لا تَرْمِ أحَدًا بما ليْس لكَ بهِ عِلْمٌ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: لا تقُلْ رأيْتُ ولمْ تَرَ ولَا سمِعْتُ ولم تَسْمَعْ، رَواه عُثمانُ بْنُ عطاءٍ، عنْ أبيهِ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادَةُ(٢).

والثَّالث: لا تُشْركْ باللهِ شيْئًا، رَواه عطاءٌ أيْضًا عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والرَّابع: لا تشْهَدْ بالزُّورِ، قالَه مُحَمَّدُ بْنُ الحنَفِيَّةِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

قالَ الزَّجَّاجُ: إنَّما قالَ: ﴿كُلُّ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿كَانَ﴾؛ لأنَّ كلًّا في لفْظِ الواحِدِ، وإنَّما قالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لغيْرِ النَّاسِ؛ لأنَّ كلَّ جمْعٍ أشَرْتَ إليْهِ مِن النَّاسِ وغيْرِهم مِنَ المَوَاتِ، تُشير إليْهِ بلفْظِ: «أولئك»(٣)، قالَ جَريرٌ [من الكامل]:

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ(٤)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٧) من طريق العوفي عن ابن عبَّاس قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يقول: لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤٧) من طريق معمر، عن قتادة ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قال: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٩).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ٤٥٢)، وفيه: (الأقوام) بدل: (الأيام)، وورد بهذه الرواية في معاني القرآن؛ للأخفش (٢/ ٦١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠)، و«تفسير الماوردي» (٣/ ٢٤٤)، و«ابن الجوزي» ٥/ ٣٥، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٩)، والثعلبي (١٦/ ٣٣٨)، وتفسير ابن عطية (٦/ ٢٠٦)، والمفصل في صنعة الإعراب (ص: ١٨٠)، والعقد الفريد (١/ ٣٣٩)، واللِّوى: اسم وادٍ من أودية بني سُلَيْم.

[٤٧٦/أ] قَالَ المفَسِّرونَ: الإِشَارَةُ إلى الجَوارِحِ المذْكُورةِ، يُسْأَلُ العَبْدُ يَوْمَ القِيامةِ فيما إذَا استعمَلَها، وفي هذا زجرٌ عنِ النَّظرِ إلى مَا لا يَحِلُّ، والاِسْتماعُ إلى مَا يَحْرُم، والعَزْمُ علَى مَا لَا يجُوزُ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وابْنُ يعْمُرَ: «مَرِحًا»[١] بكَسْرِ الرَّاءِ[٢].

قالَ الأخْفَشُ: والكسْرُ أجودُ؛ لأنَّ «مَرِحًا» اسْمُ الفاعِلِ[٣].

قَالَ الزَّجَّاجُ: وكِلاهُما في الجودَةِ سَواءٌ، غيْرَ أنَّ المصْدَرَ أوْكدُ في الاِسْتعمالِ؛ (تقُول: جاءَ زيْدٌ ركْضًا، وجاءَ زيْدٌ رَاكِضًا، فرَكْضًا أوْكدُ في الاِسْتعمالِ)[٤]؛ لأنَّه يدلُّ علَى توْكيدِ الفعْلِ. **وتأويلُ الآيةِ**: لا تمْشِ في الأرْضِ مختالًا فخُورًا[٥]. **والمرحُ**: الأشَرُ والبطَرُ.

وقالَ ابنُ فارسٍ: المَرَحُ شِدَّةُ الفَرَحِ[٦].

---

(١) ليست في (س).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٤).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (س).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٦) مجمل اللغة (ص: ٨٢٩).

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: لنْ تقطعَهَا إلى آخرِهَا.

والثَّاني: لن تنفُذَها وتنقُبهَا.

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: لن تخْرِقَ الأرْضَ بكبْرِكَ، ولنْ تبْلُغَ الجِبالَ طوْلًا بعظمَتِكَ(١).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والمعْنَى: أنَّهُ(٢) لَا ينْبَغِي للعَاجِزِ(٣) أن يبْذخَ ويسْتكبِرَ(٤).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «سَـيِّئَة» منوَّنـا غـيْرَ مُضـافٍ، علَى معْنَـى: كانَ خطِيئـةً؛ فعَـلى هـذا يكـونُ قوْلُـه: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشـارةً إلى المنْهـي عِنْـهُ مِـنَ المذْكُـورِ فقـط.

وقـرَأ عاصِـمٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وحمْـزةُ، والكِسَـائيُّ: «سَـيِّئُهُ» مُضافًـا مذكَّـرًا مرْفوعًـا(٥)، فتكـونُ لفْظـةُ ﴿كُلُّ﴾ يُشـار بهـا إلى جميـعِ(٦) مـا تقـدَّمَ ذكْـرُه(٧). وكان أبـو عمْـرٍو لَا يـرَى هـذِه القِـراءةَ.

---

(١) ذكـره الواحـدي في التفسـير الوسـيط (٣/ ١٠٨)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ٣٣٥)، وأخرجه الطـبري (١٧/ ٤٥٠) مـن طريـق معمـر، عـن قتـادة ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قال: لا تمش في الأرض فخـرًا وكـبرًا، فـإن ذلـك لا يبلـغ بـك الجبال، ولا تخـرق الأرض بكـبرك وفخرك.

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ر)، والمطبوع من غريب القرآن: للفاجر.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٥).

(٥) ليست في (م).

(٦) في (م): سائر.

(٧) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة (ص: ٣٨٠)، والإتحاف (ص: ٣٥٧).

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذا غلطٌ مِن أبي عمرٍو؛ لأنَّ في هذهِ الأقاصيصِ سيِّئًا، وحَسنًا وذلِك أنَّ فيها الأمْرَ بِبرِّ الوالِدينِ، وإيتاءِ ذِي القُرْبى، والوفاءِ بالعْهدِ، ونحْوِ ذلِك، فهذِه القِراءةُ أحْسنُ مِن قِراءةِ مَنْ نصَب السَّيِّئة[1].

وكذلك قالَ أبو عُبيدةَ[2]: تدبَّرتُ الآياتِ مِن قوْلِه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ فوجدْتُ فيها أُمورًا حسَنةً[3].

وقالَ أبو عليٍّ: مَن قرأَ «سَيِّئَةً» رأى أنَّ الكلامَ انْقطَعَ عنْدَ قوْلِه: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأنَّ قوْلَه: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا حُسْنَ فيه[4].

قوْلُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يُشير إلى ما تقدَّم مِنَ الفرائِضِ والسُّننِ، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: مِنَ الأُمورِ المحْكمَةِ والأدَبِ الجامِعِ لِكُلِّ خيْرٍ. وقد سبَقَ معْنى المدْحُورِ.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء: ٤٠].

قوْلُه تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾.

قالَ مُقاتِلٌ: نزلَتْ فِي مُشركي العربِ الَّذِين قالوا: الملائِكةُ بناتُ الرَّحمنِ[5].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٢) في الأصل، و(س): عبيد، والمثبت من (ر)، و(م).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨٠).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٠٢).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣١).

وقالَ أبو عُبيدةَ: ومعْنى ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: اخْتصَّكُم(١). وقالَ المفضَّلُ: أخْلصكُم(٢).

وقالَ الزَّجَّاجُ: أخْتار لكُم صفْوةَ الشَّيءِ(٣). وهذَا توْبِيخٌ للكُفَّارِ، والمعْنَى: أَخْتار لكُم البَنِينَ دُونَه، وجعَل البَناتِ مُشْتركةً بيْنَكُم وبيْنَه، فاخْتَصَّكُم بالأعْلَى وجعَلَ لنَفْسِه الأدْون؟.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معْنَى التَّصْرِيفِ هاهُنا: التَّبْيِينُ، وذلِك أنَّه إنَّما يُصرِّفُ القوْلَ لِيُبيِّنَ. [٤٧٦/ ب]

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: «صَرَّفْنَا» بمعْنَى: وَجَّهْنَا، وهوَ مِن قوْلِك: صَرَفْتُ إليْكَ كذَا؛ أي: عَدلْتُ بِهِ إليْكَ(٤)، وشُدِّدَ للتَّكْثِير؛ كما تقُول: فُتِّحتِ الأبْوَابُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ: «لِيذَّكَّرُوا» مُشدَّدًا(٥). وقرَأَ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وخلَفٌ: «لِيذْكُرُوا» مُخفَّفةً(٦)، وكذلِك قرَؤُوا في الفُرقان [آية: ٥٠].

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٠).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٣٩)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٠٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤١).

(٤) في (م): إليك كذا.

(٥) في (م): مشدد.

(٦) في (س): مخففًا، والقراءتان سبعيَّتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والتيسير؛ للدَّاني (ص: ١٤٠).

والتَّذكُّر: الاتِّعاظُ والتَّدبُّر. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تصْريفُنا وتذْكِيرُنا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ قالَ ابْنُ عبَّاس: ينْفِرُون مِنَ الحقِّ ويتَّبِعُون الباطِلَ[1].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٢ - ٤٤].

قوْلُه تعالى: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ قرَأَ نافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «تَقُولُونَ» بالتَّاءِ. وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «يَقُولُونَ» بالياءِ[2].

قوْلُه تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ **فيهِ قوْلانِ:**

أحدهما: لَابْتَغوا سَبِيلًا إلى مُمانعَتِه وإزالَةِ مُلْكِه، قالَه الحسَنُ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّاني: لَابْتَغوا سَبِيلًا إلى رِضاهُ؛ لأنَّهُم دُونه، قالَه قتَادةُ.

قوْلُه تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ، وأبو بكْرٍ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «يَقُولُونَ» بالياءِ. وقرَأَ حمْزةُ، والكِسائِيُّ: بالتَّاءِ[3].

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٤٢)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٠٨).

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والتيسير؛ للدَّاني (ص: ١٤٠).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر المصدر السابق.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ﴾ قـرَأ أبُـو عمْـرٍو، وحمْـزةُ، والكِسـائِيُّ، وحفْـصٌ عـن عاصِـمٍ: «تُسَـبِّحُ» بالتَّـاء. وقـرَأ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وابْـنُ عامِـرٍ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: «يُسَـبِّحُ» باليَـاءِ[1].

قـالَ الفـرَّاءُ: وإنَّـما حسُـنَتِ اليَـاءُ هاهُنـا؛ لأنَّـه عـدَدٌ قلِيـلٌ، وإذَا قـلَّ العدَدُ مِـنَ المؤنَّـثِ والمذكَّـرِ؛ كانَـتِ اليَـاءُ فيـهِ أحسَـن مِـنَ التَّـاءِ، قـالَ عـزَّ وجـلَّ فِي المؤنَّـثِ القَليـلِ: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٌ﴾ [يوسـف: ٣٠]، وقـالَ في المذكَّـرِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾[2] [التوبـه: ٥].

قالَ العُلَماءُ: والمرَادُ بِهذا التَّسْبيحِ: الدّلالَةُ على أنّه الخالِقُ القادِرُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ «إنْ» بمعْنَى: «مَا».

وهلَ هذَا علَى إطْلاقِهِ، أمْ لاَ؟ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: أنَّـه عـلَى إطْلاقـهِ، فـكُلُّ شيْءٍ يُسـبِّحُه حتَّـى الثَّـوْبُ والطَّعـامُ وصَريـرُ البـابِ، قالَـه إبْراهِيـم النَّخَعـيُّ.

والثَّاني: أنَّه عَامٌّ يُراد بِهِ الخاصُّ.

ثُم فيهِ ثَلاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه كُلُّ شيءٍ فيهِ الرُّوح، قالَه الحسَنُ وقتَادةُ والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: أنَّه كُلُّ ذي رُوحٍ، وكُلُّ نامٍ مِن شجَرٍ أو نبَاتٍ.

---

(١) قراءتـان سـبعيَّتان، انظـر: انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٨١)، وتفسـير البغـوي (٢/ ٦٨٤)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٣٠٧).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٤).

قالَ عكرِمةُ: الشَّجرَةُ تُسبِّحُ، والأُسْطُوانةُ لاَ(١) تُسبِّحُ(٢).

وجلَس الحسَنُ علَى طعَامٍ فقَدَّمُوا الخِوَانَ، فقِيلَ لَه: أَيُسَبِّحُ هذَا الخِوَانُ؟، فقَالَ: قَدْ كانَ يُسبِّحُ مرَّةً(٣).

والثَّالث: أنَّه كُلُّ شيْءٍ لم يُغيَّرْ عنْ حالِه، فإذَا تغيَّرَ انْقطَع تسْبِيحُه.

رَوى خالِدُ بْنُ مَعْدانَ عنِ المقْدَامِ بْنِ معدْي كَرِب قالَ: إنَّ التُّرَابَ يُسبِّح(٤) مَا لمْ يَبْتَلَّ، فإذَا ابْتَلَّ ترَكَ التَّسْبِيحَ، وإنَّ الورَقَةَ لَتُسبِّحُ(٥) مَا دامَتْ علَى الشَّجرَةِ، فإذَا سقَطَتْ ترَكتِ التَّسْبِيحَ، وإنَّ الثَّوْبَ لَيُسبِّح مَا دَام جَديدًا، فإذَا توَسَّخ ترَكَ التَّسْبِيحَ(٦).

---

(١) كذا في الأصل الخطية، وفي المصادر بدون (لا).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٥٥)، من طريق يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ قال: الشجرة تسبح، والأسطوانة تسبح. وأخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا في الهواتف (ص: ١٢١)، رقم (١٤٥) من طريق يحيى بن واضح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩١) إلى أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الهواتف (ص: ١٢١) رقم (١٤٣) من طريق أبي تميلة، عن جرير أبي الخطاب العدوي، قال: كنت مع الحسن على خوان فقال له يزيد الرقاشي: يسبح هذا الخوان؟ قال: «قد كان يسبح مرة». وأخرجه الطبري أيضًا في تفسيره (١٧/ ٤٥٦) من طريق يحيى بن واضح وزيد بن حباب، قالا ثنا جرير أبو الخطاب، قال: كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام، فقدّموا الخوان، فقال يزيد الرقاشي: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان: فقال: «كان يسبح مرّة».

(٤) في (م): ليسبح.

(٥) في (م): تسبح.

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٤٧) (١٧٠٥) من طريق أبي إسحاق إبراهيم=

فأمَّا تسْبيح الحيوَانِ النَّاطقِ فمعْلُومٌ، وتسْبِيحُ الحيَوانِ غيْرِ النَّاطقِ فجَائِزٌ[١] أن يكُونَ بصوْتِه، وجائِزٌ أن يكُونَ بدلَالتِهِ على صانِعِه. [٤٧٧/أ]

وفِي تسْبِيحِ الجمَادات ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه تسْبِيحٌ لَا يعْلمُه إلَّا اللهُ.

والثَّاني: أنَّه خُضوعُه وخُشوعُه للهِ.

والثَّالث: أنَّه دِلالتُه على صَانعِه، فيُوجب ذلِك تسْبِيح مُبْصرِه.

فإنْ قُلْنا: إنَّه تسْبيحٌ حقِيقةً، كانَ قوْلُه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لجمِيعِ الخلْقِ.

وإنْ قُلْنَا: إنَّه دِلالتُه علَى صانعِه، كانَ الخِطابُ للكفَّار؛ لأنَّهم لا يسْتَدِلُّون، ولَا يعْتبِرُون. وقد شرحْنَا معْنَى الحليم و الغفور في [سورة][٢] البقرة [آية: ٢٢٥].

=بن أحمد الخزاعي، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: إن التراب ليسبح ما لم يبتل، فإذا ابتلّ ترك التسبيح، وإن الخرزة لتسبح ما لم ترفع عن موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الماء ليسبح ما دام جاريًا، فإذا ركد ترك التسبيح، وإن الوحش إذا صاحت سبحت، وإذا سكتت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديدًا، فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الثوب الخلق لينادي في أول النهار: اللهم اغفر لمن نقاني. والإسناد فيه الخزاعي يخطئ ويخالف، وفيه أيضًا بقية كثير التدليس. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٩٦) بلفظ قريب من لفظ الثعلبي، بتقديم وتأخير فيه.

(١) في الأصل، و(ر)، و(س): جائز، والمثبت من (م).

(٢) من (م).

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا
﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟
عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً
أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ
يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٥٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الحِجابَ: هوَ الأكِنَّةُ على قُلوبِهم، قالَه قتَادةُ.

والثَّاني: أنَّه حِجابٌ يسْتُره فلا ترَونَهُ.

وقِيلَ: إنَّها نزَلَت في قوْمٍ كانُوا يُؤذونَ رسُولَ الله ﷺ إذا قرَأَ القُرآنَ.

قالَ الكلْبِيُّ: وهُم أبو سُفيانَ، والنَّضْرُ بنُ الحارِثِ، وأبو جهْلٍ، وأمُّ جَمِيلٍ امْرأةُ أبي لهَبٍ، فحَجبَ اللهُ رسُولَه عنْ أبْصارِهم عنْدَ قِراءةِ القُرآن، فكانُوا يأْتونَهُ ويمُرُّونَ بهِ، فَلا يروْنَهُ[1].

والثَّالث: أنَّه منْعُ اللهِ عزَّ وجَلَّ إيَّاهُم عنْ أذاهُ، حكاهُ الزَّجَّاجُ[2].

---

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٤٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

وفي معنَى ﴿مَّسْتُورًا﴾ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى: سَاتِر.

قالَ الزَّجَّاجُ: وهذَا قوْلُ أهْلِ اللُّغةِ[١]. قالَ الأخْفشُ: وقدْ يكونُ الفَاعِلُ فِي لفْظِ المفْعُولِ؛ كما تقُولُ: إنَّكَ مشْؤُومٌ علينَا، ومَيْمُونٌ علينَا، وإنَّما هوَ شَائِمٌ ويَامِنٌ؛ لأنَّه مِن «شَأَمَهُم» و«يَمَنَهُم»[٢].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: حِجابًا مسْتُورًا عنْكُم لا تَروْنَهُ، ذكرَهُ الماوردِيُّ[٣].

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: إذَا قِيلَ: الحِجَابُ: هوَ الطَّبْعُ على قلُوبِهم، فهوَ مسْتُورٌ عنِ الأبْصارِ، فيكونُ مسْتورًا باقيًا علَى لفْظِه.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ قد شرحْناه في [سُورة][٤] الأنْعام [آية: ٢٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يعْنِي: قلْتَ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنْتَ تتْلُو القُرآنَ ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ قالَ أبو عُبيدَةَ: أي: علَى أعْقَابِهم، ﴿نُفُورًا﴾ وهو: جمْعُ نافِرٍ، بمنْزلَةِ قاعدٍ وقُعودٍ، وجالِسٍ وجلُوسٍ[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٢٤٦).

(٤) من (م).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: تحتمِلُ مذْهَبَيْنِ:

أحدُهما: المصْدرُ؛ فيكونُ المعْنَى: ولَّوْا نَافِرِينَ نفُورًا.

والثَّاني: أنْ يكُونَ نفُورًا جمْعُ نافِرٍ[١].

وفي المشارِ إلَيْهِم قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّهُمُ الشَّياطِينُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّهمُ المشْرِكونَ، وهذَا مذْهَبُ ابْنِ زَيْدٍ.

قوْلُه تعَالَى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾.

قالَ المفَسِّرُونَ: أمَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ عليًّا -عليْهِ السَّلام- أنْ يتَّخِذَ طعَامًا ويدْعُو إليْهِ أشْرافَ قُريشٍ مِنَ المشْرِكينَ، ففَعَلَ ذلِك، ودخَلَ عليْهِم رسُولُ اللهِ -ﷺ- فقَرأ عليْهِمُ القُرآنَ، ودعَاهُم إلى التَّوحيدِ، وكانُوا يسْتَمِعُونَ ويقُولُون فيمَا بيْنَهُم: هوَ ساحِرٌ، هوَ مسْحُورٌ[٢]، (فنزَلَتْ هذِه الآيةُ)[٣]: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: يسْتَمِعُونَه، والباءُ[٤] زائِدةٌ.

[٤٧٧/ ب] ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ قالَ أبو عُبيدةَ: هيَ مصْدرٌ مِن ناجَيْتُ واسْمٌ مِنْها، فوُصِفَ القوْمُ بهَا، والعرَبُ تفْعَلُ ذلِك؛ كقوْلِهم: إنَّما هُمْ[٥]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

(٢) ذكر ذلك الواحديُّ في التفسير البسيط (١٣/ ٣٥١)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١١).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): التاء.

(٥) في (م): هو.

عـذَابٌ، وأَنْتُـم غَـمٌّ، فجـاءتْ فِي مَوْضِـع مُتناجِـين[١].

وقـالَ الزَّجَّـاجُ: والمعْنَـى: وإذْ هُـم ذَوُو نجْـوَى، وكانُـوا يسْـتَمِعُونَ مِـن رسُـولِ اللهِ ﷺ، ويقُولُـونَ بينَهُـم: هـوَ سـاحِرٌ، وهـوَ مسْـحُورٌ، ومَـا أشْـبهَ ذلِـك مِـنَ القـوْلِ[٢].

قوْلُه تعَـالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ يعْنِي: أولئك المشْرِكُونَ[٣] ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾؛ أي: ما تتَّبِعُون[٤] ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

وفيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الَّذِي سُحِر فذَهبَ بعقْلِه، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مخْدُوعًا مغْرُورًا، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالـث: لَـه سِـحْرٌ، أي: رِئـةٌ؛ وكُلُّ دابَّـةٍ أو طَائـرٍ أو بـشَرٍ يـأْكُل فهُـوَ: مسْـحُورٌ ومُسـحَّرٌ؛ لأنَّ لـه سِـحْرًا، قـالَ لَبِيـدٌ [مـن الطويـل]:

فَـإِنْ تَسْـأَلِينَا فِيـمَ نَحْـنُ فَإِنَّنَـا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَـذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ[٥]

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

(٣) في (س): المشركين.

(٤) في (ر)، و(س): يتبعون.

(٥) البيت للبيد في تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٠)، ومعـاني القـرآن وإعرابـه (٣/ ٢٤٣)، ومسـائل نافـع بـن الأزرق (ص: ٧٦)، ومجـاز القـرآن (١/ ٣٨١)، والعـين (٣/ ١٣٥)، والزاهـر؛ للأنبـاري (١/ ٢٠٦)، والبيـان والتبيـين (١/ ١٦٧)، والفاخـر (ص: ١٦٤).

وقالَ امْرؤُ القَيْسِ [من الوافر]:

أَرَانَا مُرْصِدِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ[1]

أي[2]: نُغذَّى؛ لأنَّ أهْلَ السَّماءِ لا يأْكُلُونَ، فأرَادَ أنْ يكُونَ ملَكًا. فعلَى هذَا يكُونُ المعْنَى: إنْ تَتَّبِعُونَ إلَّا رجُلًا لَه سَحْرٌ، خلَقَهُ اللهُ كخلْقِكُم، وليْسَ بمَلَكٍ وهذَا قوْلُ أبي عُبيدةَ[3].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: والقوْلُ قوْلُ مُجاهدٍ؛ [أي: مَخْدُوعًا][4]؛ لأنَّ السِّحرَ حيلةٌ وخدِيعةٌ، ومعْنَى قوْلِ لبِيدٍ: «المُسَحَّرِ»: المعلَّلِ، وقولِ امْرئِ القيْسِ: «وَنُسْحَرُ»؛ أي: نُعلَّلُ، وكأنَّا نُخدعُ، والنَّاس يقُولُون: سحَرْتَنِي بكلامِكَ؛ أي: خدَعْتَنِي، ويدلُّ عليْهِ قوْلُه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ لأنَّهم لوْ أرادُوا رجُلًا ذا رِئَةٍ، لم يكُنْ في ذلِكَ مَثَلٌ ضرَبُوه، فلمَّا أرادُوا مَخْدُوعًا -كأنَّه بالخَدِيعةِ سُحِر- كانَ مثلًا ضرَبُوه، وكأنَّهم ذهَبُوا إلى أنَّ قوْمًا يُعلِّمُونَهُ ويَخْدَعُونَهُ[5].

---

(١) البيت لأمرئ القيس؛ كما في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٥٦)، والعين (٣/ ١٣٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٥١١)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٦)، والزاهر (١/ ٧٩)، والصناعتين (ص: ١١١) بلفظ: (مُوضِعينَ) بدل: (مُرصدين).

(٢) في (ر): قوله أي.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٤) من (م).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٦).

قالَ المفسِّرُونَ: ومعْنَى ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بيَّنُوا لكَ الأشْباهَ، حينَ[١] شبَّهُوكَ بالسَّاحرِ والشَّاعرِ والمجْنُونِ ﴿فَضَلُّواْ﴾ عنِ الحقِّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ **فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: لا يجِدُونَ سَبِيلًا إلى تصْحِيحِ مَا يَعِيبُونَكَ بِه.

والثَّاني: لَا يسْتطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى الهُدى؛ لأنَّا طبعْنَا علَى قُلوبِهِم.

والثَّالثُ: لا يأْتُونَ سبِيلَ الحَقِّ؛ لِثقلِه عليْهِم؛ ومثْلُه قوْلُهم: لَا أسْتطِيعُ أنْ أنْظُرَ إلى فلانٍ، يعْنُونَ: أنَا مُبغِضٌ له، فنظَرِي إليْهِ يثْقلُ، ذكَرَهُنَّ ابْنُ الأنْبارِيِّ.

قوْلُه تعالَى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ: «أَيِذَا» بهمْزةٍ، ثُمَّ يأْتِي بياءٍ ساكنَةٍ مِن غيْرِ مدٍّ. {أَينَّا} مثْلُه، وكذلِكَ في كُلِّ القُرآنِ. وكذلِك روَى قالُونُ عنْ نافِعٍ، إلَّا أنَّ نافِعًا كانَ لَا يسْتفْهِمُ في «أَينَّا»، كانَ يجعَلُ الثَّاني خبرًا في كُلِّ القُرآنِ، وكذلِك مذْهَبُ الكِسائِيِّ، غيْرَ أنَّه يهمِزُ الأُولى همْزَتيْنِ.

وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ بِهمْزَتيْنِ في الحرْفَيْنِ جميعًا. وقرَأ ابْنُ عامرٍ: «إذا كُنَّا» [٤٧٨/ أ] بغَيْرِ اسْتفهَامٍ بِهمزةٍ واحدةٍ «آئنَّا» بهمْزَتيْنِ يُمدُّ بيْنَهُما مدة[٢].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ **فيهِ قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّه التُّرابُ، ولا واحِدَ لَه، فهوَ بمنْزلةِ الدُّقَاقِ والحُطَامِ، قالَه الفرَّاءُ[٣]، وهوَ مذْهَبُ مُجاهِدٍ.

---

(١) في (م): حتَّى.

(٢) كلها قراءات سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والنشر (١/ ٣٧٢).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٥).

والثَّاني: أنَّه العِظَامُ مَا لم تتَحَطَّمْ، والرُّفَاتُ: الحُطامُ، قالَه أبو عُبيدةَ[١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: الرُّفَاتُ: التُّرابُ. والرُّفَاتُ: كُل شيْءٍ حُطِمَ وكُسِرَ، و﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ في معْنَى مُجدَّدًا[٢].

قوْلُه تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه الموْتُ، قالَهُ ابْنُ عُمرَ، وابْنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، والأكْثَرُونَ.

والثَّاني: أنَّه السَّماءُ والأَرْضُ والجِبالُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالثُ: أنَّه[٣] ما يكْبُرُ في صُدورِكُم، مِن كُلِّ مَا اسْتعْظَمُوه مِنْ خلْقِ اللهِ تعَالى، قالَه قتادَةُ.

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قِيلَ لهُم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ وهمْ لا يقْدرون علَى ذلِك؟

فعَنْهُ جوَابَانِ:

أحدُهما: إنْ قدِرْتُم علَى تغْييرِ[٤] حالَاتِكُم، فكُونُوا حِجارةً أوْ أشدَّ منْهَا، فإنَّا نُميتُكُم، ونُنفِّذُ أحكامَنا فيكُم، ومثْلُ هذَا قوْلُكَ للرَّجُلِ: اصعَدْ إلى السَّماءِ فإنِّي لاحِقُك.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) في (م): تغيرُ.

والثَّـاني: تصَـوَّرُوا أنْفُسَـكُم حِجـارةً أوْ أصْلَـبَ منْهَـا، فإنَّـا سَـنُبِيدُكُم، قـالَ الأحْـوصُ [مـن الطويـل]:

إِذَا كُنـتَ عِزْهَـاةً عَـنِ اللَّهْـوِ وَالصِّبَى فَكُنْ حَجَرًا مِن يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا[١]

معنَـاهُ: فتصـوَّر نفْسَـك حجَـرًا، وهـؤُلَاءِ قـوْمٌ اعْترفُـوا أنَّ اللهَ خالقُهُـم، وجحَـدُوا البعْـثَ، فأُعْلِمُـوا أنَّ الَّـذي ابتـدَأ خلْقَهُـم هـوَ الَّـذِي يُحْيِيهِـم.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قـالَ قتـادةُ: يُحرِّكُونَهـا تكْذِيبًـا واسْـتهْزاءً[٢].

قـالَ الفـرَّاءُ: يُقـال أنْغَـض رأسَـه؛ إذا حرَّكَـه إلى فـوْق وإلَى أسْـفلَ[٣]. وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: المعْنَـى: يُحرِّكُونَهـا، كـما يُحـرِّكُ الآيـسُ مِـنَ الـشَّيءِ والمسْـتبعدُ لـه رأسَـه، يُقـال: نَغَضَـتْ سِـنُّهُ؛ إذا تحَرَّكَـتْ[٤].

---

(١) البيـت للأحـوص في كتـاب الألفـاظ؛ لابـن السـكيت (ص: ٣٩٨)، والشـعر والشـعراء (١/ ٥١٠)، وأمـالي الزجاجـي (ص: ٧٥)، وزهـر الآداب (٢/ ٤٠٦)، والحماسـة البصريـة (١/ ١٢٧)، وبـلا نسـبة في المخصـص (١٦/ ١٧٥)، والخصائـص (١/ ٢٢٩)، ، والمحكـم والمحيـط (١/ ١١٨)، وأسـاس البلاغـة (٢/ ١١٥) (عـزه)، في «اللسـان» العزهـاة: هـو الـذي لا يقـرب النسـاء. وفيـه انقبـاض وإعـراض. وصخـرة جلمـد: شـديدة مجتمعـة صلبـة.

(٢) أخرجـه عبـد الـرزاق في تفسـيره (١/ ٣٧٩) عـن معمر بـه، والطبري في تفسـيره (١٧/ ٤٦٧) مـن طريـق ابـن عبـد الأعـلى، قـال: ثنـا محمـد بن ثـور، عـن معمـر، عـن قتـادة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قـال: يحرّكون رءوسـهم.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ يعنون البعث ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أي: هوَ قريبٌ. ثُمَّ بيَّنَ متى يكونُ؟ فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يعني: مِنَ القُبور بالنِّداءِ الَّذي يُسمعكُم، وهوَ النَّفْخةُ الأخيرةُ ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي: تُجِيبُونَ.

قالَ مُقاتِلٌ: يقُوم إسْرافِيلُ علَى صخْرةِ بيْتِ المقدسِ يدْعُو أهْلَ القُبورِ في قرْنٍ، فيقُول: أيَّتُها العِظامُ البَالِيةُ، وأيَّتُها اللُّحومُ المتمزِّقةُ، وأيَّتُها الشُّعُور المتَفَرِّقةُ، وأيَّتُها العُروقُ المتقطّعةُ، اخرجُوا إلى فصْلِ القصاصِ[1] لِتُجزَوا بأعْمالِكم، فيَسْمَعُونَ الصَّوتَ، فيَسْعَوْن إليْهِ[2].

وفي معْنَى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بأمْرِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وابْنُ جُريجٍ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: يخرجُونَ مِنَ القُبورِ وهُم يقولُون: سُبْحانَك وبحمْدِك، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والثَّالث: أنَّ معْنَى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بمعْرِفتِه، وطاعَتِه، قالَه قتادَةُ.

قالَ الزَّجَّاجُ: تَسْتجِيبُون مُقرِّينَ أنَّه خَالِقُكُم[3].

[٤٧٨/ ب] والرَّابع: تجِيبُون بحمْدِ اللهِ لا بحمْدِ أنْفُسِكُم، ذكَرَهُ الماورديُّ[4].

---

(١) في (س)، و(م): القضاء.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٥).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٢٤٩).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فِي هذَا الظَّنِّ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه بمعْنَى اليَقِينِ.

والثَّاني: أنَّه على أصْلِه.

وأَيْن يظُنُّون أنَّهم لَبِثُوا قليلًا؟ فيهِ ثلَاثَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: بـيْنَ النَّفْختَـيْنِ، ومِقْـدَارُه أرْبَعُـون سـنَةً، ينْقَطِـعُ فِي ذلِـك العـذَابُ عنْهُـم، فـيَرَوْنَ لبثَهُـم في زمَـانِ الرَّاحـة قليـلًا، رَواه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ.

والثَّاني: فِي الدُّنْيا، لِعلْمِهِم بطُول اللُّبثِ فِي الآخِرَةِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: في القُبور، قالَه مُقاتِلٌ[١].

فعـلَى هـذَا إنَّـما قـصُر اللُّبْـثُ في القُبـورِ عنْدَهُـم؛ لأنَّهـم خرَجُـوا إلى مـا هـوَ أعْظَـمُ عذَابًـا مِـن عـذَابِ القُبـورِ.

وقـدْ ذهَـبَ بعْـضُ المفَسِّريـنَ إلى أنَّ هـذِه الآيـةَ[٢] خِطـابٌ للْمُؤمنِـينَ؛ لأنَّهـم يُجِيبـونَ المنادِي وهُـم يحْمَـدُون اللهَ عـلَى إحْسـانِه إليهِـم، ويَسـتَقلُّونَ مُـدَّةَ اللُّبـثِ في القُبـورِ؛ لأنَّهـم كانـوا غـيْرَ مُعذَّبِـينَ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥).

(٢) ليست في (س).

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ فِي سببِ نُزولِهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ المشركينَ كانُوا يُؤذُون أصْحابَ رسُولِ اللهِ ﷺ بمكَّةَ، بالقوْلِ والفعْلِ، فشكُوا ذلِك إلى رسُولِ اللهِ ﷺ[1]، فنزَلت هذِه الآيةُ. قالَه أبو صَالحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ رجُلًا مِن الكُفَّارِ شتَمَ عُمرَ بْنَ الخطَّابِ، فهَمَّ بهِ عُمرُ رضي الله عنه، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، قالَه مُقاتِلٌ[2]. والمعْنَى: وقُلْ لِعبادِي المؤمِنينَ يقُولوا الكلِمَةَ الَّتي هي أحْسنُ.

واخْتلَفُوا فيمَنْ يُقال[3] له[4] هذِه الكلِمَةُ على قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّهُم المشركُون. قالَ الحسَنُ: تقُول لَه: يَهْدِيك اللهُ[5]. وما ذكَرْنا مِن سبَبِ نُزول الآيةِ يؤيِّدُ هذا القوْلَ.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٨)، والتفسير البسيط (١٣/ ٣٦٥)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٢) من رواية الكلبي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٤٩).

(٣) في (م): تقال.

(٤) في (ر): لهم.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٦١)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٦٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ٩٩).

وذهَب بعْضُهم إلى أنَّهم أُمِروا بهذه الآيةِ بتحْسِينِ خِطابِ المشْركينَ قبْلَ الأمْرِ بقتَالِهم، ثُم نُسخَتْ هذه الآيةُ بآيةِ السَّيفِ.

والثَّاني: أنَّهمُ المسلِمُونَ، قالَه ابْنُ جريرٍ[١].

والمعْنَى: وقُل لِعبادِي يقُول بعْضُهم لِبعْضٍ الَّتي هيَ أحْسَن مِن المحاوَرةِ والمخَاطَبةِ.

وقد رَوى مُباركٌ، عنِ الحَسنِ قالَ: الَّتي هيَ أحْسنُ أنْ يقُولَ له مثْلَ قوْلِه، ولكن يقُول له: يرْحمُكَ اللهُ، ويغْفِرُ اللهُ لكَ[٢].

قالَ الأخْفشُ: وقوْلُه: ﴿يَقُولُوا﴾؛ مثْلُ قوْلِه: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٣]. وقد شرحْنا ذلك في سُورةِ إبْراهيمَ [آية: ٣١].

قوْلُه تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: يُفْسد ما بيْنَهم. والعدُوُّ المبينُ: الظَّاهِرُ العداوةِ.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٦٩) من طريق خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر، قال: أخبرنا المبارك، عن الحسن في هذه الآية ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك. وذكره مكي في الهداية (٦/ ٤٢٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٠١) إلى ابن جرير.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء: ٥٤].

قوْلُه تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فيمَنْ خُوطبَ بهذا قوْلانِ:

أحدُهما: أنّهمُ المؤمنون.

ثُمَّ في معْنَى الكلامِ قوْلانِ:

أحدُهما: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيُنجِّيكم مِن أهْلِ مكَّةَ، و﴿إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيُسلِّطُهم عليْكُم، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١).

والثَّاني: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتَّوبةِ، {أو يُعذبْكُم} بالإقامةِ على الذُّنُوبِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّهمُ المشرِكُون.

[٤٧٩/أ] ثُمَّ في معْنَى الكلامِ قوْلانِ:

أحدُهما: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيَهْدِيكُم للإيمانِ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيُمِيتُكم علَى الكفرِ، قالَه مُقاتلٌ(٢).

والثَّاني: أنَّه لمَّا نزَل القحْطُ بالمشْرِكينَ فقَالُوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ مَنِ الَّذي يُؤمِن، ومَنِ الَّذي لا يُؤمِن، ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيكْشِفُ القحْطَ عنكُم ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيترُكُه عليْكُم، ذكَره أبو سُليمان الدِّمشْقيُّ.

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٦٢) من رواية الكلبي.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٦).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: و«أَوْ» هاهُنا دخلَتْ لِسعَةِ الأمْرينِ عنْدَ اللهِ تعَالى، وأنَّه لا يُردُّ عنْهُما، فكانَتْ مُلحقةً بـ«أو» المبيحةِ في قوْلِهم: جَالِسِ الحسَنَ، أوِ ابْنَ سِيرينَ، يعْنُون: قد وسَّعنا لَك الأمْرَ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ فيهِ ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: كَفِيلًا تُؤخذُ[٢] بِهِم، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: حافظًا وربًّا، قالَه الفرَّاءُ[٣].

والثَّالث: كَفِيلًا بِهدايَتِهِم، وقادرًا علَى إصْلاحِ قُلوبِهِم، ذكَرَهُ ابْنُ الأنْباريِّ.

وذهَب بعْضُ المفَسِّرين إلى أنَّ هذَا منْسُوخٌ بآيَةِ السَّيْفِ[٤].

---

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٧/ ٦٨).

(٢) في (س): يؤخذ.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٥).

(٤) ذكر هذا القول ابن حزم في ناسخه (ص: ٣٤٥)، قال المصنف في كتاب نواسخ القرآن (ص: ٣٩٢): للمفسرين في معنى الوكيل ثلاثة أقوال:
أحدها: كفيلًا تؤخذ بهم، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.
والثَّاني: حافظًا وربًّا، قاله الفراء.
والثَّالث: كفيلًا بهدايتهم وقادرًا على إصلاح قلوبهم، ذكره ابن الأنباري.
وعلى هذا الآية محكمة، وقد زعم بعضهم: أنها منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح. وقال النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ١٣٦- ١٣٧): لا يحسن نسخ هذا؛ لأنه خبر، والمعنى الصحيح أنَّ النبي - ﷺ - ليس حفيظًا على من أرسل إليه بحفظ أعماله، إنما هو داع ومنذر ومبلغ -ومثله في الاختلاف- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ و﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ كله محكم غير منسوخ.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ لأنَّه خالِقُهم، فهدَى مَن شاءَ، وأضَلَّ مَنْ شاءَ، وكذلِك فضَّلَ بعْضَ النَّبيِّينَ علَى بعْضٍ، وذلِك عنْ حكْمةٍ منْهُ وعلْمٍ، فخلَقَ آدَمَ بيدِه، ورَفَع إدْريسَ، وجعَلَ الذُّرِّيَّةَ لِنُوحٍ، واتَّخذ إبْراهيمَ خليلًا، ومُوسى كليمًا، وجعَلَ عيسى رُوحًا، وأعْطَى سُليمانَ مُلْكًا جَسِيمًا، ورَفَع محمَّدًا ﷺ فوْقَ السَّمواتِ، وغفَرَ له ما تقَدَّمَ مِن ذنْبِه ومَا تأخَّرَ.

ويجُوزُ أنْ يكُونَ المفضَّلُون أصْحابَ الكُتُبِ؛ لأنَّه ختَمَ الكلَامَ بقوْلِه: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ وقد شرحْنا معْنَى الزَّبُور في سُورة النِّساءِ [آية: ١٦٣].

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ في سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ نفَرًا مِنَ العرَبِ كانُوا يعْبُدونَ نفَرًا مِنَ الجِنِّ، فأسْلَم الجِنُّ والنَّفرُ مِنَ العَرَبِ لا يشْعُرونَ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ والَّتي بعْدَها، رُوي عنِ ابْنِ مسْعُودٍ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧١٤)، من طريق عمرو بن علي، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، حدثني سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء=

والثَّاني: أنَّ المشْركِين كانوا يعْبُدونَ الملائكةَ، ويقُولونَ: هيَ تشْفَع لنَا عنْدَ اللهِ، فلمَّا ابْتُلوا بالقحْطِ سبعَ سِنين، قِيلَ لهُم: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾، قالَه مُقاتِلٌ(١).

والمعْنَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنَّهم آلهةٌ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لَه إلى غيْرِكُم.

قوْلُه تعَالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

فِي المشارِ إليْهِم بـ«أُولَئِكَ» ثلَاثةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهُم الجنُّ الَّذِين أسْلَمُوا.

والثَّاني: الملائِكةُ. وقد سبَقَ بيانُ القوْلَيْنِ.

والثَّالث: أنَّهُم المسِيحُ(٢)، والملائكةُ، والشَّمْسُ، والقمَرُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

وفي معْنَى «يَدْعُونَ» قوْلَانِ:

أحدُهما: يعْبُدونَ؛ أي: يدْعُونَهُم آلهةً، وهذا قوْلُ الأكْثرِينَ.

والثَّاني: أنَّه بمعْنَى يتضرَّعُون إلى اللهِ تعَالى فِي طلَبِ الوَسِيلةِ.

=بدينهم»، وأخرجه أيضًا مسلم (٣٠٣٠) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا حسين، عن قتادة، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٦).

(٢) في الأصل زيادة كلمة: وعزير، وضرب عليها، وليست في سائر النسخ الخطية.

[٤٧٩/ب] وعلَى هذا يكونُ قوْلُه: «يَدْعُونَ» راجِعًا إلى «أُولئِكَ»، ويكونُ قوْلُه: «يَبْتَغُونَ» تمامًا للكلامِ.

وعلَى القوْلِ الأوَّل: يكونُ «يدْعُونَ» راجِعًا إلى المشرِكينَ، ويكونُ قوْلُه: «يَبْتَغُونَ» وصْفًا لـ«أُولئِك» مُستأنفًا.

وقرَأ ابْنُ مسْعُودٍ، وابْنُ عبَّاسٍ، وأبو عبْدِ الرَّحمن: «تَدْعُونَ» بالتَّاءِ(١).

قالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: فعَلى هذَا الفعْلُ مرْدُودٌ إلى قوْلِه تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾، ومَنْ قرَأ: «يَدْعُونَ» باليَاءِ، قالَ: العرَبُ تنْصَرِفُ مِن الخطَابِ إلى الغَيبةِ إذا أُمِن اللَّبْسُ. ومعْنَى «يَدْعُونَ»: يَدْعُونَهم آلهةً. وقد فسَّرْنا معْنَى الوسيلَةِ في المائدة [آية:٣٥].

وفي قوْلِه: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قوْلَان -ذكَرَهُما الزَّجَّاجُ-:

أحدُهما: أنْ يكونَ «أَيُّهم» مرْفوعًا بالِابتداءِ، وخبَرُه: «أَقْرَبُ»، ويكونُ المعْنَى: يطْلُبون الوسِيلةَ إلى ربِّهم، ينْظُرونَ أيُّهم أقْرَب إليْهِ فيتوسَّلُون إلى اللهِ بِهِ(٢).

والثَّاني: أنْ يكُون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدَلًا مِنَ الواوِ في ﴿يَبْتَغُونَ﴾، فيكونُ المعْنَى: يبْتَغِي أيُّهم هوَ أقْربُ الوسيلةَ إلى اللهِ؛ أي: يتقرَّبُ إليْهِ بالعمَلِ الصَّالحِ. بلغ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٦).

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء: ٥٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ «إنْ» بمعْنى: «مَا»، والقرْيَةُ الصَّالحةُ هلَاكُها بالموْتِ، والعَاصِيةُ بالعذَابِ، والكِتَابُ: اللَّوحُ المحْفوظُ، والمسْطُورُ: المكتُوبُ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ سببُ نُزولِهَا فيه[١] قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ أهْلَ مكَّة سألُوا رسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يجعَلَ لهُمُ الصَّفَا ذهبًا، وأنْ يُنحِّيَ عنهمُ الجِبالَ فيزرَعُوا، فقِيلَ لَه: إنْ شئْتَ أنْ تسْتَأْنِيَ بهِم لعلَّنا نجْتَبِي منْهُم، وإنْ شئْتَ نُؤْتِيهمُ الَّذي سألُوا، فإنْ كفَرُوا أُهْلِكُوا كمَا أُهْلِكَ مَن كانَ قبْلَهم، قالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فنزلَتْ هذِه الآيةُ، رَواه سعِيدُ بنُ جُبيرٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

---

(١) في (س): في سبب نزولها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٧٦- ٤٧٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٦٢)، والبزار (٢٢٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٥)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٩- ٨٠) من طريق جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: «لا، بل أستأني بهم» فأنزل الله عز=

والثَّاني: قدْ ذكرْناه عنِ الزُّبيْرِ في قوْله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. **ومعْنى الآيةِ**: وما منَعَنا إرْسالَ الآياتِ الَّتي سألُوهَا إلَّا تكْذِيب الأوَّلِينَ، يعْنِي: أنَّ هؤلاءِ سألُوا الآياتِ الَّتي اسْتوجَب بتكْذِيبهَا الأوَّلون العذَابَ، فلم نُرسلْهَا[١] لِئلَّا يكذِّبَ بِها هؤُلاءِ، فيَهْلكُون[٢] كما هلَكَ أُولئك، وسُنَّة اللهِ في الأُمَمِ أنَّهم إذَا سَألُوا الآياتِ ثُمَّ كذَّبُوا بها عذَّبَهُم.

قوْلُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

قال ابن قتيبة: أي: بيِّنةً، يُريد: مُبْصَرًا بِهَا[٣]. قالَ ابْنُ الأنْباري: ويجُوز أنْ تكُونَ «مُبصِرةً»، ويصْلُح أن يكونَ **المعْنَى**: مبْصرٌ مُشاهِدُوها، فنسَب إليْهَا فعْلَ غيْرِها تجوُّزًا، كما يُقال: لا أَرينَّكَ هاهُنا، فأدْخل حرْفَ النَّهي على غيْرِ المنْهيِّ عنه؛ إذِ **المعْنَى**: لا تحْضُرْ هَاهُنا، حتَّى إذا جئْتُ لم أرَك فيه.

ومَن قرَأَ: «مَبصَرةً» بفتْحِ الميمِ والصَّادِ[٤]، فمعْنَاه: المبالَغةُ فِي وصْفِ النَّاقةِ بالتِّبْيانِ؛ كقوْلِهم: الوَلَدُ مجْبَنةٌ.

=وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾. وقال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه صحيح إلا من هذا الوجه.

(١) في (م): يرسلها.

(٢) كذا في الأصل، و(س)، وفي (م): فيهلكوا.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

(٤) قراءة شاذة عزاها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٨٢) إلى قتادة، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) بلا ضبط.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: فجَحَدُوا بِها[١]. وقالَ [٤٨٠/أ] الأخْفشُ: بِها كانَ ظُلْمُهم[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؛ أي: نُخوِّفُ العبادَ ليتَّعِظُوا.

وللمُفسِّرينَ في المرادِ بهذه الآياتِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها الموْتُ الذَّريعُ، قالَه الحسَنُ.

والثَّاني: مُعجزَاتُ الرُّسُلِ جعَلَها اللهُ تعَالى تخْويفًا للمُكذِّبينَ.

والثَّالث: آياتُ الانْتِقام تخْويفًا مِنَ المعَاصِي.

والرَّابع: تقلُّبُ أحْوالِ الإنسانِ مِن صِغَرٍ إلى شبابٍ، ثُمَّ إلى كُهولةٍ، ثُمَّ إلى مَشيبٍ؛ ليَعْتبرَ بتقلُّبِ أحْوالِه فيَخافُ عاقبَةَ أمْرِه، ذكرَ هذه الأقْوالَ الثَّلاثةَ الماورديُّ، ونَسبَ [القوْلَ][٣] الأخيرَ منْها إلى إمامِنا أحمَدَ ﷺ[٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ١٣٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٣) من (م).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٢٥٢).

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُهـا: أحَـاطَ علْمُـه بالنَّـاسِ، قالَـه أبـو صَالِـحٍ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وبـهِ قـالَ الرَّبيـعُ بْـنُ أنَـسٍ.

وقالَ مُقاتِلٌ: أحَاطَ علْمُه بالنَّاس، يعْنِي: أهْلَ مكَّةَ، أنْ يفْتحَها لِرسُولِه ﷺ[١].

والثَّاني: أحَاطَتْ قُدْرتُه بالنَّاسِ، فهُم فِي قبْضَتِهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والثَّالـثُ: حَـال بيْنَـك وبـيْنَ النَّـاسِ أنْ يقْتُلـوكَ، لِتُبلِّـغَ رسَـالَتَهُ، قالَـه الحسَـنُ، وقتَـادةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ في هذِه الرُّؤْيا قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها رُؤْيا عيْنٍ، وهيَ مَا رَأى ليْلَةَ أُسْرِي بهِ مِنَ العجَائبِ والآيَاتِ.

رَوى عكْرِمـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ قـالَ: هـيَ رُؤيـا عـيْنٍ رَآهـا ليْلَـةَ أُسْري بـهِ[٢]، وإلَى هـذَا المعْنَـى ذهَـبَ الحسَـنُ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، ومُجاهِـدٌ، وعِكْرِمـةُ، ومَـسْروقٌ، والنَّخَعـيُّ، وقتَـادَةُ، وأبـو مالِـكٍ، وأبـو صالِـحٍ، وابْـنُ جُريـجٍ، وابْـنُ زيْـدٍ في آخَريـنَ.

فعَـلى هـذَا يكـونُ معْنـى الفتْنـةِ: الِاخْتِبـار، فـإنَّ قوْمًـا آمنـوا بـما قـالَ، وقومًـا كفَـرُوا.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٢) (١٥٨٢)، والإمام أحمد في مسنده (١٩١٦).

قَالَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ: المختَارُ في هذِه الرُّؤيةِ أنْ تكُونَ يقظَةً، ولا فَرْقَ بيْنَ أنْ يقُولَ القائِلُ: رأيتُ فُلانًا رُؤيةً، ورأيْتُه رُؤْيا، إلَّا أنَّ الرُّؤيةَ يقِلُّ اسْتعْمالُها في المنَامِ، والرُّؤيا يكْثُرُ اسْتعْمالُها في المنَامِ، ويجُوز كلُّ واحِدٍ منْهما في المعْنيَيْنِ[١].

والثَّاني: أنَّها رُؤيا منَامٍ.

ثُمَّ فيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ رسُولَ اللهِ -ﷺ- كانَ قدْ أُري أنَّه يدْخُلُ مكَّةَ، هوَ وأصْحابُه، وهوَ يومئِذٍ بالمدينَةِ، فعَجَّلَ قبْلَ الأجَلِ، فردَّهُ المشرِكُونَ، فقَال أُناسٌ: قدْ رُدَّ، وكانَ حدَّثَنَا أنَّه سيَدْخُلُها، فكانَ رجُوعُهُم فتنَتَهُم، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

وهذا لا يُنافي حدِيثَ المعراجِ؛ لأنَّ هذَا كان بالمدينَةِ، والمعْراجَ كانَ بمكَّةَ، قالَ أبو سُليمان الدِّمشقيُّ: وإنَّما ذكَرَهُ ابْنُ عبَّاسٍ علَى وجْهِ الزِّيادةِ في الإِخبَارِ لنَا أنَّ المشركِينَ بمَكَّةَ افْتُتنوا برُؤيا عيْنِه، والمنافِقِينَ بالمدينة افْتُتنوا برُؤيا نوْمِه.

والثَّاني: أنَّه أُري بنِي أُميةَ علَى المنَابرِ، فسَاءَه ذلِكَ، فقِيل لَه: إنَّها الدُّنْيا يُعطونَها، فسُرِّي عنْه. فالفِتنَةُ هاهُنا: البَلاءُ، رَواه علِيُّ بْنُ زيْدِ بْنِ

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٨٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) إلى ابن جرير وابن مردويه.

[٤٨٠/ب] جُدعانَ، عنْ سعيدِ بْنِ المسيِّبِ[١]، وإنْ كانَ مثْلُ هذا لا يصِحُّ، ولكنْ قد ذكَره عامَّةُ المفسِّرينَ.

وروى ابْنُ الأنْباريِّ أنَّ سعيدَ بْنَ المسيِّبِ قالَ: رأى رسُولُ اللهِ ﷺ قوْمًا على منابرَ، فشقَّ ذلكَ عليْهِ، وفيهِ نزَلَ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾، قالَ: ومعْنى قوْلِه: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: إلَّا بلاءً للنَّاسِ.

قالَ ابْنُ الأنْباريِّ: فمَن ذهَب إلى أنَّ الشَّجرةَ رِجالٌ رآهمُ النَّبيُّ ﷺ في منامِه يصْعَدُون على المَنابرِ؛ احْتجَّ بأنَّ الشجَرةَ يُكنى بها عنِ المرْأةِ لِتأنيثِهَا، وعنِ الجماعةِ لِاجْتماعِ أغْصانِها. قالُوا: ووقعَتِ اللَّعنَةُ بهؤلاءِ الَّذين كنَّى عنْهُم بالشجرَةِ.

قالَ المفَسِّرونَ: وفي الآيةِ تقدِيمٌ وتأخِيرٌ، تقْدِيرُه: ومَا جعلْنَا الرُّؤيا والشَّجرَةَ إلَّا فِتنةً للنَّاسِ.

وفي هذه الشَّجرةِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها شجَرةُ الزَّقُّومِ، رَواه عِكْرمةُ، عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢]، وبهِ

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٠)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٠٩)، من طريق سفيان بن عيينة، عن علي بن زيدابن جدعان، عن سعيد بن المسيب في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: رأى بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يعطونها فسري عنه، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: بلاء للناس. الأثر ضعيف لأجل علي بن زيد بن جدعان، وفرط تشيع المأمون، وكان داعية لبدعته، وفيه أيضًا أبو صالح مختلف فيه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٨٨٨)، ورقم (٤٧١٦)، ورقم (٦٦١٣)، والطبري في=

قَالَ مُجاهِدٌ، وسعِيدُ بنُ جُبيرٍ، وعِكْرمَةُ ومسْرُوقٌ، والنَّخعيُّ، والجمْهُورُ.

وقالَ مُقاتِلٌ: لمَّا ذكَرَ اللهُ تعَالى شجَرةَ الزَّقُّومِ قالَ أبو جهْلٍ: يا معْشَر قُريشٍ! إنَّ محمَّدًا يُخوِّفُكم بشجَرةِ الزَّقُّوم، ألَسْتُم تعلَمُون أنَّ النَّارَ تحْرقُ الشَّجرَ؟ ومُحمَّدٌ يزعُم أنَّ النَّارَ تُنْبِت الشَّجرَ، فهَلْ تدْرُون مَا الزَّقُّومُ؟ فقَال عبْدُ الله بْنُ الزِّبعري: إنَّ الزَّقُّومَ بلِسانِ بربرٍ: التَّمْرُ والزُّبدُ، فقَال أبو جهْلٍ: يا جَارِيةُ! ابْغِينا تمْرًا وزُبدًا، فجاءَتْهُ بهِ، فقَال لِمَن حوْلَه: تزَقَّمُوا مِن هذَا الَّذي يُخوِّفُكم بهِ محمَّدٌ، فأنْزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴾[(١)].

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: كانَتْ فتنَتُهم بالرُّؤيا قولُهم: كيْفَ يذْهَبُ إلى بيْتِ المقدِسِ، ويرْجِعُ فِي ليلةٍ؟ وبالشَّجرَة قوْلُهم: كيْفَ يكونُ فِي النَّار شجرَةٌ[(٢)]؟

وللعُلماءِ في معْنَى الملْعُونةِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: المذْمُومةُ، قالَهُ ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: الملْعونُ آكِلُها، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ.

وقالَ: إنْ لم يكُن فِي القُرآن ذِكْرُ لعْنِهَا، ففِيه لعْنُ آكِلِيها، قالَ: والعرَبُ تقُول لِكُلِّ طعَامٍ مكرُوهٍ وضارٍّ ملْعُونٌ[(٣)].

=تفسيره (١٧/ ٤٨٤).

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٥١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٢/ ٣٥١)، والبغوي في معالم التنزيل (٧/ ٤٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٨).

فأمَّا قوْلُه: ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ فالمعْنَى: الَّتي ذُكِرت في القُرآن، وهيَ مذْكُورةٌ في قوْلِه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

والثَّالث: أنَّ معْنَى «الملْعُونة»: المبْعَدَةُ عنْ منَازلِ أهْلِ الفضْلِ، ذكرَهُ ابْنُ الأنبَارِيِّ.

والقوْلُ الثَّاني: أنَّ الشَّجرةَ الملْعُونةَ هيَ الَّتِي تلْتَوِي علَى الشَّجرِ، يعْنِي: الْكَشُوثَى، وهذا مرْوِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أيْضًا[(١)].

والثَّالث: أنَّ الشَّجرةَ كِنايةٌ عنِ الرِّجالِ علَى مَا ذكرْنَا عنْ سعِيدِ بْنِ المسيِّب.

قوْلُه تعَالَى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾.

قالَ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: مفْعُولُ «نُخَوِّفُهُمْ» محْذُوفٌ، تقْدِيرُه: ونُخوِّفُهمُ العذَابَ[(٢)]، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾؛ أي: فمَا يزِيدُهمُ التَّخْويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَـٰنًا﴾، وقدْ ذكرْنَا معْنَى الطُّغيَانِ في البقرة [آية: ١٥]، وذكرْنَا هُناك تفْسِير قوْلِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ [الإسراء: ٦١].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٨٧) من طريق أبو كريب، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن مولى بني هاشم حدثه، أنَّ عبد الله بن الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن؟ قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة، وتجعل في الماء، يعني الكشوثي. وأخرجه الثلبي أيضًا في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٣).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٩٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ءَأَسۡجُدُ﴾ قـرَأه الكُوفيُّـونَ: بهمْزَتـيْنِ. وقـرَأه البَاقُـون: بهمْـزةٍ مُطوَّلـةٍ؛ وهـذَا اسْـتفْهامُ إنْـكارٍ، يعْنِـي بـه: لم أكُـن لأفْعـلَ[١]. [٤٨١/أ]

قوْلُه تعَالى: ﴿لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: طِينًا منْصُوبٌ علَى وجْهَيْنِ:

أحدُهما: التَّمْييزُ، المعْنَى: لَمن خلقتَه مِن طِينٍ.

والثَّاني: علَى الحالِ، المعْنَى: أنْشأتَه فِي حالِ كوْنِه مِن طينٍ.

ولفْـظ: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ جـاءَ هاهُنـا بغَـيْر حـرْفِ عطْـفٍ؛ لأنَّ المعْنـى: قـالَ: أأسْـجدُ لِمَـن خلقْـتَ طِينًـا، و«أرَأيْتَـكَ»، وهـيَ في معنـى: أخْـبِرْنِي، والـكافُ ذُكـرتْ في المخاطبَـةِ توْكيـدًا، والجـوَابُ محْـذُوفٌ.

والمعْنَـى: أخْـبِرني عـنْ هـذَا الَّـذي كرَّمْتَ علَـيَّ لِمَ كرَّمْتَـه علَيَّ، وقـد خلقْتَنِي مِـن نـارٍ وخلقْتَـهُ مِن طِيـنٍ؟! فحُذف هـذَا؛ لأنَّ في الـكلام دليـلًا عليْهِ[٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ﴾ قـرَأَ ابْـنُ كثِـيرٍ، ونافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو: «أَخَّرْتَنِـي» بيـاءٍ في الوَصـلِ. ووقَـفَ ابْـنُ كثِـيرٍ باليـاءِ. وقـرَأَ ابْـنُ عامـرٍ، وعاصِـمٌ، وحمْـزةُ، والكِسَـائِيُّ، بغَـير يـاءٍ في وصْـلٍ ولَا في وقْـفٍ[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ فيهِ ثلَاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: لأَسْتَوْلِينَّ عليْهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، والفرَّاءُ[٤].

---

(١) انظر: الإقناع (ص: ١٦٧)، والنشر (٢/ ٣٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٩).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٧).

والثَّاني: لأُضِلَّنَّهُم، قاله ابنُ زيْدٍ.

والثَّالث: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُم؛ يُقال: احْتنكَ الجرادُ ما على الأرْضِ: إذا أكَلَه؛ واحْتنكَ فُلانٌ ما عنْدَ فُلانٍ مِنَ العِلْمِ؛ إذا اسْتقْصَاه، فالمعْنَى: لأقُودَنَّهُم كيفَ شئْتُ، هذا قوْلُ ابْنِ قُتيبةَ[(١)].

فإنْ قِيلَ: مِن أيْنَ علِمَ الغيْبَ. فقَدْ أجبْنا عنْهُ في سُورةِ النِّساء [آية: ١١٩].

قوْلُه تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: همْ أوْلياءُ اللهِ الَّذِين عصَمَهُم[(٢)].

قوْلُه تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ هذَا اللَّفْظُ يتضمَّنُ معْنى[(٣)] إنْظاره؛ ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾؛ أي: تبِعَ أمْرَكَ منْهُم، يعْنِي: ذُرِّيَّةَ آدَمَ. والموفُورُ: الموفر.

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: وفَّرْتُ مالَهُ عليْهِ، ووَفَرْتُه، بالتَّخْفِيف والتَّشْديدِ[(٤)].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: اسْتخِفَّ، ومنْهُ تقُول: اسْتفزَّنِي فُلانٌ[(٥)].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٨٨)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١٥).

(٣) ليست في (م).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٥) المصدر السابق.

وفي المرَادِ بصَوْتِه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه كُلُّ داعٍ دعَا إلى معْصِيةِ اللهِ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه الغِناءُ والمزَامِيرُ، قالَه مُجاهِدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾؛ أي: صِحْ ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ واحْثُثْهم عليْهِم بالإِغْواء[1]؛ يُقالُ: أجْلَبَ القوْمُ وجلَبُوا: إذَا صَاحُوا.

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: أجْمِعْ عليْهِم[2] ما تقْدِرُ عليْهِ من مكايِدِكَ؛ فعَلى هذَا تكونُ البَاءُ زائِدةً[3].

قالَ ابنُ قُتيبةَ: والرَّجِلُ: الرَّجَّالةُ؛ يُقالُ: رَاجِلٌ ورَجْلٌ؛ مثْلُ: تاجِرٌ وتَجْرٌ، وصَاحِبٌ وصحْبٌ[4].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كُلُّ خيْلٍ تسِيرُ في معْصيةِ اللهِ، وكُلُّ رجلٍ يسيرُ في معصيةِ اللهِ[5].

وقالَ قتادَةُ: إنَّ لَه خَيْلًا ورَجْلًا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ[6].

---

(١) في (ر)، و(م): بالإغراء.

(٢) في الأصل: عليهم كل، وضرب عليها، وليست في سائر النسخ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٥) ذكر ذلك عنه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٢) وعزاه إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩١)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٨٧)، والبغوي في معالم التزيل (٥/ ١٠٥).

ورَوى حفْـصٌ عـنْ عاصِـمٍ: «بِخَيْلِـكَ وَرَجِلِـكَ» بكَـسْرِ الجِيـم، وهـيَ قِـراءةُ ابْـنِ عبَّـاسٍ، وأبي رَزيـنٍ، وأبي عبْـدِ الرَّحـمـنِ السُّـلَميِّ(١).

قالَ أبو زَيْدٍ: يُقال: رَجِلَ رَجُلٌ: للرَّاجِلِ، ويُقالُ: جاءَنا حَافِيًا رَجُلًا(٢).

وقَـرَأ ابْـنُ السَّـميْفع، والجَحْـدَرِيُّ: «بِخَيْلِـكَ ورُجَّالِـكَ» برفْـعِ الـرَّاء وتشْـديدِ الجِيـم مفْتوحـةً وبألِـفٍ بعْدَهـا(٣).

[٤٨١/ب] وقَـرَأ أبـو المتـوكِّل، وأبـو الجَـوْزاءِ، وعِكْرِمَـةُ: «ورِجَالِـكَ» بكَسْرِ الـرَّاءِ وتخْفِيـفِ الجِيـم مـعَ ألِـفٍ(٤).

قَوْلُه تعَالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها ما كانُوا يُحرِّمُونَه مِن أنْعامِهِم، رَواه عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥).

والثَّاني: الأمْوالُ الَّتي أُصِيبتْ مِن حَرامٍ، قالَه مُجاهِدٌ.

---

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، التيسير (ص: ١٤٠).

(٢) النوادر (ص: ١٤٩).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٢).

(٤) قـراءة شـاذة، انظـر: مختـصر الشـواذ (ص: ٨٠)، والبحـر المحيـط (٧/ ٨٠)، ونقلهـا الزمخـشري في الكشـاف (٢/ ٦٧٨) بـلا نسـبة.

(٥) أخرجـه الطـبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٣) مـن طريـق عطيـة العـوفي عـن ابـن عبَّـاس في قولـه: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قـال: الأمـوال: مـا كانـوا يحرِّمـون مـن أنعامهـم. وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٥/ ٣١٢) إلى ابـن جريـر وابـن مردويـه.

والثَّالث: الَّتِي أنْفَقُوها فِي معَاصِي اللهِ، قالَهُ الحسَنُ.

والرَّابع: ما كانُوا يذْبَحُون لِآلهتِهِم، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

فأمَّا مشَاركتُهُ إيَّاهُم فِي الأوْلَادِ، ففِيهَا أرْبَعةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّهم أوْلَادُ الزِّنا، رَواه عطيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبِهِ قالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ.

والثَّاني: المَوْؤُودةُ مِن أوْلَادهِم، رَواه عليُّ بْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: أنَّه تسْمِيةُ أوْلَادِهِم عبِيدًا لأَوْثَانِهِم؛ كعبْدِ شمْسٍ، وعبْدِ العُزَّى، وعبْدِ منَافٍ، رَواه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والرَّابع: ما مَجَّسُوا وهَوَّدُوا ونَصَّرُوا، وصبَغُوا مِن أوْلادِهِم غيْرَ صبغَةِ الإسْلام، قالَهُ الحسَنُ، وقتادَةُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ قد ذكرْنَاه فِي قوْلِه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾... إلى آخر الآية [النساء: ١٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٩٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: أولاد الزنا. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٠٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: ما قتلوا من أولادهم، وأتوا فيهم الحرام.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٥) من طريق أبي صالح عن ابن عباس ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان.

وهـذِه الآيـةُ لفْظُهـا لفْـظُ الأمْـرِ، ومعْناهَـا التَّهْدِيـدُ، ومثْلُهـا في الـكلَامِ أنْ تقُـولَ للإنْسـانِ: اجْهَـدْ جَهْـدَك فسَـتَرَى مَـا ينْـزِلُ بِـكَ.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: إذَا تقَـدَّم الأمْـرَ نهْـيٌ عـمَّا يُؤمـرُ بـهِ، فمعْنَـاه: الوَعِيـدُ وَالتَّهْديـدُ[1]؛ تقُـول للرَّجُـل: لا تدْخُـلْ[2] هـذِه الـدَّارَ؛ فـإذا حـاوَلَ أنْ يدْخلَهَا؛ قلْـتَ: ادْخُلْهَـا وأنْـتَ رجُـلٌ، فلسْـتَ تأمـرُهُ بدخُولهـا، ولكنَّـك تُوعِدُه وتُهـدِّدُه؛ ومثْلُـه: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلـت: ٤٠]، وقـدْ نُهُـوا أن يعْمَلُـوا بالمعَـاصِي[3].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: هـذا أمْـرٌ معْنَـاه التَّهْديـدُ، تقْدِيـرُه: إنْ فعلْـتَ هـذَا عاقَبْنَـاك وعذَّبْنَـاكَ، فنُقـلَ إلى لفْـظِ الأمْـرِ عـنِ الـشَّرطِ؛ كقوْلِـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهـف: ٢٩].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ قـد شرحْنَـاه فِي الحجـر [آيـة: ٤٢].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ قـالَ الزَّجَّـاجُ: كفَـى بـهِ وكِيـلًا لِأوْليائِـه يعْصِمُهُـم مِـنَ القبُـول مِـن إبْلِيـسَ[4].

---

(١) في (م): التهديد والوعيد.

(٢) في (م): لا تدخلنَّ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

(٤) المصدر السابق.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٦٦ - ٧٠].

قوْلُه تعالى: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ ﴾؛ أي: يُسيِّرُها. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: زجَّيْتُ الشَّيءَ؛ أي: قدَّمْتُه[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾؛ أي: في طلَبِ التِّجارَةِ.

وفي ﴿مِن﴾ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّها زائِدةٌ.

والثَّاني: أنَّها للتَّبعيضِ.

والثَّالث: أنَّ المفْعُولَ محْذوفٌ، والتَّقْديرُ: لِتبْتَغُوا مِنْ فضْلِه الرِّزقَ والخيْرَ، ذكَرهُنَّ ابنُ الأنْباريِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ هذَا الخِطابُ خاصٌّ للمُؤمنينَ، ثُم خاطَبَ المشْركينَ فقَال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾ يعْني: خوْفَ الغرَقِ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾؛ أي: يضِلُّ مَن تدْعُون[1] مِنَ الآلهةِ، إلَّا الله تعالى. وقِيلَ[2]: ضلَّ بمعْنَى: غابَ، يُقال: ضلَّ الماءُ في اللَّبنِ؛ إذا غابَ. والمعْنَى: أنَّكُم أخلصْتُم الدُّعاءَ لله، ونسِيتمُ الأنْدادَ.

وقرَأَ مُجاهِدٌ، وأبو المتوكِّل: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ» بالياءِ.

[٤٨٢/أ] ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عنِ الإيمانِ والإخْلاصِ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ يعْنِي: الكافِرَ ﴿كَفُورًا﴾ بنعْمةِ ربِّه.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ إذا خرجْتُم مِنَ البحْرِ ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ﴾ قرَأَ ابْنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو: «نَخْسِفَ بِكُمْ»، «أَوْ نُرْسِلَ»، «أَنْ نُعِيدَكُمْ»، «فَنُرْسِلَ» «فَنُغْرِقَكُم» بالنُّونِ في الكُلِّ. وقرَأَ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وابْنُ عامِرٍ، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ، بالياءِ في الكُلِّ[3].

ومعْنَى ﴿نَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾؛ أي: نُغيِّبَكم[4] ونُذْهِبَكم في ناحيةِ البَرِّ، والمعْنَى: إنَّ حُكْمي نافِذٌ في البرِّ نفُوذَه في البحْرِ.

﴿أَوْ نُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ الحاصِبَ حِجارةٌ مِنَ السَّماءِ، قالَه قتادةُ.

---

(١) في (م): يدعون.

(٢) في (م): ويقال.

(٣) انظر: التيسير (ص: ١٤٠).

(٤) في (ر): يغيبكم.

والثَّـاني: أنَّـه الرِّيـحُ العاصِـفُ تحْصِـبُ، قالَـهُ أبـو عُبيـدةَ[١]، وأنْشـدَ الْفـرزْدَقُ[٢] [مـن البسـيط]:

مُسْـتَقْبِلِينَ شَـمَالَ الرِّيـحِ تَضْرِبُهُـمْ بِحَاصِبٍ[٣] كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورِ[٤]

وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: الحاصِـبُ: الرِّيـحُ، سُـمِّيت بذلِـكَ؛ لأنَّهـا تحْصِـبُ؛ أي: ترْمِـي بالحَصْبـاءِ؛ وهِيَ الحـصَى الصِّغـارُ[٥].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـارِيِّ: قـالَ اللُّغويُّـونَ: الحاصِـبُ: الرِّيـحُ الَّتِـي فيهَـا الحَـصَى، وإنَّـما قـالَ في الرِّيـح: حاصبًـا ولم يقُـلْ: حاصِبـةً؛ لأنَّـه وصـفٌ لـزِم الرِّيـحَ ولم يكُـن لهَـا مذكَّـرٌ تنتقِـلُ إليْـهِ في حـالٍ، فـكانَ بمنْزلَـةِ قوْلِهـم: حائِـضٌ للمـرْأةِ، حـين لم يقُـلْ: رجُـلٌ حائِـضٌ.

قـالَ: وفيهِ جـوَابٌ آخرُ، وهـوَ أنَّ نعْتَ الرِّيحِ عـرِيٌّ[٦] مِن علامَـةِ التَّأْنيثِ، فأشْبهَتْ بذلِك أسْماءَ المذكَّرِ، كَما قالُوا: السَّماءُ أمْطر، والأرْضُ أنْبت.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٥).

(٢) في (س)، و(م): للفرزدق.

(٣) في الأصل، و(ر): كحاصب، والمثبت من (س)، و(م).

(٤) البيت للفـرزدق؛ كـما في تفسـير الثعلبـي (٦/ ١٤٤)، ومجـاز القـرآن (١/ ٣٨٥)، وتفسـير الطـبري (٢٠/ ٣٦)، والكامـل؛ للمـبرد (٣/ ٤٥)، والنكـت والعيـون؛ للـماوردي (٣/ ٤٧٢)، ونديـف القطـن: قطـع القطـن المتناثـرة، يريـد الـبَرَد، شـبَّهَهُ بنديـف القطـن في اللـون.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٦) ليست في (ر).

والثَّالث: أنَّ الحاصِبَ: التُّرابُ الَّذِي فيهِ حصْباء، قالَهُ الزَّجَّاجُ[١].

قوْلُه تعَالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾؛ أي: مانِعًا وناصرًا.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: في البحْـرِ ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: مـرَّة أُخْـرى، والجمْـع تـارَّات. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ قـالَ أبـو عُبيـدةَ: هـيَ الَّتـي تقْصِـفُ كُلَّ شيْءٍ[٢]. وقـالَ ابْـنُ قُتيبـةَ: القاصِـفُ: [الرِّيـحُ الَّتِـي][٣] تقْصِـفُ الشَّـجرَ؛ أي: تكْـسِرُه[٤].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقـرَأ أبـو المتـوَكِّل، وأبـو جعْفـرٍ، وشـيْبَةُ، ورُويـسٍ: «فتُغْرِقَكُـمْ» بالتَّـاء، وسُـكونِ الغـيْنِ، وتخْفِيـفِ الـرَّاءِ[٥]. وقـرَأ أبـو الجَـوْزاءِ، وأيُّـوبُ: «فيُغَرِّقَكُـم» باليَـاءِ، وفتْـحِ الغـيْنِ، وتشْـدِيدِها[٦]. وقـرَأ أبـو رجَـاءٍ مثْلَـه، إلَّا أنَّـه بالتَّـاء[٧].

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: بكُفْركُـم حيْـثُ نجوْتُـم في المـرَّة الأُولى، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٨٥).

(٣) من (م).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٥) قراءة عشرية، انظرها في النشر (٢/ ٣٠٨)، ولمجاهد في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

(٦) في (س): وتشديد الراء.

(٧) هـي قـراءة أبي عمـرو مـن روايـة السـوسي عـلى قاعدتـه، انظـر: التيسـير (ص: ٢٢)، وانظـر عـزو القـراءة الثانيـة في الكامـل؛ للهـذلي (ص: ٥٨٨)، والنـشر (٢/ ٣٠٨)، وزادا ابـن مقسـم وقتـادة، والـكل في البحـر المحيـط (٧/ ٨٣).

﴿لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ قالَ ابنُ قُتيبةَ: أي: مَن يَتْبَعُنا[١] بدمائِكُم؛ أي: يُطالِبُنا[٢].

قالَ عبدُ الله بنُ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ريحُ العذابِ أربعٌ: اثْنتانِ في البرِّ، واثْنتانِ في البَحْرِ، فاللَّتان في البرِّ: الصَّرْصَرُ، والعَقِيمُ، واللَّتانِ في البَحْرِ: العاصِفُ، والقَاصِفُ[٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: فضَّلْناهُم. قالَ أبو عُبيدةَ: و«كرَّمْنا» أشدُّ مبالغةً مِنْ «أكْرَمْنا»[٤].

وللمُفسِّرينَ فيما فُضِّلُوا بِهِ أحَدَ عشَرَ قوْلًا:

أحدُها: أنَّهم فُضِّلُوا على سائِرِ الخَلْقِ غيْرَ طائفةٍ مِنَ الملائكةِ: جبْريلَ، وميكائِيلَ، وإسْرافيلَ، وملَكِ الموْتِ، وأشْباهِهِم، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

فعلَى هذا يكونُ المرادُ: المؤمنينَ منْهُم، ويكونُ تفْضيلُهم بالإيمانِ. [٤٨٢/أ]

---

(١) في (م): يتبع.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في المطر والرعد (ص: ١٦٣) (١٧٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٢٩) من طريق خلف بن خليفة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، قال: "الرياح ثمان: أربع منها عذاب، وأربع منها رحمة، فأمَّا العذاب منها: فالقاصف، والعاصف، والعقيم، والصرصر، قال الله تعالى: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦] قال: مشؤومات، وأمَّا رياح الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات".

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٨٦).

والثَّاني: أنَّ سائرَ الحيوانِ يأكُل بفِيهِ، إلَّا ابْنَ آدمَ فإنَّه يأْكُل بيدِه، رَواه ميْمُونُ بْنُ مهْرَانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[١].

وقالَ بعْضُ المفسِّرينَ: المرَادُ بهذَا التَّفْضِيلِ: أكْلُهم بأيْدِيهم، ونظافةُ مَا يقْتَاتُونَه؛ إذِ الجِنُّ يقْتَاتُونَ العِظَامَ والرَّوثَ.

والثَّالث: فُضِّلُوا بالعَقلِ، رُوي عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٢].

والرَّابع: بالنُّطق والتَّمْييزِ، قالَهُ الضَّحَّاكُ.

والخامِسُ: بتعْدِيلِ القامَةِ وامْتدادِهَا، قالَه عطَاءٌ.

والسَّادس: بأنْ جعَل محمَّدًا ﷺ منْهُم، قالَه محمَّد بْنُ كعْبٍ.

والسَّابع: فُضِّلُوا بالمطاعِمِ واللَّذَّات في الدُّنْيا، قالَه زيْدُ بْنُ أسْلَمَ.

والثَّامن: بحُسْنِ الصُّورةِ، قالَه يمان.

والتَّاسع: بتسليطِهِم على غيْرِهم مِنَ الخلْقِ، وتسْخِيرِ سائِرِ الخلْقِ لهُم، قالَه محمَّدُ بْنُ جريرٍ[٣].

والعاشر: بالأمْرِ والنَّهيِ، ذكَرَه الماورديُّ[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٧٧) مختصرا، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٩٢)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٥٧) منسوبًا للكلبي، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٠١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٠) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٩٢).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٠١).

(٤) النكت والعيون (٦/ ١١٤).

والحادِي عشرَ: بأنْ جُعلَتِ اللِّحَى للرِّجالِ، والذَّوائبُ للنِّساءِ، ذكرَهُ الثَّعلبِيُّ(١).

فإنْ قيلَ: كيْفَ أُطلِقَ ذكْرُ الكرَامَةِ علَى الكُلِّ، وفيهِمُ الكافِرُ المهَانُ؟.

فالجوَابُ مِن وجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه عامَلَ الكُلَّ مُعاملةَ المكرَّمِ بالنِّعَمِ الوَافِرةِ.

والثَّاني: أنَّه لَمَّا كانَ فيهِم مَن هوَ بهذِه الصِّفَةِ، أجْرَى الصِّفَةَ علَى جَماعتِهِم؛ كقوْلِه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ علَى أكْبادٍ رطِبَةٍ، وهيَ: الإبِلُ، والخيْلُ، والبغَالُ، والحَمِيرُ، {و} فِي {الْبَحْرِ} علَى أعْوادٍ يَابِسةٍ، وهيَ: السُّفُن. ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: الحلَالُ.

والثَّاني: المسْتَطابُ في الذَّوقِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه علَى لفْظِه، وأنَّهُم لم يُفضَّلُوا على سائِرِ المخلُوقَاتِ.

وقد ذكرْنَا عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّهُم فُضِّلُوا على سائِرِ الخلْقِ غيْرَ طائفَةٍ مِنَ الملائكَةِ. وقالَ غيْرُه: بلِ الملائِكةُ أفْضَلُ.

---

(١) الكشف والبيان (١٦/ ٣٩٣).

والثَّاني: [أنَّ][١] معْنَاه: وفضَّلْنَاهم علَى جميع مِمن[٢] خلقْنَا. والعربُ قَدْ تضَعُ الأكْثَرَ والكثيرَ في موْضعِ الجمْعِ؛ كقوْلِه: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

وقد رَوى أبو هُريرةَ عن رسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ**»[٣].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧١ - ٧٢].

قوْلُه تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: هوَ منْصُوبٌ على معْنَى: اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾، والمرَادُ به: يوْم القِيامةِ[٤]. وقرَأ الحسَنُ البصْرِيُّ: «يوْم يَدْعو» باليَاءِ «كُلَّ» بالنَّصْبِ. وقرَأ أبو عِمْرانَ الجُونيُّ: «يَوْمَ يُدْعَى» بياءٍ مرْفُوعةٍ، وفتْحِ العَيْنِ، وبعْدَها ألِفٌ، «كُلُّ» بالرَّفْعِ[٥].

---

(١) من (س)، و(م).

(٢) في (س)، و(م): من.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤) من طريق أبي المُهَزِّم عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه. وأخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٣١١) (١٥٠) من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفًا. وهو ضعيفٌ لضعف أبي المهزم، قال عنه في التقريب (ص: ٦٧٦) ترجمة (٨٣٩٧): متروك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٣).

(٥) قراءتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ٢٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٢).

وفي المَرَادِ بإمَامِهِم أرْبعَةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه رَئِيسُـهُم، قالَـه أبـو صَالِـحٍ عـنِ بْـنِ عبَّـاسٍ، ورَوى عنْـهُ سـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ أنَّـه قَـالَ: إمَـامُ هُـدًى أوْ إمَـامُ ضَلالَـةٍ[١].

والثَّـاني: عمَلُهُـم، رَواه عطيَّـةُ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ،[٢] وبـهِ قـالَ الحسَـنُ، وأبـو العَاليـةِ.

والثَّالـث: نَبِيُّهـم، قالَـه أنَـسُ بْـنُ مالِـكٍ، وسـعِيدُ بْـنُ جُبـيرٍ، وقتـادَةُ، [٤٨٣/أ] ومُجاهِـدٌ في رِوايـةٍ.

والرَّابعُ: كِتابُهُم قالَه عِكْرمَةُ، ومُجاهِدٌ في روايَةٍ. ثُمَّ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه كِتابُهُمُ الَّذي فيهِ أعْمالُهم، قالَه قتادَةُ، ومُقاتلٌ[٣].

والثَّاني: كِتابُهُمُ الَّذِي أُنْزل علَيْهِم، قالَه الضَّحَّاكُ، وابْنُ زيْدٍ.

فعـلَى القـوْلِ الأوَّلِ يُقـال: يَـا مُتَّبعـي مُوسـى، يـا مُتَّبِعي عِيسـى، يَـا مُتَّبِعي محمَّـدٍ؛ ويُقـال: يَـا مُتَّبِعـي رُؤسـاءِ الضَّلالَـة. وعـلَى الثَّـاني: يـا مَـنْ عمِـلَ كـذَا

(١) تفسـير سـفيان الثـوري (ص: ١٧٤)، وذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٣/ ٤١١)، والتفسـير البسـيط (٣/ ١١٨)، وعـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ٣٥١) إلى ابـن شـيبة وابـن المنـذر وابـن أبي حاتـم وابـن مردويـه.

(٢) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٠٢) مـن طريـق عطيـة العـوفي عـن ابـن عبـاس، في قولـه: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ قـال: الإمـام: مـا عمـل وأمـلى، فكتـب عليـه، فمـن بعـث متقيًـا لله جَعَـل كتابـه بيمينـه، فقـرأه واسـتبشر، ولم يظلـم فتيـلًا، وهـو مثـل قولـه: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ والإمـام: مـا أمـلى وعمـل.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٢).

وكذا. **وعلَى الثَّالث**: يا أمَّةَ مُوسى، يَا أُمَّةَ عِيسى، يَا أُمَّةَ محمَّدٍ. **وعلى الرَّابع**: يا أهْلَ التَّوراةِ، يا أهْلَ الإنْجيلِ، يا أهْلَ القُرآنِ، أوْ يَا صَاحبَ الكِتابِ الَّذي فيهِ عمِلَ كذَا وكذَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿فَأُوْلَتَبِكَ يَقْرَءُونَ كِتَبَهُمْ﴾ **معْناهَا**: يقْرَؤُون حسنَاتِهم؛ لأنَّهم أَخَذُوا كُتبَهُم بأَيْمانِهِم.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أي: لَا ينْقُصون مِن ثوَابِهم بقدْرِ الفَتِيلِ، وقد بيَّنَّاه في سورة النِّساء [آية: ٤٩].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾ قرَأ ابْنُ كثِيرٍ، ونَافِعٌ، وابْنُ عامِرٍ: «أَعمَى فهُوَ في الآخِرَةِ أَعْمَى» مفْتُوحَتي الميمِ. وقرَأ حمْزةُ، والكِسائِيُّ، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ بكسْرِ الميمَيْنِ. وقرَأ أبو عمْرٍو: «فِي هَذِهِ أَعْمِي» بكسْرِ الميمِ، «فهُو فِي الآخِرَة أَعْمَى» بفتْحِهَا(١).

وفي المشَارِ إليْهَا بـ«هَذِهِ» قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الدُّنْيا، قالَه مُجاهِدٌ.

ثُمَّ في معْنَى الكلَامِ خمْسةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مَن كانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَى عنْ معْرِفةِ قُدْرةِ اللهِ في خلْقِ الأشْياءِ، فهوَ عمَّا وُصِف له فِي الآخِرَة أعْمَى، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

---

(١) قراءات سبعية، انظرها في: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١/ ٢٤٤) (٢٦) من طريق أبي روق، عن الضَّحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم قال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾، يقول: من كان في=

والثَّاني: مَن كانَ في الدُّنْيا أعْمَى بالكُفْر، فهوَ في الآخِرَة أعْمَى؛ لأنَّه في الدُّنْيا تُقبَل توْبتُه، وفي الآخِرَةِ لا تُقْبَل، قالَه الحسَنُ.

والثَّالث: مَن عمِيَ عنْ آياتِ اللهِ في الدُّنْيا، فهوَ عنِ الَّذي غُيِّب عنْه مِن أمُورِ الآخِرةِ أشَدُّ عمًى.

والرَّابع: مَن عمِيَ عَن نِعَم اللهِ الَّتي بيَّنَها في قوْلِه: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾... إلى قوْلِه: ﴿تَفْضِيلًا﴾ فهوَ في الآخِرَة أعْمَى عنْ رشَادِه وصَلاحِه، ذكرَهُما ابْنُ الأنْبَاريِّ.

والخامِس: مَن كانَ فيهَا أعْمَى عنِ الحُجَّةِ، [فهُوَ في الآخِرةِ أعْمَى عنِ الجنَّةِ][1]، قالَه أبو بكْرٍ الورَّاقُ.

والثَّاني: أنَّها النِّعَمُ. ثُمَّ في الكلَامِ قوْلَانِ:

أحدهما: مَن كانَ أعْمَى عنِ النِّعَمِ الَّتي تُرى وتُشاهَدُ، فهوَ في الآخِرَةِ الَّتي لم تُرَ أعْمَى، رَواه عِكْرِمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّاني: مَن كانَ أعْمَى عنْ معْرِفةِ حقِّ اللهِ تعَالى في هذِه النِّعَمِ المذْكُورة في قوْلِه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يُؤدِّ شُكرهَا، فهوَ فيمَا بيْنَه وبيْنَ اللهِ ممَّا يُتقرَّب بهِ إليْهِ أعْمَى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، قالَه السُّدِّيُّ.

=الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي من خلق السماء والأرض والجبال والبحار والناس والدواب، وأشباه هذا، فهو عما وصفت له في الآخرة ولم يره أعمى وأضل سبيلًا يقول: وأبعد حجة"، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤١٤).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٣).

قَالَ أبو عَلِيٍّ الفارِسِيُّ: ومعْنَى قوْلِه: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي: أشْدّ عمًى؛ لأنَّه كانَ في الدُّنْيا يُمكِنُه الخرُوجُ عنْ عَماهُ بالاسْتِدلالِ، ولا سبِيلَ له في الآخِرةِ إلى الخُروجِ مِنْ عَماهُ. وقِيلَ معْنَى العَمَى في الآخِرةِ: أنَّه لا يهْتدِي إلى طرِيقِ الثَّوابِ، وهذَا كلُّه مِن عمَى القلْبِ(١).

[٤٨٣/ ب] فإنْ قيلَ: لِمَ قالَ: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ولَمْ يقُلْ: أشَدّ عمًى؛ لأنَّ العمَى خلْقةٌ بمنْزِلةِ الحُمْرةِ، والزُّرْقةِ، والعرَبُ تقُول: ما أشَدَّ سَوادَ زيْدٍ، ومَا أبْيَنَ زُرقَةَ عمْرٍو، وقلَّما يقُولُون: مَا أسْودَ زيْدًا، ومَا أزْرقَ عمْرًا؟

فالجوابُ: أنَّ المرادَ بهذَا العمَى عمَى القلْبِ، وذلِك يتزايَدُ ويحدُثُ منْهُ شيْءٌ بعْدَ شيْءٍ، فيُخالِفُ الخلقَ اللّازمَةَ الَّتي لا تزِيدُ؛ نحْوُ: عمَى العَيْنِ، والبَياضِ، والحُمْرةُ، ذكرَهُ ابنُ الأنْبارِيِّ.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٧].

---

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١١٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ ﴾ في سببِ نُزولِها أرْبَعةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ وفْدَ ثقِيفٍ أَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقَالُوا: متِّعْنَا باللَّاتِ سنَةً، وحرِّمْ وَادِينا كَمَا حَرَّمْتَ مكَّةَ، فأَبى ذلِك، فأَقْبَلُوا يُكثرونَ مسْأَلَتَهُم، وقالُوا: إنَّا نُحبُّ أنْ تعْرِفَ العرَبُ فضْلَنَا عليْهِم، فإِنْ خشِيتَ أنْ تقُولَ[1] العرَبُ: أعْطَيْتَهُم مَا لم تُعْطِنا، فقُلْ: اللهُ أمَرَنِي بذلِكَ؛ فأمْسَكَ رسُولُ الله ﷺ عنْهُم، ودَاخَلَهُم الطَّمَعُ، فنزَلَتْ هذِه الآيةُ، رَواه عطَاءٌ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

ورَوى عطِيَّةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّهُم قالُوا: أجِّلْنَا سنَةً، ثُم نُسْلِم ونَكْسِر أصْنامَنَا، فهَمَّ أنْ يُؤَجِّلَهُم، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[3].

والثَّاني: أنَّ المشْركينَ قالُوا للنَّبِيِّ ﷺ: لا نَكُفُّ عنْكَ إلَّا بأنْ تُلِمَّ بآلهتِنَا، ولَوْ بأطْرَافِ أصَابِعِكَ، فقَال رسُول اللهِ ﷺ: «مَا عَلَيَّ لَوْ فعَلْتُ

(١) في (م): يقول.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٥١٠- ٥١١) من طريق موسى بن إسماعيل، قال حدّثنا حماد، عن الكلبي، والعسكري في الأوائل (ص: ١٠٥) من طريق الجوهري، قال: حدثنا بن سلمة، عن الكلبي أيضًا. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٨) عن ابن عبَّاس، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٩)، والتفسير البسيط (١٣/ ٤١٩) بلا سنَدٍ -منقطعة- عن عطاء، عن ابن عبَّاس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٠٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴾ وذلك أن ثقيفًا كانوا قالوا للنبيّ ﷺ: يا رسول الله أجِّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجِّلهم، فقال الله: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴾، والأثر ضعيف من الطريقين؛ طريق العوفي وعطاء، ولا يخفى طريق الكلبي.

وَاللهُ يعْلَمُ أَنِّي لَكَارِهٌ؟» فنزَلَتْ هذِهِ الآيةُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ[1].

وهذَا باطِلٌ لا يجُوزُ أنْ يُظَنَّ برسُولِ اللهِ ﷺ، ولا مَا ذكرْنَا عنْ عطِيَّةَ مِنْ أنَّه همَّ أنْ يُنْظِرَهم سنَةً، وكُلُّ ذلِكَ مُحالٌ فِي حقِّه وفي حقِّ الصَّحابَةِ أنَّهم رَووا عنْهُ.

والثَّالثُ: أنَّ قُريشًا خلَوْا برسُولِ اللهِ ليْلَةً إلى الصَّباحِ يُكلِّمُونَهُ ويُفَخِّمُونَهُ، ويقُولُونَ: أنْتَ سيِّدُنا وابْنُ سيِّدِنا، ومَا زَالُوا بهِ حتَّى كادَ يُقارِبُهم فِي بعْضِ مَا يُريدُونَ، ثُمَّ عصَمَهُ اللهُ مِن ذلِكَ، ونزَلَتْ هذه الآيةُ، قالَه قتَادَةُ[2].

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٦)، من طريق يعقوب القُمِّي، عن جعفر، عن سعيد، قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندَعُه حتى يلمَّ بآلهتنا، فحدّث نفسه، وقال: ما عَلَيَّ أنْ أُلِمَّ بها بعْدَ أنْ يَدَعُونِي أَسْتَلِمُ الحَجَرَ، وَاللهِ يَعْلَمُ أنِّي لَهَا كارهٌ، فأَبى الله، فَأَنزلَ الله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾... الآية، وهذه الرواية من رواية ابن حميد -محمد بن حميد بن حيان- أحد حذاق الكذب، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب لبعضها على بعض، وكان يركب الأسانيد... وكان يحدِّث بما لم يسمعْه. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٩١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٢٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٠٧)، من طريق بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ ذكر لنا أن قريشًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلِّمونه حتى كاد أن يقارفهم، ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٢٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٧).

والرَّابعُ: أنَّهم قالُوا لِرسُول اللهِ ﷺ: اطْرُدْ عنكَ سُقاطِ النَّاسِ، ومَوالِيهِم، وهؤلاءِ الَّذين رائِحتُهم رَائِحةُ الضَّأنِ، وذلِك أنَّهم كانُوا يلْبَسُون الصُّوفَ، حتَّى نُجالِسَك ونسْمعَ منْكَ، فهَمَّ رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يفعَلَ مَا يسْتدْعِي بهِ إسْلامَهُم، فنزَلَتْ هذِه الآياتُ[١]، حكاهُ الزَّجّاجُ؛ قالَ: ومعْنَى الكلَامِ: كادُوا يفْتِنُونَكَ، ودخلَتْ إنْ واللَّامُ للتَّوكيدِ[٢].

قالَ المفَسِّرونَ: وإنَّما قالَ: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾؛ لأنَّ في إعْطائِهم مَا سألُوا مُخالفةً لحُكْمِ القُرآنِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾؛ أي: لِتَختلِقَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ وهوَ قوْلُهم: قُلْ: اللهُ أمَرنِي بذلِكَ، ﴿وَإِذًا﴾ لوْ فعلْتَ ذلِكَ ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾؛ أي: وَالَوك وصافَوك.

قوْلُه تعالَى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ علَى الحَقِّ؛ لعصْمتِنا إيَّاكَ ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: همَمْتَ وقارَبْتَ أنْ تميلَ إلى مُرادِهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [٤٨٤/أ]
قالَ ابنُ عبَّاسٍ: وذلِك حينَ سكَتَ عنْ جوَابِهم، واللهُ أعلَم بنِيَّتِه[٣].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٨) إلى ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه: أنَّ قريشًا أتوا النبي ﷺ فقالوا له: إن كنت أُرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقّاط الناس ومواليهم؛ لنكون نحن أصحابك، فركن إليهم، فأوحى الله إليه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٢٠)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٠).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: الفعْلُ فِي الظَّاهِرِ للنَّبِيِّ ﷺ، وفي البَاطِنِ للمُشْرِكينَ، وتقْدِيرُه: لقَدْ كَادُوا يرْكِنُونَكَ إليْهِم، وينْسِبُون إليْكَ ما يشْتَهُونَه ممَّا تكْرَهُه، فنَسَبَ الفِعْلَ إلى غيْرِ فاعِلِه عنْدَ أمْنِ اللَّبسِ؛ كما يقُول الرَّجُلُ للرَّجُلِ: كدْتَ تقْتُلُ نفْسَكَ اليَوْمَ، يُرِيد: كدْتَ تفْعَلُ فعْلًا يقْتلُكَ غيْرُك مِنْ أجْلِه؛ فهذَا مِنَ المجازِ والاتِّسَاعِ وشبِيه بِهذَا قوْلُه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وقوْلُ القَائِلِ: لَا أرينَّكَ فِي هذَا الموْضِعِ[(١)].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ المعْنَى: لو فعلْتَ ذلِك الشَّيْءَ القَلِيلَ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾؛ أي: ضِعْفَ عذَابِ الحيَاةِ ﴿وَضِعْفَ﴾ عذَابِ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾، ومثْلُه قوْلُ الشَّاعرِ [من الكامل]:

.... وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ[(٢)]

أي: أهْلُ المجلِسِ.

وقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: ضعْفَ عذَابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ[(٣)]. وكانَ رسُولُ اللهِ

---

(١) ذكر ذلك عنه مكيٌّ في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٣٥٨)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٧/ ٩٠).

(٢) البيت للمهلهل أخي كليب؛ كما في الأمالي؛ لأبي علي (١/ ٩٥)، وديوان المعاني (٢/ ١٧٦)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٣٨٥)، والصناعتين (ص: ٢٠٣)، والكامل؛ للمبرد (١/ ٢٥١)، والعقد الفريد (٣/ ٢٥٠)، وصدره:

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ *** ....

واستب القوم: تسابوا. يريد أنه كان لا توقد مع ناره نار لعظم ناره وعمومه بالإطعام، وأنه كان لهيبته لا يتساب الناس في مجلسه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٠٩)، من طريق عطية العوفي عن ابن عبَّاس،=

ﷺ معصومًا، ولكنَّهُ تخويفٌ لِأُمَّتِه؛ لئَلَّا يركَنَ أحدٌ مِنَ المؤمنينَ إلى أحدٍ مِنَ المشْركينَ في شيْءٍ مِنْ أحْكامِ اللهِ وشَرائعِهِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ نُزولِها: قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا قدِمَ المدينَةَ، حسَدَتْهُ اليهُودُ علَى مقَامِهِ بالمدينَةِ، وكرِهُوا قُرْبَهُ، فأتَوْهُ، فقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! أَنبِيٌّ أنْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ!» قالُوا: فوَاللهِ لقَدْ علِمْتَ مَا هذِهِ بأرْضِ الأنْبياءِ، وإنَّ أرْضَ الأنْبِياءِ الشَّامُ، فإنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَائتِ الشَّامَ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[1].

وقالَ سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ: همَّ رسُولُ الله ﷺ أنْ يشْخصَ عنِ المدينَةِ، فنزَلَتْ هذِه الآيَةُ[2].

=قوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٩) إلى ابن جرير.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥١٠) من طريق محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبيّ ﷺ: إنَّ أرض الأنبياء أرض الشام، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾. وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٢٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤١١)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١١٢) من رواية الكلبي.

(٢) ذكره السيوطي الدر المنثور (٥/ ٣٢٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جُبير رضي الله عنه قَالَ: قَالَ الْمُشركُونَ للنَّبِي ﷺ: كَانَت الْأَنبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام يسكنون الشَّام فمالك وَالْمَدينَة فَهَمَّ أن يشخص فَأنْزل الله تَعَالَى ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾... الْآيَة.

وقالَ عبْدُ الرَّحمَنِ بنُ غَنْمٍ: لَمَّا قالَتْ له اليَهودُ هذا: صدَّقَ ما قالُوا، وغَزَا غزْوَةَ تبُوك لا يُريد إلَّا الشَّامَ، فلمَّا بلَغَ تبُوكَ، نزَلَتْ هذِه الآيةُ[1].

والثَّاني: أنَّهمُ المشرِكونَ أهْلُ مكَّةَ همُّوا بإخْرَاجِ رسُولِ اللهِ ﷺ مِن مكَّةَ، فأمَرَهُ اللهُ بالخُروجِ، وأنزَل هذِه الآيةَ إخْبارًا عمَّا همُّوا بِهِ، قالَه الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

وقالَ قتادَةُ: هَمَّ أهْلُ مكَّةَ بإخراجِه مِن مكَّة، ولوْ فعَلُوا ذلِك ما نُوظِرُوا، ولكنَّ اللهَ كفَّهُم عنْ إخْراجِه حتَّى أمَرَهُ بالخُروجِ[2].

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤١٢) من طريق روح بن عبادة، قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، قال: حدثنا شهر بن حوشب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه أنَّ اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! إن كنت صادقًا أنك نبي فالحق بالشام، فإنها أرض المحشر والمنشر وأرض الأنبياء، فصدّق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك، لا يريد بذلك إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى عليه آية من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٨)، والحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٩/ ٥٠) نقلًا عن البيهقي بطريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بلفظ المصنف، ثم قال ابن كثير: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح، فإنَّ النبي -ﷺ- لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾، ولقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٠) من طريق بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ =

وقِيلَ: ما لَبِثُوا بعْدَ ذلِك حتَّى بعَثَ اللهُ عليْهِم القتلَ ببَدْرٍ.

فعَلى **القَوْلِ الأَوَّلِ**، المشَارُ إليْهِم، اليَهُودُ، والأرْضُ: المدِينَةُ. **وعلَى الثَّاني**: همُ المشْرِكُونَ، والأرْضُ: مكَّةُ. وقد ذكرْنَا معْنَى الإسْتِفْزازِ آنفًا [الإسراء: ٦٤]، وقيل: المرادُ بهِ هَاهُنا: القتْلُ، لِيخرِجُوه مِنَ الأرْضِ كُلِّها؛ رُويَ عنِ الحَسنِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ قرَأ ابنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وأبو بكْرٍ عنْ عاصِمٍ: «خَلْفَكَ». وقرَأ ابنُ عامِرٍ، وحمْزَةُ، والكِسَائِيُّ، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «خِلَافَكَ»(١).

قالَ الأَخْفشُ «خِلَافِكَ» في معْنَى «خَلْفَكَ»(٢). [٤٨٤/ب]

والمعْنَى: لَا يلْبَثُون بعْدَ خُروجِكَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لوْ أخْرَجُوك لَاسْتَأْصَلْنَاهُم بعْدَ خُروجِكَ بقَلِيلٍ، وقدْ جازَاهُمُ اللهُ علَى مَا همُّوا بِهِ، فَقتَلَ صنَادِيدَ المشْرِكينَ ببَدْرٍ، وقتَلَ مِنَ اليهُود بنِي قُرِيظَةَ، وأجْلَى النَّضِير.

وقالَ ابنُ الأنْبَارِيِّ: **معْنَى الكَلامِ**: لَا يلْبَثُون علَى خِلافِكَ ومُخالَفتِكَ، فسَقطَ حرْفُ الخفْضِ.

= إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقد همّ أهل مكة بإخراج النبيّ ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطَّنُوا، ولكن الله كفَّهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر.

(١) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤١).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٢٥).

وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكِّل: «خُلَّافَكَ» بضمِّ الخاءِ، وتشديدِ اللَّامِ، ورفْعِ الفاءِ[(١)].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا ﴾.

قالَ الفرَّاءُ: نصبَ السُّنَّةَ علَى العذَابِ المضمَرِ؛ أي: يُعذَّبُونَ كسُنَّتِنا فيمَنْ أرْسَلْنَا[(٢)]. وقالَ الأخْفَشُ: المعْنَى: سَنَّهَا سُنَّةً[(٣)].

وقالَ الزَّجَّاجُ: انْتصَبَ بمعْنَى: «لَا يلْبَثُونَ»، وتأْوِيلُه: إنَّا سَنَنَّا هذِه السُّنَّةَ فيمَنْ أرْسَلْنَا قبْلَك أنَّهم إذَا أَخْرَجُوا نبِيَّهُم أوْ قتَلُوه، لم يلْبَثِ العذَابُ أنْ ينْزِلَ بِهِمْ[(٤)].

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء: ٧٨ - ٨١].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ أي: أدِّهَا ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ أي: عنْدَ دُلُوكِهَا.

وذَكَر ابنُ الأنْبارِي في اللَّامِ قوْلَيْنِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى «في».

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣)، والبحر المحيط (٦/ ٦٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

والثَّاني: أنَّها مُؤكَّدةٌ؛ كقوْلِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

قالَ أبو عُبيدةَ: دُلُوكُها: مِن عنْد زَوَالِها إلى أنْ تغِيبَ[1].

وقالَ الزَّجَّاجُ: ميْلُها وقْتَ الظَّهيرةِ دُلُوكٌ، وميْلُها للغُروبِ دُلُوكٌ[2].

وقالَ الأزْهَريُّ: معْنَى الدُّلُوكِ في كلَامِ العرَبِ: الزَّوَالُ، ولِذلِكَ قِيلَ للشَّمْسِ إذَا زَالَتْ نصْفَ النَّهارِ: دَالِكةٌ، وإذَا أفَلَتْ: دَالِكةٌ؛ لأنَّها في الحَالتَيْنِ[3] زَائِلةٌ[4].

وللمُفسِّرينَ في المرَادِ بالدُّلُوك هَاهُنا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه زَوالُها نصْفَ النَّهارِ.

رَوى جابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ قالَ: دَعْوتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ومَنْ شاءَ مِنْ أصْحابِه، وطَعِمُوا[5] عنْدِي، ثُمَّ خرَجُوا حِينَ زالَتِ الشَّمْسُ، فخَرَج رسُولُ اللهِ ﷺ، وقالَ: «**اخْرُجْ يَا أبَا بكْرٍ**» فهَذَا حِينَ[6] دَلَكَتِ الشَّمْسُ[7]؛ وهذَا قوْلُ

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

(٣) في (م): الحالين.

(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ٦٩).

(٥) في (س)، و(م): فطعموا.

(٦) في (م): حيث.

(٧) أخرجه الطبري (١٧/ ٥١٨) من طريق محمد بن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبيّ الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبيّ ﷺ فقال: "اخْرُجْ يا أبا بَكْرٍ قَدْ دَلَكَتِ الشَّمْسُ"،=

ابْـنِ عُمـرَ، وأبي بَرْزَةَ، وأبِي هُريرةَ، والحَسـنِ، والشَّـعْبيِّ، وسـعِيدِ بْـنِ جُبيرٍ، وأبي العَالِيـةِ، ومُجاهِـدٍ، وعَطـاء، وعُبيدِ بْنِ عُمـيرٍ، وقتـادَةَ، والضَّحَّـاكِ، ومُقاتلٍ، وهوَ اخْتِيـارُ الأزْهَرِيِّ.

قـالَ الأزْهَـريُّ: لِتكـونَ الآيـةُ جامعـةً للصَّلَـواتِ الخمْـسِ، فيكُـونُ المعْنَـى: أقِـمِ الصَّـلاةَ مِـن وقْـتِ زَوالِ الشَّـمْسِ إلى غسَـقِ اللَّيْـلِ، فيَدْخُـل فيهَـا الأُولى، والعَـصْرُ، وصَلَاتَـا غسَـقِ اللَّيْـلِ؛ وهُمـا العِشَـاءَانِ، ثُـمَّ قـالَ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، فهـذِه خمْـسُ صلَـوَاتٍ[1].

والثَّـاني: أنَّـه غُروبُهـا، قالَـه ابْـنُ مسْـعُودٍ، والنَّخعـيُّ، وابْـنُ زيْـدٍ، وعـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ كالقوْلَـيْنِ.

قـالَ الفـرَّاءُ: ورأَيْـتُ العـرَبَ تذْهَـبُ في الدُّلُـوكِ إلى غَيبُوبـةِ الشَّـمْس[2]، وهـذَا اخْتِيـارُ ابْـنِ قُتيبـةَ، قـالَ: لأنَّ العـربَ تقُـول: دلَـكَ النَّجْـمُ[3]؛ إذا غـابَ؛ قـالَ ذُو الرُّمـةِ [مـن الطويـل]:

مَصَابِيـحُ لَيْسَـتْ بِاللَّـوَاتِي تَقُودُهَـا ... نُجُومٌ وَلَا بِالْآفِلَاتِ الدَّوَالِكِ[4]

=والإسـناد ضعيـف؛ لإبهـام شـيخ ابـن أبي ليـلى، وقـد أخرجـه الطـبري أيضًـا مـن طريـق الأسـود بـن قيـس، عـن نبيـح العنـزي، عـن جابـر بـن عبـد الله بـه، بنحـوه، ونبيـح مجهـول.

(١) تهذيب اللغة (١٠/ ٦٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٤) البيـت لـذي الرمـة في ديوانـه (٣/ ١٧٣٤)، ومجـاز القـرآن (١/ ١٩٩)، وتفسـير الطـبري (١١/ ٤٨٥)، وكتـاب الأفعـال؛ للسرقسـطي (١/ ٩٢)، والأزمنـة والأمكنـة؛ للمرزوقـي،=

وتقُولُ فِي الشَّمْسِ: دلَكَتْ بَرَاحِ[(١)]، يُريدونَ: غرَبتْ، والنَّاظِر قد وضَعَ كَفَّهُ علَى حاجبِهِ ينْظُر إليْهَا، قالَ الشَّاعِرُ [من الرجز]: [٤٨٥/أ]

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تكُونُ دَنَفَا
أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا[(٢)]

فشَبَّهَها بالمريضِ[(٣)] الدَّنَفِ؛ لأنَّها قدْ همَّتْ بالغُروبِ كمَا قارَبَ الدَّنِفَ الموْتُ، وإنَّما ينْظُر إليْهَا مِن تحْتِ الكَفِّ لِيعلَمَ كمْ بقِيَ لَهَا إلى أنْ تغِيبَ، ويَتوقَّى الشُّعاعَ بكفِّه.

فعلَى هذَا المَرادُ بهذِه الصَّلاةِ: المغرِبُ. فأمّا غسَقُ اللّيلِ: فهُوَ ظلَامُه[(٤)].

وفي المَرادِ بالصَّلاةِ المتعلِّقةِ بغسَقِ اللَّيْلِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: العِشَاءُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ.

=(ص: ٢٩٢)، والكشف والبيان (١٦/ ٤١٦)، وتفسير الماوردي (٢/ ١٣٧)، **مصابيح**: يعني الإبل تصبح في مباركها. **والآفلات**: الغائبات، يقال: أفل النجم: إذا غاب، **والدوالك**: يقال: دلكت: إذا غابت أو دنت للمغيب.

(١) براح بفتح الباء: اسم للشمس، ومن كسر الباء فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر.

(٢) الرجز فى ديوان العجاج (ص: ٨٢)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٨)، وكتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٢٨٥)، وغريب القرآن (ص: ٢٦٠)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥١٧)، ويقال للشمس إذا مالت للمغيب وزالت عن كبد السماء نصف النهار: قد تزحلفت.

(٣) في (م): بالمريض في.

(٤) في (س)، و(م): فظلامه.

والثَّاني: المغْرِبُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

قالَ القَاضِي أبو يعْلَى: فيُحتمَلُ أنْ يكُونَ المرَادُ بيانَ وقْتِ المغْرِبِ؛ أنَّه مِنْ غُروبِ الشَّمسِ إلى غسَقِ اللَّيْلِ.

والثَّالث: المغْرِبُ والعِشاءُ، قالَه الحسَنُ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ (المعْنَى: وأقِمْ قِراءةَ الفجْرِ)[١].

قالَ المفَسِّرُون: المرَادُ بهِ: صَلاةُ الفجْرِ. قالَ الزَّجَّاجُ: وفي هذَا فائدةٌ عظِيمةٌ تدلُّ علَى أنَّ الصَّلاةَ لا تكُونُ إلَّا بِقراءةٍ، حِينَ سُمِّيتِ الصَّلاةُ قُرآنًا[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ روى أبو هُريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**تَشْهَدُهُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ، ومَلائِكَةُ النَّهارِ**»[٣].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: فصَلِّ بالقُرْآنِ[٤]. قالَ مُجاهِدٌ، وعلْقمَةُ، والأسْوَدُ: التَّهجُّدُ بعْدَ النَّوْمِ[٥].

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٧٤)، والترمذي في جامعه (٣١٣٥)، وابن ماجه في سننه (٦٧٠)، والنسائي في التفسير (٣١٣)، والحاكم (١/ ٢١١) كلهم من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٣٧)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢١).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٤).

قالَ ابْنُ قُتيبةَ: تهَجَّدْتُ: سهِرْتُ[١]، وهَجَدْتُ: نِمْتُ[٢].

وقـالَ ابـنُ الأَنْبـاريِّ: التَّهَجُّـدُ هاهُنـا بمَعْنَى: التَّيقُّـظُ والسَّـهرُ، واللُّغويُّون يقُولـونَ: هـوَ مِـن حُـروفِ الأضْـدادِ؛ يُقـال للنَّائـمِ: هاجِـدٌ ومُتهجِّـدٌ، وكذلِـك للسَّـاهِرِ، قـالَ النَّابغـةُ [مـن الكامل]:

وَلَـوْ أَنَّهَـا عَرَضَـتْ لِأَشْـمَطَ رَاهِـبٍ عَبَـدَ الْإِلَـهَ صَرُورَةٍ مُتَهَجِّـدِ
لَرَنَـا لِبَهْجَتِهَـا وَحُسْـنِ حَدِيثِهَـا وَلَخَالَـهُ رَشَـدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُـدِ[٣]

يعْنِي بالمتَهجِّدِ: السَّاهِرَ[٤]، وقالَ لَبِيدٌ [من الرمل]:

قَـالَ هَجِّدْنَـا فَقَـدْ طَـالَ السُّـرَى ....[٥]

---

(١) في الأصل، و(ر): سررت، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦٠).

(٣) البيتـان للنابغـة؛ كـما في جمهـرة أشـعار العـرب (ص: ٧٦)، والشـعر والشـعراء (١/ ١٦٠)، والأضـداد؛ لابـن الأنبـاري (ص: ٥٢)، وزهـر الآداب (١/ ٥١)، والعمـدة في محاسـن الشـعر (١/ ٢٦٣)، الصرورة: الـذى لم يـأت النسـاء، وقـال ابـن الأعرابى: الـذى لم يـبرح مـن مكانـه، يريـد مـن صومعتـه.

(٤) الأضداد (ص: ٥٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٦).

(٥) البيت في ديوانـه (ص: ٩٢)، ومجاز القـرآن (١/ ٣٨٩)، وأدب الكاتـب (ص: ٤٥٦)، ومعاني القـرآن وإعرابـه؛ للزجـاج (٣/ ٢٥٦)، والزاهـر (٢/ ٦٧)، والمذكـر والمؤنـث (١/ ٤٣١)، وعجزه:

.... *** وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَا الدَّهْرِ غَفَلْ

البيـت يصـف صديقًـا لـه غلبـه النعـاس في السَّـفر؛ لأنّـه يتعـود المشـقة والابتـذال. وخنـا الدهـر شـدائده ومشـقاته، وقبلـه:

وَمَجودٍ من صبابات الكرى *** عاطف النَّمرُق صَدْقِ المبتذل

أي: نَوْمِنَا.

وقَالَ الأزْهَرِيُّ: المتهجِّدُ: القَائِمُ إلى الصَّلاةِ مِنَ النَّوْمِ. وقِيلَ لَهُ: مُتَهَجِّدٌ؛ لإِلْقائِهِ الهُجودَ عَنْ نفْسِهِ؛ كَمَا يُقَالُ: تَحَرَّج وتأثَّمَ(١).

قَوْلُه تعَالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النَّافِلةُ فِي اللُّغَة: مَا كانَ زائِدًا علَى الأصْلِ.

وفي معْنَى هذِه الزِّيادَةِ في حقِّه قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها زَائدةٌ فيمَا فُرِض عليْهِ، فيكُونُ المعْنَى: فَرِيضةً عليْكَ، وكانَ قدْ فُرِضَ عليْهِ قِيامُ اللَّيْلِ، هذَا قوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ، وسعِيدِ بْنِ جُبيرٍ.

والثَّاني: أنَّها زَائدةٌ علَى الفرْضِ، وليْسَتْ فرْضًا، فالمعْنَى: تطوُّعًا وفضِيلةً.

قالَ أبو أُمامةَ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ: إنَّما النَّافلةُ للنَّبِيِّ ﷺ خاصَّةً(٢).

---

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٢٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٥٣٤- ٥٣٤) (٢٢١٩٦)، يزيد بن هارون، أخبرنا سليم بن حيان، حدثنا أبو غالب قال: سمعت أبا أمامة يقول: "إذا وضعت الطهور مواضعه قعدت مغفورًا لك، فإن قام يصلي كانت له فضيلة وأجرا، وإن قعد قعد مغفورًا له". فقال له رجل: يا أبا أمامة أرأيت إن قام فصلى أتكون له نافلة؟ قال: "لا. إنما النافلة للنبي ﷺ. كيف تكون له نافلة وهو يسعى في الذنوب والخطايا؟ تكون له فضيلة وأجرًا"، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٦٢) من طريق محمد بن عبد الملك الواسطي، عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي بنحوه (١١٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي غالب البصري، به. وأخرجه مرفوعًا أبو يعلى في مسنده، كما في إتحاف الخيرة (٧٥٦) و(٨٥٩٣)، والطبراني في الكبير (٨٠٦٣) من طريق حسين بن واقد المروزي، عن أبي غالب، به. ولم يذكر الطبراني في روايته سؤال الرجل لأبي أمامة، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٥) الأعمش، عن شمر عن عطية، عن شهر، به.=

قَالَ مُجَاهِدٌ: وذلِكَ أنَّهُ قدْ غُفِرَ له ما تقَدَّم مِن ذنْبِه ومَا تأخَّر، فمَا زَاد علَى فرْضِه فهُوَ نافِلةٌ له وفضِيلةٌ، وهوَ لغيرِه كفَّارةٌ[١].

وذكرَ بعْضُ أهْلِ العلْمِ أنَّ صلَاةَ اللَّيلِ كانَتْ فرْضًا عليْه فِي الِابْتداء، ثُمَّ رُخِّص له فِي ترْكِهَا، فصَارَتْ نافِلةً. [٤٨٥/ب]

وذكَر ابْنُ الأنْبارِيِّ فِي هذَا قوْليْنِ:

أحدُهما: يُقارِب ما قالَهُ مُجاهِدٌ، فقَال: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ إذَا تنَفَّل لَا يقْدِرُ له أنْ يكُونَ بذلِك مَاحِيًا للذُّنُوبِ؛ لأنَّه قدْ غُفِر له مَا تقَدَّم مِن ذنْبِه ومَا تأخَّر، وغيْرُه إذَا تنَفَّل كانَ رَاجِيًا، ومقدرًا محْوَ السَّيئاتِ عنْهُ بالتَّنَفُّلِ، فالنَّافِلةُ لِرسُولِ اللهِ ﷺ زيَادةٌ علَى الحَاجةِ، وهِيَ لِغيْرِه مفْتَقِرٌ إليْهَا، ومأْمُولٌ بِهَا دفْعُ المكرُوهِ[٢].

والثَّاني: أنَّ النَّافلَةَ للنَّبِيِّ ﷺ وأُمَّتِه، **والمعْنَى**: ومِنَ اللَّيلِ فتهجَّدُوا[٣] بِه نافِلةً لكُم، فخُوطِب النَّبِيُّ ﷺ بِخطَابِ أُمَّتِه.

قوْلُه تعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾ عسَى مِنَ اللهِ وَاجِبةٌ، ومعْنَى ﴿يَبۡعَثَكَ﴾ يُقيمَكَ ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ وهوَ الَّذي يحمَدُه لأجْلِه جمِيعُ أهْلِ الموْقِف.

=وأخرجه أيضًا الطبري (١٧/ ٥٢٥) من طريق ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: النافلة للنبيّ ﷺ خاصة من أجل أنه قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٥٢).

(٣) في (س): فتهجَّدْ.

وفيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّه الشَّفاعَةُ للنَّاسِ يوْمَ القِيامَةِ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ، وحُذيفةُ بْنُ اليَمانِ، وابْنُ عُمرَ، وسَلْمانُ الفَارسيُّ، وجابِرُ بْنُ عبْدِ اللهِ، والحسَنُ، وهِيَ رِوايةُ ابْنِ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجاهِدٍ.

والثَّانِي: يُجلِسُه علَى العرْشِ يوْمَ القِيامَةِ. رَوى أبو وَائلٍ عنْ عبْدِ اللهِ أنَّه قرَأ هذِه الآيةَ، وقالَ: يُقعِدُه علَى العرْشِ[1]، وكذلِكَ رَوى الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2]، وليْثٌ عنْ مُجاهِدٍ[3].

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ وقرَأ الحسَنُ، وعِكْرِمةُ، والضَّحَّاكُ، وحُميدُ بْنُ قيْسٍ، وقتادَةُ، وابْنُ أبي عَبْلَةَ بفتْحِ الميمِ في «مَدْخل» و«مَخْرَج»[4].

(١) أخرجه الثعلبي (١٦/ ٤٤٧-٤٤٨) بسنده عن أبي همام الوليد بن شجاع، عن علي بن جعفر، عن المسعودي، عن عاصم، عن وائل، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٢٥١) (٢٩٥)، من طريق محمد بن عقبة الشيباني، وأحمد بن الفرج الطائي، قالا: ثنا عبادة بن أبي روق، قال: سمعت أبي يحدث، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، قال: «يقعده على العرش».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٥) (٣١٦٥٢)، من طريق ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: «يقعده على العرش»، والخلال في السنة من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، به.

(٤) هي قراءة شاذة، عزاها لابن أبي عبلة وأبي حيوة الكرمانيُّ في شواذ القراءات (ص: ٢٨٣)، وللثلاثة في الدر المصون (٧/ ٤٠١)، وعزاها للحسن الثعلبي (٦/ ١٢٧)، ولعلي وأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، وقال الطبري (٨/ ٢٥٩): لم يبلغنا عن أحدٍ أنَّه قرأ بها.

قَالَ الزَّجَّاجُ: المدْخلُ، بضَمِّ الميمِ: مصْدَرُ أدْخلتُه مُدْخلًا، ومَن قَالَ: «مَدْخَلَ صِدْقٍ»، فهوَ علَى أدْخلتُه، فدَخَل مَدخَلَ صِدْقٍ، وكذلِكَ شَرْحُ «مُخْرج» مثلُه[1].

وللمُفسِّرينَ فِي المرَادِ بهذَا المدْخلِ والمخْرجِ أحَدَ عشَرَ قوْلًا:

أحدُها: أدْخلْنِي المدينَةَ مُدْخلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي مِن مكَّةَ مُخرَجَ صِدْقٍ، رَوى أبو ظَبيان عنِ ابْنِ عبَّاسٍ قالَ: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ بمَكَّةَ، ثُمَّ أُمِر بالهِجرةِ، فنزَلَتْ عليْهِ هذِه الآيَةُ[2].

وإِلَى هذَا المعْنَى ذهَبَ الحسَنُ في رِوايةٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ، وقتادَةُ، وابْنُ زيْدٍ.

والثَّاني: أدْخلْنِي القبْرَ مُدخلَ صِدْقٍ، وأَخرِجْنِي منه مُخرجَ صِدْقٍ، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[3].

والثَّالث: أدْخِلْنِي المدِينَةَ، وأَخرِجْنِي إلى مكَّةَ، يعْنِي: لِفَتْحِها، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤١٧)، (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٥) (٢٩٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨/ ٣٢) (١٧٧٩٥).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٥٣) عن عطية العوفي عن ابن عبَّاسٍ.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٥٣) من رواية الكلبي.

والرَّابع: أدْخِلْنِي مكّةَ مُدْخلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي منْهَا مُخرَجَ صِدْقٍ، فخَرج منْهَا آمنًا مِنَ المشْركِينَ، ودخَلَها ظَاهِرًا عليْهَا يوْمَ الفتْحِ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والخامِس: أَدْخِلْني مُدْخلَ صِدْقٍ الجنَّةَ، وأَخْرِجْنِي مُخرَجَ صِدْقٍ مِنْ مكَّةَ إِلَى المدِينَةِ، رَواه قتَادَةُ عنِ الحسَنِ(١).

والسَّادس: أَدْخِلْنِي فِي النُّبوَّةِ والرِّسَالةِ، وأَخْرِجْنِي منْهَا مُخرجَ صدْقٍ، قالَهُ مجاهِدٌ، يعْنِي: أخْرِجْنِي ممَّا يجِبُ عليَّ فيهَا.

والسَّابع: أَدْخِلْني فِي الإسْلام، وأخْرجْنِي منْهُ، قالَه أبو صَالِحٍ؛ يعْنِي: مِن أدَاءِ مَا وجَبَ عليَّ فيهِ إذَا جاءَ الموْتُ.

[٤٨٦/أ] والثَّامن: أَدْخِلْنِي فِي طَاعَتِكَ، وأَخْرِجْنِي منْهَا؛ أي: سَالمًا غيْرَ مُقصِّرٍ(٢) في أدائِهَا، قالَه عطَاءٌ.

والتَّاسع: أَدْخِلْنِي الغَارَ، وأَخْرِجْنِي منْهُ، قالَهُ مُحمَّدُ بْنُ المنْكَدِرِ.

والعَاشر: أدْخِلْنِي فِي الدِّينِ، وأَخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيا وأنَا علَى الحقِّ، ذكرَهُ الزَّجَّاجُ(٣).

والحادي عشَرَ: أدْخِلْنِي مكَّةَ، وأَخْرِجْنِي إلى حُنَيْنٍ، ذكرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٣٥)، من طريق الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: الجنة و﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ من مكة إلى المدينة.

(٢) في (ر): مقتصد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

وأمَّا إضافةُ الصِّدْقِ إلى المدخلِ والمخْرَجِ، فهوَ مدْحٌ لهُما. وقدْ شرحْنَا هذَا المعْنَى فِي سُورةِ يُونس [آية: ٢].

قوْلُه تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: مِنْ عنْدِكَ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ **وفِيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّه التَّسلُّطُ علَى الكافِرينَ بالسَّيْفِ، وعلَى المنافِقينَ بإقامَةِ الحُدودِ، قالَهُ الحسَنُ.

والثَّاني: أنَّه الحُجَّة البيِّنَةُ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّالث: المُلْكُ العَزيزُ الَّذي يُقْهَرُ(١) به العُصَاة، قالَهُ قَتادَةُ.

وقالَ ابنُ الأنْبارِيِّ: وقوْلُه: ﴿نَّصِيرًا﴾ يجُوزُ أنْ يكُونَ بمعْنَى مُنْصَرًا(٢)، ويصْلُح أنْ يكُونَ تأويلُه ناصِرًا.

قوْلُه تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ **فيهِ أرْبعَةُ أقْوالٍ:**

أحدُها: أنَّ الحقَّ الإِسْلامُ، والباطلَ الشِّرْكُ، قالَهُ أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّ الحَقَّ القرآنُ، والبَاطِلَ الشَّيطَانُ، قالَه قتادَةُ.

والثَّالث: أنَّ الحَقَّ الجِهادُ، والباطِلَ الشِّرْكُ، قالَه ابْنُ جُريجٍ.

والرَّابع: الحَقُّ عِبادةُ اللهِ، والبَاطِلُ عِبادةُ الأصْنامِ، قالَهُ مُقاتِلٌ(٣).

---

(١) في (ر)، و(س): تقهر.

(٢) في (س): منصورًا.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٧).

ومعْنَى «زَهَقَ»: بطلَ واضْمَحلَّ، وكُلُّ شيْءٍ هلَك وبطلَ؛ فقَد زهَقَ. وزهقَتْ نفْسُه: تلَفَتْ.

ورَوى ابْنُ مسْعُودٍ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخَلَ مكَّةَ وحوْلَ البيْتِ ثلاثُمائةٍ وستّون صنمًا، فجعَلَ يطْعَنُها، ويقُول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

فإنْ قِيلَ: كيْفَ قلْتُم: إنَّ زَهَقَ بمعْنَى: بطَلَ، والبَاطِلُ موْجُودٌ معْمُولٌ عليْهِ عنْدَ أهْلِه؟

فالجوَابُ: أنَّ المرادَ مِن بُطْلانِه وهلَكَتِه: وضُوحُ عيْبِه، فيكُونُ هالِكًا عنْدَ المتدبِّرِ النَّاظرِ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾[الإسراء: ٨٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ﴿مِنَ﴾ هاهُنا لبيانِ الجِنْسِ، فجمِيعُ القُرآنِ شِفَاءٌ.

وفي هذَا الشِّفَاءِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: شِفَاءٌ مِنَ الضَّلالِ، لِمَا فيهِ مِنَ الهُدى.

والثَّاني: شِفاءٌ مِنَ السَّقَمِ، لِمَا فيهِ مِنَ البَرَكةِ.

والثَّالث: شِفاءٌ مِنَ البَيانِ للفرَائِضِ والأحْكَامِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٢٠).

وفي الرَّحْمَةِ قوْلَانِ:

أحدُهما: النِّعمَةُ.

والثَّاني: أنَّهُ(١) سببٌ للرَّحمةِ.

قوْلُه تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعْنِي: المشْركِينَ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لأنَّهم يكْفُرونَ بهِ، فلا ينْتَفِعُون بموَاعِظِه، فتَزِيدُ خسراتُهم(٢).

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾[الإسراء: ٨٣ - ٨٤].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الإنْسانُ هاهُنا: الكَافِرُ، والمرَادُ بهِ: الوَلِيدُ بْنُ المغيرةِ(٣).

قالَ المفَسِّرُونَ: وهذَا الإنْعَام: سِعَةُ الرِّزقِ، وكشْفُ البلَاءِ.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قرَأ ابنُ كثِيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وحفْصٌ عنْ عاصِمٍ: «وَنَأَى» علَى وزْنِ «نَعَى» بفتْحِ النُّون والهمْزَةِ. وقرَأ ابْنُ عَامِرٍ: «نَاءَ»(٤)؛ مثْلُ: «نَاعَ»(٥). وقرَأَ الكسَائِيُّ، وخلَفٌ عنْ سُليمٍ عنْ حمْزةَ: «وَنَاء» بإمالَةِ النُّون والهمْزَةِ. وروَى خلَّادٌ عنْ سُليم: «نَئِي» بفتْحِ النُّونِ

(١) في (ر): أن.

(٢) في (س): فيزيد خسارهم. وفي (م): فيزيد خسرانهم.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٥٤)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٤).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٨٤)، والتيسير (ص: ١٤١) من طريق ابن ذكوان خاصة، وكذا في النشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد أبا جعفر.

(٥) في (م): بَاعَ.

[٤٨٦/ب] وكسْرِ الهمْزَةِ[١]، والمعْنَى: تبَاعَدَ عنِ القِيامِ بحُقوقِ النِّعَمِ، وقِيلَ: تعَظَّم وتكَبَّرَ. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾؛ أي: نزَلَ بهِ البَلاءُ والفقْرُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾؛ أي: قنُوطًا شديدَ اليأْسِ، لا يرْجُو فضْلَ اللهِ.

قوْلُه تعالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ فِيهَا ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: علَى نَاحيَتِه، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ، وسعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

قالَ الفرَّاءُ: الشَّاكِلةُ: النَّاحِيةُ، والجَدِيلةُ، والطَّرِيقَةُ، سمِعْتُ بعْضَ العرَبِ يقُولُ: وعبْدُ الملَكِ إذْ ذاكَ علَى جدِيلَتِه، وابْنُ الزُّبَيْرِ علَى جديلَتِه، يُريدُ: علَى ناحِيَتِه[٢].

وقالَ أبو عُبيدةَ: علَى ناحيَتِه وخلِيقَتِه[٣].

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: علَى خَلِيقَتِه وطَبِيعَتِه، وهوَ مِنَ الشَّكلِ، يُقالُ: لسْتَ علَى شَكْلِي، ولَا شَاكِلَتِي[٤].

وقالَ الزَّجَّاجُ: علَى طَرِيقَتِه، وعلَى مذْهَبِه[٥].

والثَّاني: علَى نيَّتِه؛ قالَه الحسَنُ، ومُعاويةُ بْنُ قُرَّة.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٣٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٦٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

وقالَ اللَّيْثُ: الشَّاكلةُ مِنَ الأُمُورِ: مَا[١] وافَقَ فاعِلَه[٢].

والثَّالث: علَى دينِه، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

وتحْرِير المعْنَى: أنَّ كُلَّ واحِدٍ يعْمَلُ علَى طريقَتِه الَّتِي تُشاكِلُ أخْلاقَه، فالكَافِرُ يعْمَلُ ما يُشبِه طريقَتَه مِنَ الإعْرَاضِ عنْدَ النِّعَم، واليَأسِ عنْدَ الشِّدَّةِ، والمؤْمِنُ يعْمَلُ مَا يُشبه طريقَتَه مِنَ الشُّكْرِ عنْدَ الرَّخَاءِ، والصَّبْرِ عنْدَ البلَاءِ، واللهُ يُجازي الفرِيقَيْنِ.

وذكرَ أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أنَّ هذِه الآيةَ منْسُوخةٌ بقوْلِه تعالَى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وليْسَ بشَيْءٍ.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

قوْلُه تعالَى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ في سببِ نُزولِها قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بنَاسٍ مِنَ اليَهُودِ، فقَالُوا: سَلُوه عنِ الرُّوحِ؟ فقَال بعْضُهم: لَا تَسْأَلُوه، فَيَسْتَقْبِلُكُم بما تكْرَهُون. فأتَاهُ نفَرٌ منْهُم، فقَالُوا: يا أبَا القاسِمِ: مَا تقُول في الرُّوحِ؟ فسَكتَ، ونزَلَتْ هذِه الآيَةُ، قالَه ابْنُ مسْعُودٍ[٣].

---

(١) ليست في (ر).

(٢) ذكر ذلك عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٢/ ١٩١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٥٩)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢١)، و(٧٢٩٧)، ومسلم (٢٧٩٤)، والترمذي (٣١٤١).

والثَّـاني: أنَّ اليهُـودَ قالَـتْ لِقُريـشٍ: سَـلُوا مُحَمَّـدًا عـنْ ثـلَاثٍ فـإنْ أخْبَرَكُـم عـنِ اثْنَتَيْنِ وأمْسَـك عـنِ الثَّالثـةِ فهـوَ نبـيٌّ؛ سلُوه عـنْ فِتيـةٍ فُقِـدُوا، وسَـلُوه عـنْ ذِي القَرْنَـيْنِ، وسَـلُوه عـنِ الـرُّوحِ. فسَـأَلُوه عنْهَـا ففَـسَّرَ لهُـم أمْـرَ الفِتيَـةِ، في الكهْـفِ وفـسَّرَ لهُـم قِصَّـةَ ذِي القرْنَـيْنِ، وأمْسَـك عـنْ قِصَّـةِ الـرُّوحِ، فنزَلَـتْ هـذِه الآيَـةُ، رَواه عطَـاءٌ عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ(١).

وفي المرَادِ بالرُّوحِ هَاهُنا سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: أنَّـه الـرُّوحُ الَّـذي يَحْيَـا بـهِ البـدَنُ، رَوى هـذَا المعْنَـى العـوفِيُّ عـنِ ابْنِ عبَّـاسٍ(٢).

وقـدِ اخْتلـفَ النَّـاس في ماهِيَّـةِ الـرُّوح، ثُـمَّ اخْتلَفُـوا هـلِ الـرُّوحُ النَّفْـسُ، أمْ هُمَـا شـيْئَانِ فـلَا يحْتَـاج إلى ذكْـرِ اخْتلافِهِـم؛ لأنَّـه لا بُرهـانَ عـلى شيْءٍ مِـن ذلِـكَ وإنَّـما هـوَ شيْءٌ أخَـذُوه عـنِ الطِّـبِّ والفلَاسِـفةِ؟

فأمَّـا السَّـلفُ؛ فإنَّهُـم أمْسَـكُوا عـنْ ذلِـك؛ لِقوْلِـه تعـالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، فلـمَّا رَأَوا أنَّ القـوْمَ سـأَلُوا عـنِ الـرُّوحِ فلَـم يُجابُـوا، والْوحْـيُ ينْـزِلُ، والرَّسُـولُ حـيٌّ، علِمُـوا أنَّ السُّـكوتَ عـمَّا لم يُحِطْ بحقِيقـةِ علْمِـه أوْلَى.

---

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٩٢- ٥٩٣) مطـولاً مـن طريـق عكرمـة، والبيهقـي في الدلائـل (٢/ ٢٧٠) مـن طريـق سـعيد بـن جبير، وذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٣/ ٤٦٠) مـن روايـة عطـاء عـن ابـن عبَّـاس.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٤٣) من طريق العوفي عن ابن عبَّاس.

والثَّاني: أنَّ المرَادَ بهذَا الرُّوحِ ملَكٌ مِنَ الملائِكةِ علَى خلْقةٍ هائِلَةٍ، رُوي عنْ عليٍّ عليه السَّلام، وابْنِ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٍ[1].

والثَّالث: أنَّ الرُّوحَ خلْقٌ مِنْ خلْقِ اللهِ عزَّ وجلَّ صُوَرُهُم علَى صُورِ بنِي آدَمَ، رَواه مُجاهِدٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[2]. [٤٨٧/أ]

والرَّابع: أنَّه جِبْرِيلُ عليه السَّلام، قالَه الحسَنُ، وقتَادَةُ.

والخامِس: أنَّه القُرآن، رُوي عنِ الحسَنِ أيْضًا.

والسَّادس: أنَّه عيسى بْنُ مرْيمَ، حكَاه الماوردِيُّ[3].

قالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: قدْ ذكَرَ اللهُ تعَالى الرُّوحَ في موَاضِعَ مِنَ القُرآنِ، فغَالِبُ ظنِّي أنَّ النَّاقِلينَ نقَلُوا تفْسيرَهُ مِن موْضعِه إلى موْضعٍ لَا يلِيقُ بهِ، وظَنُّوه مثْله، وإنَّما هوَ الرُّوحُ الَّذي يحْيَى بهِ ابْنُ آدَمَ.

وقوْلُه: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: مِن عملِه الَّذي منَعَ أنْ يعرفَه أحَدٌ.

قوْلُه تعَالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **فِي المخَاطَبِينَ بهذَا قوْلَانِ:**

أحدُهما: أنَّهمُ اليهُودُ، قالَه الأكْثرُونَ.

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٧).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٩٦)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢١٨) (٧٧٩)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦٩).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٢٧٠).

والثَّـاني: أنَّهـم جميـعُ الخلْـقِ، علْمُهُـم قليـلٌ بالإِضافـةِ إلى علْـمِ اللهِ عـزَّ وجَـلَّ، ذكـرَهُ المـاورديُّ(١).

فـإنْ قِيـلَ: كيْـفَ الجمْـعُ بـيْنَ هـذِه الآيَـةِ، وبـيْنَ قوْلِـه تعـالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقـرة: ٢٦٩]؟.

فالجـوَابُ: أنَّ مَـا أُوتيـهُ النَّـاسُ مِـنَ العلْـمِ وإنْ كانَ كثـيرًا، فهـوَ بالإِضافـةِ إلى علْـمِ اللهِ قليـلٌ.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الإسراء: ٨٦ - ٨٧].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.

قـالَ الزَّجَّـاجُ: المعْنَـى: لـوْ شـئْنَا لَمحوْنَـاهُ مِـنَ القُلـوبِ والكُتُـبِ، حتَّـى لَا يُوجَـدَ لَـه أثَـرٌ(٢).

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾؛ أي: لا تجِـدُ مَـن يتـوكَّلُ علينَـا في ردِّ شيْءٍ منْـهُ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هـذَا اسْتثناءٌ ليْـسَ مِـنَ الأوَّلِ، والمعْنَـى: لكـنِ اللهُ رحِمَـك فأثْبَـت ذلِـك في قلْبِـك وقلُـوبِ المؤمنِـينَ.

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: المعْنَـى: لكـنْ رحمَـةٌ مِـن ربِّـك تمنَـعُ مِـنْ أنْ تُسْـلَبَ القُـرآنَ، فـكانَ(٣) المشْرِكـونَ قـد خاطَبُـوا نسـاءَهُم مِـنَ المسْـلِمينَ في الرُّجُـوعِ إلى

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٨).

(٣) في (س)، و(م): وكان.

دينِ آبائِهم، فهدَّدَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ بسلْبِ النِّعمةِ، فكانَ ظاهِرُ الخِطابِ للرَّسُول، ومعْنَى التَّهدُّدِ للأُمَّةِ[١].

وقالَ أبو سُليمانَ: ثُم لَا تَجِدُ لَكَ بهِ؛ أي: بمَا نفْعلُه بكَ، مِن إذْهابِ مَا عنْدَكَ وكيلًا يدْفعُنَا عمَّا[٢] نُريدُه بك.

ورُوي عنْ عبدِ اللهِ بْنِ مسْعُودٍ أنَّه قالَ: يُسْرَى علَى القُرآنِ في ليْلَةٍ وَاحدَةٍ، فيجِيءُ جِبْريلُ مِنْ جوْفِ اللَّيْلِ، فيَذْهَبُ بهِ مِنْ صُدُورِهِم ومِن بُيوتِهِم، فيُصْبِحُونَ لَا يقْرَؤُونَ آيةً ولَا يُحْسِنُونَها[٣].

وردَّ أبو سُليمانَ الدِّمشْقيُّ صحَّةَ هذَا الحديثِ بقوْلِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العلْمَ انتِزَاعًا**»[٤]، وحديثُ ابْنِ مسْعُودٍ مرْويٌّ مِن طُرق حِسَان، فيحْتمِلُ أنْ يكُونَ النَّبيُّ ﷺ أرادَ بالعلْمِ مَا سِوى القُرآنِ، فإنَّ العلْمَ ما يزَالُ ينْقرِضُ حتَّى يكونَ رفْعُ القُرآنِ آخِرَ الأمْرِ.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾.

---

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان (٧/ ١٠٨).

(٢) في (س): ممَّا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨٠- ٥٩٨١)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٤٦)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٣٦٥) (١٧٥)، والحاكم (٤/ ٥٠٤)، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

قَالَ المفَسِّرُونَ: هَـذَا تكْذِيـبٌ للنَّـضْرِ بْـنِ الحـارِثِ حيـنَ قـالَ: لـوْ شِـئْنَا لَقُلْنَـا مثْـلَ هـذَا. والمثْـلُ الَّـذي طُلـب منْهُـم: كلَامٌ لـه نظْـمٌ كنظْـمِ القُـرآن، فِي أعْـلَى طبقَـاتِ البلَاغـةِ. **والظَّهِيـرُ**: المعِيـنُ.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[الإسراء: ٨٩ - ٩٣].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ قـد فسَّرنَـاه فِي هـذه السُّـورةِ [الإسراء: ٤١]، **والمعْنَـى**: مـن كُلِّ مثَـلٍ[1] مِـنَ الأمْثَـالِ الَّتـي تكـونُ[2] بهـا الِاعْتبَـارِ ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ يعْنِـي: أهْـلَ مكَّـةَ ﴿ إِلَّا كُفُورًا ﴾؛ أي: جُحـودًا للحـقِّ وإنْـكارًا. [٤٨٧/ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾.

سـبَبُ نُـزولِ هـذِه الآيَـةِ ومَـا يتْبعُهَـا: أنَّ رُؤسـاءَ قُريْـشٍ؛ كعُتبـةَ، وشـيْبَةَ، وأبي جهْـلٍ، وعبْـدِالله بْـنِ أبي أُميَّـةَ، والنَّـضْرِ بْـنِ الحـارِثِ، فِي آخَريـنَ، اجْتمَعُـوا عنْـدَ الكعْبَـةِ، فقَـالَ بعْضُهـم لبعْـضٍ: ابْعثُـوا إلى مُحمَّـدٍ فكلِّمُـوه وخَاصِمُـوه حتَّـى تُعْـذَرُوا فيـهِ، فبَعثُـوا إليْـهِ: إنَّ أشْرافَ قوْمِـكَ قـدِ اجْتمَعُـوا لِيُكلِّمُـوكَ،

---

(١) في (ر): شيء.

(٢) في (س)، و(م): يكون.

فجاءَهُم سَريعًا، وكانَ حريصًا علَى رُشدِهِم، فقَالُوا: يا مُحمَّدُ! إنَّا واللهِ لا نعْلَمُ رجُلًا مِنَ العرَبِ أدْخلَ علَى قوْمِه مَا أدْخلْتَ علَى قوْمِكَ؛ لقَدْ شتَمْتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وسفَّهْتَ الأحْلامَ، وفرَّقْتَ الجماعةَ، فإنْ كُنتَ إنَّما جئْتَ بهذَا لِتطلُبَ بهِ[١] مالًا، جعلْنَا لكَ مِن أمْوالِنا ما تكونُ بهِ أكْثرُنا مالًا، وإنْ كُنْتَ إنَّما تطلُبُ الشَّرفَ فينَا، سَوَّدْناكَ علينَا، وإنْ كانَ هذَا الرَّئيُ الَّذي يأتِيكَ قدْ غلَبَ عليْكَ، بذلْنَا أمْوالَنا في طلَبِ الطِّبِّ لكَ حتَّى نُبْرِئَكَ منْهُ، أو نُعذَرَ فيكَ.

فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنْ تقبَلُوا منِّي [مَا جئْتُكُم بِهِ]**[٢]**، فهُوَ حظُّكُم فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَإنْ تَردُّوه علَيَّ، أصْبِرْ لأمْرِ اللهِ حتَّى يحْكُمَ اللهُ بيْنِي وبيْنكُم**». قالُوا: يَا مُحمَّدُ! فإنْ كنْتَ غيْرَ قابِلٍ منَّا مَا عرضْنَا، فقَدْ علِمْتَ أنَّه ليْس مِنَ النَّاسِ أحَدٌ أضْيقَ بلادًا ولا أشدَّ عيْشًا منَّا، سَلْ لنَا ربَّكَ يُسيِّرْ لنَا هذِه الجبَالَ الَّتي ضيَّقَتْ علينَا، ويُجْرِي لنَا أنهارًا، ويبْعَثْ مَن مضَى مِن آبائِنَا، ولْيَكُن فيمَن يبْعَثُ لنَا منْهُم قُصيُّ بْنُ كِلابٍ، فإنَّه كانَ شيْخًا صدُوقًا، فنسْألَهُمْ[٣] عمَّا تقُول: أحَقٌّ هوَ؟ فإنْ فعلْتَ صدَّقْنَاكَ.

فقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بِهذَا بُعِثْتُ، وقَدْ أبْلَغْتُكُم مَا أُرْسِلْتُ بِهِ**». قالُوا: فسَلْ ربَّكَ أنْ يبْعَثَ ملَكًا يُصدِّقُكَ، وسَلْه أنْ يجْعَلَ لكَ جِنانًا، وكُنوزًا، وقُصورًا مِنْ ذهَبٍ وفِضَّةٍ تُغْنِيكَ. قالَ: «**مَا أنَا بالَّذِي لِيَسْألَ**

---

(١) ليست في (م).

(٢) من (م).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوع: فنسائله.

رَبِّهُ[١] هَذَا». قالوا: فتُسقط[٢] علينا السَّماءُ كما زعمتَ أنَّ[٣] ربَّك إنْ شاءَ فعلَ. فقال: «ذلكَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ».

فقالَ قائلٌ منهُم: لنْ نُؤمِنَ لكَ حتَّى ﴿تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، وقالَ عبدُ اللهِ بنُ أبي أُميَّةَ: لا أُؤمِنُ لكَ حتَّى تتَّخذَ إلى السَّماءِ سُلَّمًا، وترْقى فيهِ وأنَا أنْظُرُ، وتأتِيَ بنُسْخةٍ منْشُورةٍ معَك، ونفرٍ مِنَ الملائكةِ يشْهَدُون لكَ، فانْصرفَ رسُولُ اللهِ ﷺ حَزِينًا لِما رأى مِن مُباعَدَتِهم إيَّاه، فأنْزلَ اللهُ تعَالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾... الآياتِ، روَاه عِكْرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[٤].

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ قرَأ ابْنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عمْرٍو، وابْنُ عامِرٍ: «حتَّى تُفَجِّرَ» بضمِّ التَّاءِ، وفتْحِ الفَاءِ، وتشْديدِ الجِيمِ معَ الكسْرَةِ. وقرَأ عاصِمٌ، وحمْزةُ، والكِسَائِيُّ: «حَتَّى تَفْجُرَ» بفتْحِ التَّاءِ، وتسْكِينِ الفَاءِ، وضَمِّ الجيمِ معَ التَّخْفيفِ[٥]. فمَنْ ثقَّلَ؛ أرَادَ كثْرةَ الانْفِجارِ مِنَ اليَنْبُوعِ، ومَن خفَّفَ، فلأنَّ اليَنْبُوعَ واحِدٌ.

---

(١) وأشار ناسخ الأصل إلى نسخة فيها: أسأل ربي. وهي نسخة (س).

(٢) في (م): فأسقط.

(٣) في (م): بأن.

(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٥٥٦).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤١)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٨).

فأمَّـا اليَنْبُـوعُ: فهـو عـيْنٌ ينبـعُ المـاءُ منْهـا؛ قـالَ أبـو عُبيـدة: هـوَ يفْعُـول، مِـن نبـعَ المـاءُ؛ أي: ظهَـر وفَـارَ[١]. [٤٨٨/أ]

قوْلـه تعـالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾؛ أي: بُسـتانٌ ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴾؛ أي: تفْتحُهـا وتُجريهَـا ﴿ خِلَـٰلَهَا ﴾؛ أي: وسـطَ تلْـك الجنَّـةِ.

قوْلـه تعـالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ ﴾ وقـرَأ مُجاهِـدٌ، وأبـو مِجلزٍ، وأبـو رجاء، وحُميـدٍ، والجَحْـدَرِيُّ: «أوْ تَسـقُطُ» بفتْحِ التَّـاءِ، ورفعِ القَـافِ «السَّـماءُ» بالرَّفْعِ[٢].

قوْلـه تعـالى: ﴿ كِسَفًا ﴾ قـرَأ ابْـنُ كثِيرٍ، وأبو عمْرٍو، وحمْزَةُ، والكِسـائِيُّ: «كِسْـفًا» بتسْـكينِ السِّـينِ في جمِيـعِ القُـرآنِ إلَّا في الـرُّوم [آيـة: ٤٨] فإنَّهـم حرَّكُـوا السِّـينَ. وقـرَأ نافِـعٌ، وأبـو بكْـرٍ عـنْ عاصِـمٍ: بتحْريـكِ السِّـينِ في المَوْضِعَـيْنِ، وفِي باقِـي القُـرآنِ بالتَّسْـكينِ. وقـرَأ ابْـنُ عامِـرٍ هاهُنـا بفتْـحِ السِّـينِ، وفي باقِـي القُـرآن بتسْـكِينِهَا[٣].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: مَـن قـرَأ «كِسَـفًا» بفتْـحِ السِّـينِ؛ جعَلَهـا جمْـعَ كِسْـفَةٍ، وهـيَ: القِطْعَـةُ، ومَـن قـرَأ «كِسْـفًا» بتسْـكينِ السِّـينِ؛ فكأنَّهُـم قالُـوا: أسْـقِطْهَا طبَقًـا علينَـا؛ واشْـتِقاقُه مِـن كسَـفْتُ الـشَّيءَ؛ إذَا غطَّيْتَـه، يعْنُـون: أسْـقِطْهَا علينَا قِطعَـةً واحِـدةً[٤].

---

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٩٠).

(٢) قراءة شاذة، مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣).

(٣) قراءتـان سـبعيتان، انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٨٥ - ٣٨٦)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ١٤٢)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٣٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٩).

وقالَ ابْنُ الأنْبارِيِّ: مَن سكَّن قالَ: تأويلُه: سترًا وتغْطِيةً؛ مِن قوْلِهم: قدِ انْكسَفَتِ الشَّمسُ؛ إذا غطَّاهَا مَا يحُول بيْنَ النَّاظرينَ إليْهَا وبيْنَ أنْوارِهَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ فيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: عيَانًا، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادَةُ، وابْنُ جُريجٍ، ومُقاتِلٌ[1].

وقالَ أبو عُبيدةَ: معْنَاه: مُقابلةً؛ أي: مُعاينَةً، وأنْشد للأعْشى [من الطويل]:

نُصالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا   كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا[2]

أي: قَابلَتُها[3]. ويُروى: وجَّهَتْهَا، يعْنِي بدَلَ: يَسَّرَتْهَا.

والثَّاني: كفِيلًا أنَّك رسُول اللهِ، قالَه أبو صالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، واخْتارَهُ الفرَّاءُ، قالَ: القَبِيلُ، والكَفِيلُ، والزَّعِيمُ، سَواءٌ؛ تقُول: قبلْتُ، وكفَلْتُ، وزعمْتُ[4].

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٩)، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٣١٥) (١٦٢٥)، من طريق معْمَرٍ، عنْ قتَادَةَ، في قوْلِه تعَالَى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، قَالَ: «عِيَانًا».

(٢) البيت في ديوانه (ص: ١٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٠)، وحماسة البحتري (ص: ٩٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥٥٢)، وفي رواية الشاهد: «أصالحكم» بالهمزة بدل النون، يقول: لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة في المخاض. ويسرتها: سهلت ولادتها وأعانتها فيها.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٩١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣١).

والثَّالث: قَبِيلةً قَبِيلةً، كُلُّ قَبِيلةٍ على حِدَتِهَا، قالَه الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

فأمَّا الزُّخرفُ؛ فالمرادُ بهِ الذَّهبُ، وقد شرحْنا أصْلَ هذِه الكلِمَة في يونس [آية: ٢٤]، وترْقَى: بمعْنَى: تصْعَدُ؛ يُقال: رقِيتُ أرْقَى رقيًا.

قوْلُه تعَالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: كتابًا مِن ربِّ العالمينَ إلى فُلانِ بنِ فُلانٍ، يُصْبحُ عند كُلِّ واحِدٍ منَّا يقْرؤُه[1].

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ قرَأ نافِعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمْرٍو، وحمْزةُ، والكِسائِيُّ: «قُلْ». وقرَأ ابْنُ كثِيرٍ، وابْنُ عامِرٍ: «قَال»، وكذلِك هيَ في مصاحفِ أهْلِ مكَّةَ والشَّامِ[2]، ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾؛ أي: أنَّ هذِه الأشْياءَ ليسَتْ في قُوَى البَشرِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ اقْتصَر على حِكايةِ قَالُوا مِن غيْرِ إيضَاحِ الرَّدِّ؟

فالجوَابُ: أنَّه لما خصَّهُم بقوْلِه تعَالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فلَمْ يكُنْ في وُسعِهم عجزُهُم، فكأنَّه يقُول: قدْ أوْضحْتُ لكُم بما سبَقَ مِنَ الآياتِ مَا يدلُّ على نُبوَّتي، ومِن ذلِك التَّحدِّي بمثْلِ هذَا القُرآنِ، فأمَّا عنَتُكم فليْس فِي وسْعِي، ولأنَّهُم ألَحُّوا عليْه في هذِه الأشْياء، ولم يسْألُوه أن يسْألَ ربَّه، فردَّ قوْلَهم بكوْنِه بشرًا، فكفَى ذلِك فِي الردِّ.

---

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٤٢)، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٥٤).

(٢) قراءتان سبعيَّتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٥ - ٣٨٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٩).

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٦].

قَوْلُه تعَالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ ﴾ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يُريد أهْلَ مكَّةَ[١].

قالَ المفَسِّرُون: ومعْنَى الآيةِ: ومَا منعَهُم مِن الإيمانِ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ وهوَ البيانُ والإرْشَادُ في القُرآنِ ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾؛ أي: إلَّا قوْلُهم في التَّعجُّبِ والإنْكارِ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾؟ وفي الآيةِ اخْتصَارٌ، تقْدِيرُه: هلَّا بعثَ [اللهُ][٢] ملكًا رسُولًا، فأُجِيبوا علَى ذلِك بقوْلِه تعَالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾؛ أي: مُسْتوطَنِينَ الأرْضَ. ومعْنَى **الطُّمأْنِينةِ**: السُّكُون؛ والمرَادُ مِنَ الكلَامِ أنَّ رسُولَ كُلِّ جِنْسٍ ينْبَغِي أنْ يكُونَ منْهُم. [٤٨٨/ب]

قوْلُه تعَالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا ﴾ قد فسَّرْناه في الرَّعدِ [آية: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: حينَ اخْتصَّ اللهُ محمَّدًا بالرِّسالةِ[٣].

---

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٠٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٨٤)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٨).

(٢) من (م).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥١).

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ٩٧ - ١٠٠].

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ قـرَأ نافِـعٌ، وأبـو عمْـرٍو باليَـاء فِي الوَصْـلِ، وحذَفَاهَـا فِي الوقْـفِ. وأثْبَتَهـا يعْقُـوبُ في الوقْـفِ، وحذَفَهـا الأكْثَـرُون في الحالَتَـيْنِ[(١)(٢)].

«مَـنْ يَهْـدِ اللهُ» قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: مَـن يُـرِدِ اللهُ هُـداه ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يهْدُونَهُـم[(٣)].

قوْلُه تعَالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ فيهِ ثلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّه يُمشِّيهم علَى وجُوهِهِم.

وشَـاهدُه مَـا رَوى البُخـاريُّ ومُسـلمٌ في «صَحِيحيْهـا» مِـن حديـثِ أنـسِ بْـنِ مالِـكٍ أنَّ رجُـلًا سـأَلَ رسُـولَ اللهِ ﷺ كيْـفَ يُحشَرُ الكافِـرُ علَى وجْهـهِ يـوْمَ

---

(١) في (س): الحالين.

(٢) انظـر: السـبعة؛ لابـن مجاهـد (ص: ٣٤٩)، والتيسـير؛ للـداني (ص: ١٢٩)، والنـشر في القـراءات العـشر؛ لابـن الجـزري (٢/ ٢٩٥).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٨٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٩).

القِيامَـةِ؟ قـالَ: «إِنَّ الَّـذِي أَمْشَـاهُ عَـلَى رِجْلَيْـهِ فِي الدُّنْيَـا، قَـادِرٌ عَـلَى أَنْ يُمْشِـيَهُ عَـلَى وَجْهِـهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ»[1].

والثَّاني: أنَّ المعْنَى: ونحْشُرُهم مسْحُوبِينَ عَلى وجُوهِهِم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّالـث: نحْشُرُهـم مُسْرِعِـينَ مُبادِريـنَ، فعـبَّرَ بقوْلِـه: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عـنِ الإِسْراعِ، كـمَا تقُـولُ العـرَبُ: قـدْ مـرَّ القـوْمُ عـلى وجُوهِهِـم؛ إذا أسْرَعُـوا، قالَـه ابْـنُ الأَنْبـاريِّ.

قوْلُه تعَالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهمـا: عُميًـا لا يـروْنَ شـيْئًا يَسرُّهُـم، وبُكـمًا لا ينْطِقُـون بحُجَّـةٍ، وصُـمًّا لا يسْـمَعُونَ شـيْئًا يسرُّهُـم، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ.

وقـالَ فِي رِوايـةٍ: عُميًـا عـنِ النَّظَـرِ إلى مـا جعَـلَ اللهُ[2] لأوْلِيائِـه، وبُكـمًا عـنْ مُخاطبَـةِ اللهِ، وصُـمًّا عـمَّا مـدَحَ بـهِ أوْلِيـاءَه، وهـذَا قـوْلُ الأكْثَريـنَ.

والثَّاني: أنَّ هذَا الحشْرَ في بعْضِ أحْوالِ القِيامةِ بعْدَ الحشْرِ الأوَّلِ.

قـالَ مُقاتِـلٌ: هذا يكُـونُ حِـينَ يُقـال لهُـم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيَصِـيرُونَ عمْيًـا بُكـمًا صُـمًّا لا يـرْونَ ولا يسْـمَعُونَ ولا ينْطِقُونَ بعْـدَ ذلِك[3].

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٦٠)، وصحيح مسلم (٢٨٠٦).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (م).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥١).

قوْلُه تعَالَى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قالَ ابْنُ عبَّاسٍ: أي: سكَنَتْ(١).

قالَ المفَسِّرُونَ: وذلِك أنَّها تأكلُهُم، فإذَا لم تُبْقِ منْهُم شيْئًا وصَارُوا فحْمًا ولم تجِدْ شيْئًا تأكُلُه؛ سكَنَتْ، فيُعادُونَ خلْقًا جدِيدًا، فتعُودُ لهُم.

وقالَ ابْنُ قُتيبةَ: يُقال: خبَتِ النَّارُ؛ إذا سَكَن لهبُهَا، فاللَّهبُ يسْكنُ، والجمْرُ يعْملُ، فإنْ سكَنَ اللَّهبُ، ولم يطفَأِ الجمْرُ؛ قيلَ: خمَدَتْ تخْمُدُ خُمودًا، فإنْ طفئتْ ولم يبْقَ منْهَا شيْءٌ، قيلَ: همَدَتْ تَهمِدُ همُودًا(٢).

ومعْنى ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: نارًا تتسعَّرُ؛ أي: تتلهَّبُ، وما بعْدَ هذَا قد سبَقَ تفْسيرُه... إلى قوْلِه: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: علَى أنْ يخلقَهُم مرَّةً ثانيةً، وأرَادَ بـ«مِثْلَهُم» إيَّاهُم، وذلِك أنَّ مِثْلَ الشَّيءِ مُساوٍ لَه، فجازَ أنْ يُعبَّرَ بِهِ عنْ نفْسِ الشَّيءِ، يُقال: مِثْلُك لا يفْعَلُ هذَا؛ أي: أنْتَ، [٤٨٩/أ] ومثْلُه قوْلُه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد تمَّ الكلَامُ عنْدَ قوْلِه: ﴿مِثْلَهُمْ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعْنِي: أجَلَ البعْثِ ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: جُحودًا بذلِكَ الأجلِ.

قوْلُه تعَالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعْنَى: لو تمْلِكُونَ أنْتُم، قالَ الـمُتَلَمِّسُ [من الطويل]:

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي نَصَبْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا(٣)

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٦١)، من طريق علي بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال: سكنت.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦١).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٢٩)، والأصمعيات (ص: ٢٤٥)، ومختارات ابن الشجري=

المعْنى: لو أرَادَ غيْرُ أخْوالِي[1].

وفي هذِه الخزَائنِ قوْلَانِ:

أحدُهما: خزَائِنُ الأرْزَاقِ.

والثَّاني: خزَائِنُ النِّعَمِ؛ فيخرجُ في الرَّحمةِ قوْلانِ:

أحدُهما: الرِّزقُ.

والثَّاني: النِّعمةُ.

وتحْرِيرُ الكلَامِ: لو ملكْتُم ما يملِكُه اللهُ عزَّ وجلَّ لأمْسَكْتُم عنِ الإنْفاقِ خشْيةَ الفاقَةِ.

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعْنِي: الكافِرَ ﴿قَتُورًا﴾؛ أي: بخِيلًا مُمسكًا؛ يُقال: قتَرَ يقْتُرُ، وقتَرَ يقتِرُ؛ إذا قصَّرَ في الإنْفاقِ.

وقالَ الماوردِيُّ: لو ملَكَ أحَدٌ مِنَ المخْلوقينَ مِن خزَائنِ اللهِ تعالى؛ لما جَادَ كجُودِ اللهِ تعَالى؛ لأمْرَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه لا بُدَّ أنْ يُمسِكَ منْه لِنفقَتِه ومنْفَعتِه.

=(ص: ١٢٢)، والخزانة (١٠/ ٥٩)، وبلا نسبة في الكامل (١/ ٢٧٩)، والمقتضب (٣/ ٧٧)، وتذكرة النحاة (ص: ٤٩٠)، وفي الديوان وجميع المصادر: «جعلت» بدل: «نصبت»، «نقيصتي»: «تنقصي». والعرانين: جمع عِرْنين؟ وهو أعلى قصبة الأنف. ميسمًا: الميسم: هو الآلة التي يوسم بها، ومقصوده: أَسِمُهم على العرانين؛ أي: أهجوهم هجاءً يبقى أثرُه في وجوهم ويلزمهم لزوم الميسم للأنف.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٢).

والثَّاني: أنَّه يخاف الفقْرَ، والله تعَالى مُنزَّهٌ في جُودِه(١) عنِ الحالَيْنِ(٢).

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعالى ذكَر إنْكارَ فِرْعونَ آياتِ مُوسى؛ تشْبِيهًا بحَالِ هؤُلاءِ المشْركينَ، فقَالَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ وفيهَا قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها بمعْنَى المعجزَاتِ والدّلَالاتِ.

ثُم اتَّفقَ جمْهُورُ المفَسِّرينَ علَى سبْعِ آيَاتٍ منْهَا، وهيَ: يدُه، والعصَا، والطُّوفَانُ، والجرَادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ.

واخْتلَفُوا في الآيَتيْنِ الآخِرتَيْنِ علَى ثمانِية أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهما لسَانُه والبحْرُ الَّذي فُلق لَه، رَواه العوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣)؛ يعْنِي بلِسانِه: أنَّه كانَ فيهِ عُقدةٌ فحلَّها اللهُ تعَالى لَه.

والثَّاني: البحْرُ والجبَلُ الَّذي نُتِق فوْقَهُم، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤).

والثَّالث: السِّنُونَ ونقْصُ الثَّمرَاتِ، رَواه عِكْرمَةُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٥)،

(١) في (ر): وجوده.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٦٤)، من طريق عطية العوفي، عن ابن عبَّاس، قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: التسع الآيات البينات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٤٣٠١) عن مطرف عن مالك.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٦٥)، من طريق يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ومطر الورّاق، في قوله: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ قالا الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات.=

وبـِهِ قـالَ مُجاهِـدٌ، والشَّـعبيُّ، وعِكْرِمَـةُ، وقتـادَةُ. وقـالَ الحَسَـنُ: السِّـنُونَ ونقـصُ الثَّمـرَات آيـةٌ واحِـدةٌ(١).

والرَّابع: البحْرُ والموْتُ أُرْسل عليْهِم، قالَه الحَسَنُ، ووهْبٌ.

والخامِس: الحَجرُ والبَحْرُ، قالَه سعِيدُ بْنُ جُبيرٍ.

والسَّادس: لِسانُه وإلْقاءُ العَصَا مرَّتَيْن عنْدَ فِرْعونَ، قالَه الضَّحَّاكُ.

والسَّابع: البحْرُ والسِّنُون، قالَه مُحَمَّدُ بْنُ كعْبٍ.

والثَّامـن: ذكـرَهُ محمَّـدُ بْـنُ إسْـحاقَ، عـنْ محمَّـدِ بْـنِ كعْـبٍ أيْضًـا، فذكَـر السَّـبعَ الآيـاتِ الأُولى، إلَّا أنَّـه جعَـل مـكانَ يـدِه البحْـرَ، وزَاد الطَّمسـةَ والحَجرَ، يعْنـي قوْلَـه: ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونـس: ٨٨].

والثَّاني: أنَّها آياتُ الكتابِ.

رَوى أبـو داودَ السِّجسْـتانيُّ مِـن حديـثِ صفْـوَانَ بْـنِ عسَّـالٍ، أنَّ يهُوديًّـا قـالَ لصَاحِبـِه: تعَـالَ حتَّـى نسْـألَ هـذَا النَّبِـيَّ، فقَـال الآخـرُ: لَا تقُـلْ: إنَّـه نَبِـيٌّ، فإنَّـه لـوْ سـمِعَ ذلِـكَ، صـارَتْ لَـه أربعـةُ أعْيـنٍ؛ فأتَيـاه، فسَـألَاهُ عـنْ تسْـعِ آيـاتٍ بيِّنَـاتٍ، فقَـال: «**لَا تُشْركـوا بـاللهِ شـيْئًا، ولَا تقْتُلـوا النَّفْـسَ الَّتِـي حَـرَّمَ**

=وأخرجـه أحمـد بـن منيـع، كـما في المطالـب العاليـة (٤٠٣٣) مـن طريـق إسـماعيل بـن أبي خالـد، عـن عكرمـة وأبي صالـح.

(١) أخرجـه الطـبري (١٧/ ٥٦٦)، مـن طريـق عبـد الـرزاق، قـال: أخبرنـا معمـر، قـال: قـال الحسـن، في قولـه: ﴿تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾، ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قـال: هـذه آيـة واحـدة.

اللهُ إِلَّا بِالحقِّ، وَلَا تَزنُوا، وَلَا تَسرِقُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِالبَرِيءِ [٤٨٩/ ب] إِلى السُّلْطَانِ لِيقتلَهُ، وَلَا تَسحرُوا، وَلَا تَقْذِفُوا المحْصَنَاتِ، وَلَا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ، وعلَيْكُم خاصَّةً يهُودٍ أَلَّا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»، قَالَ: فقبَّلا يدَه، وقالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ(١).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠١ - ١٠٤].

(١) أخرجه أبو داود الطَّيالسي في مسنده (١٢٦٠)، وأحمد (٤/ ٢٣٩- ٢٤٠)، والترمذي (٢٧٣٣)- ٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٢٧- ٨٦٠٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصرًا، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢١٦)، والطبري (١٧/ ٥٥٦- ٥٥٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٢١٥)، وفي مشكل الآثار (٦٣- ٦٤- ٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٣٩٦)، وابن قانع في معجم الصَّحابة (٢/ ١١)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٦٦)، من طريق عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، به.

وعبد الله بن سلمة المرادي الكوفي تكلَّم فيه النقاد بسبب سوء حفظه. قال النسائي: وهذا حديث منكر، وحُكي عن شعبة قال: سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة؟ فقال: تعرف وتنكر. أهـ. وقال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس حديثه بالقائم. وانظر: الضعفاء؛ للعقيلي (٢/ ٢٦١)، والميزان (٢/ ٤٣١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩/ ٨٨): وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلَّموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون. والله أعلم.

قَوْلُه تعَالى: ﴿فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قرأ الجمْهُور: «فاسْأَلْ» على معْنى الأمْرِ لِرسُولِ اللهِ ﷺ، وإنَّما أُمِر أنْ يسْأَلَ مَن آمَن منْهُم عمَّا أُخْبر به عنْهُم؛ لِيكونَ حُجَّةً علَى مَن لم يُؤمِنْ منْهُم.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على معْنى الخَبرِ عنْ مُوسى أنَّه سأَل فرْعَونَ أنْ يُرسِلَ معَه بنِي إسْرائيلَ[1]. ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾؛ أي: لَأَحْسبُكَ ﴿يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ وفيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: مخْدُوعًا، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: مسْحُورًا، قد سُحِرْتَ، قالَه ابْنُ السَّائبِ.

والثَّالث: ساحِرًا، فوضَعَ مفْعولًا في موْضِع فاعِلٍ، هذَا مرْويٌّ عنِ الفرَّاءِ وأبي عُبيدةَ[2].

فقَال مُوسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرَأ الجمْهُور بفتْحِ التَّاءِ. وقرأ عليٌّ عليه

---

(١) أخرج هذه القراءة الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٦٨) من طريق هارون، عن حنظلة السَّدوسيّ، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، أنه قرأ: «فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جاءهم» يعني: أن موسى سأل فرعونَ بني إسرائيل أن يرسلهم معه.
والقراءة شاذة، انظر: المصاحف؛ لابن أبي داود (ص: ٢٦٠)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٦/ ١٣٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣).

(٢) ليس في نسخة معاني القرآن المطبوعة ولا المجاز، وذكر ذلك عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٩٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٩٥)، وانظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٥/ ١٣٥).

السَّلام بِضمِّهَا(١)، وقالَ: واللهِ مَا علِمَ عدُوُّ اللهِ، ولكِن مُوسى هوَ الَّذي علِمَ، فبلَغ ذلِك ابْنُ عبَّاسٍ، فاحْتجَّ بقوْلِه تعَالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] واخْتارَ الكِسائِيُّ وثعْلَبٌ قِراءةَ علِيٍّ عليه السلام، وقدْ رُويتْ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ، وأَبِي رَزِينٍ، وسَعِيدِ بْنِ جُبيرٍ، وابْنِ يعْمُرَ.

واحْتجَّ مَن نصرَها بأنَّه لَّما نسبَ مُوسى إلى أنَّه مسْحورٌ، أعْلَمَه بصحَّةِ عقْلِه بقوْلِه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ والقِراءةُ الأُولَى أصحُّ؛ لِاخْتيارِ الجمْهُورِ، ولأنَّه قدْ أبانَ مُوسى مِنَ المعجِزاتِ ما أوْجَبَ علْمَ فرْعَونَ بصدْقِه، فلم يرُدَّ عليْهِ إلَّا بالتَّعلُّلِ والمدَافعةِ، فكأنَّه قالَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بالدَّليلِ والحُجَّةِ ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعْنِي الآياتِ. وقدْ شرحْنا معْنَى البصَائِرِ فِي الأعراف [آية: ٢٠٣].

قوْلُه تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قالَ أكْثرُ المفسِّرينَ: الظَّنُّ هاهُنا بمعْنَى العلْمِ، على خِلافِ ظَنِّ فِرْعونَ فِي مُوسى، وسوَّى بيْنَهُما بعْضُهُم، فجعَلَ الأوَّلَ بمعْنَى العلْمِ أيْضًا.

(١) هذِه القراءة أسندها الفراء إلى علي -رضي الله عنه- في معاني القرآن (٢/ ١٣٢)، وقال: الفراء: والفتح أحبّ إليَّ وقال بعضهم: قرأ الكِسَائي بالرفع، فقال: أخالفه أشدَّ الخلاف.

وفِي المثْبُورِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُها: أنَّه الملْعُونُ، رَواه أبو صَالِحٍ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(١)، وبهِ قالَ الضَّحَّاكُ.

والثَّاني: المغْلُوبُ، رَواه العَوفيُّ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٢).

والثَّالث: النَّاقِصُ العقْلِ، رَواه ميْمُونُ بْنُ مِهرَانَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٣).

والرَّابع: المهْلَكُ، رَواه ابْنُ أبي طلْحةَ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ(٤)، وبهِ قالَ أبو عُبيدةَ(٥)، وابْنُ قُتيبةَ(٦).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ يقول: ملعونًا.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٧٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ يعني: مغلوبًا.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٩٩) (١٧٦٠)، من طريق أبو صالح محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن الضبي، قال: حدثنا أبو عبدالله الحسين بن عبد الله بن الخصيب الأبراري، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: كنت قائمًا على رأس المأمون وهو يناظر رجلًا فسمعته يقول له: يا مثبور! ثم أقبل على فقال: يا إبراهيم! ما معنى يا مثبور؟ قلت: لا أدري، فقال: حدثني الرشيد قال: حدثني أمير المؤمنين المهدي، قال: كنت جالسًا عند أمير المؤمنين المنصور، فسمعته يقول لرجل: يا مثبور! فقلت: يا أمير المؤمنين! ما معنى مثبور؟ فقال: قال ميمون بن مهران: قال ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ فقال: ناقص العقل.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٨)، طريق مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثۡبُورٗا﴾، قَالَ: «مُهْلَكًا».

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٩٢).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٦١).

قالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: ثُبِرَ الرَّجُلُ، فهوَ مثْبُورٌ؛ إذَا أُهْلِك[١].

والخامِس: الهالِك، قالَه مُجاهِدٌ.

والسَّادس: المَمْنُوعُ مِنَ الخيْرِ؛ تقُول العرَبُ: مَا ثَبرَكَ عنْ هذَا؛ أي: مَا منَعَك، قالَه الفرَّاءُ[٢].

قوْلُه تعَالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ يعْنِي: فِرْعونَ أرَادَ أنْ يستفِزَّ بنِي إسْرائيلَ مِن أرْضِ مِصرَ.

وفي معْنَى «يَسْتَفِزَّهُمْ» قوْلَانِ:

أحدُهما: يسْتَأصِلُهم، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: يسْتخِفَّهُم حتَّى يخْرجُوا، قالَه ابْنُ قُتيبةَ[٣].

وقالَ الزَّجَّاجُ: جائِزٌ أنْ يكونَ اسْتِفزازُهم إخْرَاجَهم منْهَا بالقتْلِ أوْ بالتَّنْحيةِ[٤].

قالَ العُلماء: وفي هذِه الآيةِ تنْبِيهٌ على نُصْرةِ رسُولِ الله ﷺ؛ لأنَّه لَمَّا خرَجَ مُوسى طلَبَه[٥] فِرْعونُ، هلَك فرْعَونُ وملَك مُوسى، وكذلِك أظْهَر اللهُ نَبِيَّه بعْد خُروجِه مِن مكَّةَ حتَّى رجعَ إليْهَا ظاهِرًا عليْهَا. [٤٩٠/أ]

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

(٥) في (س)، و(م): فطلبه.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: مِـن بعْـدِ هَـلاكِ فِرْعـونَ ﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ وفيهـا ثلاثـةُ[1] أقْـوالٍ:

أحدُها: فلسْطِينُ والأرْدُنُ، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ.

والثَّاني: أرْضٌ وراءَ الصِّينِ، قالَه مُقاتلٌ[2].

والثَّالث: أرْضُ مِصرَ والشَّامِ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ يعْنِـي: القِيامَـةَ ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾؛ أي: جميعًـا، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ ومُجاهِـدٌ، وابْـنُ قُتيبـةَ[3].

وقـالَ الفـرَّاءُ: «لفِيفًـا»؛ أي: مِـن هَاهُنـا ومِـن هَاهُنـا[4]. وقـالَ الزَّجَّـاجُ: اللَّفِيـفُ: الجماعَـاتُ مِـن قبائِـلَ شـتَّى[5].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥ - ١٠٩].

---

(١) في (س): ثلاث.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الهـاءُ كنَايـةٌ عـنِ القُـرآنِ، والمعْنَـى: أَنزلْنَـا القُـرآنَ بالأَمْـرِ الثَّابـتِ والدِّيـنِ المسْـتقِيمِ، فهـوَ حَـقٌّ، ونُزولُـه حَـقٌّ، ومَـا تَضمَّنَـهُ حَـقٌّ.

وقـالَ أبـو سُـليمانَ الدِّمشـقيُّ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ أي: بالتَّوحيدِ، ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ يعْنـي: بالوَعْـدِ والوَعِيـدِ، والأمْـرِ والنَّهـيِ.

قوْلُـه تعَـالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ قـرَأ عـلِيٌّ عليـه السَّـلام، وسـعْدُ بْـنُ أبي وقَّـاصٍ، وأُبَيُّ بْـنُ كعْـبٍ، وابْـنُ مسْـعُودٍ، وابْـنُ عبَّـاسٍ، وأبـو رَزيـنٍ، ومُجاهِـدٌ، والشَّـعبِيُّ، وقتـادَةُ، والأعْـرَجُ، وأبـو رجَـاءٍ، وابْـنُ مُحَيْصِـن: «فَرَّقْنَـاهُ» بالتَّشْـديدِ[1]. وقـرَأ الجمْهُـور بالتَّخْفيـفِ.

فأمَّا قِراءةُ التَّخْفيفِ: ففِي معْناها ثَلاثَةُ أقْوالٍ:

أحدُها: بيَّنَّا حلالَه وحرَامَهُ، رَواه الضَّحَّاكُ عنِ ابْنِ عبَّاسٍ[2].

والثَّاني: فرَّقْنَا بِهِ[3] بيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، قالَه الحسَنُ.

والثَّالـث: أحْكَمْنـاه وفصَّلْنَـاه؛ كقوْلِـه تعـالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخـان: ٤] قالَـه الفـرَّاءُ[4].

---

(١) قـراءة شـاذة، انظـر: المحتسـب (٢/ ٢٣)، وشـواذ ابـن خالويـه (ص: ٧٧)، وشـواذ القـراءات؛ للكرمـاني (ص: ٢٨٤).

(٢) ذكره عن ابن عبَّاس السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٣٢).

(٣) في (م): فيه.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

وأمَّا المشدَّدةُ؛ فمعْنَاهَا: أنَّه أُنزل متفرِّقًا، ولم ينْزِلْ جُملةً واحِدةً. وقدْ بيَّنَّا في أوَّلِ كتابِنَا هذا مِقدارَ المدَّةِ الَّتِي نزَلَ فيهَا.

قوْلُه تعَالى: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قرأ أنسٌ، والشَّعْبيُّ، والضَّحَّاكُ، وقتادَةُ، وأبو رَجاءٍ، وأبَان عنْ عاصِمٍ، وابْنُ مُحيصنٍ: بفتْحِ الميمِ[١]؛ والمعْنَى: على تُؤدَةٍ وتَرسُّلٍ ليتدبَّرُوا معْنَاه.

قوْلُه تعَالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ هذَا تهْدِيدٌ لِكفَّارِ أهْلِ مكَّةَ، والهَاءُ كِنايةٌ عنِ القُرآنِ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ وفِيهم ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّهم ناسٌ مِن أهْلِ الكِتابِ، قالَه مُجاهِدٌ.

والثَّاني: أنَّهمُ الأنْبياءُ عليهم السلام، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

والثَّالثُ: طُلَّابُ الدِّينِ، كأبِي ذرٍّ، وسلْمَانَ، وورَقةَ بْنِ نوْفلٍ، وزَيْدِ بْنِ عمْرٍو، قالَه الواحِديُّ[٢].

وفي هاءِ الكِنايةِ فِي قوْلِه: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ قوْلانِ:

أحدُهما: أنَّها ترجِعُ إلى القُرآن، والمعْنَى: مِن قبْلِ نُزولِه.

والثَّاني: ترجِعُ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، قالَه ابْنُ زيْدٍ.

فعلَى الأوَّل ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القُرآنُ. وعلَى قوْلِ ابْنِ زيْدٍ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ مَا أُنزل إليهم مِن عنْدِ اللهِ.

---

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٤)، والكامل؛ للهذلي (ص: ٣١٣).

(٢) التفسير البسيط (١٣/ ٥٠٦).

قوْلُـه تعَـالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ الـلّامُ هَاهُنـا بمعْنَـى: عـلَى. قـالَ ابْـنُ عبَّـاسٍ: قوْلُــه: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾؛ أي: للْوُجـوهِ[١].

قـالَ الزَّجَّـاجُ: الَّـذي يخِرُّ وهـوَ قائِـمٌ، إنَّـما يخرُّ لوجْهِـه، والذَّقـنُ: مجتمَعُ اللَّحْيَـيْنِ، وهـوَ عضْـوٌ مِـن أعْضـاءِ الوجْـهِ. فـإذَا ابْتـدأَ يخِرُّ، فأقْـربُ الأشْـياءِ مِـن وجْهـهِ إلى الأرْضِ الذَّقْـنُ[٢].

وقـالَ ابْـنُ الأنْبـاريِّ: أوَّل مَـا يلْقَـى الأرْضَ مِـن الَّـذي يخِـرُّ قَبْـلَ أنْ يُصـوِّبَ جبْهتَـه ذقْنُـه، فلِذلـكَ قـالَ: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾، ويجُـوزُ أنْ يكُـونَ المعْنَـى: يخِـرُّونَ للوجُـوهِ، فاكْتفَى بالذَّقْـن مِـن الوجْـهِ كـما يُكتفَـى بالبعْـضِ مِـنَ الـكُلِّ، وبالنَّـوعِ مِـنَ الجنْـسِ. [٤٩٠/ب]

قوْلُــه تعَــالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهُـوا اللهَ تعَـالى عـنْ تكْذِيـبِ المكذِّبِـينَ بالقُـرآنِ، وقالُـوا: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنْـزالِ القُـرآنِ وبعْـثِ محمَّـدٍ ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ والـلَّام دخلَـتْ للتَّوْكيـدِ.

وهـؤُلاءِ قـوْمٌ كانُـوا يسْـمَعُون أنَّ اللهَ باعِـثٌ نبيًّـا مِـنَ العـرَبِ، ومُنـزِّلٌ عليـهِ كتَابًـا، فلـمَّا عايَنُـوا ذلِـك، حمِـدُوا اللهَ تعَـالى عـلى إنْجـازِ الوعْـدِ.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كـرَّر القـوْلَ؛ لِيـدلَّ عـلَى تكْـرَارِ الفعْـلِ منْهُـم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾؛ أي: يزِيدُهـمُ القُـرآنُ تواضُعًـا. وكانَ عبْـدُ الأعْـلَى التَّيْمِـيُّ

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره (١٧/ ٥٧٧) مـن طريـق عـلي بـن أبي طلحـة، عـن عبـاس، قولـه: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ يقـول: للوجـوه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٤).

يقُـول: مَـن أُوتي مِنَ العلْـمِ مَا لَا يُبْكيـه؛ لَخَلِيقٌ أنْ لَا يكُـونَ أُوتي علْـمًا ينفعُه؛ لأنَّ اللهَ تعَـالى نعَتَ العُلَـماءَ، فقَـال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾... إلى قوْلِه: ﴿يَبْكُونَ﴾[١].

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

قوْلُـه تعـالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾... الآيـة. هـذِه الأيـةُ نزلَـتْ علَـى سَـببيْنِ. نـزَلَ أوّلُهـا إلى قوْلِـه: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ علَـى سـبَبٍ، **وفيـهِ ثلاثَـةُ أقْـوالٍ:**

أحدُهـا: أنَّ رسُـولَ اللهِ ﷺ تهجَّـدَ ذاتَ ليْلَـةٍ بمكَّـةَ، فجعَـلَ يقُـولُ في سُـجودِه: «يَـا رحْمَـنُ يَـا رحِيـمُ». فقَـالَ المشْركُـونَ: كانَ مُحمَّـدٌ يدْعُـو إلهًـا واحِـدًا، فهـوَ الآنَ يدْعُـو إلهَـيْنِ اثْنَـيْنِ: الله، والرَّحـمـن، مَـا نعْـرِف الرَّحمَـنَ إلَّا رحْمَـنَ اليَمامَـةِ، يعْنُـونَ: مُسَـيْلمَةَ، فأنْـزَلَ اللهُ هـذِه الآيـةَ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ[٢].

---

(١) أخرجـه ابـن المبـارك في الزهـد (ص: ٤١) (١٢٥)، وأبـو عبيد في فضائل القـرآن (ص: ١٤٠)، وابـن أبي شـيبة في مصنفـه (٧/ ٢٠٤)، (٣٥٣٦٠)، والإمـام أحمـد في الزهـد (ص: ١٣٧)، (٩٢٩)، والدارمي في سننه (١/ ٣٣٥) (٢٩٩).

(٢) أخرجـه الطـبري (١٧/ ٥٨٠) مـن طريـق الأوزاعـي، عـن مكحـول، أن النبـيّ ﷺ كان يتهجَّد بمكـة ذات ليلـة، يقـول في سـجوده: يـا رَحْمَـنُ يـا رَحِيـمُ، فسـمعه رجـل مـن المشركـين، فلما أصبـح قـال لأصحابـه: انظـروا مـا قـال ابـن أبي كبشـة، يدعـو الليلـة الرحمـن الـذي باليمامة، وكان باليمامـة رجـل يقـال لـه الرحمـن: فنزلـت: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، وذكـره عـن ابـن عبَّـاس الثعلبـيُّ في الكشـف والبيـان (١٦/ ٥٠٥)، والواحـديُّ في أسـباب النـزول (ص: ٣٠٢)، والتفسـير البسـيط (١٣/ ٥١٠).

والثَّاني: أنَّ رسُول الله ﷺ كانَ يكْتُبُ فِي أوَّلِ مَا أُوحِيَ إليْهِ: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ»، حتَّى نزَل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فكَتَب: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقَالَ مُشركُو العرَبِ: هذَا الرَّحِيمُ نعْرِفُه، فمَا الرَّحْمنُ؟ فنزَلَتْ هذِهِ الآيةُ، قالَه ميْمُونُ بْنُ مِهرانَ(١).

والثَّالث: أنَّ أهْلَ الكتابِ قالُوا لِرسُولِ الله ﷺ: إنَّك لَتُقِلُّ ذكْرَ الرَّحمنِ وقدْ أكْثَر اللهُ في التَّوراةِ هذَا الاِسْمِ، فنزلَتْ هذِه الآيةُ، قالَهُ الضَّحَّاكُ(٢).

فأمَّا قوْلُه: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ فنزَلَ علَى سببٍ، وفيهِ ثلاثةُ أقْوالٍ:

أحدُها: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يرْفعُ صوْتَه بالقُرآنِ بمكَّةَ، فيسُبُّ المشركُون القُرآنَ ومَن أتَى بهِ، فخَفَض رسُولُ اللهِ ﷺ صوْتَه بعْدَ ذلِك حتَّى لم يُسمِعْ أصْحابَه، فأنزَلَ اللهُ تعَالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بِقراءَتِك، فيسْمَعُ المشرِكونَ فيَسُبُّوا القُرآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ عنْ أصْحابِك، فلا يسْمَعُون، قالَه ابْنُ عبَّاسٍ(٣).

---

(١) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٣).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، مسلم (٤٤٦)، والنسائي (١/ ٦٧١) (٣٢٠)، والترمذي (٣١٤٦) كلهم من طريق هشيم قال: أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نزلت ورسول الله ﷺ متوار -مختف- بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقراءة، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ بها عن أصحابك، =

والثَّاني: أنَّ الأعْرابِيَّ كانَ يجهَرُ في التَّشهدِ ويرْفعُ صوْتَه، فنزَلتْ هذِه الآيةُ، هذَا قوْلُ عائِشةَ[1].

والثَّالث: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يُصلِّي بمكَّةَ عندَ الصَّفا، فجهَرَ بالقُرآنِ في صَلاةِ الغَداةِ، فقَال أبو جهْلٍ: لا تفْترِ على اللهِ، فخفَضَ النَّبيُّ ﷺ صوْتَه، فقَال أبو جهْل للمُشركينَ: ألَا ترَوْنَ مَا فعلْتُ بابنِ أبي كبْشةَ؟ ردَدْتُه عنْ قِراءتِه، فنزَلت هذِه الآيةُ، قالَه مُقاتِلٌ[2]. [٤٩١/أ]

فأمَّا التَّفسير؛ فقوْلُه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ **المعْنى**: إنْ شئْتُم فقُولوا: يا اللهُ، وإنْ شئْتُم فقُولوا: يا رحْمَنُ، فإنَّهما يرْجِعانِ إلى واحِدٍ، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ **المعْنَى**: أيَّ أسْماءِ اللهِ تدْعوا؛ قالَ الفرَّاءُ: و«مَا» قدْ تكُونُ صِلةً؛ كقوْلِه: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وتكونُ في معْنى «أيّ» معادةً لمَّا اخْتلَف لفْظُهما[3][4].

= أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ يقول: بين الجهر والمخافتة. وكذلك ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٣).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٨٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٠٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٥٤) (٨٣٩) من طريق حفص بن غياث، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت هذه الآية في التشهد ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠٩)، ومكي بن أبي طالب في الهداية (٦/ ٤٣١٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥٦).

(٣) في الأصل، و(س): لفظها، والمثبت من (ر)، و(م).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٣).

قوْلُه تعَالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيهِ قوْلَانِ:

أحدُهما: أنَّها الصَّلاةُ الشَّرعيَّةُ.

ثُمَّ فِي المرَادِ بالكلَامِ سِتَّةُ أقْوَالٍ:

أحدُهـا: لاتَجْهَـرْ بقِرَاءتِـكَ، ولَا تُخافِـتْ بِهـا، فكأنَّـه نهْـيٌ عـنْ شِـدَّةِ الجهْـرِ بالقِـراءةِ، وشِـدَّةِ المخَافتَـةِ، قالَـه ابْـنُ عبَّاسٍ.

فعَلى هذَا في تسْمِيةِ القِراءةِ بالصَّلاةِ قوْلَانِ -ذكرَهُما ابْنُ الأنْبَاريِّ-:

أحدُهما: أنْ يكُون المعْنَى: فلا تجهَرْ بقِراءةِ صَلاتِكَ.

والثَّـاني: أنَّ القِـراءةَ بعْـضُ الصَّـلاةِ، فنَابَـتْ عنْهَـا؛ كـما قِيـلَ لِعيسـى: كلِمَـةُ اللهِ؛ لأنَّـه بالكلِمَـة كانَ.

والثَّـاني: لَا تُصـلِّ مُـراءاةً للنَّـاس، ولا تدعْهَـا مخافـةَ النَّـاسِ، قالَـه ابْـنُ عبَّـاسٍ أيْضًـا.

والثَّالـث: لَا تَجْهَـرْ بالتَّشـهدِ في صلَاتِـك، رُوي عـنْ عائِشَـةَ رضي الله عنها فِي رِوايـةٍ، وبـهِ قـالَ ابْنُ سِـيرينَ.

والرَّابـع: لَا تَجْهَـرْ بفعْـلِ صَلاتِـك ظاهِـرًا، ولا تُخافِـتْ بهـا شـدِيدَ الاِسْـتتارِ، قالَـه عكرِمَـةُ.

والخامِس: لَا تُحسِن علَانِيتَها، وتُسِئْ سَريرتَها، قالَه الحسَنُ.

والسَّـادس: لَا تجهَرْ بصَلاتِـكَ كُلِّها، ولا تُخافِتْ بجميعِهَـا. فاجْهرْ في صَلاةِ اللَّيْـلِ، وخافِـتْ في صَلاةِ النَّهـار، علَى مَا أمرْنَـاك بِه، ذكرَهُ القـاضي أبو يعْلَى.

والقَـوْلُ الثَّـاني: أنَّ المـرادَ بالصَّـلاةِ الدُّعـاءُ، وهـوَ قـوْلُ عائِشَـةَ، وأبي هُريـرةَ، ومُجاهِـدٌ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخَافتَـةُ: الإخْفـاءُ، يُقـال: صـوْتٌ خفِيتٌ. ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي: اسْـلُك بـيْن الجهْـرِ والمخَافتَـةِ طريقًا.

وقـدْ رُوي عـنِ ابْـنِ عبَّـاسٍ أنَّه قـالَ: نُسـختْ هـذِه الآيـةُ بقوْلِه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[الأعراف: ٢٠٥][(١)]، وقـالَ ابْنُ السَّـائبِ: نُسـختْ بقوْلِه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤][(٢)]، وعلى التَّحقيقِ وجودُ النَّسـخ هَاهُنـا بعِيدٌ.

قوْلُـه تعـالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ وقـرأ أبـو المتـوكِّل، وأبـو الجـوْزاءِ، وطلْحـةُ بْـنُ مـصرِّف: «فِي المِلْـكِ» بكسْـرِ الميـمِ[(٣)]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قـالَ مُجاهِـدٌ: لم يحالِـفْ أحـدًا، ولم يبْتَـغِ نـصْرَ أحَـدٍ[(٤)]؛ والمعْنَـى: أنَّـه لا يحْتَـاجُ إلى مُـوالاةِ أحَـدٍ لِـذُلٍّ يلْحقُـه، فهـوَ مُسْـتغْنٍ عـنِ الـوَليِّ والنَّصـيرِ.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾؛ أي: عظِّمْه تعْظِيمًا تامًّا.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ٥٥٢).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، المنسوب للزهري (ص: ٣٠)، وذكره المصنف في نواسخ القرآن (٢/ ٥٠٣).

(٣) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات (ص: ٢٨٤).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤٤٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال: لم يحالف أحدًا، ولا يبتغي نصر أحد.

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة يوسف	

رقم الآية	الصفحة
٨٢، ٨٣	٥
٨٤	٧
٨٥، ٨٧	٩
٨٨، ٩٣	١٩
٩٤	٣١
٩٥، ٩٨	٣٧
٩٩	٤١
١٠٠، ١٠١	٤٣
١٠٢، ١٠٣	٤٩
١٠٤، ١٠٧	٥١
١٠٨، ١٠٩	٥٣
١١٠	٥٥
١١١	٥٧

رقم الآية	الصفحة
سورة الرعد	

١، ٢ .... ٦١
٣، ٤ .... ٦٣
٥ .... ٦٧
٦، ٩ .... ٦٩
١٠، ١١ .... ٧٥
١٢، ١٣ .... ٨١
١٤ .... ٨٧
١٥ .... ٨٩
١٦ .... ٩١
١٧، ١٨ .... ٩٣
١٩، ٢٤ .... ٩٧
٢٥، ٢٧ .... ١٠١
٢٨، ٢٩ .... ١٠٣
٣٠ .... ١٠٥
٣١ .... ١٠٧
٣٢ .... ١٠٩
٣٣ .... ١١١
٣٤، ٣٥ .... ١١٣
٣٦، ٣٧ .... ١١٥
٣٨، ٣٩ .... ١١٧
٤٠، ٤١ .... ١٢١
٤٢، ٤٣ .... ١٢٣

رقم الآية	الصفحة
سورة إبراهيم	

١، ٢	١٢٥
٣، ٦	١٢٧
٧، ١٤	١٣١
١٥، ١٧	١٣٥
١٨	١٤١
١٩، ٢١	١٤٣
٢٢، ٢٣	١٤٥
٢٤، ٢٥	١٤٧
٢٦	١٥١
٢٧	١٥٣
٢٨، ٣٠	١٥٥
٣١، ٣٦	١٥٧
٣٧	١٦١
٣٨، ٤٠	١٦٥
٤١، ٤٣	١٦٧
٤٤	١٧١
٤٥، ٤٧	١٧٣
٤٨	١٧٧
٤٩، ٥١	١٨١

رقم الآية	الصفحة
سورة الحجر	
١، ٢	١٨٣
٣، ٨	١٨٩
٩	١٩١
١٠، ١٥	١٩٣
١٦، ١٨	١٩٧
١٩، ٢٠	٢٠١
٢١، ٢٣	٢٠٥
٢٤، ٢٥	٢٠٩
٢٦، ٢٩	٢١٣
٣٠، ٤١	٢١٧
٤٢، ٤٤	٢١٩
٤٥، ٤٨	٢٢١
٤٩، ٥٣	٢٢٣
٥٤، ٦٦	٢٢٥
٦٧، ٧١	٢٢٧
٧٢، ٧٧	٢٢٩
٧٨، ٧٩	٢٣٣
٨٠، ٨٦	٢٣٥
٨٧، ٨٩	٢٣٧
٩٠، ٩٣	٢٤٣
٩٤	٢٤٩
٩٥، ٩٩	٢٥١

رقم الآية	الصفحة
سورة النحل	

١، ٣ .... ٢٥٧
٤ .... ٢٦١
٥، ٧ .... ٢٦٣
٨ .... ٢٦٥
٩، ١١ .... ٢٦٧
١٢، ١٦ .... ٢٧١
١٧، ٢١ .... ٢٧٥
٢٢، ٢٧ .... ٢٧٧
٢٨، ٣٢ .... ٢٨٣
٣٣، ٣٤ .... ٢٨٧
٣٥، ٤٢ .... ٢٨٩
٤٣، ٤٤ .... ٢٩٥
٤٥، ٤٧ .... ٢٩٧
٤٨، ٥٠ .... ٢٩٩
٥١، ٥٢ .... ٣٠٥
٥٣، ٥٥ .... ٣٠٧
٥٦، ٥٩ .... ٣٠٩

٦٠، ٦٢ .... ٣١١
٦٣، ٦٦ .... ٣١٥
٦٧ .... ٣١٩
٦٨، ٦٩ .... ٣٢١
٧٠، ٧١ .... ٣٢٥
٧٢، ٧٤ .... ٣٢٧
٧٥، ٧٦ .... ٣٣٣
٧٧ .... ٣٣٥
٧٨ .... ٣٣٧
٧٩، ٨٣ .... ٣٣٩
٨٤، ٨٧ .... ٣٤٥
٨٨، ٨٩ .... ٣٤٧
٩٠، ٩٣ .... ٣٤٩
٩٤، ٩٦ .... ٣٥٧
٩٧ .... ٣٥٩
٩٨، ١٠٢ .... ٣٦١
١٠٣، ١٠٥ .... ٣٦٥
١٠٦، ١١١ .... ٣٧١
١١٢ .... ٣٧٩

١١٣	٣٨١
١١٤، ١١٩	٣٨٣
١٢٠، ١٢٢	٣٨٥
١٢٣، ١٢٤	٣٨٧
١٢٥	٣٨٩
١٢٦، ١٢٨	٣٩١

رقم الآية	الصفحة
سورة الإسراء	
١	٣٩٧
٢، ٣	٤٠١
٤، ٦	٤٠٣
٧، ٨	٤٠٩
٩، ١١	٤١٣
١٢، ١٤	٤١٥
١٥	٤٢١
١٦، ١٧	٤٢٣
١٨، ١٩	٤٢٥
٢٠، ٢٥	٤٢٧

٢٦، ٢٨ .... ٤٣٧
٢٩، ٣١ .... ٤٤١
٣٢، ٣٣ .... ٤٤٥
٣٤، ٣٦ .... ٤٤٩
٣٧، ٣٩ .... ٤٥٣
٤٠، ٤١ .... ٤٥٥
٤٢، ٤٤ .... ٤٥٧
٤٥، ٥٢ .... ٤٦١
٥٣ .... ٤٧١
٥٤ .... ٤٧٣
٥٥، ٥٧ .... ٤٧٥
٥٨، ٥٩ .... ٤٧٧
٦٠ .... ٤٧٩
٦١، ٦٥ .... ٤٨٥
٦٦، ٧٠ .... ٤٩١
٧١، ٧٢ .... ٤٩٩
٧٣، ٧٧ .... ٥٠٣
٧٨، ٨١ .... ٥١١

٨٢، ٨٤ .... ٥٢٣

٨٥ .... ٥٢٥

٨٦، ٨٨ .... ٥٢٩

٨٩، ٩٣ .... ٥٣١

٩٤، ١٠٠ .... ٥٣٧

١٠١، ١٠٤ .... ٥٤٣

١٠٥، ١٠٩ .... ٥٤٩

١١٠، ١١١ .... ٥٥٣